

لقيانا قدر

رواية

عروة حيدوم

مروة
صمدوخ

لقيانا
قدر

لقيانا قدر

رواية

شخايط
ورديّة



مرودة
صدوح

لقيانا
قدر

جروب

شخايط وردية

إبداع الحرف وعشق اللبجربة

للدخول للجروب على الفيس بوك

[/www.facebook.com/groups/shakhabeit.wardia](http://www.facebook.com/groups/shakhabeit.wardia)

شخايط
وردية



بقلم

مرورة ممدوح

تصميم غلاف وداخلي

صابرين الديب

فريق عمل "شخايط وردية"



المقدمة

أحياناً يخفق القلب بلا داعي
بعد انتظار قد يدوم طويلاً
قد تحيا عمراً بأكمله
في انتظار خفقة مختلفة
سكون أو حتى جنون
لذلك القابع بين ضلوعك
و حينما تأتي اللحظة الحاسمة
تُسَلِّمُ بأن كل لحظة انتظار
كان لها ..
ألف داعي !!



تطلعت ثلاثة أزواج من العيون لبعضهم البعض ؛ تحمل نفس
التصميم و الاتهام .

الأم وولديها !

أكثرهم ثباتاً كان هو " هشام " و لمَ لا يكون و هو أكثر من يمتلك
ما يدافع عنه !

أليس الحب بسبب كاف للقتال من أجله !

تمتم ياسين برفض " إنت عارف يعني إيه تسبب بنت عمك في
مجتمع صغير زي مجتمعنا .. إنت مُدرك ده معناه إيه ؟! "

يوجعه قلبه عليها قليلاً إلا أنه ليس على استعداد لخسارة راحة
باله مدى الحياة من أجل إحساس بذنوب لم يقترفه .

مط شفتيه ثم أجاب بأسى : الجواز قسمة و نصيب !! ثم تابع
مدافعاً عن اختياره : أنا .. أنا مكنش لي حق الاختيار في أي
حاجة في حياتي دي كلها .. أظن من حقي يكون لي طلب وحيد
.. طلب واحد بس هو اللي عايزه .. أتجوز اللي بحبها .



إحساس بالكره غمر قلبها ؛ لطالما عُرِفَت بالقسوة و بالشدة في معظم الأحيان ؛ ربما فرضهما عليها الوجود في بيئة صحراوية قاسية .

أو زوج مقعد أجبرتها عدم أهليته أن تكون بمثابة الذكر و الأنثى على حد سواء منذ كانت في مقتبل عمرها .

ربما أيضاً كونها أم لذكريين يحملان من العناد و العنفوان ما جعلها تفرض عليهما سطوتها بالشدة أحياناً و بالقسوة في معظم الأحيان .

خيطة رفيع من احترام كان ما يبقيهما في حالة رضوخ لسلسلة من الأوامر و جب عليهما الإذعان لها .

بينما الاعتراض هنا ..

حُكْم مع إيقاف التنفيذ !

نظرة قاسية لن يكون بشر لو لم تؤثر عليه! غمغمت بعدها رافضة قرار يخالف ما تريده هي: حتى لو كان طلبك ده معناه إنك



تسيب خطيبتك .. و تعارض الأعراف اللي اتعودنا عليها .. حتى
لو كانت رغبتك دي ضد مصلحتنا و عكس رغبتنا كلنا .
أطرق برأسه في أسف : يمكن لو مكنتش قابلتها و حببتها ..
يمكن لو كنت هشام بتاع زمان كنت هقبل .. الحب غيرني يا
أمي .. لقيت معاها في الكام شهر دول اللي عمري ما حسيته في
عمري كله .. و أنا آسف إنني أقول أنني معنديش استعداد أتخلي
عنها مهما حصل .

بلهجة ببرود الثلج هتفت " لو مشيت من هنا مش هترجع تاني
أبداً "

أغمض عينيه يبتلع قسوة كلماتها بصعوبة بالغة ؛
قسوة ليست بالجديدة و رغبات ليست له يجب أن تمضي
كالسيف على رقبتة .

حسم أمره المحسوم من البداية " لو رغبتني الوحيدة اللي ممكن
تسعدني مش موافقه لرغبات حضرتك يبقى أنا اللي مش راجع
تاني أبداً "



مرورة
صمدوخ

لقيانا
قدر

تابع بحروف قتلتها قبل أن يمضي للأبد

" اعتبريني مُت ! "

شخايط
وردية



الفصل الأول

أحياناً نتمنى
لو نستطيع الاحتفاظ
بلحظات السعادة للأبد
التمسك بذكرها للأبد
تجميد البسمة على شفاها
أو شحن القلب بجرعات منها
مكثفة حد التخمة ..

أحياناً نتمنى ..
فقط لو نستطيع أن نجمد تلك اللحظات
حتى لو ..
بعدرات كاميرا !!



تطلعت تمارا من خلال عدسة الكاميرا للأسرة السعيدة المكونة
من أب و أم يحمل كلاً منهما طفلاً رضيعاً.

أشارت بيدها و البسمة لا تفارق شفيتها

" واحد .. اثنين .. ثلاثة "

التقطت تمارا الصورة ، ناولت لمى التوأم الثاني لأبيه الذى
حمل كلاً منهما على ذراع

و اندفعت لمى باتجاه أختها لترى الصورة من خلال الكاميرا
الرقمية .

ابتسمت في سعادة " حلوة أوي يا تيمو .. روي بقى عشان
أصورك مع التوأم "

تبادلا الأدوار و التقطا أكبر عدد من الصور .

اقترب الزوج منهما بعد أن وضع التوأم في عربتهما الخاصة .

أخذ الكاميرا من زوجته و تمتم " أنا هصوركوا مع بعض . "



ابتسمت كلاً منهما للأخرى و اقتربتا من بعضهما البعض
لتحتضن الواحدة منهما خصر الأخرى ، و شكلت كلاً منهما
نصف قلب بأصبعيها السبابة و الإبهام تجاورا ليشكلا قلباً كاملاً

نظرتا للكاميرا و في عيني كلاً منهما ضحكة ربما أكثر وضوحاً
من تلك التي ارتسمت على شفثيها .

اقتربت منه زوجته ذات الملامح الهادئة الجذابة و البشرة
القمحية لتتطلع للصورة التي التقطها في فضول ؛ فالتفت ذراعه
حول كتفها تلقائياً و قبل رأسها المغطى بحجاب أنيق و همس :
زي القمر يا حبيبي .

اراحت رأسها على كتفه فيما انشغلت تمارا عنهما بمداعبة التوأم
اللدان تابعاها بأعينٍ مبتسمة و ثغراتٍ ضاحكة .

شعرت لى بالخوف يعتصر معدتها ، و بقلبها يخفق في قلق
حالما أمسك هشام هاتفه ينقل إليه الصور التي تم التقاطها .



تخشى أن يفعل ما وعدھا ألا يفعله .. تعلم أنه يتوق إليه بشده و لكن .. ليس الآن على الأقل .

أخفى هاتفه عنها الذي وردته رسالة من أخيه فتذرع قائلاً : لمى .. أنا هروح أشترى سندوتشات و عصير .. أكيد جوعتوا .

هتفت تمارا التي وصلها صوته رغم انهاكها بمداعبة التوأم ، و دون أن تنظر إليه هتفت : أنا ميتة من الجوع يا هشام .. متأخرش .

ضحك هشام في مرح : يا بنتي أنا مش عارف بتودي الأكل ده فين .. لا بتتخني و لا بتتطولي .

رمقته بغضب مصطنع ووجهت حديثها لأختها : سكتي جوزك يا لمى .. و قوليله هو ده الحجم المطلوب اليومين دول .

قهقه هشام : ماشي يا لأمضة .. لما نشوف آخرتها معاكي و مع الغلبان اللي مدوخاه وراكي و مش عايزه تريحيه .

ارتبكت و احمرت وجنتيها خجلاً و شعور بالذنب يتصاعد بداخلها و هي تدرك من يعني .



أخرجتها أختها من ارتباكها بزجرة شبه غاضبة : هشاشاشاشام .. سيب
تيمو براحتها .

رفع يديه مستسلماً و غمغم أثناء ابتعاده : انتِ تؤمري يا روح
قلبي .. أنا هروح أجيب السندويتشات .

اقتربت لى من أختها التي رحل عنها الارتباك ليحل محله
تأنيب الضمير و همست و هي تحتضن كتفيها بساعدها :
متزعليش يا تيمو هشام بيهزر معاكي .

أومأت تمارا برأسها : عارفة يا لى .. هشام زي أخويا مستحيل
أزعل منه .. بس ..

_ بس إيه !؟!

تساءلت تمارا بحزن : تفتكري أنا بظلمه معايا يا لولو !؟!

ازداد احتضان لى لها : ليه بتقولي كده !؟!

أجابت : مش شايفه جوزك بيقول إيه !؟! .. ده راجل زيه و أكيد
مش هيحب نبيل أكثر مني .. يبقى أكيد هو بيفكر إني ظلماه
فعلاً .



ضحكت لى و دفعتها بكفيها في مزاح : بطلي عبط .. هشام
بيحبك زي أخته بالظبط مستحيل يكون يفكر كده .. هو بس
بيساند جمع المذكر السالم عشان نبيل كلمه أكثر من مرة يفتح
معاكي الموضوع .

تنهدت تمارا في يأس : يا لى أنا عارفة إن نبيل بيحبني و إنه
لقطة و فيه كل المواصفات اللي تتمناها أي بنت في الشخص
اللي هترتبط بيه .. بس أنا مش حاساه يا لى .

أومات أختها بتفهم و ابتسامه تعلقو ثغرها : أنا فاهماك يا قلبي ..
بس إديله فرصة تانية ..

شاوري قلبك و عقلك مع بعض متستنيش قلبك يسيطر لوحده و
لا تسمحى لعقلك يلغى قلبك .

ابتسمت تمارا في خجل و قد توردت وجنتيها : هو أنا لو حلمت
بحب زي حب هشام لىك و حبك ليه .. حبيب يحارب الدنيا
كلها علشانى أبقى طماعه .. أنا مستعدة أستنى كثير .. لآخر يوم
في عمري حتى .. لو متأكدة إنى هلاقى الحب اللي اتمناه ..
حب العمر يا لى .



شردت لمي و عاودها القلق ذلك الخوف الذي يقضئ مضجعها ،
يؤرقها منذ بضعة ليال .

لاحظت تمارا شرودها و تساءلت في قلق : مالك يا لمي !؟
سرحتي في إيه !؟

بماذا تخبرها !؟ عن فرحة هشام اللامحدودة أم عن خوفها
المرضي مما ستؤول إليه الأمور لو سايرت هشام فيما يرغب و
هي سترضخ بلا شك ..

لن تصبح عقبة في طريق سعادته الكاملة أبداً !

تنهدت في قلق : هشام يا تمارا .. أخوه من كام يوم و هو بيكلمه
.. عايزه يرجع المزرعة من تاني .. بيقول إن أهله مستعدين
يصالحوه .

تهلل وجه تمارا : ده خبر حلو أوي يا لولو .. انتِ عارفة الخصام
ده كان مآثر على نفسيته أد إيه .



هزت رأسها في يأس : عارفة .. تفتكري في حد ممكن يحس
 بهشام أدي .. حبيبي دائماً بحس في عز فرحته كسرة نفس ..
 بحس بيها في قلقه عليّ أنا و التوأم .. بيحاول يخبي بس أنا
 حاسه بيه .. دول أهله و عزوته برده .. حاجة مش هقدر أعوضه
 عنها مهما عملت .. متصوريش فرحته بمكالمة أخوه دي كانت
 إزاي .

حركت تمارا كتفيها في عدم فهم : طب إيه اللي قالك بقى ما
 دام عايزينه يرجع .. يعني خلاص هيتقبلوك أخيراً .. و ما دام
 دي حاجة تسعده يبقى فين المشكلة .

اغرورقت عينيّ لمى بالدموع : أنا خايفة يا تمارا .. لأ مرعوبة ..
 خايفة يبعد عني .. مرعوبة إنه يبطل يحبني .. دول بيكرهوني ..
 ممكن يغيروه من ناحيتي لو روحنا و عشنا هناك .

هتفت بها تمارا في ذهول : انتِ أكيد اتجننتي .. هشام بيموت
 فيك يا عبيطة .. ده عادى أهله علشانك .. سابهم و اتنازل عن
 عزهم و فلوسهم و ارتباطه بيهم علشانك .. بطلي هبل .. أنا اللي



لسه بقولك عايزه حب زي حبكوا لبعض تقوليلي خايفة يبطل
يحبني .

دفعتها تمارا برفق و صوتها يغمغم في مرح : روعي .. روعي يا
بنتي الله يهديك .

تساقط دموعها و هي تتابع غير مستجيبة لمحاولات شقيقتها
في إضفاء المرح على مخاوفها: يا تمارا انتِ مش فاهمة ..
هشام عايز يسافر بكره و لا بعده .. و عايزني معاه .. أنا أخذت
منه وعد بالعافية إنه ميحبش سيرة كريم و كارما ليهم دلوقتِ و
مش عارفة هيو في بوعده و لا لأ .

تساءلت تمارا في عدم فهم : طب و مش عايزاهم يعرفوا ليه ..
دي حاجة هتثبت وجودك وسطهم .. يبقى ليه لأ ؟!

لمى في ياس : يا بنتي انتِ ما تعرفيهمش .. دول .. مش
هتفهمي .. دول ناس غيرنا تماماً .. مش واخدين الأمور ببساطة
كده زينا .. كل حاجة عندهم المصالح و العادات و الأوامر اللي
لازم تمشي على رقاب الكل .. الابن اللي لازم يتجوز من العيلة
أو عيلة بينهم مصالح مشتركة .. أصلاً هشام كان المفروض يتجوز



بنت عمه و سابها علشاني .. و عادى أهله سنتين عشان كانوا
رافضين ارتباطنا .. دول بيفكرونى بالإقطاعيين زمان .. خايفه
ما نعرفش نرجع لو مرتحناش هناك .. خايفه ياخدوا منى
ولادى خصوصاً كريم .

شهقت تمارا في رعب: نعم !! .. ياخدوهم منك إزاي يعني !?
لمى في يأس : يا بنتى ده ورث و الابن الكبير بيبقى المسئول و
كده .. و كريم هو الحفيد الأول للابن الكبير .. يعني العيشة
هناك في المزرعة هتبقى منفى و سجن كمان .. و أنا مش عايزه
العيشة دي لولادى .. فهمانى يا تمارا .

لو أن الخوف عدوى فلقد انتقل إليها بالفعل !

أومأت تمارا في قلق : فهمت .. طب و بعدين هتعملي إيه !?

تنهدت لمى في استسلام : مفيش قدامى غير إني أروح معاه و
أدعي ربنا إنه ميقتنمش بالعيشة هناك من تانى .

احتضنتها تمارا : عايزاك تكونى واثقة من هشام .. مفيش أي
حد و لا أي حاجة ممكن تغيره من ناحيتك .. خليك دائماً فاكركه



ان حبيك اللي باع الدنيا كلها و اشتراكِ مستحيل يتغير من
ناحيتك أبداً .

أشارت لى بأصبعها باتجاه قلبها و همست : تقدرى تقولى لده
يطمن .

اقتربت بغمها من صدر شقيقتها ؛ هتفت تمارا موجهةً حديثها
لقلب أختها في مزاح : اطمئن !

ابتسمت لى و اشتدت ذراعيها حول أختها تتمسك بالحب و
الحياة اللذان تمتلئ بها نفسها .. كما تستمد منها بعض القوة
لمواجهة ما يعتمل بداخلها من مخاوف .

مخاوف تحمل صفة الشرعية !

طَرقت باب غرفة المكتب ثم دخلت بعد أن سمح لها بالدخول .



ترك الأوراق التي بين يديه ثم تطلع إليها في استفسار " أفندم يا أمي؟! "

رفعت رأسها بكبرياء للطريقة الجافة التي استقبلها بها : إيه مش من مسموح لي أدخل هنا ولا إيه؟! "

تنهد في سخط : مين قال كده بس؟! .. أنا بس مشغول شوية !

كلما نالت بعضاً من قسوة " ياسين " تذكرت حنان الآخر " هشام "

رغم أن هشام الأكبر إلا أن ياسين كان الأقوى في الشخصية .. جاف أكثر .. يشبهها أكثر مما يجب ..

ربما يحمل بداخله بقية من حنان امتلكه منذ الصغر و لكن بمرور الوقت و في مرحلة ما من حياته توقف عن لعب دور الابن البار ؛ الطفل الرقيق الذي كانه ضلّ طريقه لقلبه في وقت ما .

أما عن بكرها " هشام "

الغالي !



لم يسبق له أن أتعبها ؛ لم يتوقف يوماً عن منحها من الحب و
الحنان ما تستحق و أكثر حتى عندما كانت تقسو عليه و تعنفه
كان يخفض رأسه في احترام راضخاً لكل كلماتها حتى لو كانت
على غير هواه !

و لكن ..

و كما يقال دوماً

لكل شيء مرة أولى ..

و كان له المرة الأولى ..

و الأخيرة!

لم تعهده عنيداً إلى هذا الحد ؛ أو مُجحفاً بحق عائلته إلى هذا
الحد!

إلا حينما تعرف بتلك المخلوقة قبل عامين .

تلك المخلوقة التي ترفض ذكر اسمها كما ترفض الحديث عنها
تماماً .



بعض الإناث يحملن التمرد لبعض الرجال .

يغيروهن ..

يستبدلوهن ..

ولا يستطيع التأثير في الرجل أكثر من أنثى !

سواء أحبها أو كرهها ..

لا يهم !

سواء كان ذلك التأثير للأفضل أو للأسوأ

لا يهم أيضاً !

الهام في الأمر أن لها هذا الوقع حتى لو رفض الرجال أنفسهم

الاعتراف به ..

و غالباً ما يستنكرون ذلك ..

و بشده !

لمى كانت كذلك !



أرغمت نفسها على التوقف و التركيز فيما تود قوله .

غمغمت : بنت عمك هتوصل بكرة من أمريكا .. و كنت عايزه

أتكلم معاك !

علم أن ذلك الأمر قادم لا محالة !

كان قرارا أتخذ ضمناً ..

ربما تأجل لبضعة أشهر !

و لكنه قرار ..

حتمي !!

رحيل أخيه و تركها جعل منه البديل البديهي ..

رغمًا عنه أو برضاه لا يهم !

سيلعب الدور الذي رُسم له منذ رحيل هشام .. حتى لو كان يعلم

انها كانت تفضل هشام عنه !

أو أنها دوماً ما التصقت به باعتباره زوج المستقبل !

أكثر ما يكره الرجل هو أن يكون بديلاً لأحد في قلب أنثى .



فكيف إن كانت ستصبح زوجة له !

يصير الكره حينها هاجس ..

فوبيا !

غمغم بيروود لا يتناسب مع الغيظ الذي يموج بداخله

" أنا جاهز يا أمي .. وقت ما تحبي ! "

ربتت على كفه المستكينة على سطح المكتب

" تسلم يا قلب أمك ! "

توجهت صوب الباب : أسيبك بقى لشغلك !

تجمدت للحظات و قد اخترق أذنيها الرنة المميزة لهاتف ولدها
و التي تعلم أنها المخصصة لأخيه .

ارتجفت للحظات و تساءلت بصوت خفيض : ده أخوك صح ؟!

أوما ياسين برأسه ، طال الوقت و لم يرد فتساءلت : إنت .. إنت
بتكلمه من امتي ؟!

غمغم : و مين قال إنني بطلت كلام معاه ؟!



.. هشام ما ارتكبش جناية يا أمي .. هشام مارس حقه في إنه

يحب و يتجوز البنت اللي حبها .

همت بالقول أن ذلك لم يكن رأيه في السابق ؛ و لكن كل ذلك

لم يعد يهم .

لقد افتقدته ..

بكرها ..

غاليها !

حاولت إضفاء بعض القوة على صوتها الذي خرج مهزوزاً رغباً

عنها " هو .. هو كويس ؟! "

تنهد ياسين في حنين لشقيق لم يره لوقت طويل

" وحشناه ! "

أغمضت عينيها و دقائق قلبها تتصاعد بحدة بفعل اشتياق أم

لفلذة كبدها حتى لو كان ذلك الابن غادر بمحض إرادته ..

ضارباً بإرادتها هي عرض الحائط .



فالأم تبقى أم حتى لو تلحفت بالقسوة !

" كلمه .. خليه يجيب مراته و ييجي نتعرف عليها "

تهلل ياسين : بجد يا أمي .

أومات و هتفت قبل أن تغادر الغرفة حتى لا تفضحها مشاعرها

" بس بعد خطوبتك انت و بنت عمك . "



الفصل الثاني

الحب لا يأتي كلما رغبنا
يأتينا فقط حين يرغب هو
و تبقى المعضلة ..
حياة بلا حب
أم حب بلا حياة
حب يمكننا انتظاره
أو حياة رتيبة قد يلونها الحب
أو تبقى على الدوام
معتمة !



لم تتجاوز حنجرته رغم أنها كانت هادره بقوة الموج المتحطم
على صخور الشاطئ ؛ بعنف الريح التي تعصف بكل ما حوله بل
تعصف به هو شخصياً .

لم يتوقع أبداً أن تسحب الحياة البساط من تحت قدميه بهذا
الشكل .

لطالما اغتر بكل ما يمتلك .

و لمَ لا يفعل !؟

و قد مُنح الوسامة و العنفوان بالإضافة للذكاء و المال الوفير .

فنهل من كل متاع الحياة بلا تردد ..

بلا اكتفاء ..

و بلا ارتواء !

تموج بداخله مشاعر شتى .. لمَ الآن !؟

هل تخبره الحياة أنه قد أخذ منها أكثر مما يستحق !؟



أم أن القدر منحه صفة موجهة يمتد تأثيرها من تلك اللحظة و
للأبد !

لم يفكر أبداً أن علاقاته النسائية قد تصل به لتلك النهاية !؟

" هل فكر يوماً بالاستقرار !؟ "

بيت و عائلة !

بالطبع فكر بذلك و لكن وقتما يريد هو !؟

ليس و هناك سيف زمني مسلط على عنقه !

يخبره كل يوم .. كل ساعة أن الأمل في الحصول على بيت و

عائلة سعيدة

يتناقص كل يوم .

أبيه الذي يتوسله يوم بعد يوم العودة .. مراعاة مصالح العائلة في

البلدة .

يترجاه أن يرحم ضعفه .. قوته التي تتضاءل طرديا مع كل يوم

يزداد به في العمر .



طلب أخير ربما ..

" وريث "

يحمل اسم العائلة .. يساعده في رعاية شئونها .

قُرة عين لجد .. و سند لأب حينما يحتاج لمن يستند إليه يوماً .

و بكل غرور أخذ يضرب بالحلم .. بالرجاء تلو الآخر عرض

الحائط .

فهو .. مراد!

صاحب العلاقات المتعددة لن يتنازل بالتأكيد و يقنع بواحدة .

هو من تأتيه كل متاع الحياة دون أن يبذل أي جهد يُذكر ؛ لن

يتمتع عنها بتلك البساطة .

حتى أته تلك الصفة !

و التي أشعرته بالضعف الشديد !

بأن أي قوة قد يغتر بها المرء ما هي إلا ضعف في حقيقة الأمر

و لكن لا تدركه حتى تختبر قوته



فتفاجأ أنها ما هي إلا قوة واهية صورها لك عقلك

يغريك بها حتى تصدق أنها حقيقة

و ما هي إلا كذبة تم تلفيقها

لخداعك .

قبل بضع ساعات أتته الحقيقة المجردة ..

دون زيف

دون خداع

لم يسبق له أن مرض بحياته ؛ طوال سنواته الثلاثون ربما لم

يذهب لطبيب أبداً

و لكل شيء مرة أولى !

بضع مشاكل بسيطة اضطرت له لزيارة صديقه الطبيب اللبناني

المقيم في المنزل المجاور له .

موعد .. فاستشارة .. ففحص يلي الآخر

لمزيد من الفحوص ..



حتى أتت النتيجة التي حاول صديقه تكذيبها حتى باتت لا تدع
مجالاً لأي شك .

" مراد .. كل الفحوصات عم تقول انه مرض .. بلكي وراثي ..
بلكي منشان الكحول أو مرض مكتسب .. بس انت ما بقى
قدامك كثير تحتى يكون عندك ولاد . "

تهالك عالمه الزائف في لحظات !

هتف بدهشة : جون .. انت بتقول إيه ؟! .. مش فاهم ؟!

حاول جون أن يخبره دون أن يجرحه و لكن الحقيقة دوما تقتل
" عم قول في شي مرض ما بعرف سببه ع الأکید بس معناته إنو
حيواناتك المنوية عم تقل و تضعف كل يوم أكثر ملي قبله . "

همس في قهر " و ده معناه إيه ؟! "

تنهد جون " معناتا إنك لازم تبلش تدور على عروس من هلا ..
فيك تتجوز بأقرب فرصة إذا بدك يكون إلك ولاد "

لم يدرك كيف غادر المشفى .. و لا يعلم كيف قاد سيارته إلى
هنا دون أن يقتل نفسه في حادث سير .



أخرج هاتفه بعد ساعات من التفكير العميق ليتصل بمدير أعماله

" حسن .. صفي كل حاجة عندك .. أنا نازل مصر "

ثم تابع بقوة " علطول ! "

بعينين احتضنتا كل حركاتها و سكناتها تابعت تمارا أختها التي أخذت طوال اليوم تدور في المنزل في نشاط أحياناً و فتور في معظم الوقت .

تُلقي عليها بالوصايا الألف لا العشر للاعتناء بالتوأم .

أغلقت الحقيبة التي احتوت ملابسها هي و هشام و التي حرصت على أن تكون قليلة حتى لا يطيلوا البقاء هناك .

كادت أن تفتحها للمرة العاشرة قبل أن يتناول هشام يدها مقرباً إياها من فمه ، ملثماً إياها في رقة .

" كل حاجة تمام .. ما تقلقيش انتِ اتأكدتِ كذا مرة . "

لم يكن يعلم إن التباطؤ الذي قد بدأ يثير حنقه



كان رد فعل

محاولة واهية لتأجيل ما هو محتم .

منذ علمت منذ بضعة أيام أنه قد حدد الوقت للسفر و هي تشعر
بالذعر من تلك الرحلة .

قلق مبهم رافقه اليوم مزاج سوداوي لا تستطيع التحكم به على
الإطلاق .

تنهدت في استسلام و اتجهت للتوأم تحتضنهما و تغرقهما
بقبلات لم تتوقف لدرجة أصابتهما بالسأم و التململ .

وجهت حديثها لشقيقتها الوحيدة : تمارا .. هتعرفي تاخدي
بالك منهم .

ربت تمارا على ظهرها : متقلقيش يا لى .. كريم و كارما في
عينه .

احتضنت أختها فيما قبّل هشام الطفلين بدوره و همس لهما :
خليكو مؤدبين و متعبوش خالتو معاكو .



صححت لى : ماما .. متعبوش ماما معاكو .. مش احنا اتفقنا
انهم هيقولوا ليكِ ماما تمارا .

غمغت تمارا في سخط مصطنع : انتِ عايزه تكبريني و خلاص
.. و بعدين لو قالولي ماما مين هيقولي خالتو .. ثم إني مش
هخليهم ينادوني غير تيمو .. مهما كبروا هفضل تيمو .

ابتسمت لى و قبلت أختها في قوة : هتوحشيني يا لمضة .

توجه هشام للباب بعد أن حمل الحقيبة فاستوقفته تمارا : هشام !
.. خد بالك من لى و مترعلهاش .

ابتسم هشام و هتف بشقاوة : انتي بتهرجي .. أنا بحبها و بخاف
عليها أكثر منك على فكرة .. وصيها هي عليّ .

بدأت الدموع تتجمع في المآقي مع حلول لحظة الوداع و رغم
أن الجميع يعلم أنه وداع قصير إلا أنه كان الوداع الأول و
الأصعب على الجميع .



دفعت تمارا شقيقتها التي عادت لاحتضان التوأم و همست :
متخافيش عليهم يا لمى .. و يلا بقى عشان الوقت اتأخر جداً و
الطريق قدامكم طويل .

مسحت دموعها بظاهر يدها و تابعت : روجي مع جوزك يا لمى
و متخليهوش يحس إنك متضايقه من الزيارة دي ..
متحطيش نفسك في مقارنة مع أهله و لا تجبريه يختار بينكم ..
هشام بيحبك .. اوعي تجرحيه و لا تكسري فرحته برضا أهله عنه

مسحت لمى دموعها بدورها و دفعت اختها برفق و هتفت مازحة
: يا سلام ياختي .. العقل ده كان فين و انتِ بترفضي نبيل .
ضحكت تمارا : تصدقي هنسى العقل ده و اتجنن عليكِ حالياً .
رفعت لمى كفيها مستسلمة : لا و على إيه .. مش هوصيكِ عليهم
.. على عيني اني سايباهم أصلاً بس مش هقدر أعلن عن
وجودهم دلوقتي .. لازم أطمئن الأول .



دفع هشام الباب : يلا يا لمى اتأخرنا و مش عايز أسوق بالليل .
توجهت لمى للباب حيث يقف زوجها الذي هتف : تمارا ..
ولادي أمانة في رقبتك .. انتِ بس اللي ممكن أأتمنك عليهم .
هتفت تمارا بنفاذ صبر : لا حول و لا قوة إلا بالله .. محسني
إني هخطفهم .. يلا يا هانم انتِ و هو عشان اتأخرتوا جداً .. و
طمنوني عليكم أول ما توصلوا .

حملت التوأم كلاً منهما على ذراع ووقفت تتابع لمى و هشام
اللدان انطلقا بالسيارة بعينين غشيتهما الدموع و لم تسمح لها
بالهطول إلا بعد أن غابت السيارة عن ناظرها .

تنهدت لتخرج نفسها بالقوة من ذلك الحزن محدثةً التوأم الذي
بالكاد أتم الشهور الخمس

" هاه يا حلوين عايزين تلعبو إيه ؟! "



ترجل ياسين عن جواده و بدأ بالمشي باتجاه المنزل بخطوات
واثقة كعادته .

رغم الارهاق المعتاد ما بين تفقد أرض الموالح و الاطمئنان على
سير العمل في مزارع الماشية و المعامل الملحقة بها .

عمل مُرهق بل إنه يكاد يصل لحد الانهاك أحياناً في حياة قاسية
خالية تماماً من وسائل الترفيه .

لن ينكر أنه يعشق عمله وسط الأرض .

حياة لو خُير فيها لاختارها بكل ما تحمله من قسوة و جمال !

أكثر ما يفتقده هنا هو وجود أخيه معه " هشام " الذي طالما
اشتكى من قسوة المعيشة التي تتعارض مع رفته الفطرية .

كم كان طيب المعشر ؛ أخيه الأكبر و رغم كونه الابن الأول إلا
أن ياسين كان يبدو و كأنه هو من يكبره عمراً .

ربما للقسوة التي تعلقو ملامحه في معظم الأحيان .. أو لصلابته
الطبيعية التي يبدو و كأنما وُلد بها .



أو .. لتجربة ماضية رآها بأمر عينه بدلته و حولت البريء الصغير

لرجل في اللحظة التالية .

وكم من لحظات قد تبدلنا و تجعل منا أناس غيرنا .

توقف عند الصالون عندما سمع الأصوات الصادرة منه و همس

في خفوت

" لقد عادت "

قرر المضي لغرفته ليحصل على حمامه و يستبدل ملابس العمل

بأخرى أكثر راحة إلا أن أمه شعرت به فاستوقفته " ياسين ..

تعالى سلم على بنت عمك . "

زفر في تعب و تقدم باتجاهها ؛ صافحها مرحباً

" حمد الله على سلامتكم يا ياسمين ! "

قيمه بعينين منتقدتين .. تعلم أنه سيخطبها خلال أيام .. لم

يتغير كثيراً خلال الفترة التي غابت فيها عن البلدة .



لن تنكر أنه يزداد وسامة كلما مر به العمر .. ربما ليس بوسامة
هشام و لكنه يحمل سحره الخاص لن تنكر ذلك .

تنهدت لتذكرها الغالي الذي لا يغيب عنها لتذكره .

صافحته بدورها و تمتت بالشكر لسؤاله .

تبادلا بعض المجاملات المفترضة قبل أن يغادر مع وعد بالعودة
سريعاً .

غمغمت الأم بحبور : وحشتيني يا سمسمة ووحشني الكلام
معاك .

ثم أضافت بخبث : ووحشتي ناس تانية كمان .

كانت تقصد التخفيف من جفاء الابن الذي غادر منذ لحظات ؛
جفاء لن تنكر أنه لا يصطنعه بل انه جزء من تكوينه على
الأرجح .

أو ربما لأنها فُرضت عليه بعد رحيل أخيه !

و لكنها لن تنكر ..



في حين كان القلب هو ما يميز قرارات هشام ؛ كان ياسين العقل هو مذهبه

لا يسمح لقرارات عاطفية أو انفعالات قلبه بالسيطرة عليه

أو بالإخلال بسطوة عقله على كل أموره .

سيرضخ لمخططاتها لأنه شخص مسئول و يعلم أن من واجبه أن يفعل .. و لكن تلك المسكينة ستعاني الأمرين حتى تستطيع أن تُلين قلبه ..

هذا إن لان !

قضت تمارا مع التوأم يوماً مُرهقاً و لكنه إرهاق محبب لنفسها ؛ و في نهاية اليوم أطعمتهم و حممتهم و وضعتهما في مهدهما .



جلست على كرسيها المفضل لتلتقط أنفاسها تنوي أخذ حمام
طويل لترتخي أعصابها المتشنجة بفعل القلق على أختها و
زوجها اللذان لم يتصلا بها بعد رغم محاولاتها مراراً أن تفعل
هي و لكن هواتفهما خارج التغطية .

أيقنت أنهما ربما اقتريا من وجهتهما كثيراً فالتغطية هناك ضعيفة
أو منعدمة تقريباً كما أخبرها هشام من قبل .
رن هاتفها في تلك اللحظة اندفعت للهاتف في لهفة تعتقد هما
هما المتصلان .

غابت البسمة و هي ترد محاولة إخفاء خيبة أملها : أهلاً نبيل !?
_ إزيك يا تمارا .. وحشتيني .

تنهدت : أنا تمام الحمد لله .. أخبارك !?

تنهد بدوره : وحشاني و عايز أشوفك .

ارتبكت .. هو يريد رداً على طلبه و هي ستكون حمقاء إن قالت
لا .. كما أنها ستكون مجنونه إن قالت نعم .

يالها من معضلة لا تعرف كيف تخرج منها بدون خسائر !!



تأسفت : أنا آسفة يا نبيل .. لمى و هشام مسافرين التوأم معايا
.. مش هينفع !

_ مينفعش تسيبيهم مع دادة كوثر ساعتين بس .. وحشتيني و
عايز أشوفك و أتكلم معاكي في موضوعنا .

رفضت بشدة فقد كان كل ما تريده في تلك الفترة أن تفكر جيداً
دون ضغط منه أو من مشاعره التي تعلم أنها تربكها و مشاعرها
التي لا تفهمها .. ربما هي لا تحبه .. معجبة به و هي لا تنكر
ذلك و لكن !!

هل ما تشعر به تجاهه كافٍ لتمضي البقية الباقية من عمرها معه
!؟

انتهت من الحديث معه دون أن تقتنع هي بمبرراتها فكيف به أن
يكون هو .

دوت جملته الأخيرة في أذنيها

" أنا بحبك يا تمارا و أتمنى تشاركيني باقي حياتي . "

كان يضغط عليها و على مشاعرها مخالفاً وعده في عدم دفعها .



و من يلومه؟!!

ألم يقولو أن كل شيء مباح في الحرب و الحب!!

استعادت ذكرى معرفتها الأولى به ، نبيل كان زميل أختها في الجامعة يكبرها بثلاثة أعوام ؛ لا تستطيع أن تنكر أنه أعجب بها منذ اليوم الأول .. و لأنه كان يعرف أختها جيداً .. استطاع الاقتراب منها و التعرف عليها ليفاجئها في نهاية العام و قبل أسابيع على تخرجه أنه يحبها و يريد لها زوجة .

أما هي فلم تستطع اعتباره أكثر من صديق .. صديق جيد جداً أيضاً!!

تعلت بالدراسة و صغر عمرها .. ظلت تؤجل الأمر حتى انتهت من دراستها تماماً و تخرجت منذ عام في حين لم يتوقف هو عن مقاومة عنادها أو يتوقف عن حبها أبداً .

لم يكن في حياتها الكثير من الرجال .. و لم يقترب أيهم منها كما فعل نبيل .. ربما لذلك لا يزال يأمل أن ترضخ لمطلبه في النهاية .



و هي لا تدرك هل ستفعل أم لا ؟!
رغم كونه أقرب الرجال إلى قلبها ..

رغم مساعدته لها على الدوام سواء في الدراسة أو حتى في
الحصول على عمل في قسم المحاسبة الخاص بشركة والده .

لم يتوقف أبداً عن دعمها

حتى أنها تشعر بالذنب أحياناً لعدم تمكنها من إجبار قلبها على
حبه .

الحب شعور شديد الغرابة

يأتي عندما لا تريده

ولا يُدعن أبداً لكل محاولاتك

في استدعاؤه مهما رغبت في ذلك !

طوال أعوام استجذت الاحساس به دون جدوى .

و اعترفت ..



الحب فعل حُر مستقل بذاته لا يأتي مهما تذلت حضوره .
ربما يصفها كل من حولها بأنها حمقاء فمثل نبيل لا يُرفض .

ولكن !!

ماذا عنها هي !?

هل كثير عليها أن تحلم بذلك الذي يجعل دماؤها تغلي في
عروقها، ذلك الذي يتسرب من مسامها فيتغلغل في كل خلية من
جسدها .

ذلك الذي يحبها أكثر من نفسه و تعشقه حد الثمالة .
ذلك الذي لن تتواني عن احتمال الموت لأجله
كما أنه لن يفكر للحظة في أن الحياة دونها تعني موته .

ابتسمت لنفسها ساخرة " فوقي يا تمارا .. الحب ده انتهى من
زمان .. ده إذا كان موجود أصلاً "



عادت تفكر .. ماذا عن حب هشام و لى ؟!

هشام الذي رأى أختها بالصدفة فقلبت حياته رأساً على عقب .
و منذ اللحظة الأولى التي قابلها بها في مكان عملها في البنك
و تهاوت كل القيود التي أحكمتها عائلته حوله لما يزيد عن
ثلاثون عاماً .

استبدل بشقيقتها الحنون .. الذكية العالم أجمع .

عندما سألته يوماً عن سبب حبه لها لدرجة أن ترك أهله و عاداهم
من أجلها

قال " حبيت فيها الحرية اللي اتحرمت منها .. اندفاعها و حبها
للحياة اللي مكنتش حاسس برغبتى إنى أكملها أصلاً ..

الحياة قبلها كانت موت مع وقف التنفيذ . "



ذلك هو الحب الذي تريده .. تلك هي الحياة التي ترغب أن
تحياها مع زوج يؤمن أن وجودها معه يمنح الحياة بريق و رونق
يغيب بغيابها .

قادتها قدميها للتوأم لتطمئن عليهما و تذكرت قول أختها عنهما
عندما أعلنت أن كريم نسخة من والده ..

" تعرفي يا تمارا .. كارما شبهك أكثر مني .. اللي يشوفك و انتِ
شايلها يفكرها بنتك انتِ مش بنتي .. أنا مبسوطه أوي إنهم
شبه أكثر إثنين بحبهم في حياتي . "

قبلتهما في رفق كي لا توقظهما و ..

رنين ملح أخرجها من نومها فتطلعت لساعة يدها فإذا هي الرابعة
صباحاً .

لا بد أنهما شقيقتها و زوجها كان هذا ما فكرت به قبل أن تجيب
الهاتف لتتسع عينيها في ذهول لما تسمع قبل أن تُجهز المفاجأة
على البقية الباقية من قوة احتمالها .



الفصل الثالث

الفقد .. غالباً ما يرافقه شعور بالعجز
قهر و حزن لا قبل لأي منا على تحمله
أو حتى التخفيف من الألم الناتج عنه
ذلك الوجد الذي يعتصر أرواحنا
حين الفقد تصبح الحياة أمامك بلون رمادي
تختفي الألوان .. تنتهي البهجة ..
بل تتغير الحياة التي نعرفها
لتحل محلها حياة .. لا نريد أن نحياها
حياة فقط العيش فيها ..
مجرد تحصيل حاصل !!



لا تعلم تمارا كيف وصلت للمشفى ؛ في خلال ساعة كانت
اتصلت بالمربية لتأتي للمكوث مع التوأم و حادثت نبيل ليأتي
معها فهي لن تستطيع القيادة و جسدها بأكمله يرتجف و كل
أعصابها في حالة استنفار تام .

لا تستطيع أن تنسى قلق لى .. و لا خوفها المبالغ فيه
لا تزال نظرات هشام التي ربما حملت وداعاً للتوأم ماثلة أمام
عينها .

ربما كان يجب أن تأخذ مخاوف أختها على محمل الجد .
و لكن ..

من منا بإمكانه توقع ما قد يحدث في اللحظة التالية !
فالقدر غالباً ما يكون صفة على وجه المنطق و العقل !



طوال أربعة ساعات كانت تبكي و تبتهل بالدعاء لتصل إليهما و
تطمئن عليهما .

اندفعت باتجاه الاستقبال لتسأل عنهما

فأجابتها موظفة الاستقبال أنهما قد أتيا منذ بضع ساعات في
حادث مروري مروع ضمن العديد من الإصابات و أنهما
يخضعان للجراحة في الطابق الثالث .

و في الطابق الثالث وقفت أمام غرفة العمليات التي أخبروها أن
أختها بداخلها .

مضت ساعتان أخريتان و قد كاد القلق و الإنتظار أن يقتلاها ..
الخوف يعصف بها تاركاً إياها كريشة في مهبه بلا أدنى حول أو
قوة !

ربما لولا وجوده لما استطاعت الوقوف على قدميها حتى ..



؛ لكنت انهارت منذ اللحظة الأولى .

بكت كما لم تبكي أبداً ، ربت نبيل على ظهرها ، يواسيها و يشد
من أزرها .

يخبرها بأنها قوية و لا بد أن تتحلى بالإيمان .

يأمرها في حزم ألا تنهار فأختها و زوجها يريدانها قوية ..
يحتاجانها الآن كما لم يحتاجها أبداً .

هرولت باتجاه الطبيب الذي غادر غرفة العمليات للتو و تساءلت
: أختي؟! .. طمني عليها !

غمغم الطبيب في أسف : الحادثة كانت كبيرة جداً .. و راح فيها
ناس كتير .. و ناس أكثر حالتهم خطيرة جداً .. أنا عايزك
تدعيلهم و تجهزي نفسك لكل الإحتمالات .. أنا آسف .

انهارت تمارا و عادت تجهش بالبكاء من جديد ، تشعر بالقلق و
الخوف حد الموت .

قلبا تعصره قبضة تكاد تُجهز على أنفاسها .



تختنق و صدرها كأنما أصابته مطرقة فاختنق ،
و أخذ يصارع من أجل التقاط بضعة أنفاس لا يجدها .

ساعات أخرى من التعذيب مرت قبل أن تأتيها ممرضة ترمقها
ياشفاق ،

مشهد ربما تراه يوماً و لكنها لن تعتاده أبداً ؛
لتخبرها أن بإمكانها رؤية المصابة .

وقفت أمام فراشها في غرفة العناية المركزة ؛ تتطلع لجسدها
المسجى أمامها .

شقيقتها التي كانت تغار منها الحياة لأنها تنافسها في الإعلان
عن بهجة ..

تبدو وكأنما غادرتها للتو و ربما للأبد .



جسد يرقد في ضعف تختلج فيه الأنفاس ..

تبدو عملية التنفس التي يمارسها الجميع بتلقائية و يسر اعتدناه
حتى توقفنا عن الشعور بأهميته .. شديدة الصعوبة بالنسبة إليها

صدر مفتوح و رأس محاط بضمادات تشي بأنها تعرضت لحادث
مريع .

وجه شاحب شحوب الموتى طالعها ..

ليست هي ..

ليست لى التي تعرفها ..

ليست تلك المفعمة بالحياة حد الاندفاع .

وضعت يدها على فمها تكتم شهقات بكاءها لكي لا تشعر بها
شقيقتها ؛



إلا أنها رفرت بعينها في ضعف قبل أن تهمس باسم زوجها في
ضعف .

علت وتيرة صوتها قليلاً لتتف " هشام .. هشام خد بالك ..
هشــام . "

تناولت تمارا كفها بين يديها و بدموع تنهمر بلا انقطاع همست
: اطمني يا حبيبتى .. هتبقى كويسه .. كله هيبقى تمام ان شاء
الله .. شدي حيلك انتِ بس عشان هشام محتاجلك .

بذلت لى مجهوداً لتجبر جفنيها على الانفراج قليلاً لتهمس
بضعف : تمارا .. هو فين هشام ؟! .. هو كويس ؟!

كذبت : أيوه .. هو هيبقى كويس الدكتور طمني .. ارتاحي انتِ
بس و متقلقيش .

عادت تتساءل : و كريم و كارما فين ؟!

_ سبتهم مع دادة كوثر .. متخافيش عليهم .. متعبيش نفسك
انتِ .



تسارعت أنفاس لى و بدأت تبكى : هشام !! .. آخر حاجة
قالهالى إنه بيحبني جداً .. إني أحسن حاجة حصلتله في حياته
.. إنه مش ندمان على أي قرار أخده .. إني .. إني الدعوة اللي
ربنا حققها له .

غصت تمارا بدموعها فيما تابعت لى في ألم : هشام .. وصاني
إن أهله لازم يتعرفوا على الولاد .. إني لازم أروحهم سواء كنا
مع بعض أو ... أو ..

لم تستطع أن تكمل فعلاً نحيب تمارا لتهتف : هتروحو مع
بعض إن شاء الله .. هشام كويس و انت هتبقى كويسه ..
متعبيش نفسك بقى عشان هما محتاجينك و أنا كمان محتاجك
.. مينفعش تبقي ضعيفة كده يا لى .. انت عيلتي كلها .. انت
سندي يا لى .

انتفض جسدها واتسعت عينيها كانت كمن يحارب لالتقاط
أنفاسها من خلال ثقب إبرة .



عادت تهمس برجاء : ولادي يا تمارا .. انتِ أمهم .. إوعي
 تنسي .. ولادي أمانة في رقبتك .. إوعي تسيبيهم مهما حصل ..
 إوعي يا تمارا .

بكت تمارا بحرقة : انتِ ليه بتعملي فيّ كده .. أنا مش
 هسمحك .. انتِ لازم تبقي قوية عشان هشام والولاد .. و
 عشاني .. محدش هياخد باله منهم غيرك .. سامعاني يا لمي .
 عادت تردد و كأنما لم تسمعها : إوعديني يا تمارا .. ولادي بقو
 ولادك .. إوعي تتخلي عنهم مهما حصل ... إوعديني عشان
 خاطري .. إوعديني عشان أرتاح .

هتفت تمارا في ألم : أوعدك .. أوعدك يا حبيبي .
 بدت و كأنما كانت تنتظر ذلك الوعد لتزفر في ارتياح
 فبعض الوعود تحمل راحة لا توصف .



أسبلت لى جفنيها و تمتت بابتسامة ضعيفة : أنا بحبك أوي يا
تمارا .. متشكرة أوي .. متشكرة .

تهدل رأسها على صدرها قبل أن يتعالى صفير حاد معلناً توقف
قلبها عن العمل .

تابعت تمارا في خدر ؛ الغرفة التي امتلأت في لحظات
بالمسعفين يحاولون إعادة إنعاش قلبها لينبض من جديد و لكن

..

كل المحاولات باءت بالفشل .

و ظل صفير جهاز القلب يصرخ في أذنها بلا رحمة ،

وضعت يديها على أذنيها تحاول كتم ذلك الصوت الذي اخترقها

و هي عاجزة عن التفكير أو التصديق بأنها تفقد شقيقتها

الوحيدة ..

بل كل عائلتها !



لم تستطع قدماها حملها فهوت فاقدة وعيها و الطيب يهتف "
ساعة الوفاة "

لم تعد تسمع و لم تعد تريد أن تكون في حياة بلا شقيقة روحها
!

و كم تمنيت في تلك اللحظة أن تغيب عن الوعي ..

و للأبد !

جلس نبيل بجوارها ممسكاً بكفها و قد غابت عن الوعي ..

عن القدرة على الإتيان بفعل أو رد فعل !

كالمخدرة تنظر حولها في شرود

يتمتم بكلمات مواساة يدرك جيداً أنها لا تسمع و لا تدرك

حرف مما يُقال .

همس " تمارا ! .. حبيبي لازم تكوني أقوى من كده . "

هزها لتعي ما تقول : تمارا !



نظرت إليه بنفس العينين اللتين لا تريان ؛ معه و بجانبه و لكن
عقلها في مكان آخر .

عاد يهزها في عنف أكبر : تمارا قولي ورايا .. اللهم أجرني في
مصيبي و اخلف لي خيرا منها .

اختلفت بالبكاء و عاد تنتحب من جديد ظل يردد الدعاء حاثاً
إياها على التردد خلفه حتى نطقت : اللهم .. أجرني .. في ..
مصيبي .. و اخلف .. لي .. خيرا .. منها .

ارتكنت برأسها على كتف نبيل فتهدل شعرها الطويل مخفياً
وجهها : لمى ماتت يا نبيل .. هقول لهشام إيه ؟! .. هقول
لولادها إيه ؟!

همّ بالرد إلا أن صوتاً منادياً باسمها جعلها تهب واقفة .

" آنسة تمارا .. الأستاذ هشام عايز يشوفك . "

قشعريرة باردة مرت بطول عمودها الفقري ؛ الخوف في حالتها
مباح

القلق لا .. بل الرعب من مواجهته ..



الرعب من تساؤلات لابد و سيسألها ..

انهيار لابد و سيحدث لها إن لفظ باسم شقيقتها أمامها .

كيف بها أن تخبره !؟

بل كيف بها أن تكذب عليه !؟

فيما كل خلعجاتها تعلن عما صار !

تمسكت بكف نبيل تستمد منه بعض القوة ؛

تطلعت إليه في رجاء أن يأتي معها إلا أن الممرضة استوقفتها :
هو عايزك لوحذك .

هزت رأسها في عجز فهي لن تحتمل صدمة أخرى .

وقفت على باب العناية المركزة تستجدي قوة تعلم أنها ليست
موجودة .

تطلعت إليها الممرضة في إشفاق " يا ريت متقوليش حاجة عن
مراته .. طمنيه و حاولي تداري حزنك عنه .. ربنا معاكي ! "

لن تحتمل المزيد .. حتماً لن تفعل !!



فالجكد في حالتها صار ضرباً من المستحيلات !

من كان يظن أن كل شيء سينقلب للنقيض في يومٍ و ليلة .
تعلقت عينيه بها حالما دخلت و كأنما كان ينتظرها على أحر من
الجمر .

لم تكن حالته أفضل من أختها إن لم يكن أسوأ ..
رقد في ضعف مهشم الجسد ؛ مغطى بأكمله بضمادات ..
يبدو أنه تعرض لأكثر من عملية جراحية نظراً للضمادات التي
غطت جزء كبير من جسده .

أشار إليها في ضعف أن تقترب و حالما فعلت أزاح قناع
الأكسجين عن أنفه و همس : لمى كويسه !؟



حاولت إضفاء بعد المرح الزائف على صوتها و غمغمت : و
بعدين معاكوا .. هي بتسأل عنك و إنت بتسأل عليها .. هي ..
لمى .. كويسه متقلقش .

أغمض عينيه اللتان امتلأتا بالدموع .. همس في ألم : طول
عمرك فاشلة في الكذب .. كنت عارف إنها مبقتش معانا ..
قلبي كان حاسس .

حاولت جعل كذبتها أكثر إقناعاً : هي كويسة على فكرة و عايزه
تظمن عليك .. شد حيلك عشان .. عشان هي محتجالك و التوأم
محتجلك .

سالت العبرات على وجنتيه و همس : أنا عارف إنها خلاص ..
قلبي حاسس بكده .. و مش زعلان .. عارف إني مش هفضل
من غيرها .. هروح وراها زي ما بعمل من يوم ما شفتها .

انهارت تمارا على الكرسي بجانبه و أفرجت عن الدموع التي
بذلت كل طاقتها لإخفائها عنه و هتفت به : انتوا بتعملو في كده
ليه .. حرام عليكم .



استوقفها محاولاً استجماع قوته للمرة الأخيرة : تمارا ..
اسمعيني كويس عشان مفيش وقت .. اسمعيني و اوعديني
تنفذي كل اللي هقولك عليه بالظبط .

أومأت برأسها تستمع لما يخبرها به في ألم لم تشعر به في حياتها
و لن تفعل !

بعد أن أنهى حديثه همس في ضعف و كأنما فارقتة القوة الواهنة
التي حاول التمسك بها لدقائق : دي وصية يا تمارا .. اوعديني
تنفيذها .

رغم كونها ضرباً من الجنون إلا أنها وصية !

و في كل الأحوال واجبة !!

غمغمت بثبات فيما ترتجف كل خلجاتها : أوعدك !!



غمرت الراحة قسماته : خدي بالك من كريم و كارما .. روحيلهم
و نفذي اللي قلتك عليه .

توجهت للباب فاستوقفها للمرة الأخيرة : تمارا !!

_ نعم .

تساءل : لمى .. اتعذبت أوي !؟

هزت رأسها في نفي : لأ .

ابتسم في ضعف : الحمد لله .. أنا شايفها .. بتضحك و

مستنياني .

ابتسمت فيما دموعها لم تتوقف للحظة واحدة !

خرجت لا تريد أن تسمع المزيد ..

ولن تحمل المزيد !



استقبلها نبيل على الباب فاتحاً ذراعيه يستقبلها و يمتص بصدرة
دموع هطلت بلا توقف تحولت لشهقات و من ثم لصرخات
متأوهة و هي تتابع بعينيها رغماً عنها ما صار لأختها يحدث
لهشام بعد خروجها مباشرة .

تطلع ياسين حوله يشعر بأن شيء ما ليس على ما يرام .. لا
يدري لمَ يشعر بمزاج سوداوي منذ استيقظ صباحاً .
أفكار شتى تدور في عقله ؛ عودة مراد عدوه اللدود .. القريب
الغريب .

ابن العم الذي لم يكن أبداً على وفاق معه .. وربما لن يكونا
أبداً

بينهما مشاكل أزلية .. كلاهما رأس العائلة مع الفارق .
ياسين يتمتع بالرجولة و المسؤولية .. صاحب شخصية نافذة لا
تستطيع سوى أن تحترمه و تسلمه مقاليد الأمور .



أما مراد فكان دائماً و أبداً مغرور .. عابث .. يفتقر لكل الصفات التي تؤهله لأن يكون في موضع مقارنة وضع نفسه فيها منذ الصغر مع ياسين .

و حين المقارنة بينهما .. فالمفاضلة ليست عادلة !
بالإضافة لارتباط اليوم ؛ يكرهه و لكنه مجبر عليه ..

ليس لأنه لا يستطيع قول لا .. لأن بإمكانه إعلانها و لن يستطيع أحد أن يثنيه أو يناقشه حتى في قراره .

رغم رفضه إلا أنه واجب .. مسئولية أخرى على كبير العائلة أن يتحملها مرغماً .. فابنة عائلة الجبالي لا تُرفض .

حتى و إن كان من رفضها أخيه !

كما أنه لن يسمح أن تُوضع في وضع مقارنة مع أيأ كان !

اليوم سيزين بنصرها بخاتمه .. و يطوق إصبعه بمحبسها .



انتهى من ارتداء حلته السوداء و قميصه الرمادي ؛ حلّ رابطة
 عنقه السوداء فبالكاد كان يلتقط أنفاسه كما أنه يكرههم على أي
 حال .

كان يعلم أن ذلك سيثير غيظ خطيبته العتيدة التي أصرت عليه أن
 يكون في كامل أناقته و لا ينسى ربطة العنق .

لا يهتم و لن يهتم أبداً بفعل ما لا يريد !

فلم يُخلق بعد من يُملي على ياسين الجبالي أوامره أو ..

يفرض عليه ما لا يرغب !

تناول علبة مخملية سوداء تحتوي خاتم بحجرٍ من العقيق الأحمر
 ، وضعه بجيب سترته ؛ إرث عائلي كموروثاتها التي تقتضي بأن
 يتم هذا الزواج .

العيب ليس بياسمين .. فإن لم تكن هي كانت ستكون قريبة
 أخرى .

فحرية الاختيار خارج نطاق العائلة ..



محض خيال !

غادر غرفته ؛ وقف على أول درجات السلم في تردد ؛ توجه
بخطوات بطيئة لغرفة في آخر الممر .

وقف أمامها للحظات ؛ أمسك مقبض الباب و لا يزال يريد حسم
صراع بداخله ما بين قوتان تمزقانه ما بين دخول واجب .. و
فرارٍ أوجب .

و فازت القوة الراضة !

توجه بخطوات واسعة للدرج .

استقبلته والدته التي كانت في أتم زينتها و أناقتها المعتادة

تساءل " جاهزة يا أمي ؟! "

أومأت برأسها بالإيجاب و تساءلت بدورها و عينيها تتفحصانه

" عدت على أبوك يا ياسين ؟! "

توجه لباب المنزل مجيباً في اقتضاب " لأ "

اعترضت : بس ...



قاطعها بنفاذ صبر : يلاً يا أمي لو سمحتي .. إحنا اتأخرنا بما فيه الكفاية .

أنهت تمارا إجراءات المشفى الخاصة بلمى و هشام .
تركت هاتف شقيق هشام في الاستعلامات ليتصلوا به ليأخذ جثة شقيقه فيما عادت هي بجثة شقيقتها .

تشعر بالضعف و قلة الحيلة !

لا تكاد تصدق أن حياة البشر قد تنتهى هكذا في لمح البصر .

تألمت .. هل حسدتهما على سعادتهما المؤقتة !؟

لم يطل بهما الأمر حتى انقلبت تلك السعادة لألم .. لموت !

خطفهما حتى من بعضهما .. من أقرب الناس إلى قلوبهم !

عزاؤهما الوحيد ..



أنهما عاشا معاً
و رحلا معاً !

ربما كان الأفضل لهما ألا يفقدا أحدهما الآخر

فما حملته قلوبهما ..

لبعضهما البعض ..

يستحيل معه ..

أن يحتمل أيهما

عذاب فراق الآخر!

ولكن ..

ماذا عنها هي !؟

عن التوأم !؟

اختنقت أنفاسها بعبرات ربما لن تتوقف أبداً



مرورة
صدوح

لقيانا
قدر

و همسه ..

دعوة ..

و رجاء حبيس الصدر

" اللهم لا اعتراض ! "

شخايط
ورديّة



الفصل الرابع

الوصية ..

دين واجب السداد ..

يمضي فوق الرقاب ..

و مهما كانت موجعة ..

مستحيلة .. أو حتى يشوبها بعض من جنون ..

تبقى ..

أمر واجب النفاذ !!

ترجل ياسين من السيارة ؛ استدار للجانب الآخر منها ليساعد
والدته على الترجل بدورها .

سارا معاً لمدخل منزل عمه .. ذلك المنزل الذي لم يدخله منذ
كان في الثامنة .



رغم الحديقة الغناء التي تحيط به إلا أن ألوانها المبهجة كانت
تصيبه بالنفور .

و اتساع المنزل و رحابته يكاد يطبق على أنفاسه .

شعوره المقبض لم يفارقه بل ازداد بالتأكيد ؛ و لولا أنه مجبر
على القدوم ، ما كان فعلها أبداً و و طيء أرض هذا المنزل ثانية .

فهنا .. ودع براءته للأبد !

هنا فقد أملاً في غد غادرته الألوان فبقي منه الأسود فقط !

سقط رمز

تهدمت حوله ثوابت اعتقد بأنها راسخة رسوخ الجبال

فبعثرتها هبة ريح !!

لم تعد الحياة هي نفسها بعد ذلك اليوم !

تأبطت والدته ذراعه متطلعةً لملامحه التي تعلوها الكآبة فانقبض
قلبها بدورها



: مالك يا ياسين .. انت مالك مكشركده ليه يا ابني!؟

حاول اصطناع ابتسامه يريح بها قلبها إلا أنها ظلت حبيسة نية ..
لم يستطع تنفيذها

تمتم في عملية : عادي يا أمي .. مرهق بس شوية .. انت عارفة
احنا موسم حصاد مع المواشي اللي جايه جديد .

اعترضت : ده على أساس إني مش أمك و عارفاك كويس .. إيه
يا ياسين .. إوعى تكون غيرت رأيك و مش عايز بنت عمك .

تطلع إليها في لوم : و ده باعتبار إني عيل صغير و برجع في
كلامي .

ربت على ذراعه : يا حبيبي إنت راجل و سيد الرجاله كمان ..
بس .. بس أنا حاسه بيك .. عارفه إنك عمرك ما فكرت في
ياسمين كزوجة .. بس نعمل إيه بقى .. ربنا يجازي اللي كانت
السبب .

زم شفته في سخط : يا أمي مبقاش يبجي منه الكلام ده .. ربنا
يهنيهم .



شهمت في دهشة : و من إمتى الرضا ده عن مرات أخوك .. ما
انت كنت رافض زيي و أكثر .

ياسين في نفاذ صبر : كنت رافض و هما لسه على البر .. رافض
عشان مينفعش أخويا يسيب بنت عمه و يفضل عليها أي حد .

همت بالرد فأشار بيده يستوقفها : أولاً مينفعش تفضلي تفكري
كده و هشام جاي و يمكن لو سمع أو حس إن مراته هتتعاملني
معاها بالشكل ده مش هيجي و إحنا ما صدقنا .. ثانياً .. لا
المكان يسمح بالمناقشة دي و لا ده وقته .

أشار بيده لتقدمه : اتفضلي يا أمي عشان ميصحش نتأخر على
الناس أكثر من كده .

ابتلعت لسانها رغم أن الكثير و الكثير لا يزال يدور بداخلها ..

ربما ربحت تلك الفتاة قلب ابنها ..

و لكن ..

عندما تأتي ..

عندما تستقبل ابنها من جديد ..



سيكون لها تصرف آخر ..

ربما ستستعيد ابنها ..

بل و تقنعه أن ما صار ..

أن ذلك الحب ..

ما كان سوى نوبة تمرد ..

سمحت له بها ..

لأنها تحبه ..

أنها غلطة و قد آن أوان إصلاحها !!

اعتزمت النية ..

ولكن ..

ليس كل ما يتمناه المرء يدركه .

على أنغام الموسيقى ؛ تحول البهولقاعة راقصة ؛ ضمت

الأقارب و الأصدقاء من بلدتهم و من خارجها .



تقبل ياسين التهاني بنظرات باردة ؛ لا تنم عن النار المتأججة
بداخله .

ابتسامة شقت شفثيه بصعوبة بالغة !

تطلع ياسين بغضب لردائها القصير جداً الذي بالكاد يصل
لمنتصف ساقها ؛ و الصدر الواسع الذي يحدد معالم صدرها
للعيان .

كانت تتحدث مع إحدى الفتيات فجذبها من ذراعها مع أسف لا
يعنيه لمرافقتها

و حالما صارا بعيدين عن الناس هتف بسخط " انتِ إيه اللي
انتِ لابساه ده . "

غمغمت دون أن يعينها حقاً سخطه : أنا طول عُمرِي شيك على
فكرة .

زم شفثيه بغضب : دي مش شياكة .. دي قلة أدب .. إزاي
مرات ياسين الجبالي تعرض نفسها كده قدام الناس .



شهقت باعتراض : مش ممكن يا ياسين تكون بتفكر زي
المتخلفين اللي عايشين هنا .

رفعت رأسها في كبرياء : و بعدين .. لبسي ده حرية شخصية .

اعتصر معصمها بقوة و هتف من بين أسنانه : يا ريت متتعديش
حدودك يا ياسمين .. مش هسمحلك .. لو فاكره إني همشي
على مزاجك أو هعديلك تجاوزات .. لاااا ..

أنا مش هسمح بكده !

جذبت معصمها من قبضته بقوة و فركته في ألم : لما أبقى
مراتك إبقى اتحكم فيّ .. و لو إني مش من النوع ده برده .

توقفا عن الشجار فجأة حالما سمعا صوته .

" مش يلا يا حلويين .. إبقو حبو بعض بعدين .. المأذون وصل "

" .

تجمد كليهما !

عقد القران تحصيل حاصل ..



ولكن ..

أن يتم الأمر بتلك السرعة ..

غمرتها مشاعر متناقضة ..

ياسين .. يضاف قيد جديد لقيود اختارها بنفسه ..

قيد يكرهه ..

لأننى يعرف أنه ربما لن يحبها أبداً

مثلما لن تراه هي الأخرى سوى ظلٍ لحبيب تركها من أجل أخرى

أما هي فانتفضت في عنف ..

ياسين زوج مثالي ..

و لكن ماذا عن ذلك القلب الذي لازال يتمنى آخر !

آخر تركها ..

لأجل أخرى تكرهها دون تعقل !

بل إن الأمر قد يصل لحد الأذى إن لزم الأمر !



دائماً كان التطرف صفة أخرى من صفاتها

هتف ياسين في استنكار " مأذون؟! "

غمغم مراد فيما يدفع ياسين أمامه ليعود للبهو : أيوه المأذون ..
اتفضلو .

غمغمت ياسمين باضطراب : إيه ده؟! .. و مين جابه .. و
بعدين هو أنا مليش رأي في حاجة زي دي؟! .. أنا مش
مستعدة .

مراد بابتسامة ساخرة : استعداد إيه يا ياسو بس .. ده مجرد كتب
كتاب .

تطلع لياسين بتشرف قبل أن يتابع : تدبيسة يعني ! .. بس الفرح
بعد شهر اتنين براحتكو .

كظم ياسين غضبه : و مين صاحب الاقتراح العبقري ده؟!
مراد ساخراً : أنا طبعاً .. و طنت فريدة و عمو كامل وافقوا و
قررنا نعملها لكو مفاجأة .

ناداه أحدهم فسبقهم للداخل .



تطلع ياسين إليها فوجدها تفرك كفيها في توتر ؛ لمس ذقنها
بأنامله ؛ دفعها لأعلى برفق هامساً : يلا يا ياسمين !

جذبها للداخل إلا أنها قاومته فتطلع إليها بدهشة فغمغت
بخفوت

" ياسين "

أجاب : نعم .

همست : أنا خايفه .

للمرة الأولى تظهر ضعفها .. دوما كانت طفلة سيئة الطباع ..
قوية

و لكنه كان يعرف لم .. بل إنه كان يشفق عليها من تجربة زلزلت
كيانه هو .. فكيف بها أن تحملها هي !

جذبها إليه فرضخت ؛ لمس بكفيه كتفيها العارين وطمأنها :
متخافيش !

رفعت عينين متسائلتين إليه : طب هتوعدني !؟



_ لو أقدر .

_ مش هتخوني .

_ أبداً .

_ ولا تظلمني .

_ عمري .

أومأت برأسها : مش طالبه منك تحبني .. بس متحبش غيري .

تنهد : مش هيحصل .

ترجته بعينها : إوعى تسيبني عشان واحدة تانية يا ياسين .. أنا
ممکن أموت .

داعب وجنتيها و همس : أوعدك !

أراحت جبهتها على صدره لثوان قبل أن يتمم : عمري ما
هاذيكِ و أنا عارف أد إيه النوع ده من الأذى بيوجع .

أقرت بدورها: و لا أنا هعمل كده .. اطمن .



بينهما أمور عالقة ؛ مخاوف مشتركة ؛ آلام متبادلة لا يعرفها
سواهما !

حدث كان بمثابة مفترق طرق لكليهما !

لم يعد بعده هو ..

و لم تبقى هي كما كانا!

" قبلت زواجها "

هكذا ابتداء الأمر .. أو انتهى

لا فارق !!

اقترب من شقيقته التي تبدو غائبة عن الواقع في معظم الأحيان ؛

جذبها إليه فانتفضت في عنف فهدأها : ايه يا يويو ده أنا ..

مالك يا بنتي مش على بعضك !؟

بعينين بلون العسل الصافي تطلعت إليه ثم ازدردت لعابها في

توتر : لا أبداً مفيش حاجة .. كنت سرحانه بس .



قبل رأسها و غمغم : يااه .. كبرتي يا يويو و بقيتي عروسة زي القمر .. ده انا اتنين كلموني عشانك لحد دلوقتي و إحنا لسه أول الحفلة .

زاغ بصرها أما عن وجهها فغادرته الدماء تماماً و همست : مين دول يا مراد !؟ .. و بعدين مين قال إنني عايزه أتجوز أصلاً .

ضحك : و ليه لأ .. مزه زي القمر .. و الخطاب على الباب .. و أخت مراد أجمد واحد في عيلة الجبالي .. و ياسمين بنت عمك أهى اتجوزت .. و هي يدوب أكبر منك بسنة واحدة .. ناقص إيه بقى !؟

كان يحوم حولهم في تردد فرآه مراد فابتسم منادياً " زيد ! "

اقترب منهما و غمغم في ترحيب : حمد الله على سلامتكم يا

مراد .

استنكر مراد مازحاً : لسه فاكر يا عم زيد .. أنا هنا من أسبوع ..

يخونك المنكر و المزز اللي اتقاسمناهم سوا !



تطلع ليارا في توتر و غمغم في استنكار : لا يا عم أنا مليش في الكلام ده .

قهقه مراد و قد أدرك خجله من التفوه بمثل ذلك أمام شقيقته :
بقولك إيه .. خد بالك من الأنسة دي على ما أشوفلي مزة حلوة ..
الانتاج اتحسن في البلد أووي يا زيد الفترة اللي غبتها .

ابتسم زيد : زي ما انت .. عمرك ما هتتغير !

حالما تركهما التفت زيد إليها يتفرس في ملامحها الشاحبة :
مالك !؟

تنفست بعمق قبل أن تستجمع شجاعته و تصوب باتجاهه
رصاصتين

" أنا حامل ! "

قد تأتيك الصدمة في صورة حروف ..



من قال أن القتل لا يأتي إلا بسلاح ..

فبعض الكلمات قد تكون أشد وقعاً من أي وسيلة قتل !

تزامنت كلماتها القاتلة .. مع شهقات متتالية من بعض الحضور ؛

تبعه حالتي إغماء ..

لـ .. فريدة هانم .. و .. العروس ..

مع همهمات صادمة ..

" هشام مات ! "

تهاكت تمارا على المقعد في الصالون الملحق بمنزلها بعد أن

انتهت مراسم دفن شقيقتها .

دفنت وجهها بين كفيها في إرهاب فهي لم تنم منذ بضع ليال

قضتها ما بين المشفى و التحضير لمراسم دفن شقيقتها الوحيدة

.. لم يكن بجانبها سوى نبيل .



فهي و أختها لم يكن لهما سوى بعضهما البعض .

لا أحد سوى أقارب درجة عاشرة ربما .. تفرقوا منذ زمن بعيد .

" ممكن أعرف انتِ عملتي كده ليه !؟ "

نظرت لنبيل في شروود و كلمات هشام لا تزال تدوي في أذنيها .

أجابت : دي وصية هشام الله يرحمه .

هتف في ذهول : يعني إيه وصية هشام .. إزاي تقوليلهم في

المستشفى إنك مراته .. إزاي !؟

تنهدت في سخط : قلتك دي رغبة هشام .. مش هقدر أشرحلك

حاجة دلوقتي .. ممكن بعدين .. بس عايزاك تكون متأكد إنني

بعمل كل ده عشان خاطر التوأم .

هز رأسه في رفض : تمارا .. أنا ..

لم يستطع أن يتابع .. أن يخبرها و يسألها ماذا عنهما !؟ ..

عنها و عنه !!



كيف سيكون بينهما أي شيء و هي تربط كل لحظاتها القادمة
بالتوأم ..

لا كخالة لهما بل كأم

كزوجة لأبيهم !

أرملة من المفترض بها الاعتناء بهما و فقط !

كانت تعلم ما يدور بداخله .. و لكن ذلك لم يعد هاماً الآن .. لم
يعد للتوأم غيرها في هذه الحياة .

ستكون الأم و الأب و كل شيء لهما ما استطاعت .. لن تتوانى
عن ذلك فيكفيهما ما فقدها حتى الآن .

استجمعت شجاعته : نبيل .. أنا مبعثش أنفك خلاص .. إنت
تستاهل حد أحسن مني .. حد معندوش مسئولية حد غيرك ..
انت تستاهل أحسن واحدة في الدنيا .

هتف في ذهول : تمارا .. انتِ بتقولي إيه !؟



وقفت تمارا لتطلع للصور على منضدة جانيه و همست بصوت
مختنق : أنا حاسه اني بحلم .. كابوس مش عارفة أصحى منه ..
شايف الصور دي يا نبيل .. دي أول صور تجمعنا مع بعض و
التوأم معانا .. شايف أد إيه السعادة كأنها هتخرج من الصور .
توقفت للحظات لتمسح الدموع التي سالت على وجنتيها : و في
لحظة كل ده انتهى .

ربت على ذراعها مواسياً : مفيش حاجة انتهت .. ده قضاء ربنا
.. و هنعيشه و نرضى بيه .. و الحياة هتكمل .. أينعم بصعوبة
بس هتمشي .

عادت تتابع و كأنها لا تسمعه : هشام كان قلبه حاسس .. أصر
نتصور مع بعض حتى إنه أجبرني أتصور معاهم و أنا بكره الصور
أصلاً .. و أصر يحمضهم في نفس اليوم .. تخيل .. لولا كده
مكنش هيبقى في صور ليهم مع ولادهم و لا صور لي معاهم .
الآن تدرك أن تلك السعادة في ذلك اليوم كانت مكتملة ..
لأن النهايات دوما ما نفضل أن تكون سعيدة !



ربما بسبب لقاءه المرتقب مع أهله ..

ذلك اللقاء الذي انتظره طويلاً و كان يعلم أنه آتٍ لا ريب .

و عندما صار لم تعد الفرحة تسع قلبه !

احترم هشام صمتها و بداخله الكثير من الكلمات .. يرفض أن

تُقصيه من حياتها لأنها أصبحت بديل أم .

يكفي أن تسمح له بمكان في حياتها ليشاركها كل شيء !

ربما سيكون ذلك صعب .. و ربما شديد الصعوبة و لكنه على

استعداد لمحاربة الجميع من أجلها .

من أجل تلك العينين بلون الزمرد سيفعل المستحيل .

غمغمت تمارا في رجاء بعد صمت طويل : نبيل .. ممكن أطلب

منك طلب أخير!؟

أكد : طبعاً .



أخذت نفس عميق و تابعت : أنا .. أنا وعدت هشام أسافر
بالتوأم المزرعة بتاعتهم .. عايزاك تساعدني أوصل هناك .. و ده
آخر طلب هطلبه منك .

هتف في ذهول : هتروحي هناك إزاي يعني !؟

غمغمت في حزم : دي وصية هشام .

لم يستطع المجادلة .. الحزم الذي احتل ملامحها و صوتها
أخبراه أنها ستفعل مهما حدث .

ستقوم بذلك به أو بدونه !

ستنفذ الوصية حتى لو كانت تعني أن تظل في مزرعة نائية ..
في بلدة ليست على الخريطة .. وسط أناس لفظوا ابنهم لأنه
أجرم و أحب ..

ستذهب حتى لو كان ذلك يعني أن تحمل هي كل أخطائهم و
تتحمل جميع ردود أفعالهم .



و في احدى المناطق البعيدة .. و في بلده لا يعرفها
الكثيرون .. و في منطقة نائية .. تحدها الصحراء من جانب و
الجبل من جانب آخر ..

ووسط مزرعة كبيرة تمتد لعشرات الأميال .. توسطها
متزل كبير .

داخل ذلك المتزل كانت تسود حالة من الحزن ..

وقف شاب طويل القامة .. قوي البنية .. ببشرة لوحتها الشمس
مما منحته مظهراً جذاباً .. على قدر كبير من الوسامة بالقرب من
سيدة في منتصف العمر .. باكية .. حاول مواساتها .. رغم انه
أكثر من يحتاج للمواساة .

احتضنها بذراعين قويتين : اهدي يا أمي و إدعيله ربنا يرحمه .
غمغت باكيه : أهدى إزاي بس يا ياسين .. ابني .. ابني مات
يا ياسين .. مات و هو مقاطعني .. لا قدرت أودعه و لا لحقت
أقوله سامحني .



قربها من صدره أكثر و ربت على ظهرها في رفق : و هو من إمتى
كان هشام بيعرف يزعل من حد خصوصاً انتِ .. انتِ عارفة إنك
كنت أغلى حاجة عنده .

سالت الدموع من عينيها في صمت ؛ كانت تعلم أنه على حق ؛
هشام لم يحب أحداً في حياته مثلما أحبها .

قبل أن يقابل تلك!!

تلك التي قلبت حاله ، بدلته حتى أنها لم تعد تتعرف عليه .

هشام الابن البار .. الحنون .. الذي لم يجعلها تستاء منه أبداً
حتى و هو طفل .. حتى خلال مراهقته و شبابه .

الابن الذي أبعدته عنها و مع سبق الإصرار ..

لا لشيء سوى أنه أحب .

و للمرة الأولى في حياته يطالبها بالرضوخ لرغباته .. كان طلبه
الأول و الأخير ..

و هي ..



لم ترضخ !!

ظلت الذكرى الأخيرة له في عقلها تدور و تدور و كأنها تنوي
تعذيبها للأبد.

" أمي .. دي أول مرة أطلب منك طلب في حياتي .. عمري ما
عارضتك في أي حاجة .. لمى هي طلبي الأول .. و أوعدك
هيكون الأخير "

انفعلت و غضبت : إنت عارف كويس إنه مينفعلش .. ياسمين
بنت عمك بتحبك و تقريباً إنتو مخطوبين من صغركوا .. أنا
كلمت عمك خلاص .. يعني إنت و هي موضوعكم منتهي .
اقترب و قبل رأسها في حب : يا أمي الكلام ده مينفعلش في
الجواز .. يمكن كنت ممكن أتقبل ده لو مكنتش قابلت لمى و
حييتها .. بس خلاص مبقاش ينفع .. مستحيل أتجوز حد غير
لمى .

أبعدته عنها و هتفت : يعني مستعد تخسرنا كلنا عشان بنت لا
نعرف أصلها و لا فصلها .. هتخطها في كفة قدامنا كلنا .



أخفض رأسه في ألم : مش أنا اللي حطيتها في مقارنة معاكو ..
حضرتك اللي عملتي المقارنة دي .

تابع بحروف تقطر مرارة : أنا همشي .. همشي ورا قلبي لأول
مرة في حياتي هخالفك .. لكن هفضل مستني إشارة منك عشان
تسمحيلي أرجع أبوس إيدك و أعيش معاكي أنا و مراتي .

هتفت أمه في قسوة : لو مشيت من هنا مش هترجع تاني أبداً .
أغمض عينيه يحارب الألم الذي نخر قلبه في قسوة اعتادها ؛ و
رغبات ليست له يجب أن تمضي كالسيف على رقبته .

حسم أمره " لو رغبتني الوحيدة مش موافقة لرغبات حضرتك
يبقى أنا اللي مش راجع تاني أبداً "

ثم تابع بحروف قتلها قبل أن تميته : اعتبريني مت .

شهقت باكية في عنف و آخر ما ردهه يدوي و يدوي في أذنيها "
اعتبريني مت "

حاول ياسين تهدئتها دون جدوى تلك المرة



فالمصاب كبير و الفقد لا يرحم يجتث قلبك من بين ضلوعك
تاركاً إياك تنزف في بطن حتى إعلان الرحمة ..

سواء بالصبر أو النسيان !!

أجلسها ياسين و أحضر لها دواء الضغط تناولته و رفضت عصير
الليمون الذي طلبه من أجلها في إصرار .

اندفعت فتاة طويلة القامة ؛ رشيقة القوام .. شعرها المصبوغ
بلون الكهرمان ناقض بشرتها الشاحبة بفعل عدم التعرض
للمشمس لفترات طويلة .

اختفت في احضان والدته السمينة بعض الشيء و هزه بكاءها
بشده .

كانت تبكي أخاه بحرقه و تتحدث مع أمه عن الفاجعة التي
ألمت بالعائلة كلها.

زوجته تبكي حبيب رحل عن العالم ..

و ياللسخرية ..

ذلك الحبيب ..



يكون أخاه !

شهقات بكاؤها تمزقه إرباً ..

" إلى متى ستحتمل يا ياسين !؟ "

كيف يحتمل فقد أخاه .. و كيف يحتمل أن يكون زوجاً لها هي
دون الجميع !؟

هي من يكاد يكون عشقها له مرأي !

ألا يكفيه ما هو فيه !؟

تمتت : أنا مش قادرة أصدق إننا مش هنشوف هشام تاني !

تابعت ياسمين بحقد : هي مفيش غيرها .. كان وشها نحس

علينا كلنا .. أخذت مننا هشام .. وأهو .. خلاص .. مش

هنشوفه تاني !

زم ياسين شففيه بحنق : أظن مفيش لزوم للكلام ده يا ياسمين ..

الأمر مش مستحمله .. هشام الله يرحمه كان جاي يصلح أمي

يعني ملوش لازمة تجريح في مراته .



اعترضت و تطلعت إليه في دهشة : إنت مقلتش إنه كان جاي
هنا !؟

إزاي تخبي عني حاجة زي دي !

زفر بنفاذ صبر : و انتي هيهمك في إيه يبجي أو ميبيش .. ثم أنا
مكنتش أعرف هيبجي إمتى و لا هيبجي لوحده و لا مع مراته .
ذبحتها كلماته .. مزقتها الغيرة و الحقد لأنه تركها و أحب غيرها
.. و هي لم تنسى حبه أبداً .. حاولت و لكن دون جدوى .

حتى بعد أن تقرررت خطبتهما ..

حتى بعد عقد قرانهما ..

الذي أتى بعده نبأ موته كصاعقة ضربت أعماق قلبها !

و رغم وسامة ياسين التي تخطف الأنفاس و رجولته و شخصيته
المحبة التي تجعل الجميع من الأصغر للأكبر يحبونه و يخشونه



كرب عملٍ قاسٍ وقت اللزوم إلا أنها لم تستطع تخطي تلك
الحالة .. الحب الذي تكنه لهشام لم يتغير .

هي نفسها لو أجزى لها الاعتراف لنفسها بصدق لأيقنت أنها لم
تحب في حياتها سوى شيئين ..

هشام و نفسها !

ياسين كان يدرك ذلك جيداً و يثير ذلك في نفسه النفور منها
على الدوام .

لا يقبل أن يكون صورة أخيه و كذلك لن يسمح لنفسه أن يكون
ابن العم الذي يرفضها للمرة الثانية .

معادلة صعبة تمنى لو استطاع فك رموزها المشفرة دون أن
يجرحها أو يسيء إلى نفسه .



ترجلت تمارا من السيارة ؛ عدلت ملابسها و حركت ساقها اللتان
تشنجتا بفعل الحبس داخل السيارة لوقت طويل .

حملت كارما فيما حمل نبيل كريم في المقابل و غمغم : تمارا ..
ده منفى يا بنتي .. ١٠ ساعات سفر .. و بعدين بلد غريبة
مستخبية ورا جبل كأننا خرجنا بره مصر .. ده مكان أشك إنه
يكون موجود على الخريطة أصلاً .

تنهدت تمارا التي تدرك جنون ما تفعله : بس دول أهل هشام
الله يرحمه .. و دي وصيته يا نبيل ولاده يعيشوا مع أهلهم .

اعترض : بس كده انتِ هتعيشي معاهم في المنفى ده .. مش
هتعرفي تخرجي براه .. هتتنازلي عن حياتك خلاص !؟

ابتسمت تمارا و داعبت كارما التي ابتسمت بدورها : أنا حياتي
التوأم يا نبيل .. مش عايزه أي حاجه من الدنيا غيرهم .

الخيارات التي نتخذها ..

أو يسلكها من نحبهم ..

قد لا تتفق مع رغباتنا و لكنها تبقى خياراتهم ..



و بعض الخيارات ..

مفروضة !!

بأسى لم يكن أمامه سوى أن يتمنى لها التوفيق ؛ أوصولها حتى
باب المنزل

و غمغم : لو احتجتي أي حاجة .. أو حسيتي إنك مش مرتاحة
هنا كلميني مسافة السكة و هكون عندك .. ربنا معاكي .

اغرورقت عينيها بالدموع : أنا آسفة يا نبيل تعبتك معايا .. كنت
أتمنى النهاية تكون غير كده .

ابتسم و همس : المهم تكوني مرتاحة .

شعرت بالامتنان و بتأنيب الضمير لأنها لو تستطع أن تبادله
مشاعره أبكر من الآن .. ربما اختلفت النهاية .

غمغمت : حاول تطمني عليك لما توصل و إوعى تسوق بالليل
.. توصل بالسلامة يا رب .

_ هحاول أطمن عليك من وقت للتاني .



أومأت برأسها بامتنان ثم توجهت لباب المنزل ، تنفست بعمق
لتستجمع شجاعته .

حملت كارما على خصرها في حين احتل كريم ذراعها الأخرى
اقتربت من الحائط ليدعمها محتارة كيف ستضرب جرس الباب
حاولت و لكن كل محاولة كانت تؤدي إلى اختلال توازن أحد
التوأمن ؛ و في احدى المحاولات المضنية فتح الباب فجأة
لتتسمر مكانها حالما وقعت عينيها عليه .

جف حلقها و تجمدت في مكانها بالمعنى الحرفي للكلمة ..
لقد سبق و شاهدت العديد من الرجال الجذابين من قبل لكن
ليس لتلك الدرجة .

هشام نفسه كان من أكثر الرجال الذين قابلتهم في حياتها وسامة
لكن ..

ذلك الرجل أمامها كان أبعد ما يكون عن ذلك .
خطف أنفاسها و تقلصت أعماقها بشدة !



بتلك العينين اللتين لم ترى مثلهما قط ربما كانتا بلون مياه البحر
التي ذهبتهما أشعة الشمس فجعلتهما خليط من الأزرق و الذهبي.

لم يسبق لها أن شعرت بما شعرته الآن أبداً .

ربما سبق أن سمعت عما يسمى الحب من النظرة الأولى و لم
تصدقه أبداً !

و لكن لم يخبرها أحد أن هناك ..

تیه ..

اختطاف ..

ارتباك ..

و سحر قد تقع تحت تأثيره ..

ومن اللمحة الأولى !

تسمر بدوره أمام .. عينين بلون العشب الأخضر الذي بللته
قطرات الندى تغلغت داخل أعماقه .



بالمقارنة معه كانت امامه فتاة قصيرة القامة لدرجة مضحكة فمع اقترابه هو من حاجز المتر الثاني كانت هي لا تتجاوز المائة و خمسون سنتيمتر .

تحمل عينيها غموض ممزوج بسحر يكاد يتلمسه ؛ و شقاوة تكاد تذيب أكثر الرجال بروداً .

شعر بلون العسل عقصته فوق عنقها برقي تلمل الطفلين على ذراعها و جذبها الصبي من شعرها في سأم لتختنق باقي أنفاسه و هو يرى شعرها الطويل .. الطويل جداً ينفلت من عقاله ليغمر كتفيها و يغطي الطفلين على ذراعها متجاوزاً خصرها بقليل .
لم يكن يعتقد أن بإمكان عينيه .. قلبه ..

كل خليه من جسده أن تتوقف عن العمل للحظات ثم تستنفر بعدها في جنون و كأن أصابها عطب ما !!

كان الخلل هي ..

ملاك وقف على عتية بابه !!



يحمل طفلين تضاحكا مع انفلات شعرها و غمره لهما و كأنما
تلك لعبتهما المفضلة !

و يصير ذلك مشهده المفضل !!

همس بحشجة لا تمت لصوته العميق بصله : انت مين ؟!
ماذا لو تجسدت أكثر أحلامك جنوناً و تطرفاً أمامك فجأة ..

حلم خرج من عالم الأساطير !

و لكن تهشم ذلك الحلم الذي لم يأتي وحده رغم جنونه بمطرقة
الواقع عندما همست بصوت يحمل رقة لم يسمعها من قبل : أنا
لمى .. مرات أخوك و دول ولاده .

و أسقط في يده !!



الفصل الخامس

عندما يصرخ وعيك ..
يتوسلك قلبك الابتعاد ..
تحذرك كل جوارحك من الاقتراب ..
من شخص بعينه ..
ربما حينها ..
يجب أن تستمع إليهم ..
لأنه و ربما للمرة الأخيرة ..
ستحظى بكامل وعيك ..
لتختار البعد ..
بمحض إرادتك !!



التف الأب و ابنته حول مائدة الإفطار ؛ تطلع لساعة يده بضيق ..
 .. لقد تجاوزت الساعة الثامنة و ابنه الكبير .. سنده و من
 يفترض به أن يكون خلفه في العمل و الاهتمام بالأملاك لا
 يمتلك أي قدرٍ من المسؤولية .

تأفف في حنق : يارا .. اطلعي شوفي البيه اللي لسه نايم ده ..
 أكيد مش واخذ باله إننا ورانا شغل ميستناش البيه للضهر زي
 كل يوم .

أعادتها كلماته لأرض الواقع الذي تغادره بكليتها معظم الوقت
 منذ علمت

بكارثتها المنتظرة !

و لأن المصائب لا تأتي فرادى ف زيد اختار هذا الوقت الصعب
 بالذات ليزور أسرته في القاهرة ..
 متعللاً بوجود مشاكل عائلية ..

تمنعه من القدوم أو من إرساء قواعد مخاوفها على بر .



أومات برأسها و توجهت لغرفة شقيقها الذي كان يغط في نوم عميق ؛ هزته في رفق " مراد .. مراد اصحى عشان بابا عايزك "

تأفف ووضع الوسادة على رأسه معلناً بلا كلمات

" ممنوع الإزعاج "

عادت تدفع كتفه برفق دفعات متتالية فهتف من بين أسنانه :

قوليله تعبان .. مش هقدر أروح معاه .. أنا نايم الصبح .

تأففت بدورها : اوووف هو كل يوم يا مراد .

غمغم في ضيق : و بعدين يا يارا .. روعي قوليله مش نازل و

اطلعي من دماغي .

أخفضت رأسها حالما وصلت إلى والدها فزفر بحنق : مرضيش

برده يقوم .

بررت : معلىش يا بابا .. بيقول تعبان النهارده .

هز حسين رأسه في أسى : مش أد ما هو تا عيني .. و مش

النهارده بس .



اقتربت من أبيها في رفق ؛ وقفت خلف الكرسي واضعة كفيها
على كتفيه

و همست : يا حبيبي ما انت عارف إنه مش متعود على حياتنا و
لا نظامنا .. و بعدين ده مراد .. من امتي مراد كان بيلتزم بشغل و
لا بمواعيد بس .

نظرات عينيه التي تطلع بهما إليها كانتا تقطران حزناً : و هيفضل
لحد امتي مش ملتزم .. ده بدل ما يساعديني في آخر أيامي .. و
يخفف الحمل عني شويه .

احتضنت رأسه في حنان : بعد الشر عليك .. اديله فرصة بس و
هو هيبقى أحسن من ما انت عايز .

ابتسم لحنان افتقده كثيراً .. ربما لم ينهل منه سوى لبعض الوقت

..

و لكنه لا يزال يذكره .. و ربما لن ينساه أبداً .

و تذكره ..

الفيض من نبع حنانها الذي غادره مبكراً .. كما تركته هي !



رمزي !!

التمعت الدموع في عينيه للذكرى و تساءل : انتِ جبتي الحنية

دي منين يا يويو !؟

ابتسمت : يقولو ورثتها من راجل طيب و حنين اسمه حسين

الجبالي .

احتضن خصرها و أراح رأسه على صدرها : ربنا يكرمك يا بنتي

و أشوفك أحلى عروسة في الدنيا .. و أفرح بولادك .. مادام

واحد رافض يعيش معانا هو و بنته و الثاني مغلبنى معاه .

ارتبكت بشدة .. حاولت أن تخفي ارتباكها بمزاح متوتر : إيه ده

بقي يا سيدي .. انت عايز تخلص مني و لا إيه !؟

أفلتها و أعلن بصدق : أنا لو عليّ أحبسك هنا و أمنع أي واحد

يشوفك عشان محدش يحبك غيري و لا حد ياخذك مني .

شردت و هي تتمنى لو كانت تلك الأمنية حقيقة بالفعل .. و

لكنها تأخرت كثيراً للأسف .



لقد أحببت بالفعل ..
حب أخذ منحني لم تكن تريده أبداً ..
مشاعر نقلتها من خانة الحبيبة المصانة
لخانة العشيقة المهانة !!

و بين أحضان والدها تمت ..
لو بقيت طفلة صغيرة لا تعرف عن الحياة غير
وجودها بين ذراعيه !

انهمكت يارا في تلقيح بعض الخراف بالمصل الخاص بالوقاية
من الفيروسات الربعية فلم ترى ذلك الذي تسلل من خلفها
مشيراً بإصبعه لفتاة صغيرة بالصمت .
أومات الصغيرة برأسها و افترت شفيتها عن بسمه شقية .



اعتدلت يارا ممسدةً ظهرها في ألم فهي على ذات الوضع منذ
ساعات تحت أشعة الشمس الحارقة .

" عايزه مساعدة يا فندم ! "

شهقت يارا في انفعال ؛ تطلعت للصوت الرخيم الذي ارتجفت
له دقائق قلبها

قفزت واقفة فانفلت الحيوان الذي كانت تقيده و هرب محتفلاً
بحريته بعد أن تركته مما دفعه للضحك في مزاح : الخروف
المسكين ما صدق .. هرب من إيدك يا يويو .

هتفت في فرح " رمزي !! "

اندفعت نحوه و طوقته بذراعيها في لهفه " وحشتني أوي يا
حبيبي ! "

بادلها العناق قبل أن يتابع " أبيه يا بنت .. و لا خلاص مفكرة
نفسك كبرتي . "

غمغمت في احتجاج : و مين قال إنني كبرت .. هفضل يويو
الصغيرة و برده هفضل رمزي .



وقعت عينيها على الصغيرة التي تختبئ خلفه فتركته لتقترب من
الصغيرة .

داعبت شعرها المجعد و الذي أحاط بوجهها في فتنة : نور
.. وحشتيني جداا .

ابتسمت الصغيرة : و انتي كمان وحشتيني يا عمتو .

مطت يارا شفيتها في مزاح : إيه عمتو دي مين قالك تقوليلي
كده .

أجابت الصغيرة : بابي .

رفعت يارا الصغيرة ذات الخمسة أعوام بين ذراعيها : داعبت
أنفها بأنفها و همست : متسمعش كلام بابي .

عدلت عبارتها بعد أن نظر لها شقيقها باستنكار : في موضوع
عمتو يعني .. أنا يويو .. يويو و بس اتفقنا .

هتفت الصغيرة : اتفقنا !!

تنهدت يارا في تعب فغمغم شقيقها في إشفاق : تعبتِ؟! .. لسه
قدامك كثير!؟



أجابت بتزق : هو الحقيقة لسه كام خروف ده غير اللي هرب
طبعاً بس أنا اتهلكت النهارده و مش قادرة خلاص .

جال بعينه في المكان حوله : فين بابا و فين مراد !؟!

تنهدت : بابا مشي من زمان مبقاش يقدر يقعد كثير انت عارف
.. خصوصاً بعد الأزمة الأخيرة .. و مراد شغال ريس عمال
الحقيقة .. ده في الوقت اللي بييجي فيه المزرعة .

ابتسم في اشفاق لأخته الصغرى التي تحمل معظم الحمل
بمفردها : إنت قدها و قدود يا يويو .

أومأت برأسها .. تساءلت : جاي عشان العزاء صح !؟!

غابت البسمة عن وجهه و أقر بحزن : أنا لسه مش مصدق اللي
حصل .. هشام .. معقول البني آدم ممكن يروح في لحظة كده .

مرت مسحة من الأسى على وجهها : كانت مفاجأة لكل ..
خصوصاً إنه كان جاي يصلح طنط فريدة بعد المدة دي كلها .



أوما برأسه في اشفاق : أكيد هي و ياسين هيتجننو عليه .. و لا
مراته وولاده .. خساره جامده أوي .. هشام كان بني آدم محترم
جداً ربنا يرحمه .

هتفت في ذهول : مراته وولاده .. إنت تعرفهم !؟

أوما برأسه في دهشة : أيوه يا بنتي .. أنا كنت شاهد على عقد
جوازهم .. و مراته كانت بتابع معايا حملها .. وولدت في
المستشفى اللي بشتغل فيها .

شحب وجه يارا و ترنحت فأخذ نور من بين ذراعيها و تساءل
بقلق : مالك يا يارا !؟ انتِ كويسه !؟

تذكرت ما بين أحشائها بدورها و كيف قد تخفي أمرها عن
شقيقها الأكبر..

طبيب النساء و التوليد !!



تجمد في مكانه للحظة فقط قبل أن يصرخ بها " نعممممممم
 "!!!

فزعت كارما من صوته العالي و بدأت بالبكاء قبل أن يشاركها
 كريم البكاء بدوره .

حاولت تهدئتهما في يأس و هي تغمغم في حلق : شفت خوفتهم
 إزاي !! لو سمحت متعلّيش صوتك تاني .

نظر إليها ببلاهة ؛ فاغراً فاه .. لا يعلم من أين أتت تلك المخلوقة
 !؟

هل سقطت من السماء !؟

أم انشقت عنها الأرض !

لأول مرة في حياته يشعر بعدم فهم ..

يكاد يرقى به لمرتبة العجز !

أرملة من !؟

أي شقيق !؟



أي أولاد؟!!

مرر أصابعه في شعره في ارتباك!

نظرت إليه في دهشة وقد بدأ تمللم الطفلين يشعرها بالانهاك؛
ناهيك عن السفر الطويل المرهق: أنا هفضل واقفة كده كثير
على الباب وأنا شايله التوأم.

عاد يتساءل ببلاهة: انت مين و مين دول عشان أسمحلك
تدخلي أصلا?!!

تنهدت في سخط: يا ربي!! .. قلتك أنا أرملة أخوك لمى .. و
دول ولادنا .. كريم و كارما .. في أسئلة تانية و لا هتتكرم و
ترحميني من الوقفة دي لأنني تعبت.

تنحى جانباً و أشار لها بالدخول؛ أغلق الباب و قادها للصالون
الملحق بالمنزل و عقله يدور و يدور .. أرملة من؟! .. و توأم من
؟! .. كيف يصدقها و أخيه لم يخبره أنه أنجب من الأساس.



عاد يتساءل قبل أن تجلس حتى : انتِ جيتي هنا إزاي؟! .. و
مين جابك؟! .. و ليه?!!

تنهدت في إرهاق : أرجوك .. سيبيني أقعد أرتاح الأول ..
الطريق طويل أوي .. أنا تعبانة و التوأم تعبانين جداً .. محتاجين
ياكلو و ينامو بعد المشوار المتعب ده .

نظر إليها في شك فعادت تترجاه و تعده بأن تجيب عن كل
أسئلته لاحقاً .

توجهت لحيث أشار إليها لتطالعها امرأتين باكيتين نظرا إليها في
تساؤل قبل أن تتوجه إليها المرأة الأصغر سنأ بشعرها الناري و
ملامحها التي لم تخفف حدثها من جمالها .

" انتِ مين؟! "

تساءلت ياسمين في غلظة قبل أن يقترب منها ياسين : ياسمين ..
اصبري و هنفهم كل حاجة دلوقتي .



همَّ بمناداة الخادمة لتساعد تلك الفتاة بشأن التوأم و لكنه تذكر خوفهما من الصوت العالي فغادر الصالون بخطى سريعة شعرت خلالها بالقلق و تلك المرأتان تكادان تأكلاها بعينيها .

عاد بعد لحظات و معه فتاة صغيرة السن و أشار للتوأم : زينب ..
الولاد محتاجين يستحمو و ياكلو و ينامو .

امتدت أيدي الفتاة لتأخذهم إلا أن تمارا أبعدتهم عنها في خوف .

فغمغم : ماتخافيش .. زينب مربية أخواتها السبعة .. هتاخذ بالها منهم .

ابتسمت زينب ابتسامة صافية و همست بخجل : اتفضلي معايا يا هانم .. أوضة الضيوف جاهزة .. و أنا هساعدك .

حملت زينب أحد التوأمين و سبقت تمارا لغرفة الضيوف ؛
ساعدتها زينب في تحميم التوأم و إطعامهم .



وضعتهما في مهدين قديمين بزواوية الغرفة.. ربما لم يتم استعمالهما منذ قرون و لكنهما كانا بحالة جيدة مع ذلك بزواوية تم وضعهما أثناء وجودها في الحمام الملحق بالغرفة . كانت الغرفة واسعة احتل وسطها فراش مزدوج بأعمدة نحاسية مغطى بستائر بلون كريمي مُزدانة بنقوش ذهبية تماشت مع شرفش الفراش الذي كان بنفس الألوان .

تهالكت على الفراش في إرهاق لتستمع لطرقات على باب الغرفة

دخلت فتاة أخرى ليست أكبر من زينب بكثير و همست دون أن ترفع رأسها : الشنط بره يا هانم .. هدخلهم حالاً و ياسين بيه مستني حضرتك على الغداء مع الهانم الكبيرة و الهانم الصغيرة . ارتجفت تمارا فلقد حانت لحظة المواجهة التي كانت تخشاها .. و التي إن مرت بسلام ستمضي الأمور على ما يرام .. أو ..

هكذا تتمنى !



تحملت تمارا و بدلت ملابسها في سرعة و رغم أنها لم تتناول
الطعام منذ ما يقارب من أربع و عشرون ساعة إلا أن التوتر جعل
معدتها تتشنج حتى أنها بدأت تشعر بالغثيان من قبل أن تواجههم
حتى .

نظرت للتوأم في تردد فطمأنتها زينب : متقلقيش يا هانم أنا
هاخد بالي منهم .

همست في قلق : لو صحوا و لقوا نفسهم لوحدهم هيتربوا .

ابتسمت زينب مطمئنة إياها : هما تعبانين من السفر أكيد مش
هيصحوا دلوقتي خالص .. و لو حصل هناديك فوراً .

ابتسمت تمارا و شكرت الفتاة التي ارتاحت لها على الفور على
عكس تلك الفتاة ذات الشعر المصبوغ التي شعرت بنفور منها و
لا تدري لم .

وقف ياسين بمجرد أن رآها و اقتادها لغرفة السفارة ؛ أشار بيده
لتقدمه : اتفضلي .. ناكل الأول و بعدين نتكلم .

نظرت للمرأتين بتساؤل فحذرتها عيناه أن تتفوه بحرف ..



نظرة تعدها بأن لكل مقام مقال و بإمكان الحديث أن يتأجل قليلاً بعد.

جلست و بدأت الفتاة التي أحضرت لها الحقائق بوضع الطعام على طاولة السفارة .

مرت الوجبة الكارثية بمعجزة .. فالأعصاب كلها مشدودة و علامات الاستفهام ترتطم ببعضها البعض في سقف الغرفة .
وُضعت أقداح الشاي أمامهم بعد أن استقر بهم المجلس في الصالون .

غمغمت السيدة الأكبر سناً بنبرة حزينة و لكنها قوية : أتمنى يكون الأكل عجبك .

ابتسمت تمارا بتوتر : جداً .. ميرسي لحضرتك .

تساءلت ياسمين و التي لم تستطع أن تصمت أكثر من ذلك بعد أن نفذت منها النظرات القاتلة " ممكن أعرف مين انتِ؟! " نظرت تمارا لياسين بتساؤل و كأنما تطلب منه السماح للتحديث بحرية أمام تلك المخلوقة فأوماً لها برأسه .



تجاهلت تمارا ذلك السؤال و تساءلت بدورها و هي تشير للأم
أولا : إنتِ طنط فريدة مش كده .. والدة هشام الله يرحمه .. و
إنتِ ياسين .

عصرت تمارا مخها لتتذكر اسم تلك الفتاة التي ذكرته لى
أمامها مرة ؛ ضيقت عينها و همست بشك : و انتِ !؟ ..
ياسمين !؟

هتفت ياسمين بعنف تخشى أن يكون ما يدور في رأسها صحيح
: انتِ ميسيين !؟

رفعت تمارا رأسها بكبرياء و هتفت : أنا لى .. مرات هشام و
اللى فوق دول توأمننا كريم و كارما .

حدث ما كانت تتوقعه فقد تعالت الشهقات و اتسعت الأعين في
ذهول و انعقدت الألسن للحظات قبل أن ترتجف الأم و تتساءل
في صدمة : لى !؟ .. ولاد ابني !؟

خرجت ياسمين من صمتها المؤقت لتصرخ بها : مش ممكن
انتِ كدابه .



ثم وجهت حديثها لياسين : و إنت ساكت ليه هاا ؟! .. انت
كنت تعرف ؟!

هتف بها في صرامة : ما تزعقيش يا ياسمين .. عرفت قبلكم
بساعة .. عرفت على الباب .. أكثر من كده معرفش .

زمت ياسمين شفيتها في سخط و هي تستجدي كره الأم و التي
هي على ثقة من وجوده : انت ساكته ليه يا ماما .. قوليلها إنها
كدا به .. دي مش ممكن تكون الحقيرة اللي هشام سابني عشانها
.. دي ..

كانت تعلم أنها ستواجه الكره و الرفض ..

و ها هي ترى مخاوف لمى ..

و أسباب هروب هشام ..

مجسدة أمام عينيها !!

قاطعتها تمارا في غضب : لو سمحتي تلزمي حدودك .. أنا اللي
هشام حبها و اتجوزها .. أنا أم ولاده .. أنا .. أنا اللي خسرتة ..
خسرت حبه و دعمه في لحظة .



اغرورقت عينيها بالدموع و هي تذكره ؛ لم تكن تكذب عندما
ذكرت خسارتها لحبه و دعمه .. دموعها عليه و على فقده كانت
حقيقية و صادقة لدرجة جلبت معها الدموع لعيني أمه و احمرت
لها عيني أخيه و كأنما يصارع دموعه هو أيضاً .

جذب ياسين ياسمين من ذراعها قبل أن يتحول الموقف لكارثة
: ياسمين .. تعالي أوصلك للمزرعة بتاعتكوا .

جذبت ذراعها منه بعنف و هتفت : لأ طبعاً .. مش قبل ما
أشوف المدام دي عايزه منا إيه بالظبط .

تنهدت تمارا بسخط و تجاهلت تلك المتسلطة ووجهت نظراتها
للأم .

هي الوحيدة التي أخبرها هشام بأن تطلب دعمها .. تحاول
كسبها .. تستجدي حبها لبرها الذي فقدته .. و بأنها لو
حصلت عليه ستحظى منها بحب لا تتخيله .

كانت تعلم أنها قاسية بعض الشيء .. و من قد يعيش في مكان
بري كهذا و لا يحمل بداخله من قسوة المكان و جفافه .



نظرت إلى تمارا بشك : و أنا إيه يضممني إن اللي بتقوليه صحيح .. مرات ابني لا شوفناها ولا نعرفها .. وولاد إزاي و هو مجابلناش سيرتهم .

تابعت : ابني .. كان في طريقه لهننا و عمره ما قال انه خلف . أكد ياسين على كلامها : ده صحيح .. هشام مقلش إنه خلف .. رغم إني كنت بكلمه معظم الوقت .

بررت : ولادي عندهم خمس شهور بس .. و الحقيقة أنا اللي اترجيته ميحبش سيرة .. و أول ما انت طلبت منه يبجي كان هيقولك .. بس أنا قتلته يستنى لما نيبي سوا .. أو حتى لما هو يشوف الظروف الأول .

تساءل في عدم فهم : و ليه بقى !؟

تنهدت بيأس تشرح مخاوف لمى التي شعرت بها من خلال رعبها في القدوم لهذا المكان : لأنني كنت خايفه .. كنت عارفه إنه هيرجع هنا في يوم من الأيام .. و مكش عندي استعداد ولادي يعيشوا هنا .. خفت لما تعرفوا إننا خلفنا كريم و كارما



تطلبوا منه يرجع .. مش عشان قبلتوا بيّ .. لأ .. عشان الولاد
مش أكثر .

غمغمت الأم بشك : طب و ايه اللي خلاكي تيجي بعد .. بعد ..

تابعت تمارا موقنة صعوبة الأمر على تلك السيدة : أنا جايه هنا
غصب عني .. لو يارادتي كنتم مستحيل تعرفوا طريقنا أصلاً .

سخرت ياسمين : ما هو واضح بدليل وجودك هنا .

وجهت تمارا حديثها للأم : أنا جايه عشان دي وصية هشام مش
أكثر .. آخر حاجة طلبها مني قبل ما .. قبل ما يموت .

صفقت ياسمين بيديها : حلو أوي المشهد ده بجد .. وصية و

أرملة و توأم .. لأ بجد برافو عليك .. فنانة !!

تطلعت إليها تمارا بسخط قبل أن تجثو بركبتها بالقرب من قدم
الأم : طنط فريدة .. أنا جيت بس عشان .. عشان ده كان طلب
هشام الأخير .

اغرورقت عيني تمارا بالدموع التي لم تلبث أن انسابت على
وجنتيها : أنا وعدته أنفذ وصيته .. مهما كان .. و أديني جيت



زي ما طلب مني .. قاللي ولادي لازم يتربوا في بيت أهلي ..
وعدته و أنا رافضة وجودي هنا من الأساس .

ثم تابعت : صدقوني .. أنا هكون مرتاحة جدا لو كل ده انتهى و
رجعت لحياتي و بيتي و شغلي من تاني .

عادت الحيزبون لتهتف : و إحنا مين يضمنا إن دول ولاده .

أخرجت تمارا الصورة التي التقطها منذ بضعة أيام لها و لهشام و
للتوأم و أعطتها لفريدة التي مررت أصبعا على ملامح ابنها في
حنان و همست : شوف يا ياسين .. شوف أد إيه كان مبسوط .
نظر ياسين للصورة و ابتسم في ألم لرؤية أخيه الأكبر الذي لم يره
لثلاثة أعوام .

غمغت تمارا في حزم : أستاذ ياسين .. تقدر تعمل للولاد
فحص DNA عشان تتأكد .

هتفت ياسمين بسخط : DNA إزاي و أبوهم مات .

نظرت إليها فريدة باتهام : عمهم موجود و جدهم كمان .

عادت تنكر : بس ده ما يثبتش النسب .



أخرجت تمارا من بين طيات ملابسها شيء معدني .. ارتجفت له
شفتي ياسين في تأثر حال رؤيته ..

اقترب منها ثم مدَّ كفه إليها لتضع الميدالية المعدنية فوق راحة
يده .

تطلعت والدته و ياسمين بتساؤل فغمغم باختناق و هو يُخرج
نصفها الآخر من جيبه : دي .. دي ميدالية فضة .. لا إله إلا الله
.. اديتها لهشام لما .. لما مشي من هنا .

طابق النصفان معاً قبل أن يقلب النصف الخاص بأخيه ليجد
بضع قطرات دماء جافة التصقت بها .

تلمستها الأم بأنامل مرتجفة شهقت لرؤية الدماء المتجلطة
وانسابت لها دموعها قبل أن تتطلع لياسين في تساؤل و هو
يأخذها مجدداً ..

هل من الممكن أن يكون ما يحدث حقيقة؟!!



عادت تتطلع للصورة و غمغمت في حنان : معقول يا ياسين ..
معقول ربنا يكون كريم معانا كده .. يحرمننا من هشام و يبعتلنا
ولاد من صلبه يهونوا علينا فراقه .

شهقت ياسمين باستنكار : ماما فريدة .. انتي بتقولي إيه !؟ ..
انتي هتصدقني البتاعه دي .. مراته إيه وولاده مين .. دي كداب
.. دي جايه هنا عشان تاخذلها قرشين بعد ما مات هشام .

هذه المرة لم يحتمل ياسين سلاطة لسانها و جذبها بقسوة
للخارج رغم محاولاتها الشرسة للتخلص من قبضته إلا أنه لم
يسمح لها بالإفلات.

و هتف في غضب : أنا ساكت من الصبح .. كلمة زيادة مش
هسمحك .. لحد ما نتأكد و يا ريت أسلوبك ده تغيريه إذا كنتي
عايزه ارتباطنا يكمل على خير .

شهقت : انت بتهددني يا ياسين !!

غمغم بقسوة : أنا بحذرك يا ياسمين .. الأسلوب ده مينفعش
معايا و مش هسمح بيه فاهمه !!



هتفت بغضب : إنت بتزعقلي عشان خاطر الس... .

قاطعها بعنف و عينيه تحملان وعيد: مش هسمحك تهينها تاني
فاهمة .. حتى لو اللي بتقوله مش صحيح .. ده ما يديكيش
الحق إنك تهينها !

أخذت ياسمين ترغي و تزيد و قد تملكها الحنق من تلك
المخلوقة التي أتت من جحيم مخاوفها لتزلزل كيائها في تلك
العائلة .

أخذت تتساءل و نيران الغضب تحرق أنفاسها

" ماذا إن كانت محقة !؟ "

و في الغالب ستكون .. لقد طالبت بفحص الحامض النووي
بكل ثقة و هي تعلم أن نتائجه لا تقبل الشك و صعبة التزوير !

لا تعلم من أين أتت تلك !؟

اعتمل الكره في نفسها و خالطه الكثير من غيره

فتلك من تركها حبيبها من أجلها !



و هي من تزوجها و أنجبت له طفلين كفيلان بجعلها المفضلة
عند حماتها المستقبلية .

كما أن ياسين و للمرة الأولى يعنفها بسبب سلوكها من أجل تلك
الحقيرة .

ابتسمت في غل و قد بدأت بوضع الخطط لتزيحها من طريقها
بالفعل .

ستفعل و مهما كلفها الأمر .



الفصل السادس

لو كان الحب يأتي بسهولة لما تمسكنا به

بكل قوانا !

و لو كان الفراق سهل الوقع على القلوب

لما تجنبناه أيضاً ..

بكل قوانا !

فـ لكي تنعم بالحب الأبدى

يجب أن ينتصف القرار

ما بين العقل و القلب !



زفرت تمارا بضيق و قد تعبت من الأمر برمته: أنا هروح أطمئن
على الولاد .

حاولت فريدة أن تتمم باعتذار واهٍ بعد إهانة ياسمين للفتاة التي
أمامها و لكنها لم تستطع التفوه بأي حرف .
ربما كانت تشعر بعدم التصديق .. أو بالذهول .. أو حتى بالكراهة

..

أم أنها تحمل مشاعر مختلطة من كل هذا .
تشعر بالتخبط الشديد و عدم الفهم أيضاً !
هل أتت تلك الفتاة لتزيد إحساسها سوءاً ؟!

تزيد نيران الحقد و الكراهة في قلبها !

أم أتت لتعيد البسمة التي ظنتها فارقتها للأبد يوم وقفت توارى
سوءة فلذة كبدها التراب !

الحياة ليست عادلة أبداً !!

و لسان حالها يقرر " و منذ متى كانت ؟! "



ربما كان ولديها هما الغيمة الوحيدة وسط صحراء حياتها
القاحلة !

البسمة التي أتت بعد سنوات من العذاب !
قاسية هي كما يلقبونها و لن تنكر تلك الصفة فلقد تغلغت فيها
حتى النخاع ؛

و لكن من توقف ليسأل نفسه عن السبب الحقيقي لتلك القسوة و
ذلك الجبروت اللذان اتخذتها ذريعة لتخفي خلفهما قلب أماته
الألم .

نفس عاشت على احتمال قسوة الحياة و البشر ..

لا لشيء إلا لأن لا سبيل آخر لديها !!

لم يرى أحد من هي فريدة الحقيقية ..

فريدة الطفلة المذعورة التي كانت تتأمل باب غرفتها يفتح

ليلة بعد الأخرى بعينين نصف مغمضتين ..



تنتظر لمسات بغيضة و أنفاس كريهة مشبعة بشيء لا تدري ما هو

!!

تتظاهر بالنوم و أنها تواجه كابوس بشع و سينتهي حالما تفتح

عينها ..

إلا أنها لم تجرؤ يوماً على فتح عينها ..

كما لم ينتهي الكابوس لبعض الوقت !

كانت تتخذ النوم ستاراً تختبئ خلفه ..

و لكم تمت لو أن النوم يهزمها بالفعل فلا تشعر و لا ترى

كابوسها شبه اليومي !!

انتهاك نال براءة جسدها لسنوات طوال !!

لمسات قدرة .. لنفسية مريضة !!

ربما لم ترقى لاعتداء جنسي كامل ..

و لكن ..

من يخبر طفلة أن كابوسها المتكرر ..



لن يمنعها من الزواج مرتفعة الرأس شأنها شأن أي فتاة !!

و لكنها ذليلة الروح ..

منكسرة النفس ..

بالية الجسد !!

منتهية الصلاحية ..

كأنثى !

بدأ الأمر مع زيجة أمها الثانية .. و الأدهى أنه قريب ..

الهدف كان حماية أرملة شابة .. أم لفتى في الثانية عشر .. و
فتاة في التاسعة .

الاعتناء بأملك امرأة .. و حماية إرث قُصّر ..

و النتيجة ..

فتاة صار الجفاء و القسوة يجريان في عروقها مجرى الدم !



و هروب شاب في الثامنة عشر من نيران شجار لا ينتهي مع زوج
أم ..

لنيران الجندية !!

رحيل بلا عودة أو ..

عودة و لكن في صندوق خشبي مكفن بعلمٍ

و نجمة ووسام شجاعة من الدرجة الأولى !

حملت لها ذكرى أخيها الشهيد دموع حاولت لسنوات كتمانها ..

إلا أن تلك القسوة ..

ذلك الجلد الذي احتمت خلفه لأعوام صار أكثر هشاشة الآن ..

بل إنه و بعد أن دفنت وليدها ..

صار بالنسبة إليها حلم بعيد المنال !

ظنت أنها عند رؤيتها لزوج ابنتها ستقتلع عينيها ..

و ربما قلبها لأنها حرمتها وليدها ..

بكرها ..



الغالي !

كما كانت دوماً تناديه .. انتزعت ابنها بكل ما يملك من حنان
و حب ..

اختطفته بعيدا عنها .

إلا أنها الآن ..

و لسبب ما لا تستطيع فعل ذلك ..

ربما لأنها أتت بطفلين تتمنى من أعماقها لو يكونا طفليه حقاً ..

أو .. لأن أسباب النزاع تم دفنها..

لأن ذلك الابن ..

المتنازع عليه ..

لم يعد موجود !!



شعرت تمارا بالدماء تغلي في عروقها ..

و من تلك الفتاة لتهينها بهذا الشكل !؟

و كيف سمحت لنفسها بأن تحشرها تلك في خانة الضعف !

لم تكن يوماً ضعيفة و لن تكون أبداً !!

لم يُخلق بعد من يهينها و لن تسمح هي بذلك !

فتحت باب الغرفة برفق لتطمئن على التوأم ..

ابتسمت في حنان عندما وجدتهم لا يزالان يغطان في نوم عميق

ابتسمت للفتاة التي جلست على كرسي بجانب الطفلين بناءً على

وعدها لتمارا ألا تتركهم .

" صحيو يا زينب !؟ "

بادلها الفتاة البسمة : لا يا هانم .. نايمين زي الملايكة .. ربنا

يحفظهم .



تنهدت تماارا في إرهاق : تقدرني تروحي تشوفي شغلك ..
متشكرة جدا تعبتك معايا .

شهقت الفتاة في رفض : معقولة يا هانم .. ده شغلي .. ياسين
بيه أمرني أساعدك في اللي تطلبه مني .

تثاءبت تماارا في تعب : حقيقي ميرسي .

تمت الفتاة : شكلك تعبان يا هانم .. اتفضلي استريحي و أنا
هفضل جمب الولاد .

شكرتها تماارا : لا روعي انت .. أنا هفضل جمبهم .. أنا متعودة
على كده .

أومأت الفتاة برأسها : أوامرك يا هانم .. لو احتجتي حاجة
ناديني .

غادرت الفتاة الغرفة و تركت تماارا تتنازعها أفكار شتى ..

هل يتوجب عليها الرحيل !؟

و لم لا تفعل ما دامت ستلاقي الرفض و المعاملة السيئة !؟



بالتأكيد لن تحمل !

ارتكنت على الفراش و عقلها يدور و يدور ..

ولكن ..

ماذا عن الوصية !؟

لقد وعدت لمى أن تبقى مع الطفلين و ألا تتركهما أبداً مهما صار .

و بالتأكيد لن تفعل !

كما وعدت هشام بأن يحيا طفليه في كنف أهله ..

ثم .. ماذا إن قررت الرحيل .. هل ستركانها تغادر بالتوأم !؟

بالتأكيد لا !!

ربما يكرهانها في صورة لمى باعتبارها سرقت منهما هشام ..

و لكنهما بالتأكيد لن يفرطوا في طفليه حالما يتأكدان من

هويتها !

تنهدت في عجز " أي موقف وضعته في هه هه هه !! "



عادت بذاكرتها لذلك اليوم ..

عندما طلب منها هشام أن تحضر ورقة و قلم فلم تجد أمامها
سوى الـ chart الخاص بالمريض " دفتر يعلق على فراش
المريض يدون فيه كل الملحوظات الخاصة بالحالة "
بضعة سطور أملاها عليها في ضعف بأنفاس لاهثة لأمه و أخيه
فيما انسابت الدموع من عينيها لتلطخ الحروف التي كتبتها ..
تشعر أنه الوداع

و هو يدرك ذلك بدوره .

غمغم هامساً : فهمتي يا تمارا .. انتِ من اللحظة دي لى .. و
هتعملي اللي قلتك عليه .

اعترضت : بس ..

_ مفيش بس .. دي الطريقة الوحيدة اللي هتخليكي وصية على
الولاد .. غير كده هيتاخدوا منك .. و أنا مستحيل أسمح بده ..
فاهماني يا تمارا .



أومات برأسها : فاهمه .

تساءلت : طب هما لما يشوفو الصورة و الميدالية و يقرأو
الجوابات .. حتى لو عملو فعلا DNA كل ده هيثبت إن هما
ولادك .. بس مش هيثبت إنني مراتك .. ببساطة لأنهم لو دوروا
على لمي مش هيلاقوها .. و أنا مش لمي و مفيش معايا ورقة
تثبت إنني هي .

_ هما مش هيدوروا إلا إذا شكوا فيكي .. و ده مش هيحصل
إلا لو عملتي حاجة غير اللي قلتك عليه أو اتصرفتي غلط .
تساءلت في شك : طب افرض طلبوا أوراق عشان ميراث أو
حاجة .. هعمل إيه !؟

_ مش هيطلبوا !

نظرت إليه في تساؤل فتابع : ببساطة لأن مفيش ميراث .. مفيش
حاجة بتاعت حد .. محدش يملك حاجة .. لا أنا و لا ياسين ..
فطبيعي مفيش وراث .. الورث بتاع العيلة الجدود .. يعني



مستحيل حد يقول طمعانه لأنك مش هتورثي حاجة و لا الولاد
.. لأن الأملاك مشتركة .

أغمضت عينيها في إرهاق و هي تعلم القادم صعب .. بل أصعب
بكثير مما تظن .

توجها للمنزل مباشرة بعد أن انتهت يارا من تطعيم باقي الخراف
؛ تطلع رمزي و ابنته من نافذة السيارة الجيب .

كليهما تختلف وجهة نظرة للمناظر التي تمر بهما و يتطلعان إليها
من نافذة السيارة ؛ حتى أن اختلاجة قلبهما تختلف .

ففيما تابع هو المناظر المألوفة حد الحنين .. بقلب مثقل
بالخوف .. بالتوجس لرؤية أناس لم يرههم لأعوام طوال .

لشاب في مقبل حياته هرب بعيداً ..

لفظته عائلته ..



فقرر الفوز براحة باله بعيداً عنهم !

أما عنها ..

تطلعت نور لما حولها بانهار ؛ فهي ابنة الخمس سنوات لم يسبق لها أن رأت غير حياة القاهرة الخانقة ..

الضوضاء و الازدحام في كل إنش تتطلع إليه .. كان الجو في البلدة مثير بالنسبة إليها .

مناظر طبيعية خلابة .. ما بين صحراء ممتدة بلون رمالها الذهبي الأخاذ ؛ سماء صافية بلون أزرق نقي لم تر مثله من قبل ؛ لشيء ما مهيب يشكل خلفية للصورة المذهلة حولها .

أشارت بإصبعها الصغير لذلك الشيء و تساءلت : إيه الكبير اللي هناك ده يا بابي !؟

تتبع إصبعها و قبل رأسها مبتسماً : ده جبل يا عيون بابي .

ابتسمت يارا بدورها : عمرك ما شفتي جبل يا نور .

هزت الصغيرة رأسها بالرفض : لأ .



اتسعت ابتسامة يارا و تساءلت : طب إيه رأيك لو روحنا هناك و
نمنا هناك كمان !؟

صفقت الصغيرة بيديها : بجد يا يويو !

أومات يارا برأسها فتساءلت الصغيرة : ينفع يا بابي !؟

أجاب : بس بشرط !

تطلعت إليه في استفسار فغمغم : آخذ شوية بوسات كده و
حضن كبيبيير !

طوقته الصغيرة بذراعيها في قوة و غمرت وجهه بقبلات متلاحقه
حتى انقطعت أنفاسه من الضحك و هتف : خلاص يا نور ..
موافق .. موافق!!!!!!

نظرت إليهما يارا بحنان .. رغم كل ما صار .. لا يزال رمزي قادر
على الاستمتاع بما منحه الله له
فمع كل فقد .. نحصل على منحة

و أكثرنا سعادة هو من يستطيع أن ينقب عن المنح بين المحن



ترجلت من السيارة واتجهت صوب الباب إلا أن ملامحه
استوقفتها .

وقف أمام باب المنزل مترددا في الدخول تتقاذفه مشاعر شتى ..
حين و رفض .. كره و اشتياق لأجمل سنوات عمره .
تطلعت إليه في إشفاق .. حاولت أن تبدو مرحة " اييه .. مش
ناوي تدخل و لا رجعت في كلامك "

شردت عيناه : انتي عارفه أنا مجيتش هنا من امتي ؟!
ربت على ذراعه : انت عارف انت وحشت اللي هنا أد إيه !!
خطوة واحدة اتخذها للأمام و عاد يتوقف فهمست في حنان :
مبقاش في اللي يمنعك من الدخول .. اللي زعلت علشانهم و
اللي زعلت منهم خلاص مش موجودين .

أومات برأسه في إيجاب قبل أن يتهد قائلا : معاكي حق !



جالساً على كرسية المعتاد .. في بقعته المفضلة من الشرفة التي
لم تتغير كثيراً رغم مرور أعوام طوال .. واضعاً منظاراً طيباً ..
مخصص للقراءة بالتأكيد ..

و منهمكاً في قراءة كتاب لم يتبين عنوانه .

تغيرت حرارة جسده .. نبضات قلبه لم تعد بنفس الثبات الذي
كانت عليه قبل قليل ..

هتف قلبه رغماً عنه " يا الله كم اشتقت لهذا العجوز !! "

لا يدري بدوره لمَ استشعر أن الأجواء صارت مختلفة ..

الهواء أتى إليه مُحملاً بعبقٍ مختلف !

رفع عينيه لتقابله عيني رمزي .. بملامح اختلفت كثيراً عما كانت
عليه قبل بضع أعوام .

صار أكثر شبهاً بأمه ..

يحمل عينيها اللتان تحملان لون الذهب و بريقه !



و ملامحها الرقيقة مع لمحة رجولية مميزة .

خيم الصمت على المكان ..

انعقدت ألسن الجميع بمن فيهم الصغيرة التي أخذت تتطلع

لأبيها في دهشة

.. و لجدها في رهبة !

وقف حسين واندفع في لهفة لابنه الغائب ؛ لاغياً المسافة بينهما

آخذاً إياه في أحضانه رغماً عنه .

هتف مطوقاً إياه في قوة : وحشتني أوي يا رمزي .. أوي .

بادله رمزي عناقه على استحياء ؛ شعر به حسين على الفور .

تمتم حسين في ندم : أنا عارف إنك لسه واخذ على خاطرك

مني .. بس صدقني أنا هعوضك عن كل ده .. صدقني يا ابني .

غمغم رمزي في ألم : و مين هيعوض أمي .. و مين هيعوضني

عنها .



تهالكت ذراعي حسين في أسي فتابع رمزي : عموماً أنا مش
طالب حاجة .. و لا عايز حاجة من حد .. أنا جاي عشان العزاء
.. كلها كام يوم و راجع .

كان عقله يحضه على الرحيل .. و قلبه يتمنى لو يتمسك به أبيه و
لا يتخلي عنه مثلما فعل من قبل .

كليهما يشتاق للآخر حد الموت ..

و كليهما يحمل كبرياء كريهة ..

أحدهما يرفض فرض نفسه ..

و الآخر يخشى أن يستجدي حب ابنه فلا يناله ..

ربما إن رفضه سيموت ..

حتماً سيفعل !!

تدخلت الصغيرة في تلك اللحظة لتتهف : بابي .. عمو ده شبه
الصورة اللي في أوضتك .



و كأنما رآها للمرة الأولى .. و أتت كلماتها البسيطة بنبرتها
الطفولية لتنعش قلبه بالأمل ..

إذاً لا زال يذكره .. لا يزال يحتفظ بصورته على مقربة منه .

أشار إليها حسين أن تقترب فاخبتأت خلف أبيها فابتسم و هتف
: انتِ بقى نور .

شجعها رمزي : ده جدو يا نور .. تعالي سلمي على جدو .

اقتربت على استحياء فامتدت ذراعاها لتلقفها في لهفة ؛
احتضنها و قبّل وجنتيها و رأسها .

عاد للجلوس على كرسيه ووضعها على قدميه ؛ داعب خصلاتها
الثائرة قبل أن يتمتم : انتِ عارفه إن اسم نور ده غالي عليّ أوي

أومأت الصغيرة برأسها و هتفت في حماس : بابي كمان بيقولي
كده .. علشان على اسم تيته .

تدخلت يارا في مزاح : يا سلام يا سي بابا .. يعني اسم يارا مش
غالي عليك .



ابتسم : غالي طبعاً .

و همس للصغيرة في أذنها : بس نور أغلى .

تظاهرت يارا بأنها لم تسمع فأشارت للصغيرة : إيه رأيك يا نور

نطلع نصحي عمو مراد و نسيب بابي و جدو مع بعض شويه .

هتفت الصغيرة بعدم تصديق : إيه ده .. هو في حد لسه نايم لحد

دلوقتي .

ضحكت يارا و هتفت : هنعمل إيه يا بنتي .. تعالي تعالي .

حسين : هتفضل واقف كده .. تعالي ارتاح يا حبيبي زمانك

تعبان من السفر .

تردد رمزي : أنا .. أنا ..

قاطعته الأب : أنا آسف يا ابني .. هفضل أقولها لك لحد ما

تسامحني .

اغرورقت عينا رمزي بالدموع : و مين قال إني مستني كلمة

آسف .. مين قال إن وجعي من المكان ده ممكن أي كلمة

تداويه .. صعب أوي .. صعب أوي يا ..



يا حسين بيه .

شعر حسين بغصة تنتاب قلبه .. ألم قلبه الذي يلازمه منذ علم
بظلمه لابنه .. و أمه .. و منذ ذلك اليوم و قلبه عليل .

همس في رجاء : رمزي !!

أغمض رمزي عينيه محاولاً إغماض قلبه أيضاً عن مشاعر
تجتاحه ؛ تشعره بالضعف

.. بالحنين .. و رغماً عن كل محاولاته لتبريد مشاعره ..

إلا أنه متعطش لعناق قوي .. لغمرة قويه تعيده طفلاً بين أحضان
أبيه

.. أحضان افتقدتها بشدة ..

رغم كل كبرياؤه ..

كل محاولاته لإقناع نفسه بأنها لم تعد تعنيه !

تساءل في خفوت : ممكن تسمحلي أطلع أرتاح ساعة قل أروح
لياسين و طنط فريدة .



هتف في استنكار : إنت بتستأذن يا ابني .. ده بيتك .. و
أوضتك زي ما هي !

ابتسم رمزي بسخريه : لا يا حسين بيه .. ده بيت فوزية هانم
وولادها .. البيت ده لا بتاعي و لا بتاع أمي .. مش ده اللي هي
قالتهولي زمان .

حاول حسين الاعتراض فتابع رمزي مصيباً أبيه بالسهم الأخير
فأصابه في مقتل هذه المرة : و حضرتك ما اعترضتش ساعتها .

تركه رمزي و قلبيهما يبكيان ..

غادر و معه يقين ..

أن الأمور أصعب بكثير مما كان يعتقد ..

تساءل كيف اكتسب ابنه ..

ابن الغالية ..

تلك القسوة !!

و كانت الإجابة واضحة وضوح الشمس ..



ما يعادل نصف عمره من الحرمان ..
و الإحساس بالظلم !!

ترجل ياسين عن حصانه في رشاقة مذهلة ؛ تجاهلها تماماً و هو
يداعب التوأم على ذراعيها و اللذان لدهشتها الشديدة ضحكا له
في المقابل .

تمت في تعجب : دول ضحكوا لما لاعتهم ؟! .. و دي
حاجة مستحيلة .

هتف في ثقة : طبعا لازم يضحكولي مش ولادي .
نفت : لأ مش ولادك .

هتف في إصرار : ولاد أخويا بقوا مسئوليتي خلاص .. بقوا
ولادي !



أتت تلك الحرباء لتزيد الصورة سوءاً تبتسم في تشف .. تكاد ترى الكره و الحقد و قد أعادا رسم ملامح وجهها .

تناول ياسين الصبي أولاً و ناولها إياه ثم أخذ الفتاة من بين يديها دون أن تتمكن من منعهما .

غمغت ياسمين في حبور : يلا بينا يا حبيبي .

و غادراها هما و التوأم ..

حاولت التحرك و لكن قدميها كانا قد سُمرا في الأرض .

احتبس الصوت في حلقها و هي تحاول الصراخ .. مناداة التوأم .. و لم تتمكن سوى من البكاء بقهر و هي تراهم يبتعدون دون حتى أن ينظرا خلفهما .

أخذت تنشج بصمت و بقهر .

تابعتهم حتى اختفوا عن ناظريها ؛ فتهالكت في ضعف تبكي بعجز فقدان التوأم .

فوجئت بيد تربت على كتفها مواسية فتطلعت خلفها : هشام ..

شفت أخوك يا هشام .. أخذ مني كريم و كارما .. أخذ ولادي .



واساها : متعيطيش يا تمارا .. انتِ مش ضعيفة .. حاربي
 عشانهم .. إوعي الخوف يهزمك .. إنتِ ليكِ فيهم أكثر من أي
 حد .. إنتِ أمهم يا تمارا إوعي تنسي .

تمارا : لكن .. ده أخذهم غصب عني .. معرفتش أدافع عنهم .
 حثها : هتقدري .. و هتدافعي عنهم .. انتِ وعدتيني يا تمارا ..
 نسيتي وعدك ليّ و وعدك للمي .. ولادي محدش يربيهم غيرك
 .. عايز فيهم روحك و روح لمي .. فاهماني يا تمارا .

أومات برأسها بتفهم و مسحت دموعها في تصميم على القتال
 من أجل التوأم .

فتحت تمارا عينيها على صوت طرقات على باب الغرفة ؛ هبت
 في فزع و قد نسيت للحظات أين هي !؟

تطلعت للتوأم في لهفة فوجدت أنهما بدءا التملل في فراشها ؛
 مسحت دموعها التي غمرت وجهها أثناء نومها .. قبل أن تتجه
 صوب الباب لترى الطارق .

و كانت زينب التي أتت لتطمئن على التوأم .



اقتربت من التوأم اللذان بدءا بالاستيقاظ فداعبتهما فتضحكا
في سعادة .

التفت لزینب : ممكن تساعدیني یاخدوا شاور و یاكلوا .

ابتسمت زینب : انتي تؤمري یا هانم .

انتهت من تحميم الأطفال و إطعامهم و بدأت مداعبتهم و قد
استجابا لها و تعالت ضحكاتهم

ربما كانا أكثر حظاً من الجميع .. لأنهما لا يدركان غياب أبويهم
بعد !!

ليتها نالت بعض من حظهم !

طرقات أخرى على الباب قاطعتهم .

" ممكن أشوف الولاد ؟! "

فتحت تمارا الباب على مصراعيه و هتفت : طبعاً .. اتفضلي !

اقتربت فريدة من الأطفال ..



كانت مثلما وصفها هشام بالضبط ؛ تبدو وكأن القسوة حُفرت على قسماتها .. و في نفس الوقت تستشعر منها دفء و شيء من راحة مجهولة المصدر .

داعبت كارما في البداية لأنها كانت تتطلع إليها في فضول فيما انشغل كريم عنها بوضع إحدى المكعبات في فمه .

قبلت رأسها في حنان غمرها أيضا بلا سبب .. حتى حانت من كريم التفاتة إليها فشهقت ووضعت يدها على فمها في دهشة قبل أن تنتزع الصغير من على البساط حيث كان .. نظر إليها في فضول بدوره قبل ان يداعب وجنتها بكفه الصغيرة فجلب الدموع لعينيها .

هرولت به خارج الغرفة و هي تهتف بانفعال : ده ابن هشام أنا متأكدة !!

حملت تمارا كارما و خرجت خلفها : طبعاً ولاده .

تساءلت فريدة : ياسين شافه !؟



لاحظت تمارا تجاهلها التام لكارما .. و تذكرت حديث لى
الخاص بالذكر فانتابها القلق .

أجابت : ما ركزش أوي في ملامحهم يعني .

هتفت فريدة في لهفة : أكيد ما شافوش .. دلوقتي أنا مش

محتاجة DNA عشان أتأكد انهم ولاد ابني .

ثم تابعت : أنا هاخده لياسين بعد إذتك .

لأول مره تشعر بالخوف وتشعر ان اختها كانت محقة في خوفها
من هذه العائلة ..

انهم أغنياء و ذوي سلطة .

يشبهون اقطاعي القرن الماضي

شعرت بالقلق لاهتمام الجدة بكريم دون كارما ..

شعرت بالخوف من ان يأخذوه منها او يأخذوهم منها ..

ولأول مرة تفهم الحكمة من ان يطلب منها هشام ان تكذب

عليهم بشأن هويتها .. واصراره على أن تخبرهم أنها لى



زوجته وليست أختها ...

هشام أراد ان تهتم هي بأولاده .. أراد لأولاده الحب و الحرية

اللذان تربت عليهما هي و اختها ..

أراد ألا يُيتم أولاده بفقد أمهم الثانية

خاف ان يأخذوا منها الأولاد ان أخبرتهم أنها خالتهم ..

لذا أصر عليها ان تخبرهم أنها أمهم .. فلن يستطيعوا

حرمان أم من أطفالها ..

لكنهم بكل بساطه يستطيعون

أخذهم من خالتهم ..

شعرت بالخوف من أن يتم اكتشاف سرها ..

شعرت بالخوف وتذكرت الحلم الذي حلمت به قبل قليل

وتذكرت كيف ببساطه أخذ ياسين منها الأطفال ...

ولكنها تذكرت هشام أيضا وتصميمه على ان تنفذ وعدها



وهتفت من أعماقها
" هشام .. لى ..
أقسم لن أتخاذل أبداً عما وعدتكم به .
سأحافظ على وعدي لكما بحياتي . "
ونظرت للتوأم في تصميم
" أنتم أولادي .. ولن يأخذني منكم إلا الموت "



الفصل السابع

أنا القوي الذي بعثرتني عينيك ..
أوقف نبضاتي نظراتها ..
لتعود وتلملم بقاياي خصلات شعرك ..
ويمتلك أنفاسي عبيرها ..
لم تقصدي أن ترميني بأسهمك ..
ولم أنتوي أن أكون أسيرها ..
فلن أرتضي دور الفريسة ..
ولا لن تكوني ..
صيادها !!



استفزه مزاحها إلا أنه كان يعلم أنها على حق ؛ يارا أخته الصغيرة
 ؛ حبيته المدللة ؛ دائما ما كان يخبرها أن بإمكانها فعل ما تشاء.
 كان معها تصريح خاص بفعل كل ما تريد أن تفعله وقتما تريد..
 ليس منه فقط ولكنه كان تصريح شامل..

الابنة الوحيدة !!

الصغيرة..

المدللة!!

والمسئولة أيضا رغم كل ذلك !

لم تخذل أيهم أبداً ..

ابتسم رغماً عنه ولمح للمرة الأولى تلك الصغيرة التي بالتأكيد

أخافها بصوته العالي لتتشبث بأخته هكذا.

اتسعت ابتسامته وسألها : مين القمر اللي مستخبة وراكِ دي يا

يويو؟!!



تابعت يارا بمرح: قمر إيه بقى وانت قايم من النوم

بعواصف..دي

قربت تمطر.

ركعت على ركبتها أمام نور وهمست : ماتخافيش!

قبلتها على وجنتيها قبل أن تمسك كفها الصغيرة وتتجه للباب

وهي تحرك كتفيها في عناد : انزل اتغدى معانا وأنا أقولك.

هتف خلفها : استني يا بنتي انتِ فهميني .

إلا أنها أغلقت الباب خلفها وضحكت للصغيرة : شفتي وقعناه

إزاي.

ضحكت نور بدورها : كان شكله يضحك جداً وهو على

الأرض..

وعينه مفتوحة وشعره منكوش.

جذبتها نور من يديها : طب يلا بينا نروح نشوف الغداء قبل ما

ييجي يقتلنا .



غابت البسمة عن الصغيرة وتساءلت : بجد يا يويو !

ضحكت يارا وألصقتها بها في حب : بجد إيه يا عبيطة انتِ

ده..

عمو مراد ..أخو بابا..بيحبك جداً يعني.

اعترضت الصغيرة :بس هو ما يعرفنيش عشان يحبني .

ابتسمت يارا :بس يعرف بابا وبيحبه..وهيحب أي حد بابا

بيحبه..

يلا قدامي يا لمضة .

أخذت تمارا الصغيرة وهرولت خلف فريدة التي خرجت التي

خرجت بكريم في سرعة ؛لم تكن تعلم ما الذي تريده بالضبط

ولمَ كريم دون كارما.

بدأت تشعر بتقلص معدتها من التوتر والخوف.



سختت على معدتها العصبية التي تنال كل خوفها وتوترها
فتصاب

بالتقلص والغثيان على الفور .

لم يكن هذا وقته بالتأكيد فوصل ألمها ذروته عندما وصل توترها
لحده الأقصى وهي ترى فريدة تدخل غرفة في الطابق الأرضي
وتغلق الباب خلفها.

وقفت تمارا لا تدري ما الذي يجب عليها فعله !؟

هل تندفع للداخل !؟

هزت رأسها في توتر ؛ ربما كانت غرفة ياسين ؛ ربما ليس
مسموحاً

أو ليس من اللائق أن تفعل !

ماذا عن الصبي !؟

مررت يدها في شعرها بعصبية وبدأت تعض شفتها السفلي في

خوف.



اقتربت منها زينب لتتناول الطفلة التي شعرت أنها على وشك

السقوط من يدها من فرط حركتها العصبية.

كأنما أتت في وقتها المناسب تمامًا ففي تلك اللحظة وصل

شعورها بالغثيان لذروته فوضعت يدها على فمها فيما وضعت

يدها الأخرى على معدتها وهمست: زينب .. فين الحمام.

أشارت زينب للمرأمامها : آخر باب على الشمال.

جرت تمارا باتجاه الحمام في اللحظة التي فُتح فيها باب الغرفة

ليخرج ياسين وفريدة .

لمحها ياسين قبل أن تختفي في الممر ومن شكلها كان واضحاً

أن

في الأمر خطب ما .

تساءل : في إيه يا زينب ؟! .. الهانم مالها ؟!



أجابت في حيرة :معرفش يا بيه ..هي كانت واقفة وشكلها مش
مرتاح ..وأول ما أخذت منها كارما سألت على الحمام

وجريت

زي ما شفتوا .

تطلع كليهما للآخر في عدم فهم ..ثم لم تلبث فريدة أن احتضنت
الصغير أكثر و قبلته في حب ..فيما داعب ياسين الصغيرة قبل
أن يأخذها من بين ذراعي زينب : هاتي كارما يا زينب وخليك
جمب الحمام يمكن الهانم تحتاج حاجة .

أومأت برأسها قبل أن تذهب على الفور لتنفيذ ما أمرها به

جلست ولازال كريم بين ذراعيها تقبله و تحتضنه بين

اللحظة والأخرى.

ابتسم ياسين في حنان وهمس :معاكي حق يا أمي ..كريم شبه

هشام

فعلا .

اعترضت فريدة : لا مش شبهه ..ده هو الخالق الناطق .



ثم أشارت بيدها لإحدى ألبومات الصور التي تم وضعها على
منضدة قريبة "هاتلي الألبوم الذهبي ده يا ياسين .. لأ .. الكبير
مش الصغير.

ناولها إياه ؛ كان الألبوم الخاص بصور هشام خلال سنواته
الأولي ؛ كانت مولعة بيكرها الغالي .. كان شديد الجمال بدوره
حتى أنها

كانت تصوره يومياً تقريباً .

قلبت صفحات الألبوم في لهفة لتقف عند صورة لهشام في نفس
سن

كريم تقريباً .

تنهدت في راحة وأشارت بإصبعها للصورة : شايف يا ياسين .
تطلع ياسين للصورة في ذهول قبل أن يتطلع لكريم : ده بجد!!
اقتربت تمارا في تلك اللحظة لتسمع هتافه المذهول تنحنحت
قبل أن

تسأل : هو إيه اللي بجد !؟



لاحظ ياسين شحوب وجهها على الفور فتساءل :انتِ كويسه !؟!

أومأت بالإيجاب قبل أن تبرر في خجل :الحمد لله ..تقريبا

أخذت برد

في معدتي.

تساءلت فريدة في قلق :أجيبك دكتور يا بنتي !؟!

رفضت في سرعة :لا..لا..مفيش لزوم.

ثم توقفت عند لفظ ابنتي!

هل خرج اللفظ من فمها سهواً أم أنها تعنيه !؟!

ابنتها..

هل معنى ذلك أنها صدقتها.. لن تطردها وتأخذ التوأم .

تمتت في دهشة : بنتك!؟!

ابتسمت فريدة في حنان :طبعاً بنتي ..مش مرات ابني وأم

أحفادي..

تبقي بنتي .



جالت عينيها بينهما في عدم فهم .. تعترف بأنها زوجة ابنها ..

أم أحفادها .

هل كان الأمر بتلك البساطة !؟

ما الذي حدث وجعلها تصدقها !؟

أم أنها لعبة ما لانتزاع التوأم منها !؟

تهاوت تمارا على المقعد المجاور لها وما تزال عينيها تتجولان

بين

وجهيهما .. فريدة وياسين!

تنتظر أن يكشر أحدهما عن أنيابه !

أن يتطلع أحدهما إليها في كره ..

أو رفض ..

أو اتهام!

إلا أن ذلك لم يحدث ففعلت أغرب شيء ممكن أن تفعله على

الإطلاق أخفت وجهها بكفيها وأجهشت بالبكاء !



لم يستطع الاقتراب فيما اقتربت أمه تواسيها .. تربت على ظهرها
في حنان فتعلو وتيرة بكاءها.

وللمرة الثانية في نفس اليوم يتوقف قلبه للحظات قبل أن يخفق
بجنون .. لم يسبق لأحد أن حرك قلبه مثلما تفعل هي ..

احتراف في أمر قلبه الذي لا ينفك عن إذهاله اليوم ..

ذلك القلب الذي اعتقد أنه قد قُدم من حجر لتأتي تلك الفتاة
لتزرع به

نبضاً لا يفهمه .. ولا يدرك معناه.

تمتم بصوت حاول اكسابه صرامة مفتعلة : على فكرة .. شكلك
كده ممكن يخوف الولاد .. انتِ نسييتي انهم بيخافوا من الصوت
العالي.

استجابت لصوته ؛ حاولت السيطرة على شهقات بكاءها وهي
تدرك



أنه على حق.

ربت الأم على ساقها في حنو وقد أساءت فهم سبب بكاءها
:عارفة إن غيابه صعب..صعب علينا كلنا ..بس أنا عايزاك
تعتبري نفسك في بيتك..اعتبرينا عيلتك يا لى ..يمكن..
اختنفت فريدة بالعبرات قبل أن تتابع : يمكن نقدر نعوضك
غيابه .

مدّ كريم يده يريد الذهاب لتماما فتناولته في لهفة ؛ قبلته في
قوة؛

تشتم رائحته العنبرية .

عاد ياسين يتطلع للصورة التي بين يديه وتطابق الحقيقة الماثلة
أمامه في كريم مع فارق ثلاثة وثلاثون عامًا بين الصورتين.
ولأن اقتراب رأسها منه يعني السماح له بممارسة لعبته المفضلة
فامتدت يد الصغير لتجذب شعر تمارا الذي عاد ينفلت من عقاله
ليغمرها في نعومة ليعود قلبه المسكين للتوقف مرة أخرى .



فغر ياسين فاه في ذهول .. وهذه المرة لم يدرك هل كان السبب
هو ذلك المشهد الذي يذهله من شدة جماله .. أم
بسبب تلك الغمازة الوحيدة التي ظهرت على وجنة كريم اليسرى
حينما

ضحك ليصير كريم .. هشام آخر ولكن ..

في زمن مختلف !!

مضى الوقت سريعاً أطعمت التوأم وهددتها حتى ناما ؛ لا تزال
تذكر ما صار الليلة والتي انقلبت من رعب عظيم .. لراحة أعظم.
تصفحت كل صور هشام والتي تشهد بما لا يدع مجالاً للشك أن
كريم ابنه .. دون الحاجة لإقناع ..

ودون الحاجة لإثبات !

اقتنعت فريدة أن التوأم لولدها .

لقد مرت الأمور بسلام وحن الوقت للورقة الأخيرة !

للطلب الأخير من هشام .



أقصوصة..

رسالتين ..

إحداهما لأمه ..

والأخرى لأخيه !

تأكدت أن التوأم في سبات عميق قبل أن تُخرج من حقيبتها
الرسالتين وتذهب بهما إلى فريدة وهشام اللذان كانا لا يزالان
بالصالون .

اقتربت منهما في تردد وقد بدأت معدتها في الاعتراض مجدد .
تطلعت إليها فريدة في ترحيب فيما شعر ياسين أن في الأمر
خطب

ما فزوى ما بين حاجبيه .

ناولت كلاً منهما الكلمات الأخيرة التي خطتها بيدها بكلمات
وحروف ليست لها ..

بل لابن..



لأخ..

يعاني سكرات الموت..

أراد أن تُسمع كلماته الأخيرة من أحبهما ولم يتسنى له الوقت

ليودعهما !

فضت فريدة خطابها بأصابع مرتجفة ؛ تقلص قلبها حالما رأت

الحروف الملتحمة بآثار دموع .

أمي الحبيبة ..

ياااه يا أمي .. متعرفيش إنتِ وحشتيني أد أيه .. كنت جاي

اعتذرلك وأبوس إيدك وراسك .. كنت جاي أقولك سامحيني

أنا غلطت في حقك .. كنت جاي أعيش ولو لحظة واحدة في

حضنك .. ما تستغريش يا أمي كلامي .. عارف إنك بتقولي مش

هشام اللي يندم على حاجة عملها .. ومش هو اللي ممكن يعتذر

لأنه مبيعلمش حاجة غير وهو مقتنع بيها .. وأنا فعلا مش ندمان

على أي حاجة عملتها .. حبي كان قدر .. نصيب إنني أحب



وأتجوز الإنسانية دي بالذات .. نصيب إني أبعد عشان أحس
 بغلاوتك عندي .. صدقيني كنت ناوي أرجع .. وأعيش معاكي أنا
 ومراتي وولادي .. كنت عاوز أعرفهم على جدتهم اللي محدش
 يعرفها غيري أنا .. اللي محدش حبها ولا شاف اللي مخبياه وراء
 القناع اللي عايشه بيه زي ما أنا شفته .. أنا شفت بقلبي اللي
 حاولتي طول عمرك تخبيه حتى عننا .. وانتِ عارفه قلب

هشام كان عامل إزاي .

عشان كده كنت متأكد إنك هتحي لي أكثر مني لما تعرفيها ..
 هتحيها عشان هي بني أدمه تستاهل الحب مش عشان مجبرة
 لأنها مرات إبنك .. يا ريت تسامحيني يا أمي .. سامحيني عشان
 بعدت عنك وأنا عارف إن قلبك بيكره البعد رغم إنه عمره ما
 اعترف بكده .

عايزك كل ما تفتكريني وأوحشك تحضني لمي وكريم وكارما ..
 و اوعي تنسي زي ما أنا حته منك ..
 هما حته مني .



سامحيني يا حبيبي !

انتهت كلمات هشام وانتهى معها تماسك فريدة ؛ جذبت تمارا
لأحضانها فيما أجهشت بالبكاء الذي شاركتها تمارا إياه .
تمت فريدة وسط شهقات بكائها :وحشتني أوي يا هشام
..وحشتني يا قلب أمك ..مسامحاك لأني عمري ما عرفت أزعل
منك.

أومأت تمارا برأسها : اللي بيحب هشام عمره ما يعرف يزعل منه
هشام أصلاً بني آدم ملوش زي .
عادت فريدة تمت من بين دموعها : ربنا يصبرنا على فراقه يا
بنتي ..ربنا يرحمه ويقوينا على بعباده .

لم يكن ياسين يشعر بما يحدث أو يسمع ما يقال أمامه وكأنما
كان في

عالم آخر..عالم لا يوجد فيه سواه



وسطور يُسمعه إياها .. أخاه.

حضرة المظلوم أخي :

أنا عارف إن وقع الكلمة صعب عليك.. وعليّ أنا كمان صدقني
.. ياسين.. أنا عمري في حياتي ما شفت حد ولا عرفت حد في
نبلك وشهامتك .. ولا عمري كان في حد أقرب لي منك.. ورغم
حبي ليك اللي مش هقدر أوصفه في كام كلمة أودعك بيهم قبل
ما أغيب .. إلا إني أكثر واحد ظلمتك في الدنيا .

ظلمتك لما كنت بستخبي ورا شخصيتك القوية .. لما كنت
بضغط عليك وأسبب غيري يضغط عليك وأنا متأكد إنك قدها
وقدود .. أنا اللي ظلمتك لما خليتك الكبير وأنا الصغير رغم إن
ده عكس الواقع .. تفتكر العيب كان فيّ ولا فيك ولا في
الظروف .. قلت أجربك .. استحملت .. تماديت .. استحملت
أكثر .. كنت قوي لدرجة أبهرتني أنا شخصياً .. رغم إني عمري ما
كنت ضعيف إلا إنك عمرك ما حطتني في اختبار قوة .. أو أي



اختبار أصلاً .. عمرك ما رفضتلي طلب .. ولا زعلت لما مقدرتش
أنفذك طلب كنت راجل
أوي اتمنيت أكون زيه ..

لما حبيت لمي ؛ حسيت إن دي قضيتي .. ده اختبار قوتي
الحقيقي .. حبها كان على قد ما كان قوي .. على قد ما كان لازم
أثبت نفسي إنني أستاهل حبها .. وفعلاً .. حاربت الكل
عشانها .. وبعدت عنكم وده

كان أصعب حاجة عملتها في حياتي ..

بس حتى في اختياري ده كنت أناني جداً وأنا بكمل ضغط
عليك .. ظلمتك لما عيشتك دور الكبير وهو مش دورك ..
ظلمتك لما سبتك تشيل كل المسؤولية اللي المفروض كنت أنا
أشيلها .. بما فيها الشغل والعيلة .. مسؤولية أمي .. مرض بابا ..
حتى في تخلي عن ياسمين .. سبتك إنت تشيل مسؤوليتها بدالي
.. وأنا عارف كويس إن رفضي ليها هيكون إجبار مني إنك تكون
مكان في حياتها .. يمكن ما حسيتش بالندم على اختياري للمي
ولا حبها ولا جوازي منها .. بس صدقني .. ندمي إن ده حصل



ضد رغبتكم كان ندم بالعمر كله .. سامحني يا ياسين .. سامحني
يا أبويا .. أيوه دورك كان دور أب كنت سندي في كل حاجة
.. حتى في قرار جوازي اللي إنت كنت رافضه .

مسئولية أخيرة بطلبها منك وعارف إنك قدها .. ويمكن حتى
تكون أحسن مني فيها .. ولادي .. ولادي يا ياسين أمانة في
رقتك .. حبهم و قومهم .. حن عليهم بس إوعى تقسى وقت
اللزوم .. ربيهم كأنهم منك .. حسسهم بالتواجد والحب اللي احنا
مقدرناش نحس بيه .. فاكر لما حلمنا نمشي ونسيب البلد بعد
حادثة بابا .. وقتها رغم إننا كنا لسه أطفال بس كنا حاسين
بالنقص .. وعدنا بعض إننا نربي ولادنا بطريقة مختلفة .. نديهم
الحنية اللي اتحرمنا منها .. نحسسهم بوجودنا جمبهم عشان
نرحمهم من الوحدة اللي عشناها .. يمكن ده اللي لفت انتباهي
في أمهم .. ده اللي خلاني أحبها .. حبها للحياة وتلقائيتها
.. البهجة اللي بتنشرها في المكان اللي هي فيه .. حنانها وحبها
اللي بتوزعهم بدون مقابل .



هسيبهم أمانة عندك وأنا عارف إنك هتنفذ حلمي فيهم .. سيب
لمى تعالج فيهم القصور اللي احنا حسينا بيه في وجودك
جمبهم.

آخر حاجة أحب أقولها لك .. فاكر حلمك يا ياسين .. خليك وراه
.. متخليش أي حد ولا أي مسئولية تخنق حلمك .. متأجلش
حلمك ولا تلغيه عشان خاطر أي حد .. عشان لو مش سعيد
عمرك ما هتقدر
تسعد اللي حواليك.

أشاح بوجهه ليخفي عبرات غافلته وانسابت على وجنتيه وهو
يتمتم بوعده لأخيه أنه سينفذ كل ما يرغبه وأكثر .

قلّب الورقة بين كفيه يعيد المرور على الحروف في عجلة قبل
أن تولد في نفسه بعض التساؤلات .

أدار وجهه في اتجاهها وغمغم في شك: ممكن أعرف مين اللي
كتب الكلام ده و إزاي وصلك!؟



ارتبكت.. تلعثت.. غار قلبها في صدرها : أنا.. أنا اللي كتبه .

هتفت فريدة في ذهول : إمتى.. وإزاي !؟

أخفضت رأسها في ألم : في المستشفى .. طلب مني أكتب اللي
يقوله وأنا نفذته.

جعد ياسين الورقة التي خطت عليها بضعة سطور بأنامل مرتعشة
وحروف لطختها قطرات دموعها ' بعينين ذاهلتين تقاومان تجمع
العبرات بداخلهما .

هتف: كنتِ معاه !؟ .. سبتيه في المستشفى ميت ومشيتي .. إزاي
جالك قلب تسبيه .

انتفضت في عنف مع صرخته بها : إزاي إزاي !!

صرخت بدورها بعد أن انفجرت باكية : هو اللي طلب مني كده
.. هو اللي قالى هاتي ورقة وقلم واكتبي اللي هقولك عليه .. هو
اللي قالى سيبي رقم أخويا في الاستعلامات وامشي .. هو اللي
قالى ولادي محتاجينك إرجعيلهم .. هو اللي أخذ مني وعد إنى



أجيبهم هنا ..إني أربيهم وسطكم ..في المكان ده اللي عمري ما
اتمنيت أكون فيه .

دفعته بيدها وهي تكيل له الاتهامات : تقدر تقول لواحد بيموت
لأ ..تقدر ترفض وصية أخيرة لواحد بياخد نفس ومش عارف
هيقدر يخرج ولا لأ ..تقدر تشوف اللي أنا شوفته ..وتموت ألف
مرة في اللحظة الواحدة وإنت شايف اللي بتحبهم ..عيلتك
وسندك وكل حاجة ليك في الدنيا لأ ..هااه ..لو إنت تقدر أنا
مقدرش .

تهالكت على الكرسي وهي تنتحب في مرارة ؛ تأن تحت ثقل
مسئولية أحنت كتفيها .

لم لا يرحم أيهم ضعفها ..كونها مصابة بدورها ..كونها مضطرة
لتحمل أعباء أكثر مما تستطيع تحمله بكثير .
فقد ..أطفال أصبحت أمهم ..
وجودها في مكان قد يلفظها في أي لحظة ..
وسط أناس لا تعرفهم ..لا تأمنهم ..



فكذبة قد تجعلها تخسر كل شيء!!
أما عنه .. فكان لديه الكثير والكثير..
استنكار.. رفض.. عدم اقتناع.
ودّ لو استطاع هزها حتي تُزهق أنفاسها .. كيف استطاعت وهي
زوجته .. حبيبه .. تركه والرحيل .
لم يمنعه إلا عبرات تؤلمه بأكثر مما تؤلمها !!
تشره بالضعف والعجز!
دموع تساقطت على أتون قلبه المشتعل فأخذت نيرانه على
الفور .
غمغم في اختناق فيما عادت والدته لتواسيها : كفاية.. بطلي
عياط من فضلك.
ارتبك ثم تابع : أنا .. هشام سايبكم أمانة في رقبتني .. مينفعش
أكون سبب في وجع جديد .



حملت فيه في ذهول بعينين محمرتين .. و وجه ملاك.. وجه خالي من أي تبرج و ربما بدل كثرة البكاء ملامحها إلا أنه لا يستطيع إلا تخترق بنظراتها قلبه .

ارتجف قلبها بدورها .. نظرة حانية غمرتها .. لم يسبق لها أن تعلقت بعيني رجل لدرجة التجمد كما حدث معها .. بل إنها لم ترى شبيه لعينه من الأساس .. كانت من الصفاء بحيث رأت انعكاس ياسها وألمها فيهما .. كما أظهرت لها حنان لم تعرفه من قبل .

شعرت بالرهبة .. بالرفض لخفقات أني لها أن تقاومها .
ومن بإمكانه التحكم بنبضات وقعت ضحية لتعويذة سحر !!
هبت واقفة تهرب بعينها من أسر عينيه : أنا .. أنا هطلع أطمئن على الولاد.

غمغمت فريدة : ماشي يا بنتي .. انتِ كمان لازم ترتاحي .. النهاردة

كان يوم طويل ومرهق .



أومات برأسها قبل أن تهتف : تصبحو على خير .

صعدت لغرفتها تشعر بأنها مستنزفة المشاعر ..متعبة لدرجة

الإنهاك .

ربما مرت الأمور بسلام ..حدث ما توقعه هشام ..نفذت ما طلب

منها.

كانت صادقة معهم لأقصى حد .

مشاعرها حقيقية.. ردودها بعيدة تمامًا عن الزيف .

إحساسها بالفقد واضح وضوح الشمس .

حتى أن لحظة انفعالها على ياسين كانت موجعة بحق؛ حتى أنها

كادت أن تكشف أمرها عندما تحدثت عن فقدانها الذي شمل

هشام ولمى بصيغة الجمع ..مر الجزء الأصعب من الأمر بسلام ..

ودون كذبة واحدة ..

سوى أنها ..

تمارا وليست لمي !!



بحث بعينه عنها حال جلوسه على مائدة الإفطار
_ نايمة يا ياسين .. مرضيتش أخلي زينب تصحيهم .. أكيد
تعبانين من
السفر.

أوما برأسه في تفهم قبل أن يتسم : تصدقي إن الولاد
وحشوني!.

تهلل وجهها بدورها : مش قدي يا ياسين .. ده أنا مش قادرة
أستنى ينزلو.. ولو ينفع كنت طلعت صحتهم بس صعبانين عليّ.

تناول إفطاره في عجالة : لا طبعاً .. سيبيهم براحتهم .

وقف فاستنكرت : إنت رايح فين؟! ..!.. اقعد افطري الناس .

_ مش هينفع يا أمي .. عندي شغل كثير جداً النهاردة .. لازم
امشي حالاً



اعترضت فقبل رأسها :خُدي بالك من نفسك ومن لى والولاد
..ولو احتجتوا حاجة كلموني .

استوقفته على الباب :ياسين !!

أجاب : أفندم يا أمي .

لامته بعينها :أبوك تعبان يا ياسين.. عينه بتسألني عليك كل لما
يشوفني .

تنهد : هبقى أطمئن عليه لما أرجع إن شاء الله .

ربت على ذراعه : ربنا يقويك يا حبيبي.

أمضى اليوم في عمله وعقله معهم ؛ لولا انشغاله حقاً لغادر أبكر
من ذلك بكثير .

توقف على الدرجات المؤدية للشرفة الكبيرة التي تحيط بالمنزل
ليراها ..ويعود يشعر بالانجذاب للجو الحميمي الذي تمثله عائلة
أخيه.



فأمامه كانت زوجة أخيه غارقة حتى النخاع في اللعب مع التوأم اللذان طغت ضحكاتهم على ذرات الهواء حولهم فحملت عبثاً
مختلفاً .

عبق لم يعرفه من قبل !

اقترب من أمه التي اتخذت ركناً قصياً تتابعهم في سعادة ؛

قبل رأسه وغمغم: إيه الأخبار!؟

أشارت بيدها باتجاههم :الأخبار قدامك ..بيتنا عمر ما دخلته
البهجة زي النهاردة ..أنا مش مصدقة إن ولاد هشام قدروا يعملوا
كده في

٢٤ ساعة .

ابتسم في حنان : نفس اللي قاله هشام عنها ..بتنشر البهجة في
المكان اللي هي فيه .

اقترب منهم ؛ ألقى عليها التحية ثم داعب التوأم من بعيد أولاً
؛ قبل كريم ثم حمل كارما التي ابتسمت له فقبل وجنتيها .



تساءل : أخباركم إيه ؟!

_ الحمد لله ..الولاد تمام .

تساءل في اهتمام زامن اقتراب والدته التي لم تستطع البقاء بعيدة
طويلاً : أخبار وجع معدتك إيه .

أخفضت رأسها في ارتباك يفرضه وجوده : أحسن الحمد لله .

اعترضت الأم : ما تصدقهاش يا ياسين ..تعبت تاني الصبح بعد
الفتار ..معدتها وجعتها وقامت جري على الحمام زي امبارح .

قرر: بكره إن شاء الله لو ما بقيتش أحسن نروح للدكتورة.

رفضت: لا الموضوع مش مستاهل ..أنا كويسة.

داعبته الصغيرة لتحصل على اهتمامه الكامل فدغدغها حتى
تعالَت ضحكاتها السعيدة فشعر بالذهول للحظة قبل أن يمعن

النظر ما بين

وجهها ووجه تمارا .

عاد يُقبل الضاحكة بين ذراعيه :المتطلبة لكامل اهتمامه



" كارما شبهك بالظبط "

شردت واكتسى وجهها بمسحة حزن عميقة رغم البسمة المتأثرة
التي هوت بقلبه بثر سحيقة

"أختي كانت دائما تقول ..كريم نسخة من هشام وكارما كلها
انت "

أوما برأسه قبل أن يتساءل :معاهها حق ..هي لسه عايشه في
القاهرة؟

ملأت الدموع عينيها في لحظة واحدة : هي مبقتش عايشه
خلاص ..

الله يرحمها .

اكتسى وجهه بالأسف بدوره : أنا آسف .

اغتصبت بسمة بلا معنى :ولا يهملك ..أنا هطلع عشان ده معاد

نوم

الولاد.



أوما برأسه في تفهم .

وجه حديثه لأمه : أنا كمان هطلع آخذ دش و أغير على ما الغداء

يجهز.

ماشي يا حبيبي .

استوقفته فجأة: ياسين ..ابن عمك كلمني عشان يجي يعزينا .

أوما برأسه في تأكيد : أيوه كلمني ..زمانه على وصول ..كلمني

في المزرعة وقلت له على ميعاد رجوعي .

بعد نصف الساعة تقريباً استقبله ياسين بترحاب

صافحه في تأثر قبل أن يعانق كليهما الآخر في قوة

" البقية في حياتك يا ياسين "

"في حياتك الباقية يا رمزي "

أجلسه قبل أن يستعلم كليهما عن أخبار الآخر في اشتياق .

تساءل ياسين : ونور فين دلوقتي يا رمزي .



أجاب رمزي : مع يارا في البيت .. يارا كانت جايه معايا بس أنا طلبت منها تقعد مع نور .

ابتسم ياسين : ربنا يخليها لك يارب .

تساءلت فريدة التي رحبت برمزي وتقبلت عزاؤه بإيماءة حزينة :
يا ترى نور شبه مامتها ولا تشبهك أكثر .

أجاب رمزي في فخر : أحلى .. شبه أمي الله يرحمها .

غمغمت فريدة موجهة حديثها لياسين في تواعد : على كده لازم حد من ولادك لازم يطلع شبيهي يا ياسين .. بما إن ولاد أخوك واحد شكل أبوه والثانية لمامتها لازم إنت اللي تنصفي .

هتف رمزي في دهشة : انتو شفتوا التوأم !؟

انتقلت الدهشة لكليهما قبل أن يتساءل ياسين : إنت تعرف إن هشام عنده توأم .

أجاب رمزي في تأكيد : أيوه طبعا .. مدام لمى كانت بتابع معايا حملها وولدت في المستشفى اللي أنا بشتغل فيها .



تذكر ياسين كونه طبيب نساء وتوليد ويعمل في القاهرة : بالتأكيد
 هشام طلب مساعدة ابن عمه فيما يختص بزواجه ؛ إلا أن ذلك
 لم يخفف من وطأة ضيق اعتراه .. لا يدري سببه .

هتفت فريدة في حماس : لمى والولاد هنا من امبارح .

طيب ممكن أعزيها يا طنط.

رأتها فريدة فأشارت إليها : أهى جات أهى !!

تسمرت تمارا في مكانها فيما اتسعت عيني رمزي في ذهول.

عرفته تمارا على الفور.. إنه ذلك الطبيب .. ابن عم هشام .

تعرف عليها بدوره لم تكن لمى التي يعرفها ..

كانت أختها ..

تمارا !!

ارتجفت تمارا قبل أن تترنح وتسقط أمامهم فاقدة للوعي !!



الفصل الثامن

عندما تتآزر كل جوارحك مع قلبك

ضدك ..

و يصير الجرح هين ممن يسكن قلبك

تهواه رغماً عن جرح الرفض الغائر في

أعماقك ..

يصبح الحب حينها جريمة مكتملة الأركان



ألقت يارا هاتفها على فراشها في حنق ؛ ربما هاتفته مائة مرة ؛ و
أرسلت إليه عشرات الرسائل دون جدوى .

" زيد " يختبر قوة تحملها .. أو ربما يعاقبها على ذنب اقترفاه
كليهما ؛ فبعد تلك الليلة التي أخبرته فيها أنها تحمل جنينه ؛
تركها مباشرة في اليوم التالي مع رسالة بعذر واهٍ تبعثها مكالمة
بكلمات مقتضبة عن حدوث مشكلة عائلية تتوجب حضوره .

سافر من فوره للإسكندرية ؛ منذ ذلك الحين تبدو حروفه حزينة ؛
تتعرف صوته بالكاد من تعب يبدو جلياً عليه ؛ و لكن ماذا عنها
!؟

تركها بلا تفسير .. ترك لها مسئولية ينوء بها كاهلها .

بعض المسئوليات ضرورة واجبة ..

تحملها فرض ..



التملص منها جريمة تستوجب العقاب .

و بعضها الآخر يتلف للمشاركة ..

فعالة كانت أو لا ..

لا يهم ..

يكفي أن تكون على يقين بأنك ستعاني

بلا شك ..

و لكن هناك من سيقسم معك تلك المعاناة ..

فألم يصحبه ربتة على كتفك ..

تكفي لتخفف عنك أحمالٍ لا قبل لك بها

فأولاً و أخيراً ستعلنها ..

أنت بخير ما دمت ..

لست وحدك !!



ربما يكون مضطراً حقاً للابتعاد ؛ ستحاول التماس الأعداء ما
دامت لا تعلم ما الذي يعيقه عن القدوم ؛ خاصةً أنه على يقين
أنها لم تكن في يوم بحاجة إليه مثلما هي الآن !
ستذكر نفسها بما تشاركاه معاً .. بمشاعر صادقة حملها كليهما
للآخر .. لوعدها أن يظل معاً مهما كان و سيكون .

" ساذجة "

هاتف خرج منه ساخراً و هو يُحدث أحد أصدقاءه على الهاتف
أعقبه ضحكة منتصرة .

_ يا وليد يا حبيبي .. أنا عايز أتجوز آه بس مستحيل تكون دي
اللي أخليها تشيل اسمي .

أتاه صوت وليد على الطرف الآخر : بس دي بتقول للشلة كلها
إنك وعدتها بالجواز .



هتف بنفاد صبر يشوبه بعض الغضب : تبقى مجنونة لو فكرت
 في كده بعد ما سلمتلي نفسها .. أنا هتجوز واحدة محترمة ..
 أكون أول راجل في حياتها .. قطة مغمضة زي ما بيقولوا .. مش
 واحدة حبت توقعني و لما أوهمتها إني عاشق متيم .. و إنها
 خلاص اصطادت العريس المنتظر اللي عملته كل حاجة .. و
 اتنازلته عن كل حاجة .. أتجوزها .. مجنونة دي و لا إيه .. مش
 أنا .. مش مراد الجبالي اللي يضحك عليه .. ده أنا أوقع بلد من
 صنفها .

بعض الثقة قد تتحول لغرور ..

تنقلب لنقمة تطمر صاحبها تحت أنقاضها ..

و ما بين الثقة و الغرور فاصل بسمك الشعرة ..

بينهما بعضٌ من تشابه و الكثير من الاختلاف !

فعندما كانت الثقة خصلة محببة للنفس كان الغرور بداية السقوط

!



سقطت تمارا أمام أعينهم الذاهلة و القلقة ؛ تبعتها شهقة فزعة من فريدة .

كان ياسين أول من وصل إليها ؛ أمسك معصمها يتحسس نبضاً كان بالغ الضعف و الرقة مثلها تماماً .

أبعده رمزي قليلاً فتطلع إليه ياسين بعنف إلا أن الأول غمغم :
ابعد يا ياسين عشان أكشف عليها .

خطوة واحدة ابتعدها و هو يتابع فحص رمزي لها في نفور قبل أن يُعلن رمزي

" نبضها ضعيف و أنا مفيش معايا عدة الكشف . "

هتفت فريدة : في هنا ترمومتر .. و جهاز ضغط و سماعة
بتستعملهم ممرضة عمك حسن .

هتف رمزي بلهفة : طب هاتيهم بسرعة يا طنط بعد إذنك على ما
أطلعها أوضتها .



زفرة غاضبة .. تبعثها نظرة قاتلة قبل أن يعلن ساخطاً : تطلع مين
!؟

قرن قوله بالفعل أو لنقل استبقه إذ امتدت ذراعيه لتحيط أسفل
جسدها فتصبح في لحظة واحدة محمولة بين ذراعيه .

يرتكز رأسها على صدره ؛ موضع القلب في حين تهدلت
ذراعيها في استسلام

لحالة اللاوعي التي ألت بها .

توجه بها من فوره لغرفتها ؛ دخلت هي في اللحظة المناسبة تماما
لتنال نصيبها من الدهول .. من الغيرة .. ليشتعل قلبها حقداً .

رأته يحملها بين ذراعيه و يتجه بها لغرفتها .. لم تكن تلك هي
المشكلة بقدر القلق و الלהفة على وجهيهما . هو و رمزي .

تطلعت لفريدة في تساؤل حائق : هو في إيه !؟

أخبرتها فريدة عما صار فزوت ما بين حاجبيها في توتر و تمت
: معقول !؟

تطلعت إليها فريدة في تساؤل بدورها : هو إيه اللي معقول ؟ !



هزت رأسها في رفض لواقع يرسخ وجودها في العائلة أكثر و
أكثر

" معقول تكون حامل "

لم تكن عيني فريدة وحدها من اتسعتا بذهول ..

ثلاثة أزواج من الأعين تطلعن إليها و صاحب إحداها خفقات
مستنكرة .. أذهلته هو شخصيا .

تطلع إليهم رمزي في استنكار .. يرفض تكهانات قد لا تمت
للواقع بصلة .. يستاء من الوضع ككل .. هي ليست لى !!

لم تدعي العكس !؟

لم تكذب بشأن كونها شخصاً ليست عليه !؟

و كيف باعتقادها ستستمر في تلك الكذبة التي مهما كانت
بارعة في حبكها ستنجلي يوماً ما !؟

أعاده شحوب تلك الراقدة أمامه للوضع الراهن فهتف في صرامة
: الأدوات يا ياسين .



امتقع وجه ياسين لإدراكه أن ذلك يعني الولوج إلى تلك الغرفة التي يتجنبها تجنب الموت .. مما يعني أنه سيراه .. و يمنحه سعادة أو رضا برؤيته على الأقل و لكم يكره أن يكون سبباً في تنهيدة رضا واحدة قد يُطلقها أبيه .

طالما ابتعد رغم أنهما يعيشان تحت سقف واحد ؛ دائماً ما يحث أمه لتجعله يراه ؛ فيستجيب مرة و يتجاهل مرات .

اختار البعد !

الحنين إليه إحساس وجب عليه أن يحاربه ؛ الحب يحاول أن يئده في قلبه

و رغم كل المشاعر الفطرية التي تدعوه للاقتراب إلا أن الابتعاد كان قرار

لم يندم عليه أبداً .

و ينوي تنفيذه للنهاية !!



أغمض عينيه يبعد كل تلك الأفكار عن رأسه و توجه لغرفة أبيه ؛
يدعو الله أن يكون نائماً حتى لا يشعر به فلا يمنحه تلك النظرة
المتلهفة له أو المتسائلة عن غيابه أو حتى اللائمة عن تجاهل
يُدرِك كليهما أن معه كل الحق فيه .

طرق الباب ثلاثاً قبل أن يأتيه صوت الممرضة تدعوه للدخول ؛
لم يستطع منع عينيه من الانجذاب للشبح الهزيل الراقد على
الفراش في وضع مثير للشفقة .

من كان يظن أن رأس العائلة ..

أسد عائلة الجبالي ..

من كان الكل يهابه ..

من لم يملك لمُقصر شفقة أو رحمة ..

يرقد بلا حول و لا قوة ..

لأعوام طوال ..

يتسول اهتمام عائلته ..



لم يكن يهتم به على الدوام سوى هشام ..

فالأم تحمل مسئوليات ضخمة كراس لعائلة أقعد عائلها فيما

أولاده لم يبلغ أحدهما الحلم بعد ..

و ياسين ..

هز رأسه في رفض لذكريات يحاربها لأعوام ..

يحاول تناسيها كي تنساه ..

ولكن هيهات ..

بعض الذكريات تبقى محفورة في الذاكرة إلي الأبد !

ربما كان يتجنبه لتجنبه بدورها ..

وها هي تعود لتصفعه بلا رحمة ..

تعلن في عناد أنها باقية !!

تطلع إليه في نفور ..

اشمئزاز من مشاهد تُلهب عقله ؛ تنهش جوارحه كحيوان ضاري

.



تطلع إليه بدوره في رجاء !

غمغم بحروف غير واضحة شوهها لسان ثقيل ؛ متلعثم : ابني .

اقترب منه ياسين و الازدراء يعلو ملامحه و همس بأذنه : بس ما

تقولش إبني .

التفت للمرضة يطلب منها الأدوات الطبية اللازمة التي يريدتها
رمزي ؛ تناولها و اتجه نحو باب الغرفة تتبعه عيني والده القلقتين
.. المتسائلتين عنن قد يحتاج تلك الأدوات .

مد ذراعه محاولاً أن يناديه .. أن يرجوه أن يرحم قلقه و عجزه ..

لكن ياسين كان قد غادر في سرعة و كأنما يحتاج لأنفاس
احتبست في صدره طوال وجوده في الغرفة فأوشكت أن تخنقه
بلا رحمة .

تنفس الصعداء حالما أغلق باب الغرفة ؛ توجه لغرفة تمارا و
أعطى الأدوات اللازمة لرمزي الذي ما إن بدأ بالكشف عليها
حتى قال " ممكن تخرجوا عشان أعرف أكشف عليها . "



ضم ياسين قبضته قبل أن يجذب ياسمين معه للخارج ؛ همت
والدته بالخروج معهما فنهرها : خليكِ معاها !

فحصها رمزي بالأدوات المتاحة ؛ قاس حرارتها و نبضها .. ثم
عاین ضغط دمها .

ضغط على عظمتي أنفها ؛ ذلك معصمها بعطر و مرره تحت
انفها .

بدأت تستجيب أخيرا !

تململت في فراشها ؛ تبدو كمن يعاني كابوس ؛ بدأت تنشج
بلوعة و هي تهمس " لأ .. هشام استنى . "

احتار رمزي كيف يناديها .. يرغب بمواساتها .. بالطلب منها أن
تفتح عينيها و بأن الأمور ستكون على ما يرام .. إلا أن لسانه
عجز عن التفوه بحرف .. يعلم ان الأمر جلل .. لن يستطيع أن
يفتح فمه بحرف حتى يسمع منها .

يريد أن يعلم ما سر تلك الكذبة !؟



غمغم في رجاء : طنط من فضلك ممكن تطلبي ليمون .. شكلها
في حالة صدمة .. اطلبي ليمون لحد ما أبعث أجيب ليها أقراص
مهدئة .

تساءلت فريدة في لهفة : هي .. تفكر حامل يا رمزي !؟

ابتسم رمزي : و أنا هعرف مين بس يا طنط .

تطلعت إليه في استنكار : إنت مش دكتور نسا يا ابني .

تابع و قد اتسعت ابتسامته لتغمر وجهه : أيوه يا طنط .. دكتور
مش ساحر .. الأفلام العربي بوظت مفاهيمكم خالص .. عشان
أعرف لازم أتكلم معاها .. و عشان أتأكد لازم تحليل دم و أشعة
تلفزيونية .. و كل ده مش موجود .. مبروك المدام حامل ده
شغل أفلام مش واقع .

ابتسمت بدورها : طيب يا حبيبي أنا هروح أجيب الليمون .

تابعها بعينه حتى غابت قبل أن يهزها في لهفة ؛ يعلم أنها بدأت
في استعادة وعيها .

همس : تمارا .. تمارا اصحي .



رفرت بجفنيها في بطاء لتفتح عينيها و تقابلها نظراته المتسائلة .

تلفت حولها في ذعر و هتفت : هو إيه اللي حصل !؟

عاد يهمس : قوليلي انتِ إيه اللي بيحصل بسرعة قبل ما حد

يرجع .

ازدرت لعابها في توتر ووعده

" هحكلك كل حاجة في الوقت المناسب .. المهم دلوقتي أنا

لمى .. اتفقنا . "

اعترض : لكن ..

توسلته : أرجوك .

فجأة برق شيء ما في عقله .. المكالمة الأخيرة بينه و بين هشام

.

كانت الساعة قد تجاوزت الثانية عشر عندما رن هاتفه فانتفض

من نومه في فزع .



كان يعمل تلك الليلة في المشفى ؛ يداوم ليلاً و نظراً لكونه
مازال في فترة النقاهة بعد نزلة برد شديدة ؛ كان جسده لا يزال
يحتاج للراحة و لكن المناوبة الليلة من نصيبه .

فكان ان ارتكن برأسه على سطح المكتب فغلبه التعب و استسلم
للنوم بلا إرادة منه .

كان المتصل هشام فأجابه ساخطاً : إيه يا عم هشام .. في حد
يفزع حد في الوقت ده .

سمع هشام النعاس في صوته فضحك : إنت نمت يا رمزي ..
دكاترة آخر زمن .. هو في دكتور محترم ينام في النبطشية بتاعته
.. لا و دكتور نسا كمان .. يعني الست اللي هتجيلك عشان تولد
هيقولولها خليكى للصبح أصل الدكتور نايم .

قهقه هشام في مرح ثم تابع : إنت ماكانش ليك الطب يا فخر
عيلة الجبالي .

علت ابتسامة ساخرة شفتي رمزي : خلصت وصلتك يا هشام باشا
.. سيبنى بقى أكمل نوم .. مع السلامة .



اعترض هشام في لهفة : استنى .. استنى .. ما تقفلش .

غمغم رمزي في تشف : أنا قفلت خلاص .. تصبح على خير .

هتف هشام : لا اوعى تقفل .. و رحمة مامتك تستنى .

توقف رمزي و غمغم بابتسامه استشعرها هشام في صوته : أفندم

.

ابتسم هشام بدوره : أنا مسافر بكره الصبح مع لمى البلد .. أمي

خلاص بعنت عايزه تشوفني أنا و لمى .

لم يستطع رمزي أن يُخفي السعادة التي شعر بها لفرحة هشام بالأمر ؛ كانت تلك القطيعة مؤلمة جداً له .. يعلم ارتباطه بعائلته جيداً و لكم كان الأمر شاقاً عليه أن يمضي تلك الفترة بعيداً عن عائلته .

" بجد يا هشام .. أنا مبسوط أوي علشانك .. إنت و لمى

تستاهلوا كل خير "

اعترض هشام : ما تتلم يا ابن عمي .. لمى دي خط أحمر

متجيش سيرتها .. إحنا بنغير على حريمنا يا ابني .



غمغم رمزي مازحاً : ده على أساس إني مش الدكتور بتاعها .
 اعترض هشام : انت صدقت نفسك يا ابني ولا إيه؟! .. دي
 هي مرة يتيمة اللي كشفت عليها عشان الدكتورة منال مراتك
 كانت مش موجوده .

تابع رمزي مشعلاً غيرته في مزاح : والولادة .. انكر بقى إني
 كنت موجود .

هتف هشام في سخط : هو عشان كنت موجود في الطريقة
 الداخلية بتاع العمليات بناء على رجاء مني عشان أطمئن عليها
 تبقى كنت معاها ..

بقولك إيه يا رمزي .. اتلم و ربي عيالك .. إحنا دمنا حامي يا
 ابني .

ابتسم رمزي : ربنا يخليكم لبعض يا هشام .. انت تستاهل كل
 خير .

أمن هشام على دعائه تلك المرة ثم تابع : بطل رغي بقى و
 سيبنى أقولك أنا متصل بيك ليه .



_ صدعني يا سيدي .

هشام في رجاء : أنا مسافر بكره أنا و لمى زي ما قلتك .. مش عارف هنقعد أد إيه بس أكيد مش هنتأخر إن شاء الله عشان هنسيب التوأم مع تمارا .. المطلوب من حضرتك تاخذ بالك منهم .. ابقى اطمئن عليها و لو طلبت منك حاجة نفذها يا رمزي أرجوك .

_ تمام يا هشام باشا .. طلباتك و طلبات الأنسة تمارا أوامر .

تنهد هشام في ارتياح : أشوف وشك بخير .

_ تروحوا و تيجوا بالسلامة .

عاد للراقدة أمامه .. ترجوه أن يلتزم الصمت ؛ لا يدري لم تذكر توصية هشام بالتوأم و بها .

و كأنما كان يوصيه عليهم حقاً !

شهق في ألم للحقيقة الماثلة أمامه في وجودها و غياب أم التوأم

" لمى كانت معاه !؟ "



أومات برأسها في ألم و دموعها تنساب بلا توقف .

أغمض عينيه في قهر " البقية في حياتك . "

استوقف ياسين والدته قبل أن تتوجه للمطبخ : انتِ إيه اللي

نزلك !؟

_ رمزي طلب مني ليمون عشان لمى لحد ما نبعت نجيب الدواء

.

علا صوته في انفعال : معقول يا أمي .. انتِ إزاي تسيبها

لوحدها معاه .

اعترضت ياسمين بغضب هي الأخرى و قد ارتكنت بيدها على

خصرها : و انتِ إيه اللي منرفك يا سي ياسين .. و بعدين ده

رمزي مش حد غريب و فوق كده دكتور و بيكشف عليها .. انت

بقي منفعل ليه !؟



هرب بعينه من حصار عينيها : أنا من فعل عشان ميصحش .. لا رمزي و لا غيره يقعدوا معاها لوحدهم .. ده مبدأ .

تناقض !!

ما شعرت به نحوه كان تناقض بين ..

ففي حين أنه يعلن أن المبدأ ألا تبقى معه بمفردها ..

كان يتركها هي ..

زوجته وحدها مع مراد !!

و شان ما بين رمزي و مراد !

لا بد أن بها سحر ما ..

تلقي عليهم بتعويذة تجعلهم أسيري هواها .

و بالطبع ..

هي لن تسكت ..

ستفعل الكثير !!



أشار لأمه أن تصعد إليهما و هو من سيطلب من زينب أن تعد لها
العصير .

تأملته في برود و غمغمت : مكنتش أعرف إنك غيور أوي كده
يا ياسين .

تطلع إليها في استنكار : غيور إيه بس .. دي مرات أخويا يا
ياسمين .. مرات هشام الله يرحمه و اللي موصيني عليها هي
وولاده .

تطلعت إليه في غضب : مرات مين ولاد مين؟! .. انتو صدقتوا
.. دي أكيد كدابه .. ووصاك امتي بقى إن شاء الله .

أشار بأصبعه أمام وجهها في تهديد : قلتك ميت مرة مباحش
الأسلوب ده في الكلام معايا يا ياسمين .. و موضوع الوصية ده
هنبقى نتكلم فيه بعدين .. لما نطمئن عليها .

عاد وجهها يحمر انفعالاً : و انت ماااالك .. ما تولع إحنا مالنا .



أمسك ذراعها في قسوة : و بعدين معاك .. لو مش هتقدر
تسيطر على إنفعالاتك فالأحسن متجيش هنا و لا تحتكي بيها
.. أنا هبقى أجيلك .

رغم الحنق و الغضب اللذان سيطرا عليها بل تملكها ..
و الأحق استبدلا بها كل مشاعرها ..
فيومان أمضتهما في هذا المنزل جعلاه على وشك طردها ..
هي صاحبة هذا المنزل باعتبار كونها زوجته .
لم يكن أمامها من حل إلا الرضوخ ..
مؤقتاً على الأقل ..

ستحاول السيطرة على مشاعرها في وجوده ..
فهي لا تريد خسارته أيضاً مثلما خسرت أخيه ..
و الأدهى أن الخسارة ستكون لصالح نفس المرأة .
الأمر يتطلب الكثير من ذكاءها و كامل ثباتها الانفعالي حتى
تستطيع أن تتخلص منها تماماً .



و ستفعل .. لن تسمح لها أن تكون المنتصرة للمرة الثانية

لن تسمح بهذا أبداً !!

ترك ذراعها و اتجه لرمزي الذي نزل من عندها للتو .

تساءل في قلق : خير يا رمزي !؟

ابتسم و ربت على ذراعه يطمئنه : اطمئن .. مفيش حاجة ..
شوية إرهاق و ضغط نفسي .. ده غير الحزن على هشام .. كان
لازم تقف .. الحمد لله إنه مقلبش معاها بانها عصبية .

عاد ياسين يتساءل : طب و الحل !؟

_ تاكل كويس و ترتاح .. و تبعد عن الانفعالات .

فتح ياسين كفه : طب فين الروشته !؟

هز رمزي رأسه في رفض : هي مش محتاجة غير شوية مقويات و
راحة و بس .. أنا هبقى أجيهم من الوحدة الصحية و آجي بكره
عشان أطمئن عليها و أشوف التوأم .



تدخلت ياسمين للمرة الأولى : حمد الله على سلامتك يا رمزي ..
مش هتجيب مراتك و بنوتك و تيجوا زيارة عشان نتعرف
عليهم .

أجاب باسماء : إن شاء الله .. منال في مؤتمر بره مصر .. لكن
نور معايا .. هنبقى نزوركم أكيد قبل ما نسافر .

شبت ياسمين على أطراف قدميها ؛ منحت رمزي قبلة على خده
قبل أن تهمس : دي بقى مني لنور لحد ما أشوفها .

ارتبك رمزي فيما يشاهد استهتار ياسمين و غضب ياسين الذي
أوشك على الانفجار .. نظرة واحدة إليه كانت تعني لمن يراه أنه
يبذل قصارى جهده لضبط نفسه .. كان على صفيح ساخن .

غمغم رمزي محرجاً : أستأذن أنا بقى .

حالما أغلق الباب خلف رمزي .. أطلق ياسين زمجرة غاضبة قبل
أن يهوي بقبضته على آنية من خزف كانت بجانبه فتسقط أرضاً
و قد تهشمت لألف قطعة .



" أقسم بالله .. لو اللي حصل ده اتكرر تاني مش هتفضلي على

ذمتي دقيقة واحدة .. فإاااهمه "

تركها في البهو و غادر المنزل برمته !

لم تتوقع أن يكون رده عنيف لتلك الدرجة ..

لقد فشلت الخطة الأولى ..

أرادت أن تثير غيرته فأثارت غضبه للحد الأقصى !

أرادت أن تقربه منها .. تشغل عقله و قلبه ..

تدق جذورها في قلبه ..

في حين كان ما حدث ..

أول مسمار في نعش زواجها !!



بنظرة واحدة لسائس الاسطبل ؛ أعد جواد سيده الذي امتطاه في
رشاقة ؛

ربت على رقبة الجواد الذي كان له منذ أعوام ؛ حتى صار
يألفان بعضهما البعض .. يشعر به بلا كلمات و كأنه صديق
يشكو إليه ما يؤرقه فيفهمه دون كلام !

و كأنما شعر الجواد بنفس سيده الثائرة ؛ الغاضبة و المتخبطة
أيضاً ..

فانطلق يعدو في سرعة و حزم .. يكاد دبيبه يُسمع الأصم و رغم
ذلك لا يترك أثراً يُذكر على الأرض التي ينهبها نهباً .

حتى وصلا بقعته المفضلة .. تلك الأرض الخضراء الشاسعة ..
التي يحيطها سياج من حاجز حجري طبيعي .. هو في الأساس
سفح الجبل الذي يعتبر أحد أسباب قسوة أبناء البلدة .. و قوتهم
أيضاً !

ترّجل عن جواده و جلس على إحدى تلك الأحجار .. و شرد
في الأفق المترامي أمامه في بهاء .



كان ذلك المكان يريحه على الدوام ..
و لكن هذه المرة كان الوضع مختلف ..
الأوجاع كثيرة ..
و الضغوط عليه أكثر ..
ماذا عن سند فقدته في لحظة؟!
ماذا عن زوجة تتفنن في تنفيره منها ..
و ليزيد الأمر سوءاً ..
هو مجبر عليها ..
تلك المسئولية أيضاً تخصه
و لا سبيل للخلاص منها !!
و لأسباب عدة ..
يخصه البعض منها .. و يخصها الكثير منها !!
من قد يلومها و قد عاشت ما عاشته ..



كان في الثامنة من عُمره و هي في الخامسة ؛ كانا يلهوان كأبي
طفلين في منزلها .

كانت دائمة الالتصاق بأخيه الذي يكبره بعامين أيضاً و لكن
تلك المرة كان دوره في لعبة الاختباء .

وقف هشام و قد أغلق عينيه بكلتا يديه معطياً إياهم ظهره فانطلق
الجميع كلٌ إلى مكان يُصعب على هشام مهمة إيجاده .

اختبأ مراد و بصحبته يارا في مكان قصي من حديقة المنزل و
انطلق ياسين للداخل .

نظر للبهو الكبير في تردد يبحث عن المكان الأفضل للاختباء ؛
صعد السلم الداخلي للمنزل ليكتشف أنها تتبعه .

نظر إليها في غضب : انتِ إيه اللي جابك ورايا .. انتِ كده
هتكشفيني .

تطلعت إليه في رجاء : بليز يا ياسين .. هخاف أستخبي لوحدي
.. كنت بستخبي مع هشام بس هو اللي بيدور علينا مينفعش .



تنهد في استسلام : طب تعالي بسرعة قبل ما يلاقينا .

أشارت لحجرة في آخر الممر وأخبرته أنها غرفة لا يستعملها

أحد ولن يستطيع هشام أن يجدهم إن اختبئ بها .

أمسك كفها وهرول باتجاه الغرفة تتبعه هي ؛ فتحا الباب وولجا

للغرفة المظلمة إلا من بعض الضوء الشاحب المتسلل على

استحياء من خلف ستائر الغرفة الداكنة .

أصوات لم يتبيننا من صاحبها أو ..

يفهما معناها ..

همهمات مبهمة جعلتهما يلتصقان بباب الغرفة الذي أغلقاه
خلفهم بصمت حتى لا يسمعهما هشام الذي كان قد بدأ يصعد

الدرج .

شحب وجه ياسمين و همست : إيه الأصوات دي يا ياسين ..

عفاريت !!

أسكتها همساً بدوره : عفاريت إيه يا جبانة مفيش حاجة اسمها

كده .



هزت رأسها في خوف : أنا مرعوبة .

جذب يدها و همس : تعالي أثبتك .

امتدت يده لتشعل زر الإنارة ..

فأضيئت الغرفة ..

و انطفأ قلبيهما ..

للأبد !!

فأمام أعينهم العذراء ..

البريئة ..

كان يحدث أكثر الأفعال النجسة على الإطلاق !!

تهدم تمثال الأب في نظره فيما مُحيّ نقاء الأم في نظرها .

أمها و أبيه ..

و الخيانة العارية !

ربما لم يعلما حقاً أبعاد ما كان يصير نظراً لصغر سنهما ..



و لكن كليهما كانا يُدرك بفطرته أن ما يصير

ما كان يجب أن يحدث ..

بل إن حدوثة يدنو لمرحلة المستحيل !

و كما دخلا في صمت .. خرجا في صمت ..

و شتان ما بين هذا الصمت و ذاك !

انتهي الطبيب من الفحص الذي ربما كرهه لأكثر من مرة و هو

يشعر بالشفقة على أم الطفل الذي يرقد ساكناً بين يديه ..

و من يستطيع أن يخبر أم أنها في سبيلها لتخسر ابنها ..

لا شيء أكثر قسوة في العالم من فقد ..

ما بالك لو كان فقد طفل ..

يكاد يبلغ السادسة من عمره ..



تطلع من خلف الجدار الزجاجي على لوعة أب ..
وانهيار أم !!

عدّل من منظاره الطبي فوق أنفه قبل أن يتهدد في استسلام لقدر
أوجب عليه أن يكون رسولاً للأخبار الجيدة أحياناً ..
وللأخبار السيئة كثيراً .

اندفع كليهما إليه في لهفه و عينيها يسألان أسئلة تخشى
ألستهما البوح بها .

فوجب عليه أن يجيب : أنا آسف .. عضلة القلب شغاله بنسبة
ضئيلة جداً .

ثم تابع في أسى : عُمر محتاج قلب جديد و بأسرع وقت ممكن

تهالكت قدميها في عجز ؛ في صدمة ربما لن تستطيع تحملها ..
أحاطتها ذراعيه في قوة لتحميها من السقوط ..



إلا أن عينيها كانتا زائغتين .. تحملان لوعة أم في طريقها لفقد
طفلها الوحيد .

صرخت في انهيار: ابني يا زيد .. ابني بيروح مني !!

الفصل التاسع

كل شيء يختلف عندما يحدث للمرة الأولى

عن أول نظرة ..

أول عينين تجذبك لمدارها فتغدو

مجرد تابع يدور في فلكها ..

أول تمرد لضربات قلب اعتدت انتظامها



فتعلن العصيان عليك ..
على أوامر العقل ..
فتنفلت و تسير تنبض وفق أهوائها ..
عن مشاعر أولى ..
عن جهل أول ..
عن سيطرة أولى ..
تظل تنكرها حتى ..
تصير أسيرها !!

التقى مراد و رمزي للمرة الأولى على مائدة العشاء عشية اليوم
الثاني لوصول رمزي .

لا يدرك أحدهما أنهما كانا يتجنبان كليهما الآخر ؛ رمزي الأخ
الأكبر الغير شقيق .. و مراد الابن الأكبر للزوجة الثانية .
من استطاعت بدهاء و حنكة أن تنتزع زوجاً من زوجته .



تطلع مراد في نفور لشقيقه و غمغم : حمد الله على السلامة يا رمزي .

مجرد بضع كلمات فارغة .. لا عناق .. لا حميمة .. ولا حتى تمنى صادق بسلامة الوصول .

حاول الأب التلطيف من الأجواء التي شعر بأنها مشحونة متخذاً في ذلك دور يارا التي تبدو شاردة و حزينة على غير العادة مؤخراً.

_ أنا طلبت من أم سالم تعملك كل الأكل اللي انت بتحبه .

قبل أن يفتح رمزي فاه كان مراد يهتف بسخط : إيه ده .. مفيش ولا حاجه من دول بحبها .

انتبهت يارا لملامح رمزي التي تغيرت حالما سمع جملة أخيه الأخيرة فاعترضت و هي تشير للأصناف المتعددة أمامهم : ليه يا مراد .. ورق العنب اللي انت بتحبه .. و البشاميل كمان .. و شوربة المشروم اللي بتحبها كمان موجودة .



أعلن في سخط : و هو في حد بياكل الأكل ده بالليل .. ده غير
إني عامل دايت .

عادت تقنعه و كأنها تحادث طفلاً أفسده الدلال : يا حبيبي احنا
لسه الساعة ٦ و إنت مش بتنام قبل الفجر يعني هتكون هضمت
و جعت تاني كمان .. و لو مش عايز خالص تقدر تاكل من
السوتيه بتاعي .

انتفض واقفاً معلناً : لا و على إيه .. المهم يبقى الدكتور مبسوط
.. أنا أصلاً نفسي اتسدت .

ربتت يارا على كف أخيها و همست بأسف : معلىش يا رمزي ..
مراد طول عمره كده متسرع و حِمقي بس قلبه طيب .

تابع بأسى : و بيكرهني .

أشارت برأسها لنور و عينيها تناشدانه أن يلتزم الصمت أمام
الصغيرة .

نهضت بدورها و توجهت للصغيرة : خلصتي يا نور .



أومات الصغيرة برأسها و قد غابت البسمة عن وجهها هي أيضاً و
كأنما الأجواء المشحونة قد انتقلت إليها بالتبعية .

أخذتها يارا من يدها و لم تنسى أن تمنح رمزي نظرة حانية
تفاعل معها على الفور فانفجرت شفثيه عن بسمة : تعرف يا
حسين بيه .. على الرغم من إن يارا من أم تانية .. بس بحس
فيها بحنان و طيبة أمي أنا .. مع إنها لا شافتها و لا تعرفها .. و
يمكن سمعت عنها كل الاتهامات اللي افتريتو بيها عليها و عليّ
.. و مع كده عمرها ما حسستني بده .

ابتلع الأب جفاف ابنه بصعوبة بالغة فهو على الرغم من كل
شيء ؛ ابنه البكر .. الذي ظلم كثيراً .. و الذي كان هو ضلعاً في
ظلمه حتى لو كان بالسلب .

غمغم في أسى : معاك حق .. يمكن عشان كانت صغيرة أوي
لما انت مشيت .. كنت مفتقدك لدرجة اني حاولت أخليها زيك
و زي أمك مش زي أمها .

ابتسم رمزي : هي جواها حلو أوي .. قلبها ده بيخليني أخاف
عليها .. هيبقى حظها زي ..



توقف و قد أرعبه الخاطر و لم يجرؤ على الافصاح عن مخاوفه
داعياً الله ألا تتحقق .

أخذ رمزي نفساً عميقاً قبل أن يتابع : عموماً أنا مش هضايقكم
كثير .. يومين تلاته أطمئن على مرات هشام الله يرحمه و هسافر
.. البيت ده عمره ما كان بيتي أصلاً .

رسم الحزن و الأسى خارطتهما على صفحة وجه الأب بأوضح
صورة فحركت قلب الابن رغماً عنه .

همس الأب برجاء : رمزي !

تطلع إليه رمزي في تساؤل تابع الأب على إثره : أنا مش هعيش
كثير .. مش عايز أموت و إنت لسه زعلان مني .. عايز أشبع من
نور الصغيرة ..

توقف للحظات و قد اختنقت أنفاسه بالبكاء : بتفكرني بنور
بتاعتي اللي وحشتني أوي .



هب رمزي واقفاً في عنف أسقط كرسية بدوي انتفض له كليهما
 قبل أن يهتف : كفايه كذب بقي .. لو ده صحيح ليه صدقت ..
 ليه .. ليه عاقبتها و عاقبتني بذنب ملناش يد فيه .

هتف أبيه بدوره : كنت غبي .. كنت بحبها و بغير عليها بغباء ..
 و لما ماتت كسرتني .. مقدرتش أدافع عنك .. كان أسهل إنني
 أسكت .. كنت غبي و ندمت .

ابتسم رمزي بسخرية : ندمت بعد إيه ؟! .. لو أمي سامحتك أنا
 هسامحك .

و كانت تلك المعضلة ..

كيف بإمكانه طلب السماح من حبيبة

.. زوجة

لم تعد معهم ..

و آه لو يدري كم يتمنى لو أن بإمكانه رؤيتها

فقط لدقائق ..



يطلب منها الصفح ..
تمتلئ عينيه برؤية ملامحها الحبيبة ..
يشتاقتها حد الموت ..
الذي لا يتمناه إلا لكونه ..
قد يقربه منها !

فتحت يارا إحدى القنوات الخاصة بالرسوم الكرتونية و طلبت
من نور أن تنتظرها حتى تعد بعض حبات الذرة " الفشار " حتى
يشاهدا فيلماً سوياً .

أغلقت يارا الباب و توجهت لغرفة أخيها الذي دعاها للدخول
حالما طرقت على الباب .



كان قد ارتدى ملابسه الخاصة بالخروج و قد بالغ في تأنقه ؛ بدأ بوضع العطر الخاص به الذي ما إن اشتمته حتى شعرت بالغثيان الشديد ؛ حاولت التماسك إلا أن الشعور أخذ في الازدياد حتى اندفعت صوب الحمام الملحق بغرفته و أفرغت كل ما بجوفها .
وقف مراد يتطلع إليها بقلق : مالك يا يارا !؟ .. انت تعبانة !؟
حاولت التماسك : أنا معدتي كانت تعبانة و جه البرفيوم بتاعك قلبي معدتي .

احتار ما الذي يتوجب عليه فعله : طب أعملك إيه !؟
هزت رأسها : و لا حاجة .. أنا هروح آخذ حاجة للمعدة دلوقتي

ثم تابعت في رجاء : مراد .. ممكن تعامل رمزي بطريقة أحسن من كده شويه .

عاجلته قبل أن يعترض : عشان خاطري .. مش كفاية كل سنين الغربية دي .. بلاش تقسى عليه زي اللي قسيو عليه زمان .



أدار ظهره لها و هو يهتف في غضب : إنت صغيرة مش فاهمة
حاجة .. ده كان ..

قاطعته : بالعكس .. أنا عارفه كل حاجة .. بس بوزن الأمور
بعقلي .. مش قافلاه زيك .. لو فكرت بعقل بعيد عن أي
تعصب هتعرف تُحكّم صح .

اعترض : انت اتجننتي يا يارا .. انت عارفة معنى كلامك إيه !?
تنهدت في استسلام : مش مهم مين كان صادق و مين كذاب ..
الاتنين ماتو .. احنا اللي باقيين لبعض .. ملناش غير بعض .. و
انت شايف بابا مبقاش زي الأول بلاش نقلقه علينا كفايه اللي
هو فيه .

حرك مراد كتفيه في حيرة : مقدرش أوعدك إنني أحبه .

_ بس على الأقل متكرهوش .

تابعت و هي تتمنى أن يكون حدسها في محله : و بعدين كفاية
حثة السكر اللي جايبها معاه .. ده لو قاتلك قتيل .. تسامحه
عشان خاطرها .



ابتسم مراد رغماً عنه : أهي حطة السكر دي خسارة فيه .

ضحكت في حنان : اتجوز انت بس عشان فتافيت السكر

بتوعك .

تنهد في شوق لرؤية أطفال من لحمه و دمه : يا ريت يا يارا ..

شوفيلي عروسة و أنا من إيدك دي لإيدك دي .

هتفت في حماس : بس كده إنت تشاور بس و ألف بنت تتمناك

.

عاد يوليها ظهره ؛ ربما ترغب الكثيرات به ؛ فهو أولاً و أخيراً ؛

الوسيم صاحب الحسب و النسب ؛ و لكن ماذا عن فتافيت

السكر خاصته ؛ هل سيحظى بهم يوماً .

اتجهت للباب ثم توقفت في تردد قبل أن تتساءل في بطاء : مراد

.. بتشوف زيد !؟

هز رأسه في رفض : من يوم ما سافر مفيش عنه أخبار حتى بطل

يرد على مكالماتي .



_ أصل .. إنت عارف إنه المهندس الزراعي بتاع المزرعة و ..
في شغل كتير متعطل و أنا مش عارفه أوصله .

ابتسم مراد في خبث : تلاقيه بيتفسح و مقضيها هناك و ناسي
البلد باللي فيها .. صاحبي و أنا عارفه .

ازدردت لعابها في توتر : طب .. لو عرفت عنه حاجة ابقى قولي

_ متقلقيش .. أنا من بكره هشوفلك مهندس غيره .

ابتسمت بصعوبة و غادرت ؛ مهندس آخر قد يصلح للعمل بديلاً
عنه .. و لكنه لن يكون بديلاً عنه في حياتها .

فالبدائل في حالتها مستحيلة ؛

وجوده في قلبها يترك به غصة ليست بالهينة ؛

نطفته في رحمها تجعل وجوده في حياتها فرض ..

و أي خيار غيره مستحيل ..

مخاوف خذلانه التي تحاول أن تتناساها ؛



تود لو تقنع نفسها أنه لن يخون ثقتها ..

لن يطأ قلبها بهجره ..

ولكن ..

كلما طال ابتعاده كلما زاد مؤشر خوفها ..

كلما ارتعبت من الغد و ما يحمله لها !!

خاصةً أنه لم يعد يجيب على أي من اتصالاتها .

اليوم استطاعت أن تهرب من عيني مراد القلقتين ؛ استطاعت

خداعه و لكن ماذا عن رمزي !؟

هل ستستطيع أن تخدعه !؟

و ماذا إن استطاعت اليوم و غداً .. ماذا عن بعد غد !؟

ربما كانت العلاقة بين الرجل و المرأة من أكثر العلاقات

خصوصية

و لكن نتاجها لا يمكن إخفاؤه أبداً مهما حدث !

زيد كان سقطة قلبها الوحيدة !



حتى أنها لا تدري كيف حدث ما حدث حتى الآن .

زيد كان صديقها الوحيد منذ الطفولة ؛ و أول من خفق له قلبها و هو دوماً كان يعاملها معاملة خاصة .

كانت مميزته .. صغيرته مثلما كان يحب أن يلقبها .

علاقتها كانت مزيج من حب أخوي و حماية يخصصها بها وحدها .. بالإضافة لمشاعر مميزة فرضت نفسها على قلبيهما بمرور الوقت .

شيء ما حدث خلال غيابه أثناء سنوات جامعته الأربع .

تبدل زيد خاصتها بآخر ؛ صار أكثر قسوة معها !

كان لسانه يُخبرها بكلمات الغزل في حين عينيه كانتا جامدتين إلا فيما ندر .

حاولت و يعلم الله كم حاولت لاستعادة زيد الذي تعرفه .

يعشقها و هذا أمر لن يستطيع أن يُخفيه أبداً و لذلك تمكنت من استعادة ما كانت عليه علاقتها قبل سفره و سفرها أيضاً للدراسة .



كانت ترى عينيه المفتقدتان لها كلما أتت في الإجازة .. و تشعر
ضيقه و غيرته كلما تحدثت باستفاضة عن دراستها و تعاملاتها
المشتركة مع زملاءها الشباب .

لكم طارت فرحاً و هو يملئها الوصايا الألف قبل كل عودة
للدراصة .

و قائمة الممنوعات تطول مرة بعد مرة !

لم تستطع استعادته بكليته إلا فيما ندر .. و لم تستطع معرفة سر
تبدله أبداً .

لم تكن أبداً ضعيفة ؛ بل إن غياب رمزي أولاً .. و هروب مراد
من المسئولية ثانياً و سفره جعلها قوية رغماً عنها .

فها هي الابنة الصغيرة .. مدللة العائلة بأكملها مضطرة أن تكون
بديلاً عن أخويها الذكور .

كان ذلك سر اختيارها للطب البيطري كدراسة ..

كانت خير سند لوالدٍ افتقد ولديه حد و جع القلب .

الجلطة التي أصابته منذ شهرين أرعبتها .. كسرت عنفوانها .



فالأنثى مهما بدت قوية إلا أن الأب .. سندها الأول و الأخير
دائماً و أبداً.

حينها لم يقف بجانبها غيره .. خاصة في غياب أخويها .

أحبه أكثر مما مضى .

كان دائم الاهتمام و السؤال عنه و دائم الوقوف بجانبها حتى
مرت المحنة بسلام .

أغلقت الباب على والدها الذي صار أفضل حالاً بقليل ؛ أشارت
لزيد الذي خرج معها من الغرفة بعد أن اطمئن على والدها .

ابتسمت له في امتنان : أنا مش عارفة أشكرك إزاي على وقوفك
جمبي .

ابتسم بدوره فيما عينيه تلتهم الحروف التي تنطقها شفيتها .

اقترب و معه نبضات تتعالي ووجه يحمر في خجل مع كلمة

هتف بها للمرة الأولى " بحبك "

همت بالرد فتحت فاهها لنهره ربما .. للومه إلا أنه لم يمهلها

الوقت و كانت شفيتها أسيرة شفتين اشتاقتا لها حد اللوعة .



دفعته شاهقة في استنكار و عينيها على غرفة أبيها التي مازالا
على بابها .

همست بسخط : زيد إنت اتجنتت !؟

أعاد جذبها إليه و شفثيه تبحثان عن شهد ثغرها المغري

" طول عمري مجنون بيكي "

لا تعلم كيف استطاع جذبها لغرفتها الملاصقة لغرفة أبيها ؛

كيف دخل و كيف أغلق الباب خلفهما .

لم تستطع التفوه بحرف فأبيها يجاورها .. بينهما حائط ربما لو

تنفست سيعلم ما الذي يصير هنا ؟

لم تفكر كثيراً ؛ فقد كان ماهراً في هدم دفاعاتها .. الواحد تلو

الآخر .

لحظات و كانت بين يديه مسلوبة العقل و المشاعر إلا من بعض

احتجاجات لا تُذكر .. خوف فطري بداخل كل أنثى .

حتى هذا تغلب عليه بحنكة بالغة .



و ما هي إلا دقائق و امتلكها بكليتها .

قبل كتفها العاري صعودا بعنقها المرمرى، طالت ملامسة شفثيه
لتجويف عنقها .. أثملته بشرتها الحريرية ، داعبت موسيقى
أوركسترا نبضات قلبه و هدير قلبها المتلاصقين أذنيه فدفعته
للجنون أكثر و أكثر .. فيما كان يسكره جمالها الأنثوي الأخاذ ..
كانت تصيبها لمسات يديه و شفثيه بالهذيان .. لم تعد على حافة
التعقل بل إن الأمور خرجت عن سيطرة كليهما .

ابتسامة رضى لم ترها فقد أغلقت عينها بشدة حابسة دموع
عاجزة ..

لن تريحها و لو بكت بقدر ماء البحر .

منح جفنيها المغلقين قبلاات بالتناوب قبل أن يهمس في ذهول

" دموع .. انتي بتعيطي يا يارا "

حصل هو على ما أراد فيما فقدت هي نفسها !



عندما تعشق المرأة تمنح كل شيء و حينما يعشق الرجل يطالب
بكل شيء

.. و ما بين المنح و الفقد قلوب أنهكها العشق

و تلك مأساة هي غالباً !

امتلاأت عينيها بدموع العجز .. الضعف الذي صارت عليه منذ
صار ما صار .

" يارا .. انتي بتعيطي !؟ "

مسحت دموعها في سرعة و رسمت ابتسامة على شفيتها : لا أبداً
.. ده .. عيني شكلها دخل فيها حاجة .

غمغم رمزي في كره : أكيد ضايقت بكلامه .. مين قالك اتكلمي
بالنيابة عني !؟

ابتسمت : و مين قالك إنني كلمته عنك !؟

أشاح بوجهه في كبرياء : إحساسي .



ثم تابع ببسمة حانية : و تقدرني تقولي إني عارفك كويس و
عارف ممكن تتصرفني إزاي .

لطالما أنساها حبها لعائلتها همومها الخاصة .

غمغمت بشقاوة : يا سلام .. ده على أساس إنك تعرفني كويس
.. دول هما كام مرة اللي شفنتني فيهم .

اقترب و غمرها في حنان : مش محتاج أشوفك أكثر من مرة
عشان أعرف أد إيه قلبك ملوش زي .

و رغم الحنان الذي غمرها به ؛ كلماته التي تشير لحب عظيم
يحمله لها أجهشت بالبكاء فشهو : يارا؟!!

غمغمت باكية : وحشتني .. وحشتني أوي يا رمزي .. وحشتني
الإحساس ده .. أنا من غيركم وحيدة قوي و ضعيفة .

أحكم وِثاق ذراعيه حولها : أنا جنبك يا يويو .. مش هسيبك
أبداً .

تطلعت إليه في تساؤل : يعني مش هتمشي؟!!

_ أيوه بس شغلي و حياتي مش هنا .



ثم تابع : و مفيش حد عايزني هنا !

شهقت : مين قال كده ؟! .. أنا محتاجك و بابا ناقص يبوس إيدك عشان تفضل .

و قبل أن يعترض تابعت : و مراد محتاجك فوق ما تتصور بس هو اللي مش قادر يعترف بده .

أغمض عينيه ليتمثل الماضي أمامه من جديد فغمغم في شروء :
مش عارف هقدر و لا لأ .. أنا موجوع أوي يا يارا .. و فاهم مراد كويس و مقدر اللي هو حاسس بيه بس .. بس صعب أسامحه هو .

و أشار بيده للأسفل حيث أبيه .

أومات برأسها في تفهم و تساءلت : قابلت ياسين و طنط فريدة .

أوما برأسه و تابع : أيوه .. و قابلت ت .. لمى مرات هشام و توأمه .. لازم تشوفيهم يا يارا هتحبهم أوي .

قاطعهما وجود مراد بينهم الذي تساءل في دهشة : مرات هشام هنا .. و توأم ؟!



هو خلف !؟

أوما رمزي برأسه و أخبرهم بأنه سيعود غداً لرؤيتهم فيما إذا أرادا
الذهاب برفقته .

هتفت يارا بحماس : أنا جايه .

و أكد مراد : و أنا كمان .

كان يشعر بالفضول الشديد لرؤية تلك المرأة التي جعلت هشام
يتمرد على عائلته .. بل و يختارها هي تاركاً كل شيء خلفه .

ترى أي نوع من النساء هي !؟

خفق قلبه حالما رآها ؛ اتسعت عينيه اللتان تُقدران الجمال بشدة
فما أمامه قد تخطى مرحلة الجمال المسموح به قانوناً .

احتفظ بكفها بين يديه للحظات أطول فأربكها : أنا مراد .. ابن
عم هشام الله يرحمه .



جذبت كفها لتسلم على يارا التي لا تعلم لم دخلت قلبها من
اللحظة الأولى على عكس ذلك الذي تابعها بعينين جريئتين منذ
اللحظة الأولى .

ابتسمت حالما طالعتها الأخرى مبتسمة : وأنا يارا .. أختهم
الصغيرة .. أصغر واحدة في عيلة الجبالي قبل الصغيرين اللي جُم
على غفلة دول .

اتسعت ابتسامة تمارا : قصدك كريم و كارما .. تقدري
تجاهلهم عادي .

اقتربت من الصغيرين تُقبلهما في لهفة : أتجاهل مين؟! .. أنا
قتيلة هنا .. حد يقدر يتجاهل القمرات دول برده .

جذبت نور باتجاه الصغيرين التي كانت تتطلع إليهما في فضول

_ أنا بقى هجيب نور كل يوم و نلعب معاهم .. إيه رأيك يا نور
!؟

أومات نور برأسها في حماس : ينفع يا طنط!؟



شهقت تمارا في سخط مصطنع : إيه طنط دي !؟ .. لو هتقوليلي
طنط مش هينفع طبعاً .. لولو .. قوليلي لولو .

تركهم الرجال و اتخذوا ركناً قصياً من الشرفة تساءل رمزي في
اهتمام : بقت أحسن النهاردة !؟

أقر ياسين : الحمد لله !

لم يستطع مراد رفع عينيه عنها و خانته فراسته فتمتم بإعجاب :
ليه حق هشام يسب الدنيا بحالها عشانها .. دي طلعت قمر .

هب ياسين واقفاً في غضب : إنت اتجنت يا مراد !؟ .. إنت
ناسي إنك بتتكلم عن مرات أخويا .

أجاب مراد ببرود : إهدى يا ياسين أنا بقرر أمر واقع .. البنت
فعلاً زي القمر .

تدخل رمزي بعد أن لفت الانفعال الذي بدوا عليه اهتمام
الفتيات : خلاص يا مراد .. البنات أخذوا بالهم .. مالوش لازمه
الكلام ده .



ربت على كتف ياسين : ياسين .. اهدى عشان الولاد ممكن
يفتكرونا بنتخانو فيخافوا .

أشار بعصبية لمراد : خلي أخوك ياخذ باله من كلامه و يلزم
حدوده .. دي مرات أخويا يعني ..

قاطع مراد بلؤم قاصداً إغاضته : تقصد أرملة أخوك يا ياسين .

ثم تابع بهدف إشعال غضبه أكثر فأكثر : و بعدين دي صغيرة و

جميلة .. و بما إنك متجوز يا ياسو .. ممكن يكون لي حظ

معاها .. و كله عشان لحم ابن عمي ميطلعش بره .

عاجله ياسين بلكمة مودعاً فيها مشاعر شتى .. لم يتوقف

ليفسرها أو يسمي أياً منها بمسماها .

اشتعل غضب الاثنين في لحظة و مبادئ إشتباك تلوح في الأفق

؛ باعد رمزي بينهما محاولاً تهدئة الأجواء دون جدوى .

كان هتاف ياسين الختام : مراد .. يا ريت متجيش هنا تاني إلا

لما تتعلم تلتزم بحرمة أهل البيت ده .



غادر الجميع و لم يغادره ضيقه ؛ كيف بإمكانه أن يبتعد بها عن الجميع ، صارخاً بالجميع .. إنها لن تكون لأحد .. إنها تخص أخاه .. زوجته .. حلم حياته .. لن تكون لسواه .. لقد ائتمنه عليها .. و سيراعي أمانته حتى اليوم الأخير في حياته .

أيام مرت .. استعادت فيها قوتها إلى حد ما ؛ إلا أن الحزن و الخوف لم يتوقفا أبداً .

و على عكس القوانين الدنيوية ..

صدمتها بدأت كبيرة ..

و لازالت كذلك ..

و ربما لن تقل يوماً ضاربةً بقوانين النسيان عرض الحائط .

قضت معظم الوقت ما بين اهتمام بالتوأم و محاولة الابتعاد عن ياسمين قدر الامكان .

تتجنبها لثلاثي في نفسها الرفض و الكره أكثر مما هي بالفعل

..

و تتجنبه أيضاً قدر المستطاع ..



تتجنب نظرات تخصصها وحدها توازيها اضطرابات لا قبل لها بها

؛

يليه هروب منه و ندم منها !

كليهما ليسا ما كانا عليه ؛ و كليهما يجهل ما الذي صاره !

كانت في مكانها المعتاد ؛ ذلك الركن القصي من الشرفة حيث

وضعت بضعة أرائك مريحة تساعد على الراحة و الاستمتاع

بمنظر الحديقة الغناء أمامها ؛ و استنشاق عبيرها الأخاذ .

انحصر وجودها في هذا المكان أو غرفتها ؛ و غالباً ما يصاحبها

كتاب .

و كانت كذلك بالفعل .. مستغرقة بالرواية بين يديها لأقصى حد

حينما أتاها صوته الذي كان يهتف بعصبية لم تسمعها منه منذ

ذلك اليوم المشهود الذي شهد غضب و انفعال و لكمة لا تدري

سببها حتى الآن



" يعني إيه المحاسب مسافر .. إنتو بتتهرجوا .. و مصالح الناس و شغلها .. إيه التهريج ده !؟ .. أنا عايزك تجيبهولي من تحت الأرض .. في خلال ٤٨ ساعة و قبل العملاء ما يوصلوا فاهم "

أنهى المكالمة ؛ زفر في غضب قبل أن يهتف في غضب تزامن مع إلقاء الهاتف على المنضدة في عنف " أغبياء "

حانت منه التفاتة حيثما كانت ؛ لاحظ الانزعاج على وجهها فاقترب و ملامحه تعلن اعتذار بدا واه بجانب مشاعر الغضب التي علت وجهه .

غمغم : أنا آسف انفعلت .

مرريده في شعره بنفاذ صبر : مشاكل في الشغل .

هم بمغادرة المكان فسارعت بصوت متوتر يفرضه عليها حضوره الطاعي

" أنا .. أنا ممكن أساعدك لو مقدرتش توصل للمحاسب . "

تطلع إليها في اهتمام و تساءل : تساعدينني إزاي .



أخضت رأسها

فنبضات قلبها غير مأمونة عند التقاء العينين

" ممكن تقولي حضرتك محتاج إيه من المحاسب و أنا أعمله "

تساءل في لهفة : يعني ليكي في دراسة العقود و الصفقات ؛

دراسات الجدوى و التسويق .

أومات برأسها بالإيجاب : أيوه أنا كنت قسم إدارة أعمال و

عندي خبرة كمان لأنني اشتغلت بعد ما اتخرجت علطول في

شركة كبيرة .

زوى ما بين حاجبيه و غمغم بشك : هو .. مش انتِ كنتِ

بتشتغلي في بنك .. هشام قابلك هناك أصلاً .

استلزمها الأمر كل ثباتها الانفعالي لتكذب : أيوه .. أنا اشتغلت

في شركة كبيرة كان صاحبها أبو واحد زميلي في الجامعة ..

بعدها كان في مسابقة في البنك .. امتحنت و اتعينت هناك .

هز رأسه في تفهم : يعني أقدر أعتد عليكِ .

_ تقدر تجربني في ..



أمسك معصمها في لهفة و قادها في سرعة جعلتها تهول لتلاحق
خطواته السريعة .. لعينه .. لغرفة مكتبه و

هو يهتف " مفيش وقت للتجربة "

توقف للحظات و قد صدمه ادراك أنها بين يديه و أن لمستها
بقدر ما هي محرمة إلا أنها مُحبيه .

تركها فوراً و هو يغمغم : لو معنديش مانع ممكن تساعديني .

تنفست بصعوبة نظراً لقربه الشديد و اندفاعه الذي أذهلها
حاولت الرد إلا أنها لم تستطع سوى أن تومئ برأسها أن لا مانع .
فتح الباب ، خطأ للدخل تبعته هي في تردد تحمل عينيها لهفة و
فضول لرؤية أين يختبئ طوال الوقت .

دارت عينيها في المكان حولها ؛ كانت الغرفة تشتمل على مكتبة
ضخمة تحتل جداراً بأكمله و مكتب أنيق في إحدى الأركان
فغرت فاها و هي تتطلع للمشهد الذي يطل عليه المكتب .

جدار كامل من الزجاج ، نافذة بطول الجدار و عرضه يُرى من
خلالها جزء من الحديقة لم تره من قبل ، مفتوحة على مصراعها



فملأت الغرفة بعبير الزهور البرية القادمة منها ، كانت على ثقة
أنه الأجمل على الإطلاق بألوان الزهر المتعددة التي ربما لم ترى
لها مثل من قبل .

تأمل انبهارها بالمكان قبل أن يقول في فخر : عجبك المكتب .
هتفت في انبهار حقيقي : عُمري ما شفت منظر أجمل من كده .

ابتسم في سعادة فتحوّلت ملامحه لشيء عجزت عن وصفه ؛ لم
تستطع سوى الشعور بخفقات قلبها المتسارعة التي شعرت بها
حالما رأته للمرة الأولى .

ربما شعرت بالصمود حينما كان يعبس و يغضب و يعلو صوته
كالمعتاد .

لكن بابتسامته تلك .. و ملامحه التي تشعر في قرارة نفسها انها
خلقت للابتسام كانت تشعرها بالوهن .. تشعرها بأنها تسلك
طريقاً لن تستطيع مواصلته دون أن تخرج منه كسيرة القلب .
أخرجها صوته من شرودها : تقدري تبتي امتي !؟



تنهدت في استسلام : من دلوقتي لو تحب .

_ يبقى كتر خيرك .

بدأ بشرح كل ما يتطلبه العمل في حماس بالغ و هي تستمع إليه في اهتمام ؛ تشعر بحماسة و حبه لعمله المنقطع النظير ؛ كان يتحدث بفخر عن أن لديه أجود المحاصيل التي يوشك على إبرام صفقة لتصديرها للخارج ؛ بالإضافة لتربيته لسلالة نادرة من الأبقار و الماشية بشكل عام .

التمعت عينيه بفخر و هو يتحدث بحب عن انتاجه و نجاحه الذي بدأ يلعب في الأفاق بل إن خطته في المستقبل تشمل على إنشاء مصنع تعبئة للخضروات و الفاكهة .

توقف عن الكلام و غمغم في أسف : أسف .. أكيد صدعتك .

هزت رأسها في نفي : لا خالص .. أنا هطلع أطمئن على التوأم الأول تكون إنت جهزت كل الأوراق المطلوبة .

اصطدمت حال خروجها بياسمين التي كانت توشك على الدخول التي تحولت ملامح وجهها لنفور كلي حالما رأتها .



دارت عينيها في الغرفة تبحث عن الأم فلم تجدها فزاد مؤشر
الغضب و الغيرة بداخلها " هي بتعمل إيه هنا؟! .. و لوحدكو!؟

"

شهقت تمارا في قوة و هتف ياسين في غضب : يعني إيه لوحدنا
!؟ .. لمى هنا عشان تساعدني في الشغل .

هرولت تمارا للخارج : أنا هروح أشوف الولاد .

هتف ياسين بها يستوقفها : استني !

ثم وجه حديثه لياسمين : لمى هنا عشان تساعدني في الشغل ..
و كتر خيرها إنها أنقذتني بعد ما المحاسب سافر و مش لاقيه ..
يعني مالوش لازمة الكلام ده يا ياسمين .. تقدرني تفضلني يا
لمى .

تطلعت إليه في جرح : لوحدكو يا ياسين .. مينفعش مش كده
!؟ .. مش ده اللي انت قلته لما طنط فريدة سابت رمزي معاها .



اضطرب .. لم يضعه أحد في تلك الخانة من قبل .. لم يسبق له
 أن شعر أنها على حق فتمتم في أسف : معاكي حق .. بس ده
 كان شغل و دي مرات أخويا يعني .. يعني أنا غير رمزي .
 اتهمته : بس ده مكنش كلامك .

قبل رأسها في أسف : سامحيني !

لم تستطع أن تهضم وجودها .. و لن تفعل ..

تغار منها و عليه ..

و على مكانة تتنازعها معها في قلب العائلة أجمع .. و معها كل
 حق .

يصور لها عقلها شكوكاً تكاد تُميتها ..

فلا شيء أكثر نشاطاً من مخيلة امرأة تشعر بالغيرة .

تمتم بحزم أخير : ياسين !! .. الفرح هيكون امتى !؟



الفصل العاشر

أحياناً يستكين القلب لحالة اللاحب
فتقتصر وظيفته على كونه مضخة للدم
وسيلة انتقال ما بين الجسد و المخ
فتنسى وظيفته الأهم على الإطلاق



و تتوقف عن الشعور بكونه

كائن حي بحد ذاته !

نستكين لتلك الحالة ؛

و من ذا الذي لا يحلم براحة بالٍ نابغة عن قلب خالٍ !

و لكن لأن ذلك الشعور مؤقت بالتأكيد ، يبدأ القلب في التمرد ،

فيبحث لك بالإشارات الواحدة تلو الأخرى .

جملة موسيقية تمس شغاف قلبك ..

أو أغنية و رغم أنك تكاد تُجزم أنك سمعتها ألف مرة إلا أن

شعور غريب يراودك أنك لم تسمعها من قلب .. أو لم يخفق لها

قلبك بهذا القدر .

أو ربما نظرة من شخص ما تربكك ..

أو كلمة من إنسان بعينه تُثير فيك نبضات لا تفهمها .

تأخذك لأبعاد أخرى لا تستطيع التحكم بها أو السيطرة عليها .

ثم تجد أنك تفقد سلطتك على ذلك الكائن بين جنبيك ..



ليصدمك بأن الكلمة الأولى له ..

و الثانية بيده ..

و الأخيرة بإرادته !!

تطلع إليها في استنكار .. ليس لأن طلبها مستحيل فهو ليس
كذلك

انه قرار تعدي مرحلة الاختيار !!

" انتي شايفه إن ده وقته يا ياسمين !! "

غمغت في سخط به بعض من دلال مع اقتراب حد الالتصاق .

بأنامل لامست صدره و عبثت بذرقميصه العلوي .

_ مش وقته بس إحنا متجوزين فعلاً يا ياسين .. يعني الفرحة

تحصيل حاصل .



اضطرب قليلاً قبل أن يستوعب ما قالت فأبعدها : فرح !!

هتاف يحمل عدم التصديق : فرح يا ياسمين .. عايزاني أفرح و
أنا أخويا لسه يدوب دفينه من كام أسبوع .

أتتها الفرصة على طبق من ذهب : و هو أنت هتقدر تفرح حتى
لو مر على وفاته سنين .

كانت على حق ؛

تعلم قواعد اللعبة جيداً بل إنها أصبحت تلعبها بمهارة فائقة .. لا
تنفك عن حشره في الزوايا مانعة إياه من إيجاد السبيل للخلاص

اعتراض واهٍ لحجج قوية : لا .. لا .. مستحيل .. مش دلوقتي
خالص .

ابتسمت في براءة : و أنا مقلتش حالاً .. مستحيل طبعاً .. بس
التأخير كمان مش هيرجع اللي راح صدقني .. و كمان ميصحش
أفضل داخله خارجه كده و احنا مكتوب كتبنا الناس تقول عليّ

إيه !؟



اعترض : ده بيت عمك يا ياسمين قبل ما يكون بيتي .

انفجرت نائرة في لحظة : متقولش بيت عمك .. ده بيتك .. غير

كده كنت مستحيل أدخل هنا و انت عارف .

ربت على كتفها مهدئاً .. لن يلومها و قد كان يحمل نفس

المشاعر لمتزلها .. حيث فقد كليهما معنى القدوة .

حيث ضاعت منهما براءتهما قبل الأوان !

انتهى العرض الذي قدمته بتصفيق حار من الحاضرين من

مختلف الجنسيات ؛ تلقت التهئة و قد ارتسمت ملامح الثقة و

السعادة على وجهها ؛ لقد نالت نجاحاً غير مسبوق هنا في

الولايات المتحدة و شعرت أن كل ما تجنيه هنا من نجاح يخط

اسمها بحروف من ذهب في طب و جراحة النساء و التوليد .

لملمت أوراقها و كذلك جهازها الالكتروني المحمول .



تقليدية .. ربما .. لا تزال تستمع بالكتابة و الرسم على الورق ..

و هذا لا يعني عدم براعتها في استخدام التكنولوجيا .

" ورق !! .. لسه حد بيستخدم الورق اليومين دول !؟!"

ابتسمت في فخر : تقليدية و أفتخر يا دكتور .

ابتسم بدوره : و عبقرية في نفس الوقت .. ألف مبروك يا

دكتورة منال .. البحث اللي قدمته هيعمل طفرة في جراحة

النساء .

احمرت وجنتيها و تمتت شاكرة : شهادة أعتز بيها يا دكتور .

استأذنته لتغادر فاستوقفها : الحقيقة أنا مش جاي أباركلك و

بس .. أنا جايب عرض من جامعة كبيرة عشان تشتغلي فيها .. و

مستشفى أكبر مستعدة تعمل معاكي عقد بالمرتب اللي تطلبه .

تطلعت إليه في دهشة ؛ لم تستطع الرد فقد انعقد لسانها في

ذهول فالأمر أكبر بكثير مما كانت تحلم .

نعم حلمت بأن تصل لتلك المكانة ؛ أن يذكر اسمها في الأوساط

الطبية و يُشار لها بالبنان كطبيب بارز في تخصصها .. أما عن أن



تكون دكتورة جامعية في احدى أكبر الجامعات في أمريكا ..
كان ذلك يفوق طموحها بكثير .

تلعثمت : أنا .. حقيقي يا دكتور .

أكد : Sure منصب جامعي مرموق و مكان في مستشفى
تعليمي برقم خيالي .. أكثر من مليون دولار في السنة .. يعني
مكانة واحدة في سنك مكنتش تحلم بيها قبل عشرين سنة كمان

الحق معه .. منصب كهذا يكون غالباً لرجل تعدى الخمسون لا
طبيبة شابة بالكاد تخطت الثلاثون عاماً .

ابتسم للابتسامة الحالمة على شفيتها ؛ لن ترفض بالتأكيد ؛ و من
بإمكانه التفكير مرتين بعرض كهذا .

حثها : ها .. أقول مبروك !؟

أبعدت سيل أفكارها المتدفق في الحلم بغدٍ وردي ؛ وظيفة
الأحلام لها و مستقبل سيتم تأمينه بأفضل ما يكون ؛ تعليم في



أفضل بلدان العالم لنور؛ و ربما وظيفة مماثلة لرمزي .. فهو لا
يقل عنها براعة و لا تفوق في مجاله .

" رمزي " ترى ماذا سيكون رأيه !؟!

هل سيشاركها أحلامها و يتقاسم معها تفوق عملي حتى لو عنيّ
ذلك أن يعيشا في الخارج للأبد .

مخاوف بدأت تتتابها من أن تملكه النزعة الذكورية .. الشرقية
القوادة .. و كل تلك العادات التي تقضي أن تتبع المرأة زوجها
لا العكس .. بما يقتضيه ذلك من نظرة مجتمع تنتقص من
رجولة من يقبل بالوضع المعاكس لتلك التقاليد .

ترددت : أنا لازم أكلم رمزي و أعرف رأيه قبل ما أوافق .

تطلع إليها بشك : يعني إنت موافقة طبعاً .

أومات برأسها : أكيد بس لازم رمزي يوافق .

و بقي السؤال الأهم ..



ترى كيف ستكون ردة فعل رمزي؟!!

حالما اختفت أخرج هاتفه المحمول و أجرى اتصالاً سريعاً

ياحداهن بكلمات مقتضبه أمر..

" نفذي اللي اتفقنا عليه! "

انتهت من مراجعة معظم الأوراق التي تعكف على العمل بها

منذ أيام؛

تطلعت للمشهد الذي يطل عليه المكتب و شردت

و ما بين اضطراب في وجوده .. و ضيق في ابتعاده تحيا على

مضض!

تكره وجود ياسمين اللي ترمقها بنظرات متهمة طوال الوقت؛

تود لو تصرخ بها أنا لست لى .. لست من جرحت قلبك و



تزوجني الرجل الذي تمنيته زوجاً .. أنا لا أهدد وجودك .. أنا
أكره وجودي في مكان لست فيه مرغوبة .. مكان أعتبره منفى
اجباري .

لم يكن لي فيه حرية الاختيار !

تود كثيراً لو تُسرِّ إليها بكل الأمر ليطمئن قلبها و لكن كيف تأمنها
تكاد تُجزم لو أنها يارا لكانت أخبرتها الأمر بكل أريحية ؛
يارا ..

تلك الفتاة ذات النفس المرححة و النظرة الحزينة على الدوام ؛
تشعر بأنها كسيرة القلب ؛ تحمل هموماً أكثر مما تستطيع
احتمالها .

لكن يارا لم تخبرها عما بها و لن تجرؤ على سؤالها بالتأكيد .
طُرق الباب فدعت الطارق للدخول طالت نظرتهما قليلاً فهي لا
تنفك عن بعثرة وقاره بكل براءة كلما رآها .
في حين يشير هو فيها اضطراباً لا تفهمه و لا تدري لم يمتلك هو
بالذات تلك الميزة على مشاعرها .



و بغض النظر عما يشعران به ، يبتعد كليهما عن مجال الآخر
كقطبي مغناطيس متنافرين .

أخفضت عينيها في خجل فانكسر السحر !!

دلك عنقه في محاولة لاستعادة السيطرة التي تتمرد عليه في
وجدتها

" أمي بتتهمني إني بعذبك معايا .. كفاية شغل النهارده ! "

ابتسمت في رقة : خالص بالعكس .. أنا بحب شغلي جداً .. و
أنا خلصت الورق المطلوب على فكرة .

اتسعت عينيه في تعجب " مش معقول ؟! "

توجهت للباب تتحاشى وجودهم في مكان بمفردهم

" الورق على المكتب .. تقدر تراجعاه ولو في ملحوظات إعملي
بيهم notes و أنا هعدل المطلوب بكره إن شاء الله "

استقبلتها فريدة التي اقتربت منها بصحبة يارا التي غمغت

باسمه : لولو .. عارفة إني زياراتي كترت بس أعمل إيه نور من

أول ما بتصحى من النوم و هي عايزه تيجي لكريم و كارما .



ضربت تمارا ذراعها بخفة : عيب عليك يا بنتي .. بالعكس
مبسوطة بيكو جدا .. و التوأم بيموتو في نور .

فريدة في لوم : ده بيتك يا يارا معقول تقولي كده .

_ ميرسي يا طنت .. بس خايفه أكون بعطل لمى عن شغلها .

تلك الجملة وازت خروج ياسين من حجرة المكتب فلامته فريدة

: شفت يا ياسين .. يارا مش عايزه تيجي خايفة تعطل لمى

علشان تعرف إني معايا حق .

وجهت حديثها للمى : و الله يا بنتي لسه كنت بقوله حرام عليك

تعذبها معاك .

شهقت تمارا : تعذيب إيه يا طنت بس .. أنا بحب الشغل جداً .

مطت فريدة شفيتها فيما ابتسمت يارا للذنب الذي أخرس ياسين

فتمتت بمرح و نكزت كتفها بكتف تمارا " لااا .. بركاتك يا

لولو .. ياسين سكت و في موضوع يخص الشغل .. يا

سيدي "



احمرت وجنتي تمارا : يا جماعة الموضوع مش مستاهل .. دول
حبة ورق و حسابات بسيطة .

تطلع إليها ياسين في إعجاب : بتهرجي؟! .. انتي خلصتي شغل
كان المحاسب بيعمله في شهر في كام يوم و تقولي بسيطة .

فريدة : عشان تعرف إنك بتتعبها معاك .. خلاص مفيش شغل
تاني النهارده .

ثم وجهت حديثها ليارا : خديها يا يويو و اخرجوا .. اتمشوا ..
أو اركبوا خيل .. لمى ما خرجتش من البيت و لا مرة .

صفقت يارا بكفيها في حماس : بس كده .. أنا هعملك جولة
سياحية ما حصلتش .. بتعرفي تركبي خيل .

أومات برأسها بالإيجاب ؛ فقد كان أبيهم يأخذهم لتعلم الفروسية
في طفولتهم ؛ توقفا فترة طويلة بعد موته إلا أن هشام و لأنه
اعتاد الركوب يومياً في بلدته فقد اعتاد أن يأخذهم مرة على
الأقل أسبوعياً كلما سنحت الفرصة و كان يُصر على وجود تمارا
تماماً كـ لمى .



هزت تمارا رأسها في رفض : لا مش هعرف أسيب التوأم .

فريدة : ملكيش دعوة بيهم أنا أصلاً ما هصدق أقعد معاهم

لوحدي .

تممت يارا ضاحكة : ده إذا نور سمحتك يا طنت هي اعتبرتهم

اخواتها خلاص .. ملكية خاصة .

ابتسمت فريدة : ما هما فعلا اخواتها .. ربنا يبارك فيهم يا رب .

يارا : أكيد معندكيش لبس ركوب تعالي معايا عندنا و تاخدي

حاجة من عندي .

" لأ "

اعتراض بنبرة ارتفعت أكثر من اللازم فتطلعن إليه في تساؤل
فغمغم : يعني .. لبسك مش هينفع خالص انتِ أطول و أعرض

من لمى بكثير .. أقصد ..

وضعت يارا كفها على قلبها و هتفت بألم مصطنع : قصدك إنني

أتخن من لمى و بكثير كمان .. جرحت مشاعري يا ابن عمي .



ضحك ليغطي على ارتبائه : مش قصدي طبعاً .. بس لمى هي
اللي جسمها هيخلي أي حد جمبها تخين .

سعل في ارتباك : أظن إن الجينز كويس لحد ما لمى تشتري
لبس .

ذهبت تمارا للاستعداد للخروج و عاد هو لمكتبه إلا أن ارتبائه و
كلماته العفوية أثارت الريبة لدي كليهما .

ياسين الجاد .. الذي لا يتفوه إلا بالقليل .. المبتسم نادراً يشترك
في حوار كهذا .. و يتحدث بتلك العفوية بل و يرتبك أيضاً .

كلا المرأتين ساورتهما الشكوك .. ياسين تبدل .

و لا شيء يبدل المرء سوى جرحٍ غائر أو ..

حبٌ عميق !



اقترب خالطته قلة الحيلة .. فمهما بلغت قوة الإنسان لا شيء
يُشعرك بالعجز بقدر المرض .

كانت زهرة تذبل أمامه و هو عاجز عن التصرف .. عن المساعدة
.. وكيف بإمكانه فعل ذلك و المعني بالأمر هو " عُمر " .

جلس بجانب من كانت تفوح عِطراً .. تتألق برونق بهي لا مثيل
له قبل بضع سنوات فقط .. قبل أن تعرفه .

" زهرة "

همس يائس .. قليل الحيلة و هو يعلم .. ربما حاول المساعدة و
لكن الأمر يفوق قدرته بكثير .

تطلعت إليه في لهفة غريق وجد عوداً من قش سرعان ما خبت
حالما قابلها اليأس في ملامحه و صوته .

غمغمت بيأس : مفيش فايده مش كده !؟

نهرها : متقوليش كده .. ربنا كبير و ..

بكت بحرقه : كنت حاسه إنني هخسره .. كدبة زمان هتتحقق يا

زيد .



وضع يده على فمها : بس .. اوعي تقولي كده .. اوعي تفكري
 كده .. عُمَر هيبقى كويس إن شاء الله .. انتِ بس إدعيه و انتِ
 عندك يقين إن ربنا هيشفيه .

أبعدت كفه : عمر محتاج قلب جديد .. محتاج يسافر بره ..
 تفتكر إن في قدامي حل تاني غير اليأس .. مش من رحمة ربنا
 أكيد .. من الفقر و العجز .. من قلة الحيلة يا زيد .. أنا بموت
 كل دقيقة و أنا شايفاه بيتعذب و مش قادره أعمله حاجة ..
 بخاف أغمض عيني و أنا حاسه إنني ممكن أفتحها و ألاقه مش
 موجود .. أنا أمه مش المفروض أزعل عليه .. هو اللي المفروض
 يدف...

صرخ بها : بس .. بعد الشر عليكى و عليه .

أحاطها بذراعيه فدفنت وجهها في صدره و أجهشت بالبكاء ؛
 أخذ يربت على ظهرها و يتمتم بأن كل شيء سيكون على ما يرام .

حتى هدأت بعض الشيء : زهرة .. أنا هتصرف متقلقيش .



تطلعت إليه في تساؤل : هتصرف إزاي يعني !؟

شرد : هرجع البلد .. هتعرفي تاخدي بالك من عُمر لوحديك !؟

غمغمت بتقرير : طول عُمرِي لوحدي !

قبل رأسها بحنان : متخافيش .. مش هتبقى لوحديك تاني .

التمع الأمل في عينيها : هتعمل إيه !؟

_ هعمل محاولة الأول .. لو منفعتش يبقى مفيش قدامي غير

إني أحط النقط على الحروف .

بعض الكلمات لا تصلح بلا نقاط في حين أن النقاط تُفسد

البعض الآخر فتصبح بلا معنى !!

ترى أي الكلمات سيصادف !؟



أنهى ياسين بعض المكالمات الهاتفية الخاصة بالصفقة الأخيرة ؛ لقد تحدد الوقت فالعملاء سيحضرون خلال ثلاثة أيام كما اتفق .

يجب أن يُعلمها بالأمر حتى تكون مستعدة لاستقبالهم معه ؛ حتى تتم الصفقة على أكمل وجه .

طُرق الباب ؛ دخلت والدته التي تساءلت " ممكن أتكلم معاك شويه؟! "

أوماً برأسه : طبعاً يا أمي اتفضلي .

جلست أمامه ؛ أخذت نفساً عميقاً قبل أن تبدأ : ياسين .. أنا سبق و كلمتك عن لمى و إن المفروض متتعبهاش معاك صح؟! حاول الاعتراض إلا أنها استوقفته بإشارة من يدها : أنا مش بتدخل في شغلك .. و لا عمري كنت وصية عليك في حاجة .. إنت طول عمرك مُختلف عن هشام .. ما بتقبلش بوصاية من حد .. أنا .. أنا بس خايفة .

تساءل في دهشة : خايفة؟! من إيه?!



أجابت : ياسين .. أنا مقدرش أعيش من غير ولاد هشام .

زوى ما بين حاجبيه : و مين يقدر يمنعك عنهم !؟

اغرورقت عينيها بالدموع : أمهم !! .. أنا ما صدقت إن ربنا
عوضني عن هشام بولاده .. ألف حمد .. و انت شايف حياتنا
هنا عامله إزاي .. إذا كان أهل البلد بيهربوا من البيئة الصعبة دي
.. الحياة اللي مفيهاش أي متعة ما بالك اللي عُمرها ما جربت
قسوة الحياة اللي هنا .. بلاش تزودها عليها .. أنا خايفة تزهق و
تمشي .. مش هقدر أعيش من غيرهم .

غار قلبه في صدره مع احتمال أن ترحل ؛ انتقلت مخاوفها إليه ؛
ماذا إن ملّت الحياة هنا !؟ .. ماذا إن قررت أن مستقبل أولادها
يجب أن يكون في مدينة كبرى .. ليحصلوا على أفضل الفرص
الممكنة من الحياة و التعليم و العمل و كل شيء !؟
نظر كليهما للآخر و مخاوف شتى تعصف بمشاعرهم
ما الذي قد يحدث إن قررت الرحيل !؟



ازدرد ياسين لعابه في توتر : يا أمي مين قال إنها ممكن تعمل
 كده بس .. إنت ناسيه إنها هنا بُناءً على وصية هشام .. دي
 جات رغم إنها عارفة إننا ممكن نطردها أو نكذبها أو .. أو .. لا
 ما أعتقدش إن لمى ممكن تمشي .

تنهدت : طيب و ياسمين .. دي مش بتسيب فرصة إلا و تجرحها
 بأي كلمة .. تفتكر هتستحمل لحد إمتى !؟

ربت على كفها المرتكن على سطح المكتب : سيبي ياسمين
 عليّ .. أنا بعرف أتصرف معاها .

تطلعت إليه في رجاء : يا حبيبي ياسمين معذورة .. بتخاف و ده
 حقها .. خصوصاً و انت بتتعامل معاها بجدية زيادة عن اللزوم .
 اعترض : يا أمي أنا ..

قاطعته : أنا عارفة إنك مبتعرفش تتعامل مع ست .. و عمرك ما
 حبيت و جد و ملكش في الأمور دي .. بس الست محتاجة
 تحس بالأمان مع جوزها .. و إنت عمرك ما حسستها بده ..



صعب عليك و حملك ثقيل بس هي ملهاش ذنب .. بتغير منها و
من اهتمامنا بلمى .

تنهد في عجز : و المفروض أعمل إيه !؟

_ غير معاملتك معاها شويه .. خدها و اخرجوا .. دخلها حياتك
دي مراتك يا ياسين .

أوما برأسه : حاضر يا أمي .. هحاول .

ترددت للحظات قبل أن تتابع : و عايزاك .. عايزاك تحدد ميعاد
الفرح !

اعترض و أشار بسبابته بالرفض : لا لا لا .. مش ممكن .. حتى
إنت يا أمي .. أتجوز إزاي بس .. و أخويا ده اللي لسه ..

عادت تقاطعه : أخوك حزننا عليه مش هينتهي لحد ما نموت ..
قدامك شهر و لا اتنين .. جهزو نفسكوا .. طمنها إنك مش
هتتخلى عنها .. و هي لما تظن هتبطل تضايق لمى .



عاد يشعر بالعجز ما بين أمور وجب عليها تنفيذها سواء شاء أو
أبى .. و ما بين مسئولية تكاد تُسقطه من ثقل وزنها .

و زاد عليها خوف جديد ..

خوف يحمل اسمها ..

لمى !!

حائر ما بين كره للمكان و عشق لذرات تراهه ؛ الحياة هنا تجلب
له كل الذكريات السيئة و الرحيل يعني أن يشاق له حد تشتت
الروح .

لن يعترف أبداً أنه يفتقده .. يشاق حب الأب و حنانه !

ذلك النبع الذي نهل منه طفولة عاشها كأسعد صبي في العالم .

ما بين أم يعشق وطن أحضانها .. و أب يراه العالم بما فيه !

الحياة معها كانت بتلك الروعة حتى ظهرت هي !!



و كأنما انبثقت من العدم !

أو لفظها الجحيم لتُضرم في حياتهم السعيدة النيران !

لن يعيش تلك الحيرة بعد الآن ..

ربما أتته الفرصة على طبق من ذهب !

فرغم الرفض المبدئي لطلب زوجته بالاستقرار في الولايات المتحدة إلا أنه الآن وبعد تفكير عميق استغرقه طوال الليل يرى أنها ربما كانت فرصة لينسى كل شيء هنا !

ربما إن غادر البلد بأسرها يتوقف ذلك الشعور بالغربة لأنه بعيد عن بلده

ولا شيء أسوأ من الاغتراب عن موطن ذكرياتك ..

السعيدة منها و الحزينة !

اقتربت الشمس من المغيب ؛ و في بلدة تتمتع بجمال طبيعي ؛
سما صافية .. بحر فيروزي و طبيعة جبلية مميزة كان المغيب في
بلدتهم يخطف الأنفاس .



شرد في جمال الطبيعة حوله حتى شعر بحركة خلفه .

" يارا و نور لسه عند طنت فريدة مش كده ؟! "

تساءل مراد .

أوما رمزي برأسه في إيجاب : أنا كنت هروح أجيبهم دلوقتي .

اعترض مراد في لهفة : مش ضروري تتعب نفسك .. أنا كده

كده هعدي عليهم و هجيبهم معايا .

كان رمزي يفهم أخيه جيداً .. و ربما أكثر من اللازم ..

متع الحياة كثيرة و لكل شخص مُتع خاصة به !

أكثر ما يُمتع مراد في الحياة شيئين ..

النساء ..

و إثارة غضب ياسين !

و تمارا مكنت مراد من جمع الشيين معاً مما يمنحها لقب متعة

مراد الأولى و المفضلة في الحياة .



غمغم في رفض : مراد .. بلاش كفاية آخر مرة أنا بعدت عنك
ياسين بالعافية .

هتف مراد بثورة : يعني إيه بعدته عني .. ما تاخذ بالك من
كلامك يا رمزي .. أنا سكت بمزاجي عشان خاطر الولاد .

_ بس إنت اللي غلطت يا مراد .. مينفesch تقول كده لواحدة في
حرمة بيته .. و مش أي واحدة .. دي ..

قاطعته بغضب : أرملة هشام .. وإيه يعني .. و أنا كنت بقرر أمر
واقع .. واحدة جميلة و أنا عبرت عن إعجابي بيها .. خلصت .

هتف رمزي بسخط : ده بدل ما نحافظ عليها .. نبقي إحنا أول
حد يقلل من أدبه و احترامه معاها .

ثار أكثر : إنت و هوزي بعض .. مثالين مثالية فارغة ..
منفوخين هوا على الفاضي .. لا إنت و لا حضرته محارم للمي
عشان تعيشوا دور الحارس .. و لا ينفع تعيشوا دور الواعظ ..
مش عليّ .



اقترب و قد بدأت الأمور تخرج عن السيطرة : إنت بني آدم مش
محترم .. عُمرك ما هتتغير .. مش شايف غير نفسك و بس .

تمتم مراد ساخراً : بلاش إنت بالذات تتكلم عن الاحترام و
الأدب .. و لا انت نسيت إنت خرجت بره البيت ده ليه أصلاً .

نظر إليه بكره و نفور : و ندمان .. ندمان إني رجعت .

همّ مراد بالرد إلا أن تمارا المهرولة باتجاههم أوقفت كليهما عن

المتابعة

هتفت بذعر ينبئ به وجهها الشاحب و جسدها المرتجف

" رمزي .. إلحق يارا !! "



الفصل الحادي عشر

الغياب ..

فزأعة الحب الأبدية ..

ربما كان الحقيقة الوحيدة و الواضحة ..

فالمشاعر تتفاوت ..

تزيد أو تقل ..

تسمو أو تتحول لأخرى شهوانية ..



أما الغياب فواضح ..

رقراق .. شفاف .. و ..

مستنزف لكل المشاعر مهما كان نوعها !

انهمكت منال في مطالعة بعض المقالات العلمية التي نُشرت
عنها فيما يختص ببحثها الأخير، قلبت الصفحات في اهتمام،
ثغرها تعلوه بسمة خجول لا ترقى لأن تملأ وجهها.

" أيوه يا عم .. مين قدك يا منول .. اسمك و صورتك و أبحاثك
منوره في كل المجلات الطبية . "

رفعت رأسها عن المجلة بين يديها لتنظر لرفيقتها و صديقتها،
ابتسمت منال في سعادة حالمة : ما تتخيليش أنا مبسوفة أد إيه
يا ريم .. حاسة إنني بحلم .. أنا هنا في مؤتمر طبي اتعمل
مخصوص علشاني .. و أشهر دكاترة في العالم بيهنوني بنجاحي



و تفوقى .. لا و كمان عرض لشغل فى الجامعة .. و مستشفى من
 أكبر المستشفيات فى العالم عايزه تتعاقد معايا .. أنا أكيد بحلم.
 اعترضت ريم : إيه بقى .. إنتِ مش حاسه بقيمة نفسك و لا إيه
 .. البحث بتاعك هيعمل ضجة فى الجراحة يا بنتي إنتي مش
 متخيلة الناس هنا بتقول عليكى إيه .. المقال اللي فى إيدك ده
 أكبر دليل على كده .. مفيش و لا دكتور مصري فى مجال
 جراحة النساء اسمه نزل فى مجلة بالأهمية دي .

تنهدت منال .. مشاعرها تجاه الأمر متفاوتة، القليل من الخوف
 المبرر، بعض من رهبة، شيء من القلق؛ و الكثير من الحماس و
 الفخر.

ربما ريم معها بعض الحق أو كثيره، يجب أن تعترف بتعبها و
 نجاحها و إلا ستبخس شأن نفسها .

لقد عملت و أجهدت نفسها فى البحث و التقصي ، و كادت
 تموت حرفياً ما بين زواج و مسئولية طفلة .. و دكتوراه تسعي
 لنيها .. و عمل ينهكها حد الهلاك و تجاربها الخاصة التي
 كللت أخيراً بالنجاح.



إذا فالمنطقي أن تفرح .. ترقص في سعادة لأن كل جهودها قد
آتت ثمارها أخيراً .

ولكن لم لا تستطيع أن تفرح للأقصى .. تحتفل بنجاح هي
تستحقه .

غابت البسمة عن شفيتها للحظة فاقتربت الأخرى بنبرة مدروسة :
إيبيه؟! .. سرحتي في إيه?!!

عادت من شرود قلق : مفيش .. أصل .. رمزي كان المفروض
يكلمني و اتأخر عليّ .

تساءلت في خفوت : قلتيله?!!

ايماءة بنعم جعلت الأخرى تكمل : وإيه رأيه?!!

هزة رأس مع ضمة شفيتين حائرتين : ما اعترضش .

بسمة خبث علّت شفتي الأخرى : ولا وافق!!

انخفاض رأس تلك المرة وازتها حيرة؛ لا تدري كيف سيكون رد
فعله !



راقبت ريم انفعالاتها التي نقلها وجهها بوضوح مع جملة فاصلة

نالت من الأخرى " مش هيوافق ! "

شروود آخر مع شكوك أعلنتها صديقتها بوضوح

مخاوف تكاد تكون ملموسة

و أفكار شتى تعصف برأسها ..

و لو كانت "لا" تعني نهاية طموحها

و أد نجاحها في لحظة ميلاده

ماذا يمكن أن يحدث إن قال لا ؟!

وصولها في تلك اللحظة أوقف كليهما ؛ بل بث الرعب في

قلبيهما على أختهما الوحيدة ؛ تلك التي يشتركان في حبها الغير

مشروط رغم إختلافهما في كل شيء آخر .



كانا أمامها في لحظات يتساءلان في لهفة ، قلق يعصف بهما بلا رادع

" هي فين؟! "

أشارت بيدها و دموع تتجمع في مآقيها بسرعة بالغة ؛ مع اضطراب ، لا تدري ما صار كانت بقربها في لحظة و في التالية كانت تصرخ من ألم بمعدتها تلتها أخرى اختل فيها توازنها و سقطت عن صهوة جوادها .

عادت إليها ذكرى الفقد ؛ الرعب الذي عاشته يوم حادثة هشام و لمى ؛ استعادته بكل بشاعته .

وصلوا للملقة أرضاً بغياب كامل عن الوعي ، تجمد مراد في مكانه بخوف يكاد يشطره على تلك الصغيرة ؛ فسقطات الجياد دوماً مؤذية بقدر تفاوت درجات الإيذاء .

إلى الحد الذي قد تكون فيه قاتلة !!

فحصها رمزي سريعاً قبل أن يصرخ بالمتجمد كتمثال

" روح بسرعة هات العربية .. لازم تروح المستشفى حالاً "



في تلك اللحظة تحرك ؛ اقترب من المسجاة أرضاً في حذر ؛
لمس رأسها في رفق و بعينين تخشيان السؤال : هي .. ؟!
هتف ينفي الخوف الذي يتقاسمه أيضاً معه ؛ و رغماً عن كليهما
" كويسه .. هتبقى كويسه .. اتحرك يا مراد أرجوك . "

تابعتهما بعينين لا تريان ؛ دموع أخفت عنها الرؤية إلى حد كبير
؛ غصة تتآكل قلبها في خوف على الفتاة الرقيقة التي أحبتها منذ
الوهلة الأولى .

و افتقاد قاتل لحنان أخوي كانت يوماً تحظى بمثله !

مرت نصف الساعة قبل أن يصلا للمشفى فرغم قلقهما الشديد
عليها كان حرصهما أكبر .

كانا يتحركان بحرص بالغ خشية أن تتسبب الحركة السريعة بزيادة
الأذى إن كان لديها كسور بالغة .

استقرت أخيراً في غرفة الفحص و تم إجراء فحص شامل لها
فيما انتظر الجميع النتائج في قلق .



خرجت الممرضة من غرفتها برفقة الطبيبة التي أجابت عن
 أسئلتهم القلقة : الحمد لله الحالة مستقرة .. و مفيش كسور ..
 شوية كدمات كلها كام ساعة و تبقى زي الفل .. حمد الله على
 سلامتها .

تساءل رمزي : و نتيجة التحاليل !؟

عدلت من وضع منظارها الطبي الأنيق فوق أنفها قبل أن تجيب :
 الصبح ان شاء الله .. تقدرُوا تطمنو عليها .

أول من اندفع كانت هي و بعتاب باكٍ : كده تخوفيني عليكِ .

بابتسامة شاحبة لوجه شاحب همست : آسفه !!

اقترب أخويها و تمتم كليهما في نفس اللحظة : إنتِ كويسه !؟

تبادلا النظرات بحنق أو بتيه أو حتى بدهشة اكتشاف أنهما
 يشتركان أموراً أكثر مما يعتقدوا .. أو حتى ذهول معرفة أنهما رغم
 بعدهما الشديد عن بعضهما إلا أنهما قريبان رغم أنف كليهما .

انفصلت نظراتهما مع تمتمة ضعيفة : أنا كويسه !!



تساءلت تمارا في قلق : إنتِ لسه موجوده صح ؟! .. هطلبك
مسكن !

اعتراض و ذعر " لأ .. أنا كويسه .. بقيت أحسن "

جلسوا معها لبعض الوقت ؛ تخلله حوارات عدة ؛ كانت يارا
تستجيب للمرح الذي تخلله معظم الحديث لبعض البعض ثم
تعود لحالة من السكون و كأنها في عالم آخر كثيراً .

أغمضت عينيها في ألم لاحظته تمارا على الفور : أجبك

الدكتورة يا يارا !؟

فتحت عينيها و نفت : لأ .. أنا بس مرهقة و عايزه أنام .

نظرت لساعتها في ذعر لتكتشف أن غيابها قد طال كثيراً فلقد
تجاوزت الساعة التاسعة و أن لا أحد يعلم أنها ستتأخر لهذا الحد

هبت واقفة : أنا لازم أمشي .. الوقت اتأخر جداً .

همست يارا في رجاء : لى .. أرجوكِ خليكِ معايا .



هزت رأسها في حزن : مينفعش .. أنا سايبه الولاد من مدة .. و
 زمان طنط فريدة قلقت علينا عشان اتأخرنا .

اكتست قسماتها بالأسى : عشان خاطري !

تدخل رمزي : و بعدين يا يارا .. سيبى لى براحتها .. مينفعش
 تسيب الولاد لوحدهم .

ثم تابع : و بعدين إنتِ كويسة الحمد لله .. و الصبح إن شاء الله
 أول ما تطلع نتيجة الأشعة و التحاليل و نطمئن عليكِ هنمشي .

" تحاليل "

تمتت بالكلمة بنصف ذهول .. و نصف رُعب .

سينكشف أمرها ؛ سيعرف أخويها ياثمها ؛

ستفقد حبهم ..

دعمهم ..

و تحظى بسقوط من نظرهما كعقاب أبدي !



تحتاج إليها .. تريد أن تقص عليها كل شيء .. ستحظى بدعمها
بلا شك .. هي من ذلك النوع من النساء التي تحب بلا حدود ..
و تكون سنداً لمن أحبت بلا حدود أيضاً .

عادت تتضرع برجاء : مش عايزه أفضل لو حدي .

قبل رمزي رأسها : أنا معاك مش هسيبك .

غمغم مراد بمراح : إيه ده يا بنتي .. هي لمى هتعملك إيه يعني
!؟ .. أنا كمان هفضل معاكي .

لم يكن هذا منطقي فالأب بمفرده وكذلك الصغيرة ؛

لذا وجب أن يبقى أحدهما و يغادر الآخر .

استقرا أن يبقى رمزي و يذهب مراد معها رغم تأفف رمزي إلا أن
الأمر لم يكن بيده .

لا زالت تتطلع إليها بتلك النظرة التي اختلط فيها الرجاء بصراخ
صامت



" أحتاجك "

تنهدت في استسلام مستجيبة لنداء قلبها بأنها تحتاجها فاتبع
قلبها و أعلنت

" ممكن تسيبوني مع يارا دقيقتين بس لوحدنا؟! "

رغم غرابة الطلب إلا أنهما استجابا على مضض مع الكثير من
الفضول ربما فما هو الشيء الذي قد تشترك فيه لى و يارا ..
علاقتهما قصيرة الأمد ..

أسابيع قليلة ..

أي سر يشتركان فيه؟!!

بمجرد أن أُغلق الباب خلفهما حتى هتفت يارا في يأس

" أنا في ورطة و محتاجه مساعدتك!! "

هل يعتبر القلق على شخص بعينه صورة من صور الحب؟!!



خاصة إن كان هذا القلق معناه أنه يجب أن يراه أمامه و حوله في كل دقيقة من يومه .

نظر لساعة المكتب أمامه للمرة .. لم يعد يحصي ؛ تأخرت كثيراً بل فاقت الكثير بالكثير .

زفر في حنق قبل أن يُغادر غرفة المكتب ؛ توجه للصالون حيث انهمكت والدته و ياسمين في الحديث .

" تعالى يا ياسين قولنا رأيك في الألوان دي ! "

لم يكن يعلم ما الذي يتحدثان عنه ؟!

تطلع إليها في حيرة : ألوان إيه ؟!

تدمرت ياسمين : مش قلتك يا طنط .. ياسين و لا على باله .

هز رأسه في عدم فهم ؛ نظرات لائمة من والدته و أخرى مستهجنة من ياسمين التي أعلنت : أحنا مش اتكلمنا من يومين عن التعديلات اللي هتعمل في أوضتك و المفروض نختر الألوان و الفرش قبل الفرع .



تنهد قائلاً : و أنا من إمتى ليّ في المواضيع دي .. بصو أنا
 مليش طلبات معينة اتفقوا على اللي عايزينه و أنا موافق عليه .
 اعترضت ياسمين : يعني إيه يا ياسين .. مش دي أوضتنا اللي
 هنعيش فيها سوا .. يعني لازم نختارها مع بعض .
 كانت على حق و لكنه لم يسبق له أن شغل عقله بتلك الأمور ؛
 ربما كانت تشغل حيز كبير من تفكير المرأة و لكنها كرجل
 بالإضافة لشخصيته لم يكن يهمله الأمر من قريب أو بعيد .. لم
 يكن ذنبها أنه كذلك !

و لم يكن يارادته أن يكون كذلك من الأساس .
 بذهن غاب مع تلك الغائبة جلس بجوار ياسمين .. يبغي وجود
 لصورة الزوج المتحمس لزواج بعيد تماماً عن أمنياته .
 استحضر نصف اهتمام .. يُرضي به تلك اللائمة بقربه .
 أمسك العينات التي كانت تختار منها و تفحصها في إمعان و
 تساءل برقة

" إنتِ إيه الألوان اللي عجبك ؟! "



ابتسمت بسعادة و هي تشير بإصبعها لبضعة ألوان

" أنا محتارة بين دول .. و طنط اختارت العسلي ده ."

اختار لوناً بلون الزمرد ينقصه لمعان العسل ليمائل عينين يكاد يراهما في أحلامه .

صفت بيديها : تحفة يا ياسين .. عاجبني أوي .

ركضت نور باتجاههم في تلك اللحظة فتح لها ياسين ذراعيه
لتستقر بين ذراعيه قبل أن تتساءل : هي لولو و يويو لسه
مرجعوش .. وحشوني أوي .

و كأنما جاءت الصغيرة استغاثة من السماء ليخرج قلقه بشرعية :
اتأخروا فعلا .. الساعة عدت تسعة و هما لوحدهم برده .

وجه حديثه للأم : يارا ما اتصلتش يا أمي !؟

نفت : لأ يا ياسين و ابتديت أقلق لمي مهما كان غريبة و لو
حصلت مشكلة يارا مش هتعرف تتصرف .

داعب خصلات الصغيرة في شروود و تمتم : إيه رأيك تيجي معايا
يا نور نشوف اتأخروا ليه .



هتفت الصغيرة بحماس : أيوه .. يلا بينا .

رغم ما كانت تشعر به إلا أنها صمتت حتى غادر فهتفت في
حقق : شايفه يا طنط .. مهتم بيها و قلقان عليها إزاي .. ده عمره
ما سأل أنا فين و لا اتأخرت و لا لأ .

ربتت على ذراعها ممتصة ثورتها : يا حبيبتى إنت من أهل البلد
.. و لمى مهما كان غريبة و بعدين إنت طول عمرك مسؤلة عن
نفسك .. شخصية مستقلة يعني .. إنما هي منعرش ممكن
تعرف تتصرف و لا لأ لو وقعت في مشكلة .

_ أيوه بس اللي بيحصل ده بيضايقني .. مش من حقي أحس
باهتمامه برده .

ابتسمت في ثقة : من حقك طبعاً .. بس انتِ و شطارتك بقى ..
خليه يحس إنك معتمده عليه .. حسسيه إنه غالي عليكِ و
اتصرفي معاه بذكاء .. ياسين ابني مبيجيش بالعند و لا بالضغظ
.. حاولي تنسيه إنك كنتي بتحبي أخوه عشان يفتحلك قلبه !
أومات برأسها في تفهم ..



تشعر في قرارة نفسها أن مشاعرها على الدوام متطرفة ؛ تحب

للأقصى .. تخاف .. تغضب .. تنفعل للأقصى !

حتى الأذى يذهب بها للأقصى !

لم يكذب يغادر حتى وجدها أمامه فتنهد بنصف ارتياح أخذ نصفه

الآخر وجودها معه .. ذلك الذي أثار غضبه حد لكمة في الوجه

لوقاحة هي الاسم الحركي لاسمه .

ملامحها لم تريحه أبداً .. حاول قراءة ما تحاول إخفاؤه سؤال

قلق وازاه دمعين ترقرتا في عينيها : مالك؟! إيه اللي حصل!؟!

بصوت مختنق : يارا وقعت و راحت المستشفى .

أشاح بوجهه في صعوبة بالغة يقاوم احتياج متطرف باحتوائها

بين ذراعيه .

تساءل : مراد!؟!



أجاب بجفاء : يارا كويسه الحمد لله .. و الخيل بتاعك عندنا
بكره أبعتهولك .

شهقة باكية لفتت نظرهما للصغيرة التي اختفت خلف ياسين .
فاقتراب بجزع ؛ نزول على ركبتها أمام الصغيرة و احتضان
يحتوي خوف مع قبلة على الرأس .

" يارا كويسة يا نور ما تخافيش . "

هتفت باكية : طب هي فين و فين بابي !؟

أجابت : في المستشفى و بابي معاها .

اقتراب آخر مع ربتة مواساة لكف الصغيرة المستقر على ذراع
الكبيرة وازاه نظرة تطايرت بشرر مع زجرة لمراد الذي بدا تصرفه
عفوياً .. و لمستة للمي غير مقصودة إلا أنه يعلم أنه ليس كذلك

..

ليس مراد !!

اقترب بدوره ليقف حائلاً بينهما و غمغم : يلا ندخل الوقت

اتأخر و مينفمش نقف في البرد كده .



اعترضت الصغيرة و قد زمت شفتيها في ضيق : عايزة أروح
لبابي و يويو .

داعب مراد شعرها المجعد في رقة : نور إنت هتيجي معايا عشان
جدو لوحده و الصبح هنروح لبابي و يويو .

تطلعت لتماما في يأس .. ذكرتها نظراتها بنظرات يارا التي
كانت تتضرع إليها في يأس .. في استماتة للمساعدة .

عاودت احتضان الصغيرة قبل أن تتمم : طب إيه رأيك تيجي
تنامي معايا و مع كريم و كارما .. و أول ما نقوم من النوم نروح
نظمن على يويو .

امتلاأت عيني نور بالدموع : و بابي ؟! .. أسيبه لوحده ؟!

ابتسمت تمارا في حنان : ما هي يويو معاه .. و احنا هندخل

نكلمه دلوقتي حالا عشان إنت كمان وحشتيه .. موافقة ؟!

نظرت لمراد في تساؤل و كأنما تعلم أن له سلطة عليها تعلق سلطة
الآخرين .

ابتسم في حنان : زي ما تحبي يا نور .



بادلته الصغيرة الابتسام و أومأت برأسها بالموافقة في حماس .
 أمسكت تمارا بكف الصغيرة و تسابقا للمنزل في مرح في حين
 تابع مراد بعينه جسدها بنظرة تقييم أشعلت النيران في صدر
 ياسين

فهتف في غضب " ابعد عن لمى يا مراد ! "

هز مراد كتفيه في لامبالاة و استدار مغادراً المكان و لكنه لم
 يتمكن من ضبط لسانه الذي تمتم في سخرية " خليك في حالك
 ! "

ركل ياسين حصاة مسكينة كان قدرها أن تمتص حنقه الذي
 يستحضره مراد .. باقتدار .

أتى الصباح و لم تستطع خلال ساعات الليل الطويلة من إغماض
 جفنيها ؛ كيف تفعل بنفسها ذلك ؟!
 لمّ سمحت له بالاقتراب لهذا الحد ؟!



أي حب هذا الذي يسلب المرء كرامته ..
إرادته ..

هوية بناها على مدار سنين عمره ليأتي ذلك الفعل الأحمق
المسمى الحب فيلغيها في لحظات .

لم تعتقد أبداً أنها بهذا الضعف !؟

أحبت !؟

و ماذا في هذا !؟

المفترض أن يمنحنا الحب القوة لا أن يسلبنا إياها !

كيف بإمكانها مساعدتها إن كانت هي ..صاحبة الشأن فشلت في

مساعدة نفسها !؟

ما الذي قد تفعله لتخرج بها من تلك الأزمة !؟

كيف و كل شيء سيزول عنه الستار بمجرد الاطلاع على

التحاليل التي ستثبت أنها لم تعد بريئتهم التي يعرفونها !؟

و ذلك ال زيد ..



لا تدري كيف تصفه و قد تخلى عنها !

لن تنكر أن ضعفها .. حبها غير المشروط له جعله يستضعفها ..
يُلقي بكل المبادئ و القيم التي تدعوه للحفاظ عليها عرض
الحائط .

يخونها .. يخون ثقتها ..

يستهن بأمانة قلبها الذي استودعته إياه ..

حمقاء هي بكل المقاييس و نذل هو باقتدار !

غادرت الغرفة بعد أن أوصت زينب بالتوأم ؛ تقافزت الصغيرة
حولها في حماس

استقبلهم ياسين بالأسفل معلناً أنهم ينتظرونها على الإفطار .
جلست بذهن شارد لم تستطع أن تجتنبه ؛ أما ياسين فكانت
تمارا تثير حيرته منذ الأمس ؛ لم تكن طبيعية أبداً ؛ ليست تلك
المنطلقة ؛ المبتهجة التي عرفها خلال الفترة الماضية .



شيء ما حدث بالأمس بدلها ؛ ترى هل ضايقها مراد بتصرفاته
الجريئة !؟

هل ملت البقاء في منفاهم كما توقعت أمه !؟

هل تفكر في الرحيل !؟

شيء ما حدث !؟

يؤرقه بقدر ما يُخفي ضحكة نسيم الصباح على وجهها !

ارتفعت بعينها فصدمة تطلعه فيها بذلك الإمعان ؛ توردت
وجنتيها و اضطربت تماماً مثلما يحدث كلما التقت عينيها .
نهض مغمغماً : لو خلصتوا تعالوا علشان أوصلكو المستشفى .

_ ملوش لزوم .. مراد قال إنه هيجي يوصلنا .

رفض : لأ .. أنا جاهز لو جاهزين يلا بينا .

أومات برأسها في استسلام ؛ مسحت بمنديل ورقي رطب يد
الصغيرة و فمها ؛ عدلت من ملابسها في سرعة قبل أن تمضي
خلفه .



مع تمتمة أخيرة : طنط ممكن تاخدي بالك من الولاد .. أنا مش
هتأخر إن شاء الله .

ابتسامة مع وعد : متقلقيش .. و سلميلي على يارا !

" حاضر "

طوال الطريق لم تتفوه بكلمة ؛ عادت لذلك الشرود الذي يقلقه ؛
بل إن قسماتها كانت تعلوها الحيرة أحياناً .. و الغضب أحياناً
أخرى .. حتى أنه يكاد يُجزم أنه لمح بعض من قسوة يستطيع أن
يُقسم أنها لم تلائمها البتة .

أوقف السيارة أخيراً أمام المشفى و تساءل في قلق : ممكن
أعرف في إيه ؟!

زوت ما بين حاجبيها : أفندم ؟!

عاد يتساءل و عينيه تُحاصرانها : إيه اللي حصل ؟! .. انتِ مش
على بعضك من إمبراح .

نفت في دُعر : مفيش حاجة حصلت .. أنا .. أنا كويسة .

بالتأكيد لم تقنعه خاصةً مع دُعرها الغير مبرر .



عاد يستجوبها : يارا كويسه ؟! حد ضايقك ؟!

أجابت على أسئلة بهزة نافية من رأسها ؛ أنقذتها الصغيرة من
الحصار الذي يفرضه عليها ياسين بالتململ و التساؤل

" إحنا مش هندخل يا لولو ؟!"

تنهدت في ارتياح و هي تترجل من السيارة : هندخل حالاً .. يلا

هرولت باتجاه باب المشفى و هي تودعه في سرعة أو بالأحرى
تهرب منه في عُجالة .

تعلقت عينيها بيارا التي بدت في شحوب الأموات ؛ تتساءل
بعينيها عما صار ؛ اضطراب و شحوب و نظرات تائهة أخبرتها أن
النتائج لم تصل بعد .

انشغال رمزي بطفلة التي اشتاقها و افتقدته منحها لحظات
لتقرب .. لتتساءل في خُفوت : انتِ كويسه ؟!



نفت بعينين اغرورقتا بالدموع؛ رفرفت بجفنيها في سرعة مع
اقتراب رمزي الذي غمغم في امتنان : يا رب متكونش نور
تعبتك !

ابتسمت : لا أبداً دي زي القمر ربنا يخليها لك .

شكرها قبل أن يطلب من الصغيرة أن تتبعه لِيُسأل الطيبة عن
التحليل و تمنحه تصريح الخروج .

حالما أغلق الباب هتفت يارا في دُعر : إلحقيني يا لمى .. أنا
خلاص ضِعت .. هيعرفوا كل حاجة .. أنا ممكن أموت لو ..
استوقفتها : ششش .. إهدي عشان نعرف نتصرف .. يارا .. ده
حمل يعني لو مظهرش النهاردة بكرة هيبان غصب عنك .. و
دلوقتي و لا بعدين مش فارقة .. المهم بعد ما يعرفوا هتصرفي
إزاي .

هتفت باكية : بابا ممكن يموت فيها .. و مراد .. مراد ممكن
يموتني .. أو يموت زيد لو عرف .. أنا خلاص ضِعت يا لمى .



تنهدت تمارا و ربتت على رأسها مهدئة إياها : تمام .. يعني
 إنتي معايا إن الوحيد اللي ممكن يتصرف بعقل هو رمزي ..
 يبقى لازم رمزي يعرف منك إنت .. مش من التحاليل ..
 إحكيه كل اللي حصل .. أنا متأكدة إنه مهما كان غضبه بس
 هيتصرف صح .

_ أيوه بس ده رايح يجيب التحاليل خلاص .

_ ما تخافيش أنا هلدقه و مش هخليه يشوفهم غير لما تحكيه
 الأول .

انطلقت تمارا تبحث عن الطيبة ؛ وجدته بانتظارها في غرفتها
 فتساءلت : هي فين الدكتوراة ؟!
 تساءل بجزع : يارا كويسه ؟!

أومأت برأسها فأجاب : بتعمل الجولة الصباحية و هتجيب
 التحاليل معاها .

ازدردت لعابها في توتر : ممكن أطلب منك طلب .

_ طبعاً .. اتفضلي .



غمغت بخفوت : ممكن تأجل نتيجة التحاليل كام دقيقة بس .. يارا محتاجة تتكلم معاك .

بعد جبينه في تساؤل : و إيه علاقة الكلام بالتحاليل !؟

أخفضت عينها " هتعرف لما يارا تتكلم معاك . "

ثم تابعت : روح ليارا و أنا هستنى الدكتوراة مع نور .

نهض و اتجه لشقيقته و جسده ينضج بالتوتر و الخوف ؛ ترى ما الأمر الذي قد تود يارا محادثته به !؟

و ما علاقته بالتحاليل !؟

أخذ الخوف يزيد بداخله بلا رحمة ؛ و تلاعبت به الهواجس بل هوادة .

صفعة فأخرى ..

كان ذلك هو رد فعله بعدما قصت عليه الأمر .

هتفت باكيه : أنا آسفه .. و الله كان غصب عني .. مقدرتش

أقول لأ .. معرفتش أتصرف .



صرخ بغضب : إنت إزاي عملي في نفسك و فينا كده .. إزااااي
انطقي .

دخل مراد في تلك اللحظة و هتف : في إيه يا رمزي .. بتزعقوا
ليه !؟

أشار بيده للباكية أمامه : إسأل أختك .. المتربية بنت الأصول ..
إيه اللي حصل !

عاد يصرخ بها : انطقي .. إحكي للبيه عن اللي عملتيه .. و لا
تحكي ليه .. ما هو عارف إن الدنيا داين تُدان .. و اللي عمله
في بنات الناس لازم يحصل لأخته أو مراته أو بنته في يوم من
الأيام .

هز رأسه بازدراء : آخر حد كنت متوقع منه يعمل كده .. حقيقي
مش عارف إنت يارا أختي و لا واحدة تانية معرفهاش .
لم يجرؤ على السؤال .. كان يشعر به من الغضب المتصاعد من
أخيه ؛ من اللهب المنبعث من كيانه بأكمله .



اقترب من يارا و رفع كفه لينهاال عليها بدوره دخلت تمارا
 بصحبة نور و في يدها تصريح الخروج و نتيجة التحاليل .
 هالها ما رأت عليه يارا .. التي تفحمت من البكاء ؛ حتى صارت
 تشهق بهستيريا .

هتفت : مراد .. ممكن تاخذ نور و تسبقنا للعربية لو سمحت .

هتف بغضب : مش قبل ما ..

قاطعته بحزم : لو سمحت .. إحنا في المستشفى و مينفعش أي
 نقاش هنا .

زمجر في غضب قبل أن يأخذ الصغيرة التي اعترضت للحظات
 قبل أن يطلب منها رمزي الذهاب .

ناولته التحاليل فنظر إليها في سرعة قبل أن يشتعل غضبه من
 جديد و قد بدأ بنعتها بصفات لم تكن تتخيل أن تسمعها .

هتفت بذهول : رمزي .. و أنا اللي كنت مفكراك عاقل و
 هتعرف تتصرف .



تطلع إليها في استنكار : انتو بتفكروا إزاي؟! .. هي المواضيع
دي فيها عقل؟! .. كان فين عقل الهانم و هي بتسلم نفسها
لكلب ..

قاطعته تتوسله بذعر: بس .. أرجوك بلاش فضايح .. إحنا لسه
في المستشفى .. حافظ على سمعة أختك .

ضحك ساخراً : سمعة؟!!

ترجته : رمزي أرجوك .. الأمور دي متتاخدش كده .. لازم نفكر
و نتصرف بعقل عشان نعرف نتصرف صح .

هتف بسخرية : صح إيه بس بلاش قرف .. و هو البيه اللي عمل
عملته و هرب هنتصرف معاه بعقل إزاي .. و حمل الهانم اللي
كلها شهر و لا اتنين و بيان هنتصرف فيه بعقل إزاي ها؟!!

هتفت الباكية : زيد بيحبني .. هيرجع و نتجوز .. هو ..

صرخ بها : إخرسي .. لو هيرجع كان زمانه رجع .. و يرجع ليه
مادام أخذ كل حاجة .. و هو اللي بيحب حد يعمل فيه كده?!!



تابع : يلا نمشي من هنا قبل ما أرتكب جناية .. و البني آدم ده لازم يطلع من تحت الأرض .. لازم يتجوزك في أقرب وقت .

غادروا المشفى ؛ و طوال الطريق التزم الجميع الصمت فيما التزمت يارا بالبكاء .

استقرت في غرفتها حاولت تمارا التحرك لتتحدث مع رمزي الذي أبى أن يدخل غرفتها فأمسكت بها يارا في قوة تستجديها البقاء .

" عشان خاطري .. إوعي تسيبيني لوحدي "

طمأنتها : مش هسيبك .. أنا بس هتكلم معاهم بالعقل .

تركتها فيما عاودت يارا البكاء و هي تشعر بأن عالمها يتهدم و يتحول لشظايا من حولها .

استوقفت مراد الذي كان يهم بالدخول لينال منها هو الآخر

" تعالى معايا "



طرقت باب غرفة رمزي و دخل كليهما ؛ أغلقت الباب خلفهما
 " بصو بقى .. اللي حصل حصل .. و كل اللي بتعملوه ده مع
 إني عارفه إنه حقكو .. بس مش هيغير من اللي حصل حاجة ..
 يارا حامل .. و الدكتور بتقول إن عندها مبادئ انفصال في
 المشيمة .. يعني الحمل ممكن ينزل في أي وقت .. يبقى
 نتصرف بالعقل . "

صرخ مراد : عقل إيه .. انتو هتجنوني .

اتهمه رمزي : بلاش إنت بالذات تنفعل أوي كده .. اللي حصل
 ده نتيجة أفعالك .. كنت مفكر إن غرامياتك دي هتعدني من غير
 عواقب .

أشارت لهما بأن يلزما الهدوء : بلاش أصواتكوا تعلى و إلا
 باباكوا هيحس .. و ده ممكن يجراه حاجة .

سخر رمزي : خليه يدفع .. أهو ذنب و لازم يشيل نصيبه منه زي
 ما غيره شال بسببه زمان .. سبحان الله حقيقي .
 اندفع مراد ناحية أخيه : انت شمتان فينا يا ..



وقفت تمارا بينهما : بس .. إنتو إيه .. إختكو هتروح منكو و كل واحد فيكو عايز يصفى حسابه مع الثاني .. ثم إن زيد ده صاحبك إنت .. يعني إنت شايل الذنب معاها .

صرخ بغضب : الحيوان .. هقتله !

اعترض رمزي : الحيوان ده لازم يتجوزها و في أسرع وقت ممكن .

هتفت تمارا بيأس : الفرح لازم يكون في خلال أيام .. أسبوع بالكثير عشان تقدرؤا تقولؤا إن ابنها اتولد بعد سبع شهور .

هتف رمزي بعجز : يعني إيه الفرح خلال أسبوع .. هو فين الكلب ده أصلا .. و إيه يضمنلنا إنه هيطلبها و يوافق على الجواز بالسرعة دي .

غمغم مراد بكره : هجيبه من تحت الأرض .. و يا إما يتجوزها

..

يا إما هقتله بإيدي .



و كانت جملته صادقة حتى أنها أخرست الجميع .

الفصل الثاني عشر

أحياناً و ربما غالباً ما يكون الحب ضمير

مستتر تقديره .. أخاف !!

أخاف أن يُجرح قلبي

أخاف ألا يحبني من أحببت

أخاف أن يُضعفني الحب

و فوق كل تلك المخاوف ..



هناك الخوف الأكبر ..

أخاف أن يأتي الحب بعد أن يفوت الأوان !!

لم يتصل بها بعد ؛ تتقاذفها مخاوف شتى ..

هل قرر أنه لا يريد مغادرة مصر !؟

ما الذي يجعله يتمسك بما تحويه تلك البلد من ذكريات سيئة

على أي حال !؟

ألم يخبرها مراراً أنه يرغب في الهروب من الماضي .. من الجرح

الذي تسبب به والده .. من كل شيء !؟

لم يُكابر إذاً إن أته الفرصة على طبق من فضة !؟

عقدت حاجبها مفكرة .. هل تصالح مع والده في تلك الزيارة

!؟



هل حقاً قد يحدث ما يجعله يبقى هناك !؟

ماذا عنها هي !؟

عن سند لها وعدّها أن يكونه ..

عن مُشجع لكل ما تفعله ..

عن داعم لها و لنجاح يعلم جيداً أنها نحتت الصخر لتصل إليه

!!

عادت تتطلع لشاشة الهاتف المظلمة في يأس قبل أن تلقيه في غضب و تبدأ الاستعداد لحفلة تكريم تم تنظيمها من أجلها .

تأنقت فارتدت بدلة أنيقة سوداء ظهر من تحتها قميص حريري أنيق بلون كريمي أحاط بحنايا جسدها في احتشام .

أحطمت وشاح بلون النحاس اللامع حول رأسها في إحكام، دفعت خصلة سوداء فارة تحت وشاحها قبل أن تتناول حقيبة السهرة من الساتان بنفس لون الشاح .

غادرت غرفتها الكائنة في إحدى الفنادق الأنيقة ؛ و في

الاستقبال أخبروها أن سيارة من نوع الليموزين تنتظرها .



جالت عينيها فيما رأتها من خلال نافذة السيارة الفاخرة أثناء
طريقها ؛ شعرت بالانبهار لكل ما حولها .

و للحقيقة هي لا تنفك عن حبس أنفاسها منذ هبطت بقدميها
أرض الولايات المتحدة .

و يتزايد شعورها ذاك كل لحظة تمر عليها خاصةً بعد المؤتمر و
النجاح الذي جنته منه .

تمضي كل لحظة لتخبرها أن حياتها و نجاحها سيكون هنا ..

تزداد اقتناعاً بأن القادم سيكون أفضل بالتأكيد لو استقروا هنا
حيث أرض الحرية .. أرض الفرص الذهبية !!

ترجلت من السيارة تنظر لمدخل القاعة في انبهار لم ينقص بل
ازداد مؤشره بدرجة ملحوظة و قد خطت بقدميها للدخل .

جالت بعينيها تتفحص كل ما حولها تشعر بمشاعر سندريلا حالما
دخلت قاعة الرقص في قصر الأمير .



انشغلت في المضيفين و الأطباء و غيرهم ممن استقبلوها في
حفاوة بالغة ؛ امتدت لطلبات بنصائح طبية .. لعروض مغرية من
أكثر من مشفى .

جلست أخيراً على الطاولة المخصصة لها ؛ تناولت بعض العصير
الطازج أمامها رافضة كل المشروبات الكحولية التي تم عرضها
عليها .

موسيقى هادئة تنبعث من مكان ما ؛ قام على إثرها أكثر من زوج
للرقص في منطقة خافتة الإضاءة بعض الشيء .

أنامل رقيقة حطت على كتفها مع طلب بصوت أجش مستحيل
أن تُخطئه أذنيها

" تسمحي لي بالرقصة دي ؟! "

لفته مع شهقة ذهول لم تستطع كبتها ..

" حسام !! "



تنهدت تمارا في ألم لمرأى تلك الفتاة المسكينة التي لم تتوقف
عن البكاء فعلياً منذ ساعات .

شعرت بالعجز و هي لا تستطيع حثها على التوقف ؛ أو منحها
بعض الهدوء ؛ ماذا عليها أن تفعل لكي تُقنعها بأن البكاء لن
يمنحها الراحة .

" و بعدين يا يويو .. كفاية بقى يا حبيبتى .. متنسيش ان الحالة
دي غلط عليكى و على الجنين . "

شهقت باستنكار : جنين ؟!

لم تكن قد سمحت لنفسها بتصديق أنها حامل .. لم تُفكر بالأمر
أو تكرره على مسامعها لتقتنع أنها كذلك .

لم تُفكر و كأنها إذا ما تجاهلت الأمر سيصبح كأن لم يكن .

لم تكن ترغب بأن تُصبح أماً بتلك الطريقة ؟!

لم يصل تفكيرها أو تتخيل حتى في أسوأ كوابيسها أنها ستصبح
أم دون زواج .. لكم تمت أن تستقبل ذلك الخبر كأسعد ما قد

تسمع في حياتها .



لكم حلمت أن تستقبله معه .. يحتضنها و يُقبلها .. يُخبرها أن
كل أحلامه قد تحققت بها و معها ..

حلمت أن يخططا معاً لكل شيء بدءاً من اختيار الاسم المناسب
للألوان غرفته .. للألعاب التي سيختارها سوياً .. للتعليم الذي قد
يرغبان في أن يحصل عليه طفلهما .

ما تعيشه هو كابوس لم تتخيل في أسوأ توقعاتها أن يحدث !
و لا شيء يشعرها بالعجز أكثر من غيابه !

يُحبها .. ذلك الأمر لا نقاش فيه

بالتأكيد غيابه لسبب قهري ..

هذا ما تنفك تحاول إقناع نفسها به رغم أنه ابتعد حالما عرف
بالحمل .. و رغم أنه لم يتصل ليطمئنها أو حتى يرد على
اتصالاتها .

نادمه ..

بالتأكيد كما لن تفعل باقي عُمرها !!



لا يمكنها لومه على لحظة ضعف منه فتسليم و كأن لا حول لها و
لا قوة .

و مع كل تلك المصائب التي وضعت نفسها فيها لم يكن يشغل
بالها سوى شيء واحد .

تمت بصوت لم تعد تعرفه من كثرة البكاء

" إخواتي كرهوني .. مش كده يا لى؟! "

صححت لها : زعلانين منك .. مجروحين .. في فرق .

اعترضت : لا مفيش !! .. أنا خذلتهم .. خنت ثقتهم فيّ .

ربتت على كتفها مهدئة : حتى لو .. ده مش معناه إنهم

بيكرهوك .. إنت أختهم الوحيدة يا يويو .. بيحبوك جداً و عشان

كده كان زعلهم كبير أوي .. و متقدريش تلومهم على أد ما

و ثقوا فيكي خذلتهم و اللي حصل ده مش حاجة بسيطة برده .

ارتمت يارا في أحضان تمارا لتعاود البكاء : أنا عارفة و فاهمة و

الله .. خايفه ميقدروش يسامحوني .. أنا ممكن أموت لو ده

حصل .



تمتت تمارا في ياس : أنا مش عارفة إنتِ عملتي في نفسك
كده إزاي .. إزاي تتهاوني في حق نفسك للدرجادي .

أعلنت في ندم : كُنت غبية .. ضعيفة .. بحبه و فاجئني باللي
عمله و أنا في أضعف وقت .. بابا كان تعبان و أنا شايله كل
حاجه لوحدي .. تعبت .. كان حبه البسمة الوحيدة اللي في
حياتي .. مفيش حد بيساندني .. معنديش إيد تططب عليّ ..
حبه هو الحاجة الوحيدة اللي كنت بستمد منها القوة .

تابعت : عارفه إنه مش مبرر .. و أي حاجة مش هتني إني
أجرت في حق نفسي .. أنا .. أنا بمجرد ما .. كنت بموت ..
زي اللي كان واخد مخدر و فاق لقي كل حاجة حلوة اتسرفت
منه و هو غفلان .. أنا كنت بكتم في وجعي .. بخرس في
لساني عشان مينطقش .. كان هاين عليّ أصرخ بس بابا .. بابا
كان في الأوضة اللي جنبي .. تعبان .. لو حس بحاجة كان
ممكن يموت .

تَعرت روحها .. لم تعد تُخفي شيئاً .

ربما الغفلة قد تأخذنا أحياناً لأماكن نقسم أننا لن نكون فيها ..



لنفعل أشياء نعرف تماماً أننا لن نفعلها بكامل وعينا .

ولكن ..

ربما من حسن حظه .. و سوء طالعها أنه تواجد في الوقت

الملائم تماماً

ليتصرف التصرف الغير لائق أبداً .

تساءلت : طب و بعدها !؟

اعتذر ببساطه !!

و يالأسف ..

بعض الأفعال لا يمحوها الاعتذار !

لم يكن من المفترض أن يحدث ما صار بتلك الطريقة ؛ كان

سيصير على أي حال و لكن ليس هنا .. و ليس هكذا !

طمئنها .. وعدّها بأنه لن يتخلى عنها !!

تساءلت تمارا : و انتِ لسه مصدقاه بعد ما غاب !؟ .. تفتكري

هيرجع !؟



غمغت بثقة بدت مهترئة حتى لها : زيد بيحبني !!

_ مش ده سؤالي !؟

شردت عيناها و هي تُجيب : المشكلة مش في الغياب في حد ذاته، الغياب صعب بس مقدور عليه .. المشكلة انك بتبقي مش عارفه الغياب ده لسه فاكرك و لا الغياب ده هروب من حمل حبك التقييل على قلبه.

تنهدت تمارا : في الآخر كله غياب .. و يا ريتك عارفه هيرجع فعلاً و لا ..

استوقفتها : لأ .. أرجوك إوعي تقولي كده .. زيد ده حُب عمري .. و أنا حياته .. مستحيل يخذلني بالطريقة دي .. مستحيل .. أنا .. ممكن أموت .

لم يكن بوسعها سوى التمني ..

وإلا ..

لا أحد يعلم كيف ستكون العواقب !!



وضعت كل الأوراق في ملف واحد بعد أن انتهت من طباعتها ؛
نظرت لعملها بنظرة رضا .

نظمت الفوضى التي أثارته على سطح المكتب ؛ حملت فنجان
القهوة الفارغ و قررت الاستعداد للذهاب ليارا بعد أن تمضي
بعض الوقت مع التوأم .

إلا أن المكتبة التي تحتل جداراً كاملاً من الغرفة أثار انتباهها
بل إنها دوماً ما تفعل ؛ اقتربت لتمر بعينها على عناوين الكتب
المصطفة بعناية بالغة و مصنفة حسب مجال كل كتاب .

تنوعت تصنيفاتها ما بين مجلدات دينية ؛ كتب سياسية ؛
اجتماعية ؛ تاريخية ؛ تنمية بشرية ؛ و أفرد رف كامل للروايات
تنوعت ما بين الروايات العربية و المترجمة .

ابتسمت حالما رأت روايتها المفضلة " كبرياء و هوى " تحتل
موقعاً مميزاً بين كم الروايات الهائل ؛ وضعت الفنجان الفارغ
على طاولة جانبية ؛ امتدت يدها لتتناول الرواية التي بدت مهترئة
إلى حد ما .



" دي أكثر رواية بحبها !! "

شهقت في دُعر ؛ سقطت الرواية من يدها فانحنت لتلتقطها في
نفس الوقت الذي كان يفعل فيه ذات الشيء فتلامست أصابعهما
في عفوية ؛ تركتها له في ارتباك .

اعتذرت : أنا آسفه .. ما حسيتش بيك لما دخلت .

ابتسم مع شعور بالافتنان لرؤية وجنتيها المتوردتين : أنا اللي
آسف اني فاجأتك بالطريقة دي .. بس أنا خبطت قبل ما أدخل

هزت رأسها : ولا يهملك .

تساءل : بتحبي القراءة !؟

أعلنت بحماس : جداً .. خصوصاً الروايات .

ثم تابعت ببسمة خجول : جين أوستن عبقرية .. و الرواية دي
روايتي المفضلة أنا كمان .

ابتسم : عندي المجموعة بتاعتها كلها .. المكتبة تحت أمرك
طبعاً وقت ما تحبي .



همت بالتوجه للباب : شكراً .. أكيد هحب أقرأ .. إنت عندك
مجموعة هايله .

توقفت على عتبه و أشارت بيدها للملف على سطح المكتب :
آه .. الورق كله جاهز في الملف هناك .

تطلع إليها في امتنان : أنا مش عارف أشكرك إزاي على اللي
عملته .. إنت أنقذتيني و خلصت الشغل في زمن قياسي .

أخفضت عينيها : أنا معملتش حاجة .. دي حاجة بسيطة و ده
شغلي .

_ شكراً .

همت بالمغادرة فاستوقفها : لمى .. العملاء على وصول ..
ممكن تبقي موجودة عشان لو حبوا يستفسروا عن حاجة .

ابتسمت : أكيد .

غادرته و تركته مع كتابه المفضل بين يديه ؛ الرواية التي لا يتذكر
عدد مرات قراءتها .



تصفحها سريعاً قبل أن يتوقف عند اقتباس كان قد ظلله منذ
أعوام طوال ؛ ربما أثناء سنوات مراهقته الأولى .

" كل شيء يمكن أن يحدث .. كل شيء يمكن أن يتحملة
الإنسان .. إلا أن يتزوج بغير حُب "

ابتسم ساخراً لمشاعر حملها في يوم من الأيام ؛ لأحلام ربما
اعتقد أنه قادر على تحقيقها .

تذكر خطاب شقيقه و الحلم الذي تشاركاه يوماً و غمغم في
سخرية مريرة

" مبقاش ينفع ! "

يشتاقها !!

بمجرد أن حطت قدمه البلدة اكتشف أنه افتقدها و كثيراً ؛
ربما ما فعله بها لا يُغتفر ؛ و ما سيُقدم عليه سيجعلها تكرهه .



ولكن ..

رغم أفعاله يُحبها حقاً !

و على النقيض مما قد يفعل .. ستظل هي حبه الوحيد .

قد يخسرها ..

بل هذا ما سيحدث على الأغلب بعد ما نوي على تنفيذه .

ولكن ..

ما باليد حيلة .

أحياناً قد يصاب المرء بالشيزوفرانيا ..

فتنفصل نفسه لمتضادين ..

أحدهما يقوم بكل ما يُخالف طبيعته

يؤدي الآخرين حتماً و لكنه يؤدي نفسه قبل الجميع .

سيأتي يوماً ما يُطالبها بالصفح ..

و يأمل ألا يكون الأوان قد فات حينها !!



اتجه للمزرعة فأخبروه أنها مريضة ؛ انطلق من فوره للمنزل و
القلق ينهش قلبه .

أي مرض !؟

مرض عادي أم بسبب الحمل !؟

أم أن شيء ما صار و تم اكتشاف أمرها !؟

فُتح الباب ليطالعه مراد بملامح غريبة ؛ لم يسبق له أن رآه هكذا

حالما تعرف عليه عاجله بلكمة في فكه فأخرى في أنفه .

المفاجأة شلت تفكيره للحظات قبل أن يبدأ العراك بدوره و بدأ
يدافع عن نفسه .

صرخ به مراد : أنا هقتك يا ندل يا جبان .. أنا تعمل في كده .

اندفع رمزي باتجاههم ؛ حال بجسده بينهما ؛ يحاول الفصل
دون جدوى وسط تراشق بالألسنة و عراك بالأيدي .

هتف بهما : و بعدين معاكو .. مينفعش الكلام ده هنا .



نظر لأخيه نظرة مُحذره معناها أن لا المكان و لا التوقيت يسمح
 بذلك ؛ تجاهلها الأخير و قد أعماه غضبه ؛ يشعر بقدر من
 المسؤولية لن ينكر ذلك ؛ ليس لأنه فعل كل ما فعل و الآن عليه
 أن يجني ثمار ما زرعه سابقاً و لكن .. لأنه من أدخل هذا الندل
 في حياة أخته من الأساس .. هو من ائتمنه في حين أنه كان
 يشاركه معظم نزواته سابقاً .

كان هذا ما يحاول إيهاًم نفسه به ؛ فزيد أبداً لم يكن مثله ؛ ربما
 ربطت بينهما أواصر الصداقة و تشاركا بعض السهرات ؛ و جمع
 كليهما كثيراً أيضاً و لكنه لم يكن أبداً مثله .

يارا كانت نزوته الأولى ..

و الأخيرة .

هتف بكره : إنت .. إنت تعمل معايا أنا كده .. إزاي !؟

يارا يا جبان .. يارا !!!

هتف بكره مماثل : تلميذك يا مراد بيه .

دفعهما رمزي أمامه : يلا .. اتحركو هتكلّم في مكان تاني .



و في ركن قصي من حديقة المنزل همّ مراد بضربه مجدداً إلا أن رمزي استوقفه : و بعدين يا مراد .. ممكن نتصرف بالعقل شويه

تابع و هو يبذل أقصى درجات ضبط النفس لكي لا يترك العنان لغضبه بدوره : كلنا غلطنا في حق يارا .. كلنا .

استعاد كلماتها التي سمعها من خارج غرفتها حينما فتحت قلبها لتمارا .

كانت على حق .. وحيدة .. بلا أم .. بلا أخوه .. حتى الأب و إن لم يكن مريضاً فما كان ذلك سيغير من الأمر شيئاً .

أمسكه مراد من تلايبه و هو يهتف بوعيد : لو ما اتجوزتهاش خلال الكام يوم دول .. يبقى تتشاهد على روحك .

بابتسامة جانبية ساخرة عادت تشعل فتيل غضب مراد من جديد : الفرح الخميس الجاي .. سواء برضاك أو غصب عنك .

ببسمة مقية أعلن زيد " بس أنا مش فاكر اني طلبت إيدها أصلا

"



ما بين شعور بالمهانة و آخر ينذر يا عصار من الغضب يوشك
على الهبوب، تابع و هو يحرك رأسه بأسى مصطنع

" ثم أنا متجاوز .. و مخلف كمان "

هتف كليهما بذهول : أفندم !!

ثار مراد مرة أخرى فيما كان الجمود من نصيب رمزي الذي
توقف لدقائق يحاول استيعاب المشكلة بكل أبعادها .

" و ده حصل إمتى ان شاء الله !؟ .. إنت فاكر إنك هتضحك
عليّ بالكلمتين دول !؟ .. ده أنا أدفنك مكانك . "

بيروود غمغم زيد : اهدى كده يا مراد عشان أعصابك .. اهدى
عشان نتفاهم .

أخرج مراد من جيب بنطاله الخلفي مِدية ؛ وجهها لعنق زيد "
هتجاوزها خلال يومين و إلا .. و رحمة أمي هقتلك . "

بسخرية أخرى تتمم : أمك !؟ .. لا حقيقي و نعم .. أمك اللي
عملت التمثيلة زمان لأم الغلبان ده عشان تتجاوز أبوك .

صرخ مراد : ما تجيبش سيرة أمي يا كلب .



اعترضهما رمزي : قصدك إيه .. إنطق .. قولي إنت تعرف القصة

دي منين .

تطلع إليه مراد بنظرة تحذيريه أحجم على إثرها ما كان يود قوله

فليترك ذلك الآن فهناك ما هو أهم .

غمغم بوعد : مسيرك هتعرف في يوم من الأيام .

همّ باستجوابه فهتف مراد : مش وقته يا رمزي .. نخلص من

الجوازة دي الأول .

سكت زيد هنية ثم أعلن : أنا موافق أكتب الكتاب بس بشرط .

و كان شرطه يكاد يكون تعجيزياً .. و حالما أخبرهم بالأمر

اشتعل العراك من جديد .

انتهت يارا من محادثة تمارا التي أخبرتها أنها ستتوجه إليها في

الحال .

اتجهت يارا لنافذة غرفتها ؛ شهقت في رُعب فأمامها كان مراد

يرفع مديته الخاصة بوجه زيد .



هرولت من فورها ؛ خرجت من غرفتها مسرعة ؛ نزلت السلالم
قفزاً ؛ عدت باتجاه الحديقة .

هتفت لاهته " مراد .. رمزي .. اوعو .. تؤذوه . "

ترنحت للحظات قبل أن تسقط أمامهم فاقدة للوعي .

توجهت تمارا لغرفة الصالون حيث جلس الجميع .. ياسين و
والدته .. بالإضافة لياسمين .

تطلع إليها الجميع فيما اختلف تأثير وجودها عليهم جميعاً ..

ما بين عينين حانيتين و آخرتين قاسيتين ؛ تلمعان بكره عميق ؛ و
أخرى مهتمتين بدرجة تثير القلق في نفس صاحبهما .

اقتربت تمارا من فريدة ؛ قبلت رأسها في حُب : السلام عليكم ..
إزيك يا طنط عامله إيه !؟

قبلت وجنتيها قبل أن تتطلع إليها بلوم : لسه فاكره تسألني يا لمي
.. مبقيتش بشوفك خالص .



اعتذرت : و الله يا طنط غصب عني .. إنت عارفه إنني مش
ممكن أعمل كده بمزاجي .

اتهمت ابنها : ياسين بيتعبك معاه .. أنا عارفه .

نفت : لا خالص و الله ما تظلمهوش .. الحقيقة إن كذا حاجة
مع بعض .. الوقت اللي بقضيه في المكتب .. و مع يارا .. ده
غير الولاد .. بس وعد أول ما يارا تبقى كويسه هزهقك مني .
ابتسمت فريدة : يا سلام .. زهقيني إنت و ملكيش دعوة .

تساءل ياسين : إنت رايحه دلوقتي !؟

أومأت برأسها دون أن تتطلع إليه مباشرة : أيوه .

غمغمت ياسمين بسخرية : مش ملاحظة إن زيارتك كترت هناك
اليومين دول .

أجابت بلامبالاة : يارا تعبانه و محتاجاني جمبها .

عادت تسخر : يا سلاام .. و كأنكو أصحاب من سنين .. دول
يدوب عشرة كام يوم .



ابتسمت بوجهها : بس احنا حاسين كأننا نعرف بعض من زمان
فعلاً .

وجهت حديثها لفريدة : طنط .. أنا غديت الولاد و نيمتهم ..
ووصيت زينب عليهم .. مش هتأخر إن شاء الله .

_ ماشي يا حبيبي .. سلميلي عليها .

وقف ليعلن : هوصلك .

اعترضت ياسمين على الفور : يا سلام .. ده على أساس إن
البيت في آخر الدنيا .

تطلع إليها بغضب فتابعت بخفوت : ثم .. ثم إنت ناسي إن
ضيوفاك على وصول .

رفضت تمارا : مفيش لزوم .. المكان قريب فعلاً .

أوصلها لباب المنزل قبل أن يغمغم : قريب بس مينفعش تمشي
لوحدك .

_ بجد ملوش لزوم .. انا عارفة المكان كويس ثم إن ضيوفاك
خلاص قربوا يوصلوا .. مينفعش يوصلوا و انت مش موجود .



تنهد في سخط : طب ممكن متأخرش .. عشان محتاجك

جمبي .

تطلعت إليه بدهشة فيما تعالت دقات قلبها ؛ فاستدرك على الفور

: أقصد .. عشان الشغل يعني العملاء أكيد هيستفسروا عن حاجة

و لازم تكوني موجودة .

أخفضت عينيها في حياء و تمتت : حاضر .

انصرفت فعاد للدخل ليعلن : أنا هتصل بيهم أشوف لسه قدامهم

أد إيه !؟

حالما اختفى اقتربت من فريدة و تمتت : مش ملاحظة يا طنط

إن رجليها أخذت على البيت هناك .. ده غير إني بحس إنها

قريبة أوي من رمزي و مراد .. تفتكري ممكن يكون في حاجة

!؟

تطلعت إليها بدهشة : حاجة إزاي يعني !؟ .. مش فاهمه !

أجابت بخبث : يا طنط مراد بيدور على عروسة .. و لمي زي

القمر و هو كمان .. يبقى ليه لأ .



زوت فريدة ما بين حاجبيها : إنت بتقولي إيه يا ياسمين ..
مستحيل طبعاً .

_ أيوه يا طنط بس ..

زجرتها : ياسمين .. إوعي تفتحي الموضوع ده تاني .. فاهمه
!؟

تهالكت على الكرسي قبل أن تعيد ما سمعته للتو من رمزي :
نص مليون جنيهه !؟

هتف مراد بحنق : تعجيز مش كده !؟

حركت رأسها في أسف : مش دي المشكلة .. أنا كان عندي أمل
إنه يطلع بني آدم كويس .

سخر رمزي : كويس إزاي بس بعد اللي عمله !؟



غمغت بحزن : كنت بحاول ألتمس له عُذر .. إنه بيحبها زي ما
بتحبه .. إنها تكون غلطة في لحظة ضعف .

أعلن مراد في سخرية مريرة : خُدي التقيلة بقى .. متجوز و
مخلف .

شهقت في عنف : لا .. مش معقول !؟

رمزي كان الغائب الحاضر فنصف تركيزه معهم و النصف الآخر
يدور فيما أعلنه زيد عن أمه .. إذن لقد افترت على كليهما
بالكذب .

و ماتزال كلماته الأخيرة ترن في أذنيه بعد أن سقطت يارا
أمامهم

" يارا دي خسارة فيكو .. خسارة فينا كلنا . "

هتفت تمارا : سيبوني أتكلم معاه !؟

اعترض مراد : لأ طبعاً .

فيما رفض رمزي : تكلمي مين !؟ .. ده بني آدم واطي ..

خسارة إنك تضيعي وقتك معاه .



تابع : ثم إننا مفيش قدامنا حل ثاني عشان الجواز يتم في أسرع وقت .

تساءل مراد في يأس : بس المبلغ ده كبير جداً .. هنجيب السيولة دي كلها منين !؟

رمزي في استنكار : متحاولش تقنعني إن البنك مفيهوش مبلغ زي ده !؟

هز مراد كتفيه في حيرة : يارا هي اللي تعرف كل حاجة .. و إن كنت أشك إن السيولة تغطي المبلغ .. متنساش إن فلوسنا كلها أصول .

_ والعمل !؟

مراد : نقول ليارا !

رفضت تمارا بذعر : لأ .. إوعى حد يقولها حاجة زي دي .. دي لو عرفت ممكن تروح فيها .

غمغم مراد بقسوة : ما هي غلطتها و لازم تتحملها !!



نظرت إليه بلوم : بلاش تبقى قاسي أوي كده .. يارا غلطت بس
مش لوحدها .. كلكو مشتركين في الغلط .

ثم تابعت : لو على الفلوس .. أنا مستعدة أدفعها لما تظبطو
أموركو .. أهم حاجة الفرحة يتم بأسرع وقت .

هتف رمزي في كره : مستحيل .. مش ممكن أسيبك تطلبي من
ياسين مبلغ زي ده عشان أختي .

_ و مين قال إنه من ياسين .. دي فلوسي .. ورثي من أهلي ..
وديعة مشتركة بيني وبين أختي .. ننزل مصر و نفكها .

تساءل مراد : وأختك هتقبل !؟

صمتت في حزن فهمس رمزي : أختها اتوفت .

غمغم بأسف : أنا آسف .

مرر رمزي أصابعه في شعره : طب هنسافر مصر بأي مبرر ..

هتقولي لياسين و طنط فريدة إيه !؟

صمتت لتفكر ثم أعلنت : هنزل مع يارا نجيب فستان الفرحة .



ابتسم رمزي في امتنان : فكرة هايلة .. شكراً يا تم ..

بتر عبارته بعد أن أوشك أن يناديها باسمها " تمارا "

أعاد صياغة كلماته : ربنا يجازيكي خير يا رب .. مش هنسالك
وقفك مع يارا طول عمري .

استنكرت : ملوش لزوم الكلام ده على فكرة .

بدأت بالتحرك صوب غرفة يارا حتى لا تتأخر كما وعدت .. و
لكنها تركت مضطرباً آخر .

أحد الرجلين كان يختبر أول خفقة مختلفة عما اعتاده طوال
عمره .

مراد ..

من يتباهى بكون قلبه لا يعرف الضعف ..

و كأنما تم تجميده فتوقف عن الشعور بالحب ..

يختبر أول خفته ..

لأول أنثى تحصل على احترامه !!



سارت تمارا باتجاه المنزل بعد ان قضت بعض الوقت بصحبة
يارا التي طارت فرحاً أن الأمور في طريقها للتحسن .. و ان
الأمور ستصبح على ما يرام بين زيد و أخيها .
و بدءاً بالاستعداد لتحضيرات الزفاف و كما توقعت تمارا أصرت
يارا أن ترافقها لاختيار فستان الزفاف .
كانت تمشي و قد أخذتها أفكارها لذلك الرجل الذي تخشى
عليها منه ؛ يساوم ليتزوجها ؛ لا يحبها كما اعتقدت .
لم تستطع سوى أن تدعو الله لكي يحميها من أي سوء قد
تواجهه بسبب سذاجة قلبها البريء .
حالما اقتربت من المنزل بدأ قلبها بالاعتراض ؛ قلبها الذي
تُحاول أن تسيطر عليه منذ بعض الوقت .
ربما كان التجاهل حل لبعض الأمور ..
و لكن المشاعر ليست إحداها بالتأكيد .
عندما يطرق الحب قلبا .. لا يكل



فإن أوصدت بابا في وجهه طرق آخر .. ف آخر
وإن تعنت و أحكمت إغلاق مسامع قلبك ..
تسلل إليك من حيث لا تدري ..
لئسقط إرادتك .. يمحورفض تحاول التمسك به
حتى يفاجئك بوجوده .. يعلن عن كيانه بكل وضوح ..
و أثناء ذلك لن يستطيع دفاعك الواهي من الصمود ..
حينها فقط ستعلن الاستسلام لسلطانه
و تعترف بالحب !!

هتاف بصوت تعرفه جيداً استوقفها ؛ سمرها في مكانها كتمثال
حجري ؛

لفظ لن تخطئه أذنيها أبداً لاسمها بلدغته المميزة الخالية من
حرف الراء .

" تمارا !! "



الفصل الثالث عشر

الحب الأول

وهم كان أو أسطورة ..

حقيقة كان أو خيال ..

تمسكنا به بكل عنفوان سنواتنا التي لم تتعدى العشرون

أو تخلينا عنه عند أول منعطف ..

غالباً ما يفشل ..

و دائماً ما يأخذنا الحنين إليه ..

مهما صار !!



شهقة أتبعها رجفة واضطراب، لفظت اسمه بلهفة الأعوام
الماضية، بحنين قلبها للأيام التي كان فيها أعلى من بعمرها .

و بحسبة بسيطة تذكرت و كأن بإمكانها النسيان .

غالباً ما يكون في حياة كلاً منا قصة أولى .. حب أول ..

إحساس بدفء يكسو القلب نختبره للمرة الأولى ..

البعض تبادل الحب و انتهت العلاقة بذكريات نتذكرها من وقت
لآخر ؛ تجلب بسمة حانية .. سعيدة .

و البعض الآخر أحب من طرف واحد .. رسم لنفسه حياة كاملة

مع من أحب .. ربما لم تكتمل لأن الطرف الآخر لم يبادله

المشاعر و لكنها تظل الأحلى .. الأكثر حنيناً إليها من أي وقت

مضى .. و يظل الطرف الذي أحب يشعر في قرارة نفسه أنه كان

أولى بأن ينال الحب مقابل مشاعره ..

و ربما ان تنازل قليلاً .. تغاضى عن كبرياؤه بعض الشيء .. ربما

كانت العلاقة ستنجح و سيتوج حبهم بالسعادة الأبدية .



أما عن البعض الأخير .. ذلك الذي تنتهي علاقته نهاية
مأساوية..

ألم كان أو جرح ..

خيانة كانت أم ضعف ..

أو حتى ان أبت الظروف أن تكلل قصتهم بالنجاح فيظل هو
الآخر يحمل جروح الحب الأول .

و ندبات الماضي لا تُمحي خاصة لو كانت تتعلق بالقلب .

" حسام "

كان حبها الأول ..

أحبه بكل حماس و عنفوان فتاة في مقتبل العمر ؛

أحبها !؟

بالتأكيد .. و لكن على طريقته الخاصة !!

أحبه بكامل جوارحها فيما اقتسم هو القرار ما بين عقلٍ و قلب !



كان طبيباً مساعداً حينما وصلت هي للعام الثالث من دراستها
الجامعية في كلية الطب جامعة القاهرة .

كان أصغر دكتور مساعد في الجامعة !!

و أوسمهم .. تمتع بشخصية جذابة .. فُتن به الجميع لما يحمله
من شخصية قوية و محبة في نفس الوقت .

ربما لم يتعدى الأمر مجرد إعجاب عابر في بادئ الأمر إلا أن
وجوده حولها بدأ يلفت انتباهها إليه أكثر .

لطالما كانت طالبة مجتهدة .. يشهد لها الجميع بالذكاء و
الاجتهاد .

و لكم أشاد بها الكثير من أساتذتها .

و كان أن حدث ذلك أمامه في إحدى المرات .. و بعدها
اختلف الأمر .

بدأت تشعر باهتمامه بها .. حرصه على أن تكون في الصفوف
الأولى لمحاضراته .

أن تحصل على أعلى التقديرات في مادته !؟



حتى أنه كان يعرض عليها المساعدة كثيراً .

كل شيء فيه كان يُعلن أنها مميزة لديه .

لا تعلم متى بدأ قلبها في الإعلان عن أن الأمور لم تعد كما

كانت .

بدأ يخفق ..

يشتاق ..

يُحب !!

و كما يقولون أن الحب أصله اهتمام ..

سقطت هي في شرك اهتمامه فأحبت .

و حين الحب .. و خاصة إن كان الأول يفقد المُحب كل منطق .

" سأطلبك من خالتك و زوجها .. لا أقوى على انتظار نهاية

دراستك "



بخجل مراهقة .. و خفقات قلب عاشقة حتى النخاع .. وافقت

" لن أتمكن من تجهيز مسكن ملائم بإمكاننا العيش مع أمي
بصفة مؤقتة "

بسذاجة أخرى .. وافقت .

" لن أستطيع الإنفاق على كليتنا كما يجب خاصة و أنتِ تدرسين
في كلية عملية تتطلب نفقات عالية .. ربما تستطيعين العمل و
مشاركتي الإنفاق أو .. تؤجلين دراستك بضعة أعوام "

و بكل تفاني نزلت للعمل لتتمكن من الإنفاق على دراستها
الباهظة على حد قوله.

حينما بذلت هي العطاء في حبه .. بخل هو عليها بمنحها القليل
في المقابل .

كانت تلك طريقتها .. و أسلوبه هو !

لم يخطئ من قال :



عندما يطرق الحب الأول باب القلب تفر سلامة العقل من الباب الخلفي، يرفع القلب حينها راية لا أرى .. لا أسمع .. لا أعقل.

استغلها حتى آخر قطرة !!

حتى أتى ذلك اليوم ..

حينها كانت تتحضر طوال اليوم لتظهر بأبهى حلة ..

فاليوم عيد ميلاده و قد انهمكت طوال اليوم في التحضير لمفاجأة له ؛ احتفال بمضي ستة أشهر على زواجهما و احتفالهما الأول بعيد ميلاده معاً .

ساعدها على ذلك سفر والدته لأختها المريضة في الصباح .

جهزت وجبة عشاء على ضوء الشموع ؛ و قالب من الكيك بالشيكولاتة كما يحب ؛ فستان جديد التصق بحناياها في إغراء ؛ مكياج أنيق .

تكاد السعادة تحملها على أجنحة الطير لتحلق بها عالياً في السماء .



نظرت لما أعدته بعين الرضا، عدت ملابسها في المرآه، و
مشطت شعرها القصير الملتفة خصلاته بأصابعها في سرعة حالما
سمعته يضع المفتاح في ريتاج الباب .

كان يبدو عليه الإرهاق الشديد و التوتر ، أشرفت ملامحه قليلاً
حالما طالعتة هي ببسمتها الصافية .

أدار عينيه في المكان الذي أعدته كما يجب في تساؤل؛ قبل أن
تقترب و تطبع قبة خجلة على شفثيه .

" كل سنة و إنت طيب "

خفق قلبه و قد أشعرته قبلتها السريعة بالتوق للمزيد .

فشدها إليه في قوة و همس بصوت أجش : البوسه دي متنفعش
.. مش محسوبة .

داعب عنقها بأنامله في بطاء قبل أن يحط بشفثيه عليه برقة بالغة
؛ ارتجفت بين يديه كما تفعل على الدوام كلما اقترب منها
فشعرت بانفراجة شفثيه على عنقها بابتسامة قبل أن يهمس : لسه
بتتوتري كل ما بلمسك .



اشتعل وجهها خجلاً لا زال يلازمها و ربما لن يفارقها حينما
جذبها من يدها ليتجه بها إلى غرفة نومهما .

شهقت في اعتراض: حسام .. استنى بس .. الأكل هيبرد .. و ..
حملها بين ذراعيه و أسكتها بطريقته .

أمسك يدها لتتجه لوسط القاعة حيث انهمك أزواج من الحضور
بالرقص على موسيقى ناعمة و حالما طوقها عادت من ذكريات
أكثر من خمس سنوات ماضية .

حاولت الفكاك من أسر ذراعيه إلا أنه أحكم وثاقها و همس
بنبرة حازمة

" بلاش فضايح إحنا مش صغيرين للعب العيال ده "

قاومت للحظات ثم أدركت أن لا جدوى من المقاومة فرضخت

..

مثلما كانت تفعل على الدوام .. و منذ أحبته .

قبل ستة أعوام .



هتاف بصوت تعرفه جيداً استوقفها ؛ سمرها في مكانها كتمثال

حجري ؛

لفظ لن تخطئه أذنيها أبداً لاسمها بلدغته المميزة الخالية من

حرف الراء .

" تمارا !! "

غادرت الدماء وجهها و سقط قلبها بين قدميها ؛ دارت على

عقبها في بطاء وازاه ارتعاش ساقها ؛ ازدردت لعابها في توتر

حالما استقبلتها عينه اللتين لا تزالا تتطلعان إليها بنفس

النظرات رغم مرور عدة أعوام على رؤيته .

ضاعت حروف اسمه بفعل الخوف الذي تملكها و هدد وجودها

في هذا المكان بالكامل " كرم "

أشرق وجهه و هتف : تيمو .. انتِ إيه اللي جابك هنا .. ياااه

أنا مشفتكيش من زمان بس لسه زي ما انتِ و أحلى .



عادت تزدرد لعابها في توتر : أنا .. أنا عايشة هنا .. إنت إيه
اللي جابك هنا !؟

ابتسم : أد إيه الدنيا صغيرة .. أنا جيت مع المحاسب بتاعي
عشان أمضي عقود شغل مع ياسين الجبالي .

تلفت حولها تبحث عن الآخر بعينها فتابع : سمير جوه .. أنا
خرجت أشرب سيجارة هنا .

لم يستطع أن يُخفي ابتسامته و لا سعادته البالغة برؤيتها هنا بعد
فترة انقطاع عن رؤيتها لا بأس بها .

أما هي فالذعر الذي اختبرته جعلها تتلفت حولها في خوف ؛
تخشى أن يسمعه أحدهم و هو يناديها باسمها أو يضبطه متلبساً
بالنظر إليها بتلك الطريقة .

أعاد سؤالها في فضول : انتي مقلتيش يا تيمو عايشه هنا ليه و
إزاي !؟

توسلته بعينها قبل لسانها : كرم أرجوك بلاش تنادينني تمارا ..
أنا هنا لمى .



زوى ما بين حاجبيه : أنا مش فاهم حاجة .. ليه عايزاني أناديك
باسم أختك !؟

ضمت قبضتيها أمامها في رجاء : أنا هفهمك كل حاجة بعدين ..
لا الوقت و لا المكان يسمحوا بكده .. كل اللي طالباه انك
تجاريني و بس و متقوليش تمارا .. اللي تسمعه هنا تجاهله و
بس .

هز كتفيه و مط شفتيه في موافقه : تمام .. أنا هعمل اللي انت
عايزاه لحد ما تفهميني .

تهلل وجهها : شكراً يا كرم .. متشكرة جداً .

اتجهت للباب و خلفها كرم الذي عاد يتأملها في اشتياق لم يبرد
رغم مضي الكثير من الوقت .

خفق قلبه في سعادة لمقابلة من امتلكت قلبه يوماً .. فكانت أول
من سكنته و ربما الأخيرة .

استقبلهما ياسين و ابتسم لها في حبور : أهلاً يا لمى .. قابلتي
الأستاذ كرم .



أومات برأسها دون أن تقوى على الرد و لا تزال معدتها تتقلص
من الخوف ؛ تخشى أن يصدر عن كرم خطأ صغير أو زلة لسان
فتهشم كل ما بنته خلال الأسابيع الماضية .

أشار إليه بالدخول لغرفة المكتب ؛ هرولت تمارا مبتعدة ؛ تسعى
لأمان غرفتها بعيداً عن الجميع .

ترنحت للحظات فرصدها بعينيه و تبعها و قبل أن تصعد لغرفة
نومها استوقفها : لمى .. مالك ؟! .. انتِ كويسه ؟!

زفرت في توتر و كأن ما كان ينقصها قوة ملاحظته أيضاً .

أمسكت جانبي رأسها فالتوتر أصابها بالصداع و الذي يصيبها
بدوره بالغثيان ؛ و لكم تكره أن تصل لتلك المرحلة !!

أجابت : أنا كويسه .. شوية صداع بس .

تنفست بعمق و تابعت : أنا هطلع أغير و آخذ قرص مسكن
عشان أقدر أقعد معاكو .

تمتم بقلق : مش مهم تنزلي دلوقتي .. اطلعي ارتاحي .. خدي
المسكن و نامي .



رفضت بذعر تخشى أن يخطئ كرم أمام ياسين بأي كلمة من شأنها تهديد وجودها .. نسف ما تسعى لتحقيقه هنا و إفساد ما حققته بالفعل .

" لا لا لا لا أنا هبقى كويسه .. مش هتأخر . "

أغلقت باب غرفتها خلف زينب التي استقبلتها بحفاوة و منحتها تقرير بكل ما حدث مع التوأم بغيابها .

اقتربت من الصغيرين اللذان كانا يغطان في نوم عميق ؛ قبلتهما في حنان بالغ و ابتعدت قبل أن تتساقط الدموع التي امتلأت بها مقلتيها من التساقط على وجنتيهما .

تهالكت على فراشها و أجهشت بالبكاء .

سقط قناع القوة الذي تلمسك به في قوة واهنة !

القوة التي تحاول التظاهر بها فيما هي تحاول ألا تبدو واهنة .

وضعت يدها على فمها تحاول كتم شهقاتها المتألمة ؛ إخراس

صوت بكاؤها الذي كتمته بداخلها منذ رحيل هشام و لمى .



تحاول أن تتناسى افتقادها للأخت و للسند ؛ تسعى للتماسك من أجل التوأم اللذان يحتاجها بشدة .

تحاول التغاضي عن صفعات القدر الذي يوجهها إليه من حين لآخر ؛ يخبرها أنها لن تنعم براحة البال أبداً .. بدءاً من العائلة التي تحاول أن تجعلها تتقبلها .. لصدمة مقابلتها لرمزي .. مروراً بياسمين التي تكرهها .. انتهاءً بكرم الذي ظهر لها من العدم بدوره .. و كأن ذلك المنفى صار مقر تعذيبها الدائم .

طُرق باب غرفتها فمسحت دموعها في سرعة قبل أن تدخل فريدة و تنظر لتمارا في ذعر و تتساءل : مالك يا بنتي ؟! .. أنا سمعت صوتك من بره و انتِ بتعيطي .

شهقت تمارا تحاول حبس الدموع بداخلها : أبداً يا طنط أنا .. أنا بس .. حاسه اني مضغوطة و لوحدي .

ثم تابعت بصدق : و أختي .. و هشام .. وحشوني أووي .



اقتربت فريدة من تمارا ثم لم تلبث أن احتضنت رأس تمارا
لتستكين على صدرها ؛ أخذت تربت على رأسها في حنان و قد
اغرورقت عينيها بالدموع بدورها .

هددهتها في حب : كلنا حواليك .. لو احتجت أي حد فينا
هتلاقينا جمبك .. هشام وحشني أنا كمان بس وجودك انتِ و
التوأم هون عليّ غيابه شويه .. اعتبريني أنا و ياسين مكان هشام
و أختك .. استقوي بينا زي ما احنا أقوياء بيك .

بكت على صدرها و تمتت : أنا مش عارفة أقولك إيه بجد ..
أنا بحبك جداً يا طنط .. رغم خوفي من إني آجي هنا من
الأساس .. بس هشام كان واثق إنك عمرك ما هتقسي علينا .

ابتسمت و هي تتذكر ببيكرها ؛ ذلك الحنون الذي رأى ما
بداخلها خلف قناع القسوة الذي كانت تختبئ خلفه الطفلة
المدعورة التي كانت في الماضي

" بقولك إيه .. مبدئياً أنا عايزاكِ تقولي لي ماما . "



شردت فريدة قبل أن تتابع : تعرفي .. كنت مفكره اني هتعامل
 معاكي بطريقة مختلفة بجد .. و كنت متأكدة اني بكرهك و
 هكرهك لحد ما أموت عشان سرقتي مني ابني .. بس لحظة لما
 ودعت هشام .. دفنت معاه حته من روحي .. جيتي انتِ عشان
 ترجعيها .. بحته منه .. ولاده .. حسيت ساعتها أد إيه ربنا كريم
 أوي .. و بعدين حبيتك بجد .. عشانك انتِ .. مش عشان انتِ
 مرات هشام .. انتِ تستاهلي تحبي يا لمي .

تطلعت إليها بمزيج من الشعور بالذنب و الامتنان : طنط أنا ..

قاطعتها بتأكيد: ماما !

تابعت بنبرة باكية : أنا كمان بحبك أوي يا ماما و محتاجه أتكلم
 معاك كثير أوي .

ابتسمت فريدة : أنا مستعدة أسمعك وقت ما تحبي .. دلوقتي
 قومي خدي دش و استعدي عشان نتعشى سوا .



أومات تمارا برأسها في امتنان و شعرت انها كسبت حليف في
 هذا المنزل يمكنها أن تعتمد عليه و يكون لها صدرأ حانياً و
 سنداً ان لزم الأمر؛ ستخبرها بكل شيء و لكن ..
 في الوقت المناسب .

تعلقت بها الأعين و قد انحبست أنفاس ثلاثة من الموجودين في
 الصالون
 إحداهما تخطت الإعجاب سريعاً و أغمضها في قوة يُخفي
 المشاعر التي غمرته ؛ الاضطراب الذي ألم بقلبه و يبذل قصاري
 جهده ليخفي ما يحترق بداخله بفعل نظرات الرجلين الآخرين
 لها .

ارتدت ثوباً أسود أنيق احتوى حناياها في إغراء ؛ ربما لم
 تقصده و لكنه كان جلياً بعفوية ؛ أما شعرها الذي تركته منسدلاً
 بدا مشرقاً كالشمس التي أضاءت منتصف الليل .



ستصيبه بنوبه قلبية حتماً يوماً ما !!

حيثهم برقي غير واعية لما تثيره أبدأ في قلوب الجميع ؛ و
بالتأكيد الرجال بوجه خاص .

ابتسم لها كرم بإشراق : أنا شفت الورق كله مبهرة كالعادة يا ت ..
يا لى .. المحاسب كمان معجب جداً بالشغل شغل محترفين .
تطلع إليه ياسين في دهشة ثم نظر لتماما بدورها قبل أن يتساءل
بابتسامة سمجة: و حضرتك تعرف لى مينين !؟

بابتسامة أشعلت المزيد من الحنق في قلب ياسين : إحنا جيران
من واحنا صغيرين لحد ما سافروا بره مصر و رجعت قابلتها تاني
في الجامعة .. أنا صحيح أكبر منها بعشر سنين بس اتقابلنا لما
كنت في زيارة لشريكي اللي كان دكتور في كلية التجارة.

تفرس ياسين في المشاعر التي قرأها في عينيه و تورد وجنتيها
في المقابل مما تسبب في تقلص لعضلة قلبه شعر به للمرة
الأولى .



تابعت فريدة ما يحدث حولها و ينتابها شعور أن ما يُقال هو
نصف الحقيقة فقط فتساءلت بدورها : أعتقد إنك مشفتش
هشام بقى .. لأنه قابل لى بعد ما خلصت جامعة .

زوى ما بين حاجبيه و علامة استفهام كبيرة انطبعت على ملامحه
؛ و تمارا ما بين المطرقة و السندان تبتهل الله ألا يُخطئ في
الكلام أمامهم أو يتفوه بحرف من شأنه أن يفتح تساؤلات عدة
هي في غنى عن ذكرها .

أنقذها مجيء الخادمة التي أعلنت أن العشاء جاهز .

انتهى العشاء و تخلل الحديث بعده عدة أمور تتعلق بالعمل ؛ لم
يتحدثوا في أمور شخصية ثانية و حمداً لله على ذلك .

انتهت السهرة و توجه الرجلين لغرفة كبيرة ملحقة بالمنزل و لكن
خارجه مُعدة لاستقبال الضيوف بها حمام و مطبخ صغير خاص
بها .. ليقضيا بها ليلتهما قبل أن يستعدا للمغادرة في الغد .



استيقظت تمارا من غفوتها أو لنقل من نومها المتقطع طوال الليل حيث تفكر في كرم و كيف بإمكانها أن تخبره .
 اغتسلت سريعاً و ارتدت ملابسها في عَجاله و انتظرتة في الشرفة .

ارتجف قلبها و تقلصت معدتها حالما وصلها صوته : صباح الخير .

تلقت حولها في توتر : لازم نتكلم مع بعض .

أوماً برأسه و أشار بيده للحديقة المترامية أمامهما : تعالي نتمشى شويه .

أومات بالإيجاب و سارت بجانبه حتى ابتعدا مسافة لا بأس بها .. و بدأت الحديث .

أفاق من نومه القلق بدوره يشعر بصداع يضرب رأسه و شعور بالضيق لم يفارقه منذ الأمس .



تباسط ذلك الرجل معها يضايقه ؛ نظراته لها تتسبب باضطراب و
كره ؛ و ...

عنـف ..

ضم قبضته في غضب حالما رأهما يسيران متجاورين أو
متلاصقين إلى حد كبير من نافذة غرفة نومه التي تطل على
المدخل الرئيسي للمنزل .

اقتراب من ذاك و احتراق بداخل صدر المتفرج الصامت ربما ..
الهادئ .. حاشا لله .

ارتدى ملابسه في سرعة قبل أن ينظر من النافذة نظرة أخيرة
أوعزت النية بداخله على قتل ذلك الرجل الذي امتدت أنامله
لتمسح قطرات دمع تساقطت من عينين بلون الزيتون المحلى
بالعسل .

لحظات و كان اقترب منهما و قبل أن يُعلن عن وجوده استوقفته
عبارة كرم

" أنا لسه عرضي قائم .. أنا أصلاً محبتش غيرك . "



ابتسمت تمارا بامتنان : بعد كل اللي حكيته و لسه عايز تتجوزني
.. أنا خلاص مبقاش ينفع أتجوز .. أنا مسئولة عن التوأم ..

مستحيل .

_ مستعد أشيل مسئوليتهم معاكي .

هزت رأسها في نفي : مقدرش أحرم أهلهم منهم .

هتف في لوم : و انتِ ليه تضحى التضحية دي .. اسمحيلي ده
مش وفاء .. ده عبط .. كنت و لازلت بحبك و انتِ عارفه و

مستعد ..

هنا لم يستطع السكوت أكثر من ذلك فتدخل بعنف : عبط !!
.. عشان مخلصه لجوزها وولادها تبقى عبيطة .

شهقت تمارا في عنف و ذعر نما و تضخم بداخلها عن مدى ما
سمعه ياسين الذي أنبأها الغضب الذي لم تره عليه من قبل أنه
سمع الكثير .

ضم قبضته في غضب و همّ بتوجيهها للرجل الآخر أمامه الذي
طالعه بتحدي قبل أن تحول بينهما تمارا .



توسلته : ياسين .. أرجوك كرم ميعرفش حاجة .

هدد قائلاً : يبقى لازم يعرف حدوده .

مست أناملها صدره في رقة : أرجوك .. سيبيني أتفاهم معاه .

اضطراب تلاه احتراق عقبه غرق في عينيها المتوسلتين .. و

شفتيها المرتجفتين أضاعتا البقية الباقية من اتزانه .

جذبها لتقف خلفه ؛ أبعدها عن مرمى عيني الآخر و هتف بعنف

: مرات أخويا وولاده مكانهم هنا مش في أي مكان ثاني .. مش

هتتجوز .. و ان اتجوزت فأكيد مش هيبقى إنت .

تطلعت تمارا إلى ياسين بذهول عقب ما صرح به لم يتوقف بل

ازداد حالما أعلن ببرود : شرفت يا كرم بيه .. أنا هبعثك حد

يساعدك في توضيب الشنط و يوصلك بره المزرعة .

شهقت في عنف حالما استدار ياسين جاذباً إياها من ذراعها

بعيداً عن الآخر الذي تجمد في مكانه لم يُسعفه الوقت حتى

ليرد على ذلك المتعجرف الذي طرده بكل برود.



تعثرت أكثر من مرة في محاولة لمجاراة خطواته الغاضبة ..
السريعة بما لا يتناسب مع ساقها القصيرتين ؛ و لولا أنه كان
يتمسك بها جيداً كانت سقطت بالفعل .

هتفت تستوقفه: ياسين !!

توقف لينظر لها بغضب : أفندم .. زعلانه على حبيب القلب ..
مليش حق أزعل جنابه !؟

جذبت ذراعها بعنف فتحمر أخيراً قبل أن تهتف بغضب بدورها
: إنت إزاي بتكلمني كده .. مش من حقك تدّخل في حياتي
على فكرة .

غضب يوشك على الانفجار بوجهها و حينها لن يتمكن من
إيقافه و لن تلوم إلا نفسها في تلك اللحظة .

زم شفتيه يحاول السيطرة على غضبه قدر الإمكان : آاه و
حضرتك عايزاني أعامله إزاي و هو بيطلب طلب زي ده .. هاه .
هتفت بحق : انت سمعتني و أنا بقوله مينفعش .. أنا رفضته و
للمرة الثانية على فكرة .. إنت .. إنت إزاي تهينه كده أصلاً !؟



هز كتفيه بلا مبالاه : عشان ما يتجرأش و يعملها للمرة الثالثة ..

عشان ساعتها هيبقى الجاني على روحه .

فغرت فاها في دهشة : إنت .. إنت ..

قاطعها : مرات أخويا مش هتتجوز حد تاني .. مستحيل أسمح

إن حد غريب يربي ولاده فاهمه !؟

تركها تشتعل بالمعنى الحرفي للكلمة ؛ مشاعر مختلفة ما بين

رفض و حنق و غضب .. و تساؤلات حانقة عما يظن نفسه

ليتدخل بحياتها هكذا .

نادتهما فريدة ليشاركاها طعام الإفطار فهتف كليهما في نفس

الوقت

" مليش نفس ! "

لم يتبادل كليهما كلمة واحدة حتى المساء حينها تدخلت فريدة :

ممكن أعرف في إيه !؟

نظرت إليه تمارا في غضب قبل أن تهمهم : اسأليه .

تطلع إليها بحنق بدوره : أنا داخل المكتب عندي شغل .



توجه للمكتب بالفعل و صفق الباب خلفه في عنف انتفضت له
فهمت : شايفه يا طنط ..

صححت لها : ماما !

_ شايفه يا ماما بيتعامل معايا إزاي !؟

ابتسمت فريدة : أنا مش فاهمه إيه اللي حصل ممكن تفهميني
بهدوء .

قصت تمارا عليها ما صار صباحاً و كيف تعامل مع كرم و معها
بعد ذلك .

زوت فريدة ما بين حاجبها في تفكير و مخاوف تتصاعد
بداخلها ؛ ابنها عصبي .. بل ان الأمور قد تصل للهمجية في
بعض الأحيان و يجب أن تعترف بذلك .. لكنه لم يسبق له أن
تعامل بتملك كما حدث صباحاً .

و أيضاً لم يفقد تهذيبه مع أحد مثلما تصرف مع العميل ..
ناهيك عن كونه ضيفاً علاوة على ذلك .



تنهدت : أنا مش عارفه هو اتصرف كده ليه .. بس هو معاه حق
شويه يعني .

شهقت في عنف : حتى انتِ يا ماما !!

.. من حقه يطرد كرم و يزعقلي بالطريقة دي؟! .. مين اداه

الحق انه يتدخل في حياتي أصلاً؟!!

تساءلت فريده في بظء : إنتِ .. إنتِ كنتي ممكن توافققي؟!!

هتفت تمارا في استنكار : لأ طبعاً .. أنا أصلاً عمري ما حببته

.. سبق لي و رفضته قبل كده .. قبل ما .. قبل ما أقابل هشام

أصلاً .. حتى لو كان ممكن قبل كده دلوقتي مستحيل .

أعلنت بهدوء : يعني ياسين ما غلطش .

تابعت تمارا بحنق : بس بالطريقة دي !

ابتسمت فريده : معاكي حق .. أنا هخليه يعتذرلك و يبوس

راسك كمان .

اعترضت : أنا .. أنا بس عايزاه ملوش دعوة بيا .



ضحكت فريدة : في الحالة دي تقوليله انتِ كده .. أنا مليش
دعوة .

أيقنت تمارا أن فريدة تمازحها فتوردت وجنتيها في خجل و قد
هدأت ثورتها تماماً و كأن حديثها مع تلك المرأة كان له مفعول
السحر .

جلست بجانبها تحاول استجماع ما تريد و تمتت : ماما ..
ممکن أطلب منك طلب !؟

أجابت في تأكيد : طبعاً !!

أخذت تمارا نفساً عميقاً قبل أن تتابع : أنا بكره ان شاء الله
عايزه أنزل مصر .

لم يشعر كليهما أنه غادر المكتب إلا حينما هتف في حنق : و
ليه بقى إن شاء الله !؟ .. هتروحي تعتذري لكرم بيه !؟

نهرته فريدة في عنف : في إيه يا ياسين !؟ .. إنت إزاي تكلم
مرات أخوك كده !؟

غمغم في غيظ : ما هي اللي بتستفزني يا أمي .



تجاهلته ووجهت كلامها لتماما : في حاجة مهمة يا بنتي ؟!

نظرت إليه بغضب قبل أن تتوجه بحديثها للأم : يارا هتنزل

تشتري فستان فرح و عايزاني معاها .

ابتسمت فريدة : ماشي يا حبيبتي زي ما تحبي .

هتف ياسين بعنف : نعم يعني !! .. و دول هيروحوا إزاي و مع

مين ؟! .. و الولاد هتسيبهم يوم بحاله .

رفضت باستنكار : لأ طبعا هاخذهم معايا .

فريدة : الطريق طويل عليهم أووي و صعب أووي تروحوا و

ترجعوا في نفس اليوم .

ترددت : ما هو .. إحنا هننزل في فندق الليلة دي و نرجع ثاني

يوم .

الهتاف الثاني كان منه : أفندم .. مستحيل طبعا أوافق .

زفرت في سخط : و أنا أصلا ما طلبتش موافقتك !!



تنهدت فريدة في استسلام : بس يا بنتي أنا هبقى قلقانه عليكم

هتفت تمارا في حماس : ما تخافيش يا ماما .. أنا أصلا محتاجة
أشترى شوية حاجات ليّ و للتوأم .. و رمزي هيفضل معانا ..
متقلقيش .

أعلن في استسلام : أنا كمان جاي .

تطلعا إليه كليهما و هتفت أمه في ذهول : إنت مش قلت إن
عندك شغل كثير اليومين دول .

اضطرب ؛ كانت على حق ؛ في الواقع لديه عمل أسبوع بلا
انقطاع و لكنه لن يسمح لها بالسفر وحدها أبداً .

غمغم في استسلام : أيوه فعلاً .

تركهما فجأة كما ظهر فجأة !!

غمغمت فريدة في استسلام : خلاص يا بنتي زي ما تحبي ..
بس متأخروش و خدوا بالكم من نفسكوا .



قبلت تمارا وجنتي فريدة في حب : يا حبيبي يا ماما .. ميرسي

باكراً استعد الجميع للسفر ؛ راقبهم من خلف زجاج غرفته حتى
رحلوا .

لا يعلم لمَ شعر بأن بداخله غصة مؤلمة حالما ابتعدت السيارة
عن مرمى نظره.

شعر بأنفاسه تلاحقت مع مغادرتها و كأنما أصبح وجودها منظم
لضربات قلبه .

لم يختلف حالها كثيراً ؛ انتظرت له لتودعه بدوره إلا أنه لم يظهر ؛
ظلت عينيها معلقتان بباب غرفة المكتب عليها تحصل على لمحة
أخيرة حتى لو غاضبة إلا أنها لم تنلها .

أنهت معاملات البنك سريعاً أول شيء في الظهيرة و انتقل المال
من حسابها الشخصي لحساب رمزي .

بدأت رحلة البحث عن فستان مناسب ؛ كان الوضع مُبهراً
لكليهما تمارا و يارا على حد سواء .



كلتيهما فتاتين حالمتين تحلمان بالفستان الأبيض ؛ لاحظت يارا
اهتمام تمارا بفستان بعينه فابتسمت .

أما تمارا فقد شردت تحلم بالفستان و تتخيل كيف سيكون
شكلها لو ارتدته .

_ لولو .. إيه رأيك في الفستان ده !؟!

عادت تتفرس في الفستان بين يديها : تحفه يا يارا .. خُدي
جربيه .

رفضت يارا : لا يا ستي أنا زهقت من كتر ما لبست فساتين .
ثم أضافت بلهجة ذات مغزى : بقولك إيه .. أنا عايزه أشوفه
عليكِ انتِ .

همت تمارا بالاعتراض إلا أن يارا تابعت : عشان خاطري يا لولو
.. عايزه أشوفه عليكِ .

امتدت يدها للفستان ؛ نزعته عن المشجب الخاص به ثم دفعته
باتجاه غرفة القياس .



وجدت تمارا نفسها و قد اقتيدت للغرفة و الفستان الذي فُتنت به
في يدها .

ما هي إلا دقائق حتى خرجت به و انحبست أنفاس يارا في
انبهار .

تمارا كانت ملكة متوجة ؛ أميرة خرجت من كتاب الأساطير
بشعرها المنسدل في رقة حول وجهها و بفستان زفاف أقل ما
يُقال عنه أنه أسطوري .

لم تكن يارا وحدها من انبهرت به بل إن العاملين في الأتيليه ؛ و
كذلك بعض الزبائن الذين صادف وجودهم حال خروجها من
غرفة القياس .

حتى أن إحدى العاملات تمت في انبهار : المصمم أكيد كان
يفكر فيكِ لما صمم الفستان ده .. ده كأنه اتعمل مخصوص
عشانك .

توردت وجنتيها في خجل زادها فتنة .



توقف أمام واجهة العرض، لا بل تجمد في مكانه، كان يعترف أنها جميلة و جميلة جدا بل ربما كانت أجمل من أن تكون واقعية .

أما الآن و أمامه تماما غير عابئة بما تثيره في نفسه المضطربة ، غير واعية لما تلقيه علي جوارحه من سحر فتعبث بثبات اعتقده مرادفا لاسمه ، رؤيتها بفستان الزفاف جعلته يغار ، يشفق على من واره التراب و لسان حاله يقول

" كل هذا الجمال كان له "

كريح عاتيه تقتلع الأخضر و اليابس اتجه صوبها فشحب وجهها على الفور قبل أن تغزوه حمرة عاتية ، حالما انجذبت عينيه لا إراديا لذراعيها و كتفيها العاريين .

" حلو أوي اللي حضرتك عملاه ده .. و ده بقى أسميه ايه .. عرض مجاني للشباب الغلابة . "

اشتعل الغضب في نفسها على الفور إثر ملاحظته المهينة . وجوده كأمر واقع في حياتها جعلها تبحث عنه و تهاب وجوده .



أصبحت تشتاقه و تبتعد عنه في توتر كلما ظهر ..

صارت تخشى أن تفضحها عينيها و يعلن قلبها الاضطراب الذي
يصير بداخله على الملأ فيحدث ما لا تُحمد عقباه .

كان كمن سقط في قلبها سهواً ..

في غفلة منها فتسلل و استوطن حتى تمكن منها ..

—

أغرمت به !!



الفصل الرابع عشر

حين فقدتك ..
اعتقدت أن الحياة قد انتهت ..
توقفت عقارب الأيام عند غيابك ..
ولكن ..
اكتشفت بأصعب الطرق أن للحياة دونك ..
مذاق آخر ..
ربما بنكهة لم أعتدها ..
و لم أستسغها ..
لن أنساك و هذا واقع ..
لكن ..
لم يعد يهمني أمرك ..



ستبقى في قلبي حتماً .. قد لا ينتهي ..
و لكنه مع الأيام يكسوه حلم جديد ..
واقع أجمل يمحوه فـ

يندثر !

هل سبق و جربت السباحة ضد التيار ..
تمني من ليس لك ..

أو السقوط في شرك من لست له ..
فتحب من ليس من حقلك ..

أو يخفق قلبك بلا أي ضوابط من الأساس ..

يتسلل أحدهم إليك بلا وعي لتكتشف أنه لا يجوز أن يسكنك ..
ليس من حقلك الاحتفاظ به بين جنباتك .

أو الأسوأ أن تنتظر طويلاً ليأتي .. فيأتي

و تحبه و يحبك لتكتشف أنك عشت خدعة

و أنك بلا أدنى وعي أو إرادة ..



كنت تسبح ضد التيار !!

دفعته بعد تحول الموسيقى لأخرى صاخبة ؛ توجهت لطاولتها
في سرعة فتناولت حقيبة يدها الصغيرة قبل أن تهول للخارج .
توقفت بعنف بعد أن أمسك ذراعها بقوة مانعاً إياها من إتمام
هروبها فتطلعت إليه بغضب قبل أن تهتف بعنف " سيبي ! "
غمغم بتصميم " أنا سيبتك مرة قبل كده و مش ناوي أعملها
تاني "

عادت تجذب ذراعها بعنف من قيد قبضة يده المحكمة التي
شعرت بنفور ملمسها .

اختفت من أمام عينيه في سرعة ؛ عادت لجناحها الخاص و
أخذت تلهث في عنف و كأنما كانت تطاردها الشياطين .

ابتسمت ساخرة للتشبيه ..

فلقد كان في حياتها جحيماً بالفعل ..



أليس هذا ما تجلبه الشياطين للبشر !

وكوهم استوطن أعماقها فذرع فيه خلية سرطانية أفسدت
داخلها و استشرت في سرعة كمرض عُضال لا شفاء منه .

ارتمت على فراشها تبكيه كما بكته ذلك اليوم تماماً .

ابتسمت بحالمية عندما تطلعت للأسطوانة البلاستيكية بين يديها
التي تشير بخطين مميزين بالأزرق في مقدمتها أنها تحمل جنيناً
يحمل نصف جيناته .

خطت خارج الحمام تكاد السعادة تحملها على سحابة قطنية
فاستقبلها بملامح غابت عنها البسمة ؛ و حقيبة ذات عجلات
يجرها خلفه .

أخفت اختبار الحمل خلف ظهرها و تساءلت في جزع : حسام
!؟ .. انت رايح فين !؟

بكلمة واحدة أجاب " أمريكا "

ليتداعى بعدها عالمها الذي ظنته عالم الأحلام حتى وعت على
كابوس تلو الآخر .



تطلعت للباب الذي أغلقه خلفه فاصلاً بينهما بأرض و سماء و بحار و محيطات و آلاف آلاف الأميال .

توجهت لحيث أسقطت الاختبار من هول ما سمعت منه ؛ لم يعرف ؛ أجمها بقنبلته التي فجرها بقلبها مع كلمة الوداع .

لم يخبرها التفاصيل ؛ تقصت هي فيما بعد فعلت أنه كان قد قدم على بعثة للخارج قبل زواجهما و رُفضت أكثر من مرة حتى قابلها .

الطبيبة الأمريكية الأربعينية " إيلين سومر "

اختلف الوضع بعدها فلقد أعجبها الطبيب الشاب ؛ الذي فاق طموحه قدراته الذاتية في مجاله .

وفرت له منحة بل بالأحرى صفقة مفادها أن يتزوجا فيحصل على الجنسية بالإضافة للامتيازات المصاحبة للجنسية مع شبكة معارف و علاقات تملكها الطبيبة المخضرمة تخوله للبدأ بحياة مهنية جديدة هناك.



استقبلت في اليوم التالي رسالة تخبرها أن كل شيء بينهما قد انتهى مع خالص أسفه .

بعض البشر يكونون من الحماسة بحيث يعتقدون أن الأسف كاف لنسيان جرائم ارتكبوها في حق من حولهم .

و كأن أسف العالم قادر على أن يعيد تجميع حطام قلب هشمه الخذلان.

وضعت راحة يدها على بطنها حيث قبع بعض منه بداخلها ؛ تركها دون حتى أن يعلم بكيونته .

خطاب مسجل على يد مُحضر به بضع كلمات

" أسف .. كان لازم أتجوز عشان الجنسية .. و كان لازم أطلقك عشان مينفعش أجمع بين زوجتين . "

أحياناً تكون الكلمات أكثر ألماً من ألف طعنه ؛ فالطعنات تؤلم الجسد ألماً مؤقتاً ينتهي بالشفاء منه أو الموت .



أما طعنات الروح فلا دواء لها ؛ لا شيء يشفيها أو يسكن أوجاعها .

طعنات الروح تجعلك جسداً بلا هوية .. بلا هدف

.. بلا قلب !!

و لم يكن ذلك كل شيء ؛ خرج من حياتها و كأنها شيء مؤقت ؛
درجة في بداية سلم حياته ؛ مرحلة انتهى منها بعد أن استهلكها
للأقصى .

تركها مطلقه في العشرون من عمرها .. تحمل جنيناً يحمل اسمه
؛ بلا مأوى بعد أن استقرت أمه مع خالته في مسقط رأسها .

ليزيد الطين بلة بطلب صاحب العقار للشقة التي تأويها !
جمعت أشياءها لتغادر الشقة التي شهدت أسعد لحظاتها و
أتعسها ..

لم تكن تستطيع العودة إلى خالتها و زوجها بعد أن سافرا لإحدى
الدول العربية .

لم يكن لها غيره و رغم ذلك لم يشفع لها ذلك عنده !



اتخذت حينها قراراً ربما لم تكن لتفعله أبداً في ظروف مختلفة
.. لم تكن لتفعله مطلقاً.

توجهت لعملها بعد أن وضعت أشياءها في غرفة حقيرة بإحدى
فنادق الدرجة الثالثة .

انتظرت حتى أتى ؛ ذلك الطبيب الشاب الذي يعمل في نفس
المشفى الخاص الذي تتدرب به أثناء دراستها .

كانت ترى في عينيه بريق إعجاب بين الحين و الآخر ؛ لم تكن
تعلم أهو إعجاب بها كأنثى أم إعجاب بمهاراتها .. و لم يكن
يهم .

المهم أن تحصل على المساعدة التي تبغيها .

دخلت مكتبه بعد أن سمح لها بالدخول ؛ أطرقت رأسها في
خجل ؛ لا تعلم كيف ستطلب منه ما تريد !؟!

ابتسم لها في رقة حينها و تساءل عما تريد فكانت الإجابة
صاعقة !

الكلمات .. رصاص عند الألم ..



و أحياناً نصل حاد يمزق الأحشاء عند الخذلان ..

و قد تصبح صواعق حين المفاجأة !!

تخرج بعض الكلمات من الأفواه فتصيب البعض في مقتل !!

رجاء كان أم تهديد لا تدري و لكنها قذفت طلبها فأصابته

الصاعقة ببعض من شررها.

" دكتور رمزي .. أنا حامل .. و يا تقبل تتجوزني يا .. يا .. يا

هموت نفسي "

و الحق يُقال ..

بعد صدمته الأولى مما قالت لم يُفكر بالأمر مرتين ؛ لم يخذلها

أبداً طوال سنوات زواجهم التي بدأت مباشرة بعد انتهاء شهر

العدة .

قالوا أن الرجولة مواقف ..



وكانوا على حق ففيما يسمو البعض برجولة فطرية لا يحظى
البعض الآخر سوى بمجرد لقب في خانة الجنس في شهادة
الميلاد .

عادت تبكي و تلعن قلب ضعيف .. ربما لم يستطع نسيان حبه
الأول رغم كل ما تسبب به من ألم .

شهقت و بعد الذهول الأول فغرت فاها ؛ تجمدت للحظات
تحاول استيعاب وجوده الغريب و المفاجئ .

كيف جاء و لمَ ؟!

و بأي حق يظهر فجأة ليثير الاضطراب بقلبها ؛ و يبعر ثباتها .
لا تعلم أتفرح حقاً لأنها اشتاقته رغم مرور بضع ساعات فقط
على غيابها

أم تشتعل غضباً بسبب نظراته المهينة و كلماته الجارحة ؟!



أخذت يارا الفساتين التي كانت ستقوم بقياسها و اختفت دون
أن يشعر بها أيهما !

أما هو ..

و رغم محاولاته المضنية في الصمود بعيداً عنها ؛ عن عينيها
التي تثير ارتبাকে ؛ صوتها الذي أدمنته مسامعه ؛ وجودها الذي
بدونه لا يعمل قلبه بشكل سليم .

لم تكد السيارة تغادر البلدة حتى كان اتخذ قراره ؛ سيلحق بها
مهما كلف الأمر ؛ أنهى بعض الأمور الضرورية في سرعة ؛ قام
بإجراء بعض الاتصالات الهاتفية و من ضمنها اتصالاً بالمطار
ليحجز تذكرةً بأول طائرة للقاهرة .

تطلع إليها بتمعن أكثر قبل أن يقر بأنها ..

تثير غضبه لدرجة الجنون أيضاً كما لم يفعل أحد من قبل .
أشار لما ترتديه بغضب "إيه اللي انتِ عاملاه في نفسك ده يا
هانم ؟!"



لم تكن وحدها من تثير غضبه فقد كان يجعلها تشتعل ؛ تحترق
بنظراته و كلماته التي تستفزها لأقصى حد.

لم تكن سهلة الاستثارة و لكنه قادر على إثارتها باحتراف.
لم تدرِ ما حدث إلا بعد أن تحرك نحوها بعنف بعد أن ظهرت
علامات حمراء على وجنته بفعل أصابعها الصغيرة التي صفعته
بلا وعي .

لم تكن عنيفة أبداً .. و لم تكن ممن تغضب بسهولة ؛
شعرت بجرم ما فعلته على التو ؛ لم تكن تلك المرأة التي تصفع
رجلاً أو تسبب له أي أذى جسدي مهما كان ؛ كما لم يكن هو
أيضاً الرجل الذي يمرر ما صار بسهولة .

خبأت وجهها بيديها في رعب وانكمشت مبتعدة عن ملامح
وجهه التي تُنذر بالشر .

فعلت ما لم يفعله به بشر من قبل ؛ يا إلهي لقد تناولت عليه
لتلك الدرجة ؛ لم يتخيل في أكثر أحلامه جنوحاً أن يفعل به
رجل هذا .. فكيف تفعلها به امرأة !؟!



لم يكن غاضباً فلم تجاوز ذلك الشعور بالكثير ؛ تجاوزه لدرجة الأذى .

لو كانت رجلاً فلم يكن سيبقيه على وجه البسيطة في الثانية التي تلي ذلك !

كيف بإمكان أياً كان أن يثير فيه كل تلك المشاعر المتطرفة للأقصى .

قبض كفيه في قوة مانعاً نفسه من إلحاق الضرر بها في صعوبة بالغة ؛ زم شفثيه و صدر عنه صوت غاضب أشبه بزمجرة حيوان يوشك على افتراسها ؛ توجه صوبها إلا أنها لم تمكنه من هذا الاقتراب .

قبل أن تمتد يده لتصل إليها صرخت بخفوت و انسلت من بين يديه تجري .

هرول خلفها و لكنها كانت قد اجتازت المكان لتخرج من مدخل الأتيليه في سرعة .



لن حُمقها تلك الصغيرة التي ستصيبه بنوبة قلبية على الأغلب ؛
 فلم يعد العرض مقتصراً على بضع زبائن في الأتليه بل امتد
 العرض ليشمل كل العيون المفتونة بها في الشارع .

"حمقاء"

هذا ما صرخ به لنفسه قبل أن تمتد يد إليها ليمسك ذراعها في
 إحكام صارخاً بها " انتِ أكيد اتجننتي؟! "

لاحقتها العيون الفضولية و الابتسامات الخبيثة ؛ على الأغلب
 ظن البعض أن الأمر لا يعدو سوى شجار عاشقين حول تفاصيل
 زفاف .

ويا للسخرية ..

كان الأمر بعيداً عن ذلك تماماً !!

شعر أن نظرات المارة إليها تمزقه ؛ تجلده بسياط الغيرة فتعلو
 حرارة جسده بلا أدنى إرادة .

خلع سترته الخفيفة فارتجفت حينما مست أنامله ذراعها

العارين



جذبها للداخل مرة أخرى و عينيه و كل جوارحه تنذر بأنه على
وشك الانفجار .

تمت بأسف تشعر بأن ما فعلته لا يُغتفر حقاً: أنا آسفه يا ياسين
بس انت اللي استفزتني .

تنهيدة حارة بلا رد و كأن الأسف كافٍ ليمحو آثار أصابعها التي
تركت آثارها على قلبه قبل وجنته .

توقف أمام يارا التي كانت تبحث عنهما ؛ ترك ذراعها في سرعة
ووجه حديثه ليارا " خلصتوا ؟! "

اعترضت تمارا : إحنا لسه ..

قاطعها دون أن ينظر إليها حتى : يارا .. قدامي ساعتين تلاته
شغل .. لما تخلصوا عرفيني مكانكم .

أخرج حافظة نقوده الجلدية الأنيقة ؛ تناول بطاقة البنك
الممغنطة ؛ فرد كفها ووضع البطاقة على راحة يدها .

غمغم بتقرير : الفيزا دي هتغطي كل طلباتك انتِ و الولاد .

عادت تعترض : بس أنا مش محتاجة ..



كشر عن أنيابه و هتف من بين أسنانه : حتى لو .. ده حقكوا
عليّ .. و فلوس هشام زي ما هي فلوسي .

و غادر بعاصفته كما أتى بها ؛ و ترك يارا حائرة لا تدري ما
الذي صار ؛ و الأخرى ترتجف من أول قلبها و حتى أخمص
قدميها .

عاد مساءً بعد أن يأس في إقناعهم بوجوب العودة معه بالطائرة
بحجة أن بعض المشتريات لم يقتنيها بعد .

رجع رغماً عنه و لكنه لم يكن يستطيع البقاء أكثر من ذلك .

استقبلته والدته التي شعرت بالذهول لأنه غادر في سرعة دون ان
يخبرها بالتفاصيل .

مجرد مكالمة هاتفية سريعة تُعلمها بأن لديه عمل مهم في القاهرة
و سيعود مساءً .

عرضت عليه الطعام فأبى .. آخر ما كان يفكر فيه هو الطعام
استأذنها و صعد لغرفته .



كالأسد الحبيس ظل يدور في غرفته ؛ لم يعد بإمكانه أن يشعر
بالراحة في غيابهم.

لقد عاد فعلاً و لكنه ترك عقله و قلبه هناك ..

معها .

مثلت صورتها أمامه في ثوب الزفاف فجلبت الذكرى بسمة و
تباطأت نبضة من نبضات قلبه .

تورد وجنتيها في خجل ؛ سعادتها التي شعت فملأت الأجواء
حولها بالبهجة ؛ كانت كمن لم يسبق لها ارتداء فستان زفاف من
قبل .

أغمض عينيه يتذكر كيف كانت تزهو بنفسها قبل أن يدخل ..

كل ذلك لم يجلب سوى تقطية جبين و تلامس حاجبين في
دهشة ؛ مشاعرها تنبئ بأن فرحتها حقيقية ..

سعادتها عُدرية ..

هز رأسه في رفض ينفض عنه أفكار يعلم بأنها مستحيلة ..



فهي بالطبع سبق و ارتدت فستان الزفاف ..

و بالتأكيد كانت حلما تحقق لأخيه ..

حبيبة .. فزوجة تخلى عن العالم أجمع لأجلها .

فأم منحته أجمل عطية قد يحصل عليها رجل من امرأته .

تنهد في عمق و عينيه تجولان في الغرفة التي تم طلاءها بمزيج

من لون عينيها .. كيف توغلت في لاوعيه لتلك الدرجة .

حتى لم يعد يرى غيرها أو يفكر في سواها .

يا إلهي ..

و لكم يشعر بالذنب لأن ياسمين لا تحصل على أقل القليل من

تفكيره واهتمامه .

زفر في عصبية و تناول هاتفه ليجري مكالمة هاتفية معها .

أخبرها أنه يشاقها في المقابل كذباً ..

استمع للفتها و مثل لهفة زائفة و هو يدعو الله ألا تقرأ الكذب

في صوته .



أنهى اتصاله معها في حيرة من المفاجأة التي أعدتها له .

طُرق باب غرفته ، فدعاها للدخول .

تفرست فريدة في ملامحه الحائرة و شعرت بأن قلبها يخبرها بأن

في جُعبته الكثير .

" ياسين ! "

تطلع إليها في تساؤل فتابعت : فيك حاجة متغيرة .. قلبي

حاسس بكده .

سخر قائلاً : هيكون في إيه يعني !؟

عادت تُمعن النظر : انت متأكد إن مفيش حاجة !؟

أوما برأسه هارباً من التقاء عينيها فتابعت : شفت لى !؟

تلجلج : كنت قريب من هناك بالصدفة اطمنت عليهم .

تساءلت ثانية : حجزتلهم في اوتيل كويس .

هز رأسه في نفي : رمزي كان حجز فعلاً .. و كان لسه قدامهم

مشاوير فاضطريت أرجع عشان ميعاد الطائرة .



وقفت و همت بالخروج قبل أن تُعلن : آاه صحيح .. ياسمين
جايه بكره قالتلك !؟

أصدر هممة بالإيجاب قبل أن تقترح : أظن كل حاجة بقت
جاهزة يا ياسين و مالوش لزوم تأجيل الدخلة أكثر من كده .
أغمض عينيه في استسلام ، كان يعلم أن ذلك الحديث قادم لا
محالة .

تابعت : إيه رأيك تتجوزو مع يارا !؟

اتسعت عينيه : بعد كام يوم !؟

_ و فيها إيه !؟

تلعثم : طيب خليها لما ياسمين ترجع و نتكلم مع بعض .

كليهما يعلم أنها لن تُمانع أبداً و تلك حقيقة واقعة !

بعض الأمور تدخل في خانة القدرات ..

وجود الحب أو عدمه قدر ..

الحياة قدر ..



الموت قدر ..

الزواج أيضاً قدر بغض النظر عن موافقة القلب له أو رفضه !!
 مساء اليوم التالي شهد قدوم ياسمين و تمارا الذين استقبلهم
 الجميع في لهفة ؛ اجتمعوا على مائدة العشاء و دار حديث
 حماسي ما بين ما صار في القاهرة و ما انتابهم من حُمي الشراء .
 تحدثت تمارا عن كل ما اقتنته لها و للتوأم و لم تفارق البسمة
 شفيتها إلا عندما تتطلع إليه فتتجمد الحروف على طرف لسانها .
 أعقب ذلك إعلان ياسمين للمفاجأة التي سبق و أخبرت ياسين
 عنها و التي تمثلت في ..
 فستان زفـاف .

احتفال صغير جمع الأُسرتين ؛ لم يكن مظاهر الاحتفال توازي ما
 كان في خطبة ياسين و لكنه كان حفلاً على أي حال .



شهد الحفل مشاعر متناقضة ايضاً .

ففيما ابتهجت كلا العروسين ، تجهم العريسين .

ياسمين التي كانت قد بدأت تفقد الأمل في استجابة ياسين و

رضوخه لأمر زواجهما ؛ تفعيله بعد أن كان مع إيقاف التنفيذ و

خوفها من أن تحظى لى باهتمام أكثر من اللازم .

و مع انتفاء كل تلك الأسباب كان يحق لها ان تبلغ سعادتها عنان

السماء .

ارتدت فستان الزفاف الذي أحضرته من فرنسا أثناء رحلتها

الأخيرة مع أبيها .

كانت مبهرة بمعنى الكلمة بفستان زفافها من الساتان الأبيض

المطرز بأناقة في منطقة الصدر و حتى الخصر و يقل التطريز

تدرجياً كلما اتجه للأسفل ؛ كذلك كان ياسين الذي ارتدى بدلة

سوداء أنيقة ؛ لها رابطة عنق صغيرة جداً من الساتان الناعم

الأشبه بالحرير .

و استبدل حزام الخصر بطبقات من الساتان الأسود أيضاً .



كليهما كان يليق بالآخر تماماً ؛ زوجين بالغى الوسامة و الرقة .

كان يرسم بسمه متكلفة على شفثيه من حين لآخر و عينيه تبحث عنها .

تنتاب قلبه تقلبات ما بين برودة تجتاحه للحظات ليلحقها بأخرى ساخنة .

لم يكن قرار الزواج بتلك الصعوبة من قبل !!

ناهيك عن أن تكون مع امرأة لا تعدو كونها في دائرة اهتماماتك وحسب ؛

سابقاً قرر إخراج قلبه من حسيبة الزواج و لكن بعد أن تم تفعيل قلبه بالحب صار تنفيذ هذا القرار من أصعب ما يكون .

قد يحمل بعض الأشخاص راحة للقلب في حين أن البعض الآخر قد لا تشعر بتواجده أو غيابه من الأساس .



كانت تساعدنا بلا وعي ؛ تعمل يديها بأوتوماتيكية تنفذ
المطلوب منها تماماً و على الوجه الأجمل و لكن ينقصها الروح.
عينها كانتا شاردين معظم الوقت ؛ وابتسامتها كانت غائبة
طوال الوقت إلا فيما ندر .

تفرست فيها كلاً من فريدة و يارا ؛ و سألتها كليهما أكثر من مرة
و لكن ماذا بإمكانها أن تُخبرهم إن كانت هي نفسها لا تعلم ..
لا تستوعب ..

و لا تريد حتى أن تعلم !

أغمضت عينها بألم ..

سيتزوج !؟

و ماذا في الأمر !؟

إنه متزوج من الأساس ..

لمَ تشعر بأن قبضة قوية تعتصر روحها حتى توشك أن تنتزعها .

لم يكن لها و لن يكون ..



اغرورقت عينيها بالدموع ..
وليت كل الدموع تحمل للموجوع راحة .
تمتت يارا في ذهول : دمموع ؟! .. ليه يا لولو ؟!
لا يهم السبب الذي نبكي من أجله ..
خذلان .. ضعف .. وجع ..
فقلوبنا تمتلئ بالكثير لدرجة أن أي شيء يكفي ليكون سبباً
للبياء !
مسحت دموعها في سرعة : أنا .. أنا بس ببقى عاطفية في
المناسبات دي .
قبلتها في حنان : طالعة زي القمر يا يارا .. ربنا يسعدك .
تطلعت إليها في إعجاب فإن حظت هي ببعض الجمال أو
امتلكت الكثير من الرقة إلا أن تمارا كانت من ذلك النوع من
الفتيات الذي يخطف الأنفاس في فتنة طبيعية لا تصنعها أو
تسعى لإظهارها .



غمغت في حب : و احنا نيجي فيك إيه يا لولو .

ابتسمت تمارا في رقة واحمرت وجنتيها في خجل .

صغير إعجاب انطلق من خلفهم قبل أن يتقدم مراد و هو يتأمل

كليهما في إعجاب .

نظراته لم تستسغها كالمعتاد ؛ غالباً ما يُربكها بعينه اللتين تكادا

تلتهمانها .

كان شخصاً غريباً لم تقابل مثله من قبل ؛ متطرف في معظم

مشاعره ؛ بل إنها تكاد تقسم أنه يتعامل مع كل شيء بوقاحة

مفرطة .

نظراته وقحة .. ردود أفعاله صادمة ..

يُربكها و تكره هي ذلك الشعور الذي يُشعرها به !!

حالما ابتعدت عن حصار عينيه تنهد بصوت مسموع مما جعلها

تنتفض مبتعدة .

سمعته يتوجه بحديثه لأخته : يويو .. إيه الجمال ده .. تصدقي

انتِ خسارة في الواد ده و أنا رجعت في كلامي .



شهمت في رعب : بتتكلم بجد يا مراد !؟!

ضحك : و انتِ مالك ملهوفة كده ليه !

تنفست بعمق و دافعت : إنت جاي تخوفها يوم فرحها .. و في

الآخر تقول ملهوفة .. سبحان الله .

احتضن كتفها بساعده : و لو اني معترض على العريس بس ما

دام بتحببه مضطر أقبل .

ثم تابع : يلا يا هانم المأذون وصل .

ارتجفت يارا : بجد .. لسه الطرحة بس .. اضبطيها يا لولو من

فضلك !

ابتسمت تمارا و توجهت إليها بالفعل إلا أن وجود مراد حال دون

أن تضعها فقالت : ممكن تبعد عشان أحطلها الطرحة .

ابتسم يشاكسها : بس أنا مرتاح كده .

ابتسمت يارا تتطلع لمراد المشاكس و تمارا المرتبكة فهتفت : و

بعدين يا مراد ما تسبب البنت تشوف شغلها.



تطلعت إليه في تحدي وامتدت يدها بالطرحة: لا و على إيه ..
اتفضل انت الطرحة و أنا هنزل أشوف الولاد .

رفع يديه في استسلام : لا لا .. خلاص مليش أنا في الكلام ده
.. اتفضلي .

ابتسمت في انتصار : أيوه كده ناس ما بتجيش ..

قاطعها : ما بتجيش إيه بقى .. لا .. أنا راجل قوي على فكرة .
بدأت بتثبيت الطرحة : تمام .. اتفضل حضرتك وصلت الرسالة
خلاص .. شكراً .

هتاف آخر جلب الدموع لعينيها " يويو ! "

كانت تمارا قد انتهت للتو من تثبيت الطرحة و بمجرد أن رفعت
يديها اندفعت لأحضان أخيها الذي استقبلها في لهفة و تمتم في
حب " إيه القمر ده يا بنتي ما شاء الله !؟ "

مسح دمه غافله و غادرت جفنيه : بقولك إيه .. ما تيجي
نمشي الناس اللي تحت دي و تخليك معانا هنا أحسن .



قهقه مراد و هتف رافعاً يديه في تقرير: شفتي .. مش أنا
لو حدي!!

_ شفتي يا لولو .. مراد و رمزي .. عاجبك كده!؟!

تنحنحت تمارا في إحراج : بصراحة يا لولو .. عندهم حق!!
ضحك الجميع في مرح و كلاً منهم يحاول أن ينسى حقيقة
الأمر..

واقع أن من أحببت تمارا سيتزوج ..

و أن من أحبته يارا تزوجها رغماً عنه ..

و أن مراد و رمزي قد اشترى سعادة أختها و سترها!

رسالة واردة اخرجت رمزي من تلك الأجواء ..

فتحها ليجد فيها صورة أوقفت قلبه للحظات ..

منال زوجته في احضان زوجها السابق!!

هتاف غير مصدق هزه من الأعماق .

"حسام"



الفصل الخامس عشر

تمر علينا لحظات نود فيها لو عدنا للماضي

.. أطفال تحبو أو تلعب ..

بعيداً عن غدر يحمله قريب

.. أو خيانة يفعلها حبيب ..

أو عجز عن فعل ما نريد

و قول ما نبغي وقتما نشاء

.. و بعيداً بعيداً عن ..

وجع القلب

ذلك العالم الذي لم نعرف فيه غير الحب

الحب الغير مشروط ..

السعادة المطلقة بين أناس لا يحملون لنا سوى



الحـب!!

اليومين السابقين للزفاف كان الجميع مشدود كأوتار الكمان ؛
فريدة تشعر أن هناك أمر ما يخفيه ابنها عنها ؛ و ترى توتر تمارا و
هروبها كلما اجتمعا في مكان ؛ هو أيضاً لم يتطلع إليها و لو مرة
واحدة هذا ما كانت تشعر به تمارا إلا أنها لم تكن تعي النظرات
المختلصة التي كان يرمقها بها في غفلة منها .

لم يتفوه بحرف واحد معها ؛ يتجنبها أو بالأحرى يُعاقبها على
تلك الصفعة التي شعرت أنه يستحقها حقاً رداً على وقاحته معها.
إلا أنها بعدها و بعد ما أثار دُعرها ردة فعله شعرت بجرم ما
فعلته !

مستحيل أن يتقبل رجلاً مثله صفعة من امرأة و يمر الأمر بسلام .
أما عنه فكان على صفيح ساخن بالمعنى الحرفي ؛ يكاد يتميز
غيظاً من تطاولها عليه لتلك الدرجة ؛ و يكذب شعور داخلي بأنه



يستحق ذلك الوجد ؛ تلك المهانة ؛ ليس لوقاحته عليها فحسب ؛
ولا لغيرته الغير مبررة أبداً نحوها .

بل ليحاول تجنبها حقاً محتفظاً لنفسه بسلامة نبضات قلبه في
غيابها .

يبتعد لأنه ليس من حقه أن يشعر نحوها هكذا ؛ ولا يحلم بها
بتلك الطريقة ؛ ليس له أن يكون وصياً على تصرفاتها و لا أن
يتخذ دور الرقيب على ملابسها و كل كلمة تتفوه بها .

و كانت مأساته ألا يمتلك هو أي سلطة على الشخص
الوحيد الذي يمتلك كل سلطة ممكنة على قلبه .

حتى هي .. ياسمين !!

كانت متوترة ؛ متذبذبة المشاعر ؛ سعيدة لدرجة الجنون أحياناً ؛
شاردة أحياناً أخرى ؛ حاقدة من الجميع أيضاً في بعض الأحيان .
ترى أشياء تود لو تكذبها .. مشاعر يخفيها عنها ياسين ببراعة .
و هروب من لمى لثلا تفضحها عيونها التي تتطلع لياسين ما بين
اعتذار و رجاء .



تمني من فريدة أحياناً تكاد تلمسه يشمل ياسين و أرملة أخيه
معاً.

و الغريب في الأمر ..

أنها كانت ترى ما يُخفيه عنها الجميع بوضوح !

ولا يشعر بها أحد في المقابل و لا بتلك النيران التي تعتمل
صدرها مع اقتراب الزفاف !

صبيحة الزفاف كانت ترتجف حقاً ؛ هالات سوداء أحاطت
بعينيها ؛ طوال اليومين السابقين لم تتوقف عن التفكير ؛ عن
التمني .

التفكير في قلبها الذي أعلنها بوضوح ..

أحبه

اشتياق غير مبرر له ..

حين لنظره تشملها بإعجاب ..



أو تحيطها في حماية ..

بضع كلمات يتبادلاها لتمنحها الزود

حتى اللقاء التالي ..

حتى الوجبات كان يحرص على تناولها في وقت آخر ليتجنبها .

يعاقبها ..

تعلم ذلك و لكن هل يستلزم الأمر كل هذا التجاهل ..

حرمانها من وجوده كان أصعب ما واجهته على الإطلاق .

و اليوم خاصة .. تشعر بأنها تموت حرفياً ..

الشخص الوحيد الذي منحته قلبها

يتزوج

تلك السمجة التي تتفنن في استفزازها ..

وها هي في النهاية قد حصلت عليه ..

حبيبها ..



و يا للعجز ..

لن تستطيع أن تُدافع عن حُبها ..

لن تتمكن حتى من إخباره أنه غالٍ إن لم يكن الأعلى ..

أنها لم تعرف الحب قبلاً إلا على يديه ..

أن قلبها العذري لم يسكنه سواه ..

و لكن هيهات ..

كيف تُخبره أنه الأول و هي زوجة أخيه !؟

كيف تعترف له بأنها تهواه في حين أن الجميع يعلم أنها كانت و

لا زالت مُدلهة في عشق من واره التراب .

بعض الأمنيات قد ترقى لمرحلة المستحيلات حيث أنها خارج

حدود واقع نحياء بلا أمل !

و حبها كان بلا أمل و بدون أي من مشتقاته !



ارتدت فستاناً من الدانتيل الأسود الأنيق ؛ و الذي رغم احتشامه
إلا أنه كان مُبهراً لدرجة بدت فيها فاتنة ؛ بعينيها الحزینتين
استحقت لقب ..

أميرة الأحزان .

و ربما من يراها لن يعتقد أبداً أنها ترتديه لتعني حُباً سيدفن
الليلة مع حبيب سيتزوج غيرها .. سيظنون انها تتذكر الراحل ..
تفكر بزفاف لم يمر عليه الكثير .. بزواج لم تحظى بنعيم دفئة
سوى لأقل القليل .

تناولت البطاقة التي سبق و أعطها لها ياسين . اصطدمت بنظراته
حالما بدأت النزول من الطابق العلوي .
لم يكن حاله بأفضل من حالها ..

أرق لم يستطع تجنبه .. صداع يكاد يفتك برأسه من زحمة أفكار
تصول و تجول بعقله المسكين .. عدا عن تشتت مشاعره في كل
اتجاه ..

يحمل الكثير و لعل من حوله يشعر ..



أو حتى يرأف برجل يعلن قلبه عن وجوده للمرة الأولى .
لا زال يتحسس طريقه محاولا الوصول إليها في طريق ملئ
بالمصاعب !

يؤنب نفسه كلما خفق القلب لها ..

ليست لك ..

لا تفكر ..

لا تشعر ..

لا تغار ..

لا تستسلم ..

تعشق أخيك الراحل .. و تلك خيانة !!

تزوجت غيرها و تلك خيانة أعظم !!

كانت حلماً و أملاً و ألماً لغيرك و ذلك أدعى أن

تنسى ..

تتوقف ..



تتجاهل ..

أي مشاعر قد تشملها ؛ إلا أنه و كالمعتاد يشعر معها بالعجز ..

بفقدان السيطرة على كل ما يمتلك ..

فانجذبت عينيه ..

لتشملها نظراته التي اشتاقتها و التي تتسبب في اضطراب قلبها.

نظراته تحمل الكثير ..

أجمل ما في النظرات أنها بلا صوت ..

تستطيع أن تودعها كل المشاعر

التي لا تستطيع البوح بها

و لقد قالتا الكثير لبعضهما ..

بعينين قالتا ما امتنع كليهما عن قوله ، بعجز و قلة حيلة



صرخت عينيه " حب أخي يقف بيننا كسد لا أستطيع تجاوزه "

همست عينها بألم ممزوج بغيرة ليست من حقها هي أيضاً

" زفاف مرتقب يباعد بينك و بيني "

مدت يدها بالبطاقة المصرفية و التي سبق و أعطها إياها

" ده كارت البنك اللي ادتهولي في مصر .. مكنتش بشوفك

عشان أديهولك ! "

تطلع إليه دون أن يتناوله : خليه معاكي .. أكيد هتحتاجيه !

تناولت راحة يده لتضعه بكفه كما سبق و فعل معها

" لا احتاجته و لا عمري هتجاهه ! "

بدأ الغضب يتصاعد بداخله ؛ و لكم رغب في تحطيم رأسها

العنيد هذا الذي يأبى الانصياع لأي مما يريد .

" يعني برده نفذتي اللي في دماغك .. مفيش فايده .. عايزه

تعانديني و بس "



أغمضت عينيها في ضيق : سيبي براحتي يا ياسين لو سمحت ..
أنا أقدر أصرف علي ولادي كويس جداً الحمد لله .

اعترض : بس ده حقهم .

هتفت : و أنا مش عايزاه !

علاً صوته بحنق : يعني إيه مش عايزاه مش بمزاجك على فكرة

اقتربت منهما في سرعة بعد أن جذب صوتهما العالي انتباهها

" في إيه يا ولاد بس !؟ .. هو انتم يا ما تتكلموش خالص يا

تتخانقوا"

غمغم بحنق و هو يشير بيده باتجاه تمارا : اتفضلي يا ستي ..

الهانم رافضه إننا نصرف عليهم .. بتعاملنا كأننا أغراب .

تطلعت إليها في تساؤل فدافعت تمارا : الموضوع مش كده يا

ماما .. هو قالي خلي الكارت معاكي هتحتاجيه .. و أنا معايا

فلوس .. ما احتاجتش أصرف منه .

تنهدت فريدة : و ليه تصرفي من فلوسك .. ما دام في بديل .



اغرورقت عيني تمارا بالدموع : يا ماما افهميني .. الفلوس دي
 آخر حاجة ممكن أفكر فيها .. أنا جيت مع الولاد عشانهم و
 عشانكم .. و بعدين أنا فعلياً معنديش غيركم في الدنيا دي .. أنا
 محتاجه وجودكم جمبي مش فلوسكم .. عشان خاطرني سيبوني
 براحتي .

جذبتها فريدة لتستقر في أحضانها : خلاص يا حبيبي .. اللي
 يريحك إعمله !

هتف بحنق : اللي يريحها إيه بس يا أمي .. دي مرات أخويا
 وولاده يعني مسئولين مني .. ثم إن دي فلوس هشام .. يبقى ليه
 العند .

أوقفت فريدة الحوار : سيها براحتها يا ياسين

و رغم انتهاء النقاش كما تريد إلا أنه لم يكن يقبل بالهزيمة و
 هي تعلم !

تنهدت بعمق حتى لا تغلبها عباراتها فتجهش بالبكاء أمام الجميع
 ؛ ابتسمت ساخرة عندما انتهت أفكارها عند آخر نظرة متحدية



رمقها بها قبل أن تغادر المنزل عصراً و كأنما يخبرها لقد ربحت
هذه المرة و لكن لن يطول الوقت حتى يحدث ما أريده أنا .

وجدها أخيرا و تعلقت عينه بها كالمعتاد ..

اقتراب يوازي احتراق لكليهما ..

تابعها فيما اقتربت منه في هدوء لا يوازي أبدأ الصراخ المحتبس
بداخلها

و همسه ضعيفة واجبة " مبروك يا ياسين ! "

أوما برأسه محاولا رسم بسمه ماتت على طرف شفثيه

" الله يبارك فيك "

و أخرى لغريمة نالت مكاناً تتمنى لو يكون لها " مبروك يا

ياسمين "

بابتسامه متحفزة : ميرسي !

تعالت الزغاريد من بعض النسوة حالما أعلن زيد بصوت جهوري

" قبلت زواجها "



قبلة على جبينها مع بضع كلمات هامسة احمرت لها وجنتيها في
 خجل ؛ فابتسمت تمارا متمنية لها السعادة من كل قلبها .
 رغم ظروف زواجهما و ما صار قبله إلا أنها تشعر أنه ليس كما
 يبدو ؛ لا تعلم لمَ و لكنها واثقة أنه يحبها ..
 بطريقته الخاصة ربما .. و لكن هذا لا ينفي كون عينيه و يديه
 يعشقان ملامستها .

انتهى الحفل ووقف الجميع ليودع العروسين ..
 أتى الوقت الذي وجب عليها فيه تجنبه ..
 بعد قليل ستحصل عليه تلك .. سيكون لها ..

أحياناً يجب علينا أن

نبتعد...

لأننا نعلم أن لديهم القدرة على ارباك مشاعرنا وتشويشها وحتى
 نعيد لأنفسنا اتزانها ...
 فالبعد رحمة ...



تلكأت قليلاً أو كثيراً .. لكي تتجنب أي لمحة حميمة بينهما و
لو بالصدفة .

غمرتها يارا بقوة حتى فاضت عيناها .

هتفت يارا شاكرة : أنا مش عارفة أقولك إيه على كل اللي
عملته علشاني .

ابتسمت تمارا في المقابل : ما تقوليش .. ربنا يسعدك يا رب .

وجهت حديثها لزيد الذي تابع ما يحدث باهتمام؛ أشارت
بإصبعها في تحذير : حطها في عينيك .. و خد بالك دي عندها
ثلاث أخوات يعني لو زعلتها انت الجاني على نفسك .

رفع كفيه في استسلام قبل أن يضع كفه على قلبه و عينيه
تحاصرانها : يارا في قلبي مش في عينيه .

هتاف ساخر دوى خلفهم " أفلح إن صدق "

ارتبكت تمارا لوجوده الذي يجعلها تشعر بالريبة؛ اختفت
المشاعر الدافئة التي غمرت الجميع منذ لحظات ليفرض عليهم
وجوده البارد .



تنهد زيد في سخط : يويو .. يلا بينا إحنا .

قاطعته مراد : عايزك ثواني .

و بعيداً عن مسامع الفتاتين غمغم بكره : لولا إن أختي بتحبك و عايزاك .. أنا كان هيبقى ليّ تصرف تاني معاك .

ثم تابع : عموماً الوضع ده مش هيستمر .. مش هتعرف تضحك عليها كثير .. و أول ما تكتشفك على حقيقتك .. أنا هكون أول واحد يمشي في طلاقكوا .

ابتسم زيد ببرود أشعل حنق المائل أمامه أكثر و أكثر : مش غريبة عليك .. بس للأسف مش هتعرف تعمل حاجة .. سلطتك انتهت لما يارا بقت مراتي .

ثم تابع بتشف أكبر : عن إذنك بقى .. أنا اتأخرت على عروستي و النهارده فرحنا .

تركه يزم شفتيه في حنق و عجز ؛ فالمأساة أن أي رد فعل منه سيؤدي يارا قبل أن يفعل به .

و لكنه على يقين أنها ستأذى لا محالة !!



يأمل فقط ألا يكون جرحها عميقاً جداً بما يصعب مداواته !
 اقترب من تمارا و تتم بمزاح : مش يلا بينا احنا كمان و لا إيه
 !؟

تطلعت إليه في استنكار فضحك : بهزر و الله .. إيه يا بنتي
 الوش ده بس .

ابتسمت رغماً عنها فوضع يده على صدره و تابع في مزاح :
 هيايia

وضعت أناملها على فمها لتكتم ضحكة أوشكت على الخروج .
 ضحك بدوره و هتف بسعادة : ضحكت يعني قلبها مال .. و
 دي نصيحة الأستاذ عمرو دياب .. اوعي تفهميني غلط .

عادت تعبس فتنهد : لااا .. احنا كده مش هنخلص .. اتفضلي
 قدامي عشان أوصلك .. تحبي نتمشى .

أومأت برأسها بالإيجاب فقد كان هذا يعني المزيد من الوقت
 بعيداً عنه ؛ دون الاحتراق بفعل التفكير عما قد يكون يقوله الآن
 لها أو يفعله .



سارت بجواره تتأمل الليل حولها و تستنشق الهواء النقي و
السماء السوداء تماماً إلا من بضعة نجوم ازدانت بها سماءها
فمنحتها منظرأ يخلب الألباب.

تساءل يقطع الصمت الذي طال كثيراً : لمى .. عجبك البلد هنا
ولا مصر وحشتك؟! .. يعني مبسوطه هنا ولا زهقتي؟!
هتفت بحماس : بالعكس .. مبسوطه جداً .. أنا أصلا من الناس
اللي مبتحبش الزحمة و الخنقة .. يعني المكان هنا بالنسبالي
حلم جميل.

عاد يتساءل : يعني عندك استعداد تفضلي عايشة هنا على طول

أومأت برأسها في حماس و بسمة مشرقة تضيء وجهها بما
يجعلها منافس قوي للنجوم التي تنير الليل حولهما
" جداً "

كانا قد وصلا لباب المنزل فأعلن في ضيق : للأسف وصلنا.
شكرته : ميرسي يا مراد.



اعطته ظهرها فاستوقفها : لمى .
نظرت إليه في تساؤل فتابع في جدية تلك المرة
"تتجوزيني؟! "

لا أحد يستحق أن تهبه كل ما لديك لأنك إن خسرت ستكون قد
خسرت كل شيء بما فيها نفسك و ثقتك بكل من حولك.

و هو وثق و أعطى كل ما لديه ، لم يبخل عليها بشيء .
أحبها حينما أذاها الحب ..

كان حنوناً حينما نالت من القسوة ما لا يحتمله بشر !
ساندها حين تخلى عنها الجميع ..

منحها كل كلة و اعتقد انها منحتة المثل !
لا يفهم .. و لن يحاول الفهم حتى يراها ؛ نعم ..



هذا ما يجب عليه فعله !!

جذب حقيبة السفر و بدأ بوضع أشياءه بها ؛ اقتربت منه نور و

تساءلت : انت بتعمل إيه يا بابي !؟

قبل رأسها و تتمم : بجهز الشنط يا حبيبتى عشان نسافر.

زوت ما بين حاجبيها و مطت شفيتها في ضيق : ليه يا بابي بس

.. أنا عايزه أقعد هنا .. بلعب مع كريم و كارما و لولو .. كمان

يويو وعدتني هنطلع الجبل و ننام تحت النجوم هناك .

جلس على طرف الفراش و جذب الصغيرة ليغمرها في حب : و

مامي يا نور .. مش عايزه تشوفها!؟

قفزت في سعادة : إحنا هنروح لمامي !؟

ابتسم و أوما برأسه بالإيجاب .

صفت بكفيها في جذل : عايزه طبعاً .. مامي وحشتني قوي .

شرد فجأة و تتمم : هنروح لها يا نور .. و ربنا يستر.



قيل أن لا أحد بإمكانه أن يجرحك بعمق إلا إن استوطنك بعمق
!

و هو لم يستوطنها فقط؛ لقد توغل بداخلها حتى صار جزء من
كيانها؛ أحبها لن تنكر و إلا كانت ستشعر بالفرق .

جرحها .. نعم و حتى الموت .

بل إنها تكاد تُجزم أن قلبها مات بعده .

أحبت رمزي ..

بالتأكيد .. هل بإمكانها أن تنكر كل ما فعله لأجلها و لأجل نور
!؟

كلا .. رمزي كان أجمل ما حدث لها في الحياة !

و لكن حين تتذكره ..

و رغم كونه ذبحها إلا أن ذلك لم يردع ذلك الخائن بين جنبيها
؛ يشتاقه أحياناً ؛ و يحن إليه في بعض الأحيان .



و لكم تكره نفسها لذلك !

صاحبة العقلية العلمية الفذة .. لا تستطيع السيطرة على قلبها في بعض الأحيان .

أحياناً تُشبه وجوده في حياتها بالمرض المزمن ؛ تتداوى منه إلا أنه لا يُشفى .

يجب عليها التعايش معه حتى وإن كرهت وجوده .. و يوماً بعد يوم تتمنى لو اخترعوا علاجاً يخلصها منه نهائياً .

طُرقات على غرفة الفندق مع هتاف ذكوري

" room service "

وضعت وشاحها على رأسها قبل أن تتجه للباب ؛ تخبر القادم أنها لم تطلب خدمة الغرف لتتفاجأ بأنه هو .

شهقت في ذهول قبل أن تهتف : إنت إيه اللي جابك هنا !؟

أجاب : لازم نتكلم مع بعض .



كتفت ذراعيها أمام صدرها و أشاحت بوجهها : مفيش بينا أي
 كلام .. إنت طلقيني و أنا اتجوزت . end of the story .
 دخل و أغلق الباب خلفه و اقترب حتى تعدى الحد المسموح و
 همس : خلاص نسيتي يا موني .

أعلنت بتأكيد _ نسيت !

_ كدابه .

أدارها لتنظر إليه و همس بحميمية : بُصي في عينيه و قولي إنك
 نسيتيني خلاص .. بطلتي تحبيني .

ارتجفت و كأنها كان ينقصها ملامسته و هتفت بضعف : سيبي
 يا حسام .. إبعد عني .. أنا متجوزه .

لامها بعينه " نسيتني و ارتميت بحضن أول رجل طرق بابك "
 سخرت و كأن اللوم من حقه .

"كان حضنه ملاذاً آمناً لطالما كنت أتوق اليه .. أتى ليرمم ما
 أفسدته أنت و شكراً له "



اقترب بشفتيه من أذنها فاقشعر بدنهما و هو يهمس : سيبه و
تعالى نتجوز تانى .

اتسعت عينيها : مستحيل .. انت أكيد اتجنت.

عاد يردد فى خُفوت و عينيه تلتهم قسماتها : أنا لسه بحبك .. أنا
أصلاً عُمري ما حبيت غيرك .

شهقت فى قوة و كأن ثغرها الذى اتسع أمام عينيه منحه تصريح
بالقبل.

غابت معه و غيبها عن الواقع تماماً كالسابق ؛ أزاح الوشاح الذى
يغطي رأسها ليسمح لأنامله بالتغلغل بين خصلات شعرها
القصيرة دون أن يُفارق شفيتها إلا لالتقاط بضع أنفاس سريعة
ليعود إليها فى سرعة مانعاً إياها من رفاهية العودة للواقع.

جالت يديه بأرجاء جسدها فى حميمية تزداد جرأة فى كل لحظة



شهقة أخيرة مع ابتعاد يُصاحبه دفعة قوية و صرخة بلا خرجت
على استحياء حالما بدأت يديه بمحاولة تجريدها مما ترتدي؛
حاول الاقتراب ثانية إلا أنها عادت تُبعده عنها

" لأ .. اطلع بره يا حسام و مش عايزه أشوف وشك تاني "

وضع كفه على فمه محاولاً السيطرة على أنفاسه المتلاحقة : مش
هتقدري.

أجابت بحزم : هقدر .. و لو وجودك فيه حياتي يبقى أموت
أحسن .

ضحك في سخرية : انت هنا في أمريكا يعني ده ملعبي من سنين
.. مش هتقدري تبعدني و مش هسمحلك تبعدني.

تنفست بعمق واتخذت قرارها أخيراً : لو ده معناه إنني أرجع
أشوفك أو تتواجد في حياتي من تاني .. يبقى شكراً.

تطلع إليها في ذهول : إنتي اتجننتي أكيد .. و الشهرة و المجد و
الفلوس .. و المستقبل اللي ما كنتيش تحلمي بيه !؟



هتفت بحزم : مش عايزاه .. و فعلاً أنا مكنتش أحلم بيهم عشان
كده مش هيفرقوا معايا كتير .

رمى قبلته الأخيرة ؛ وسيلة الضغط التي كان يدخرها للنهاية

" طب و بنتي ؟! "

بصدمة هتفت : بنتك ؟!

أوما برأسه : أيوه .. نور .

تهالكت على المقعد أمامه و دفنت وجهها بين كفيها بينما كل

جسدها يرتجف " نور مش بنتك ! "

ساعدتها على الترجل من السيارة ؛ تأبطت ذراعه و اتجها معاً

للمنزل ؛ كل خطوة من غرفتهما كانت تخنقه حتى أن يديه

امتدت لتريح ربطة العنق التي يكرهها من الأساس .

تنهد و هو يُذكر نفسه بكل ما سبق ووصته به أمه ؛ يجب أن

تُشعرها أنها محبوبة حتى لو لم تفعل ؛ يجب أن تحاول إسعادها



لأنها شأنها شأن أي عروس من حقها أن تحصل على الحب و
التدليل من زوجها .

ازدرد لعابه في توتر حالما وقفا أمام جناحهما ؛ زفر في قوة قبل
أن تمتد ذراعيه ليحملها فابتعدت في سرعة : لأ .. أنا .. أنا
هدخل لوحدي.

فتح الباب على مصراعيه و تركها تدخل أولاً ثم تبعها ؛ جلست
على حافة الفراش تفرك يديها في توتر .

جلس بقربها و شرعت في نزع طرحتها في صعوبة بالغة .

امتدت يديه مع تساؤل خافت : تحبي أساعدك !؟

انتفضت مبتعدة عن يديه قبل أن تصل إليها و صرخت

" لأ .. ابعد عني متلمسنيش !! "



الفصل السادس عشر

البكاء ..

رفيق الأنثى الدائم ..

و عدو الذكر الأول ..

تعتبره هي متنفسها الوحيد ..

في حين يدرك هو أنه ليس سوى تعبيراً عن عجزه

حينما تضيق به كل السبل !

و حينما تجد هي فيه راحة أو وسيلة لضغط أحياناً

و ربما غالباً عندما يتعلق الأمر به .

يقسم هو ألا تتساقط عباراته أبداً أمامها ..

فيهتز تماسكه في عينيها ..

و يفقد قلبها الثقة في قوة وجب عليه أن يتحلى بها ..



فقط من أجلها.

احتمت بجدران غرفتها تبيكه؛ تتساقط عبراتها علها تخفف من الألم الذي يكاد يقتلها؛ فعلى مقربة منها كان هو من سكنها دون أن تدري؛ استوطنها بلا أدنى شفقة و دون أن يترك لها الفرصة للدفاع عن قلبها .

هاجمها في غفلة منها حتى أنها استيقظت يوماً لتجد أنه احتل جنباتها بالكامل؛ هو الآن مع أخرى يحتويها و تحتويه؛ يمنحها ما لم يمنحه لسواها .

يبدأ معها حياة لا مكان فيها لقلبها .. لوجودها !!

الصور التي تمر برأسها تكاد تجعلها تُجن ..

تكاد تراهما .. تسمعهما ..

أغمضت عينيها في قوة؛ وأغلقت مسامعها بكفيها ..

يهمس بالحب ..



يلثم ..

يُلمس ..

يحتوي ..

يمنح دفاء ..

يحتضن ..

يُقبَل ..

يعشق !!

هتاف بـ آااااااااه بداخلها لو سمعه غيرها لأصاب من على وجه
الأرض بالصمم .

تشعر بالخيانة ..

و كيف يخونها من لم يكن لها يوماً من ليس لها الأساس !

بكت حتى نضبت دموعها ..

و في بعض الدموع راحة .. و بعضها يزيد من تأجج حريق ما

بداخلنا !



وكأن ما تعيشه ليس معقد بما يكفي فأتى مراد ليزيده تعقيداً .

لا تزال ترتجف بعد طلبه للزواج ..

و كيف تجمدت في مكانها في ذهول !

استدارت حينها لتُحدق فيه بدهشة يصاحبها اتساع عينين ؛ حتى أنها حاولت النطق فاخفت الكلمات من على طرف لسانها ؛ فما كان منها إلا أن هزت رأسها في رفض .

فعاد يكرر طلبه بإصرار : لمى أنا عايز أتجوزك .

وجدت صوتها أخيراً لتجيب : إنت .. إنت أكيد اتجننت ..
مستحيل طبعاً .

صمت للحظات ثم تابعت : إنت إزاي تطلب حاجه زي كده
أصلاً .

تركها تفرغ كل ما في جعبتها من استفهام .. انفعال متوقع .. و
طريق كان يعلم أنه سيقطعه لا محالة .



يريدها زوجة .. يريد لها أم لأبنائه باعتبار ما سيكون ..

و فوق كل ذلك يريد لها كأنثى ..

كأمرأة تثير فيه ما لم تُثره غيرها !!

هتف بتصميم : أنا عايزك .. و أنا لما بعوز حاجه باخدها .

شمخت بأنفها في عناد لم يسبق له أن اختبر مثله

" و أنا مش مجرد حاجة .. و مش زي أي حاجة إنت شفتها . "

تركته و توجهت للمنزل تدري أنه لا يزال يطالعها .. و لا تعلم أن

النظرات كان يملأها إعجاب يزيد في كل لحظة ؛

التصق ظهرها بالبواب بعد أن أغلقتة ؛ ارتجفت ساقها في وهن ؛

شعرت بالضعف و ربما بالوحدة ؛ الآن تشعر بأنها وحيدة تماماً

.. تتمنى لو تستيقظ صباحاً لتكتشف ان كل ما عاشته في الشهور

الماضية مجرد كابوس فتقصه على لمى و هشام فيضحكان من

هواجس لا توجد إلا في عقلها وحدها .

تتمنى لو تمحي تلك الفترة من حياتها ..



بكل ما بها ..

وليت كل الأمنيات قابلة للتحقق بعضا سحرية تلوح بها جنية
طيبة

هناك أنواع من العلاقات تمس القلب ..

أنواع من الأشخاص يخفق القلب لهم بداعٍ و آخرون ينبض
بهم بلا أدنى داعٍ

و هناك من تتوسل القلب أن يشعر بهم ..

أن يعشقهم ..

فيقسم ألا يستمع لصوت العقل .

فلكل قلب عقل خاص به !

تهالكت على المقعد أمامه و دفنت وجهها بين كفيها بينما كل
جسدها يرتجف " نور مش بنتك ! "



اقرب و عاد يهتف بتصميم " لأ بنتي "

تطلعت إليه باستنكار كيف به يتساءل عن نور ؛ و من أوهمه أنها
ابنته : و مين قالك كده !؟

ارتبك ؛ لم يخبرها قط أنه عاد بعد عام أو يزيد قليلاً على سفره؛
ماتت أمه فعاد للوطن ليحضر مراسم العزاء ؛ ليكتشف أنه اشتاق
إليها .. كان يدرك أن وجودهما معاً مستحيل إلا أنه لم يستطع أن
يكون بمكان يعلم أنها فيه و لا يراها .

و حينها علم بالأمر..

سأل و تقصى ..

أخبروه أنها تزوجت .. بل و أنجبت فتاة أيضاً ..

بعملية حسابية بسيطة استنتج أنها ابنته !

لم يستطع كبح جماح فضوله ليرى من استبدلته به ؛ و كيف هي
ابنته ..

راقب مكان عملها ليكتشف أن زوجها الطبيب الشاب الذي
كانت تعمل معه .



نسج له عقله حينها قصة بينهما .. مفادها أنها خائنة .. ربما
بدأت القصة بينهما قبل رحيله .. وإلا كيف تزوجا بتلك السرعة
!؟

أو ربما بدأت على الأقل و هي معه ..

أنساه شيطانه كيف كانت مدلهه بحبه ؛ كيف أعجزها رحيله !؟

ولا كم توصلته لبقى !

رأى خيانتها فيما أعماه حقهه عليها عن غدره هو بها!

و كثيراً ما يُرينا عقلنا ما نود فقط أن نراه حتى يمنح قلبنا السكنينة

ليمضي مرتاح الضمير !

همس : أنا رجعت بعد مدة بسيطة لقيتك اتجوزتي و خلفتي .. و

في المدة الصغيرة دي مستحيل متكونش بنتي .. أنا مش عبيط .

تطلعت إليه باحتقار و كأنما كل لحظة تعرفه فيها يسقط من

نظرها أكثر فأكثر .

زفرت بكره : و انت كنت عارف إنها بنتك و مشيت و سيبتها

خمس سنين لواحد غيرك يربيه .



هزت رأسها في سخرية قبل أن تتابع: و هتفاجئ ليه إذا كنت سبق و اتخلت عن أمها بكل بجاحه و من غير حتى ما تسيلها أربع جدران يستروها.

ازدرد لعابه في توتر: منال .. أنا كنت مضطر.. أنا كنت ببني مستقبلي علشاننا.. بس أنا عمري ما حبيت غيرك.

صرخت به تستوقفه: إخرس .. إوعى تقول حبيتي دي تاني .. طلقيني و أنا حامل .. و ضعيفة و صغيرة و أهلي سافروا .. سيبتني و إنت عارف إنني مليش غيرك .. لا و رجعت لقيت بنت إحتمال تكون بنتك و مع ذلك بكل أنانية سافرت و سيبتها عشان مستقبلك .. لو ده الحب من وجهة نظرك يبقى ملعون أبو ده حب .

جثا بركبتيه أمامها وضع كفيه على ساقها يتوسلها : خلاص يا حبيتي .. كل ده انتهى .. أنا عايزكم جمبي .. أنا خلاص .. دفعت كفيه في عنف ؛ نفور من ملامسه كانت تشتعل بها من قبل ؛ كيف استطاعت أن تفعل بنفسها ذلك ؛ بل كيف سمحت له بالاقتراب لتلك الدرجة : شعور بالغثيان ملأها ؛ و شعور بذنب



يكاد يمزق أوصالها ؛ كيف امتهنت نفسها فسمحت له باقتراب
 مُحرم ؛ خانها جسدها فخانت زوج لم يمنحها سوى الأمان و
 الحب و بقدر أكبر مما طالبت به يوماً.

غمغت بكره : و مين قال إن كل اللي انت عايزه لازم يتحقق ..
 ثم .. قولي صحيح .. دلوقتي بقى جوازنا مش ممنوع .. خلاص
 هتجمع بين زوجتين عادي .

أطرق برأسه قبل أن يتمم : احنا اتطلقنا من سنة .

مطت شفيتها بتفهم : قول كده بقى .. ده اللي خلاك تجيلي
 دلوقتي .

توقفت قليلاً ثم تابعت : لا تجيلي إيه .. ده أنا اللي جيت أمريكا
 أصلاً .. و يمكن مكنتش هتفتكرني أصلاً لو مكنتش شفنتي ..
 لا حقيقي الحب اللي حبيته ليّ ده المفروض يتدرس يا راجل .
 وقفت بتماسك و أشارت لباب الغرفة : أنا آسفة يا دكتور حسام
 .. النمرة غلط .. تقدر تفضل و يا ريت تنسى إن في ساذجة
 اسمها منال صدقتك في يوم الأيام .



هتف بغضب حينما أدرك بالفعل أنها ترفضه ؛ تلك الحمقاء
التي عشقته بلا وعي ؛ منحته الكثير بلا توقف و دون أن تنتظر
مقابل .

و البعض حين يُمنح يمتن و البعض الآخر يزداد تطلباً كلما
منحته رغب بالمزيد

"أنا مش هسيب بنتي ."

ابتسمت برضا : الحمد لله يا أخي إنها مش بنتك .

اعترض : لكن ..

أشارت إليه بيدها ليصمت : أنا كنت حامل فعلاً .. عرفت بخبر
حملي يوم ما انت سافرت .. بس الحمل نزل بعدها بشهرين .. و
كان ولد على فكره .. نور بنت رمزي .

هتف بصرامة : انت كدابه .. نور بنتي .. و هاخدها حتى لو
غصب عنك .

استدار خارجاً فانتفضت مع صفق الباب .



تركها ترتجف في وهن ؛ حاولت التماسك بقدر الإمكان إلا أن
عبراتها لم تلبث أن هزمتها فانسابت غزيرة على وجنتيها .

يا إلهي ..

كيف به أن يظل شوكة في خاصرتها على الدوام !؟

كيف بإمكانه أن يؤلمها .. المرة تلو المرة

دون أن يفكر بها أبداً .

و لم يعد الأمر يقتصر عليها الآن ..

بل سيمتد ليؤدي نور ..

و ربما رمزي ..

خفقات قلبها التي تعالت بصدرها مع ذكر اسمه ..

كان ملاذها .. أمانها ..

و لكم تتضرع لله أن يبقى كذلك للأبد!

تناولت هاتفها و اتصلت به ؛ بصوت ملتانع و مختنق العبرات

همست باسمه



" رمزي .. أنا محتاجك أوي ! "

"رمزي !"

هتاف آخر مختنق بالعبرات استوقفه و لكنه الآن ليس عبر
الهاتف .. و لا بعيد عنه ملايين الأميال و ليس بنبرات أنثوية
مرتعدة.

كان هتاف ذكوري .. بصوت ضعيف النبرات .

تساؤل بنبرة متوسلة : انت رايح فين ؟!

تنهد رمزي : راجع لحياتي .. هسافر أمريكا.

شهقة مستنكرة أتبعتها رجفة لجسد مريض رآها رمزي رأى العين

: أمريكا !! ليه يا ابني تعمل في كده ؟!

أغمض عينيه يحبس الأسباب بداخله .. إن كان أبيه يسأل عن

الأسباب فلديه الكثير و الكثير منها .. و لكنه لن يعيدها ليس

لأن أبيه لا يعلمها .. بل رحمة منه بأبيه الذي لن يحتمل ترديدها

على مسامعه من جديد .



يكفيه أن يرحل و كفى !

تنهد رمزي : اعتبرني اطمنت عليك .. و اطمنت على يارا و

المفروض أرجع لحياتي من تاني .

تدخل مراد في تلك اللحظة بعد أن سمع جزء من حديثهما : انت

بتكذب علينا و لا على نفسك .

أشار للأب الذي خالط شحوب وجهه وهن لم يعد يفارقه : ده

أبوك اللي اطمنت عليه و هو مش قادر يقف دقيقتين من غير ما

حد يسنده .. و يارا يا رمزي .. اطمنت عليها حقيقي .. بلاش

توهم نفسك بده عشان تسكت ضميرك .

ثم أشار بيده للباب في إشارة منه بنهاية الحديث: اتفضل يا

رمزي .. مفيش حد هيمنعك لو دي فعلاً رغبتك .. بس بلاش

تضحك على نفسك و علينا .. اتفضل سيبنا زي ما سيبتنا قبل

كده .

هتف رمزي باستنكار : أنا؟! .. أنا اللي سيبتكم يا مراد .. أنا

اتطردت من بيتي ده طردة الكلاب .. أنا أصلاً مكنتش أقدر



أقول عليه بيتي .. أنا عشت فيه ضيف .. و ضيف ثقيل كمان .. و
انت عارف مين السبب في ده .

اضطرب رمزي و أخفض عينيه المتحدية للحظات قبل أن يهز
كتفيه في حيرة: يمكن .. محدش عارف مين كان معاه الحق ..
المهم إن البيت ده انت هتسيبه تاني من غير ما تفكر في اللي
سايهم وراك .. و المرة دي بمزاجك .

ابتسم رمزي ساخراً فشقيقه يحاول أن يُظهره بمظهر اللامبالي ؛
فها هو يترك أبيه المريض و شقيقته التي شهد زواجها العجائبي
و يدرك أن نهاية تلك الزيجة وشيكة و لن تطول بأي حال من
الأحوال .. فهو يشارك مراد مخاوفه و عدم الاطمئنان تجاه ذلك
الـ زيد .

حاول أن يُزين ما سيتفوه به : أنا .. مش هطول إن شاء الله ..
مراتي محتاجاني .

غمغم والده بألم : و هتسافر بالليل كده.

_ مضطر .. بس هرجع أكيد عشان يارا .



و كأنما اختزل البيت و البلدة بأكملها بيارا !

لم يخفى ذلك على أي منهم و لكن الجميع يعلم مدى عمق الجرح الذي بداخله .. و الذي لم يستوعبه سوي أصغرهم سناً

يارا !

تنهد مراد في استسلام: طب على الأقل سيب نور هنا .. بلاش تبهدلها معاك في السفر الطويل ده.

انكملت به الصغيرة فأعلن برفض : مينفعش أسيبها .. هي مشافتش أمها من مدة طويلة .

حمل رمزي حقييته و توجه للباب في تصميم

" السلام عليكم "

هتاف آخر استوقفه

" رمزي .. لا إله إلا الله ! "

" محمد رسول الله "



هل سبق و شعرت بأن روحك تغادرك لمجرد أن أحدهم غاب
عن عينيك!؟

هذا ما كان يشعر به حسين حالما ودع رمزي.

تهالك على المقعد الأقرب إليه و كأنما غادرته البقية الباقية من
قوة ما يزال يجاهد للاحتفاظ بها.

لم يعلم أيأ منهم أن تلك القوة و ذاك العنفوان الذي اتسم بهما
رحلا معها هي .. نور .. نور الهدى ..

زوجة الأولى.

تحت عينيه المتفحصتين من خلف نظارة داكنة تابع تلك
الصغيرة و التي تعمل بنشاط و همة عالية كل يوم دون كلل .
لم يكن لزاماً عليها أن تفعل بل إنها كانت تقوم بذلك بطيب
نفس .

والدها المسئول الأول عن الأرض ؛ يشرف على الفلاحين أثناء
الزراعة و الري و جني المحاصيل.



و هي كانت تساعدك كلما سح لها الوقت بذلك و كان يسح لها كثيراً.

مسحت قطرات العرق التي تجمعت على جبينها بظاهر كفها؛
خفق قلبه حالما أزاحت المنديل المزركش الذي كانت تعقص
به شعرها لتمسح رقبتها ثم تخللت أصابعها خصلات شعرها التي
التصقت بفعل قطرات العرق الناجمة عن حرارة الشمس
المرتفعة.

لم تكن تدري كم كانت مغرية في تلك اللحظة؛ صورة حية من
إبداع الخالق ؛ بكل عفوية أسرت قلبه ..

قلب ابن صاحب تلك الأراضي!

لم يكن يراها كثيراً فلقد كانت تذهب للمدرسة في مدينة أخرى
بعيدة عن بلدتهم و لا تأتي إلا في الإجازة الصيفية.

عاماً بعد عام راقبها حتى أتى ذلك اليوم ..

انتهت العائلة المكونة من الأم و الأب و هو و شقيقته من تناول
طعام العشاء و قبل أن يتوجه لغرفته استوقفه والده



" حسين .. عايزك في كلمتين ! "

نظر للأم في تساؤل فمنحته هزة رأس مُطمئنه " أفندم يا حاج "

ابتسمت الأم في حنان و غمغمت : أنا و أبوك عايزين نفرح بيك
يا حسين .

ابتسم الأب بدوره : و بعدين يا حاجة .. ممكن تعمليلنا اتنين
شاي من إيديكي .

_ من عينيه .

توجه الأب بحديثه للابن : ها يا ابني .. انت عارف اننا
خلاص أنا و أمك كبرنا و نفسنا نفرح بولادك قبل ما نموت .

جزع : بعد الشر عليكو يا حاج .

تنهد الأب : دي سنة الحياة يا ابني .. محدش هيخلد فيها ..
المهم .. إيه رأيك في فوزية بنت خالك !؟

أخفض حسين عينيه و همس : بصراحة يا حاج أنا معجب ببنت
الريس عبد الرحيم .. نور الهدى .



_ و بنت خالك !؟

ارتبك حسين : أنا حاسس إن علي عايزها .. هو لمح ليّ بكده.

_ بس مش شايف إنها صغيرة عليك حبتين يا ابني.

في تلك اللحظة أتت الأم بالشاي و غمغت بسعادة : و لا صغيرة و لا حاجة يا حاج .. السنادي هتخلص الدبلوم و يدخلو في الصيف إن شاء الله.

قهقهه حسين في ارتباك : مش لما ناخذ رأيها الأول يا حاجه.

ربتت على كتفه تمنحه الثقة بأن ما يرغبه سيناله ياذن الله

" عينها منك .. أنا ست و أفهم الست اللي زيي كويس .. طمن بالك و سيب الموضوع ده على الله و عليّ.

و قد كان .

انتهى بها الأمر زوجة له بعد بضعة أشهر؛ و بدأت رحلة المعاناة بعد الزواج مباشرة.



ف فوزية ابنة الخال كانت تُريده بدورها و لم تنسى أنه فضل عليها
ابنة الأجير لديهم.

و أخذت تتسبب بالمشاكل لهما بين الحين و الآخر ؛ ساعدها
بذلك عفوية نور و طيبة قلبها الذي جعلها لقمة سائغة لأفكار
فوزية الجامحة و محاولاتها لزلزلة كيان زواجهما.

لم تكل فوزية لأعوام من الوسوسة في أذن نور في محاولة منها
لتجعلها تكره زوجها و تتمنع عنه بل إنها أوهمتها أنه لم يعد
يحبها و ينوي الزواج من أخرى لأنها تأخرت في الإنجاب.

و مالم تُدركه نور أن فوزية كانت تفعل المثل مع زوجها؛ حتى
أوشكت أن تتسبب بانفصالهما بالفعل لولا حمل نور .. و حينها
فقط توقفت ؛ لم تستطع رؤية السعادة و الحب الذي غمر
الزوجين من جديد بعد سنوات الزواج الأولى العجاف.

اختفت بعدها بضعة أعوام ؛ تزوجت و انتقلت لبلدة أخرى ؛
عاش حسين و نور خلال تلك الأعوام في سعادة بالغة و كأنما
الله عوضهما برمزي ليرأب الصدع بينهما.



لم يكن يؤرقهما سوى حالة قلبها الآخذة في السوء و التي بدأت بعد ولادة رمزي بقليل؛ اكتشفها الأطباء و منعها من محاولة التفكير في الإنجاب مرة أخرى لأن قلبها لن يحتمل.

واكتفيا به ؛ و كان لهما بمعزة عشرة أبناء ؛ اثني عشرة عام مرا عليهما عاشا فيه سعادة بالغة ؛ منحها فيه الحب و الأمان و منحتة السكن و القلب الذي رغم ضعفه إلا أنه كان له بالدنيا و ما بها.

لطالما نهرها للتوقف عن العمل حتى لا تُرهق قلبها إلا أنها تعشق العمل و هو يعلم؛ كان أحد الأشياء البسيطة التي تُسعددها فكان يتوقف كلما شعر أنها سعيدة.

ذلك اليوم كان يتفقد العمل كالمعتاد؛ توقف أمام اسطبل الخيل ليجد السائس يغمره الارتباك و المفاجأة لرؤيته و كأنه لا يتفقدته يوماً في ذات الموعد تقريباً.

حاول أن يستوقفه إلا أنه اندفع للداخل و رآها .. بل بالأحرى رآهما .. و معاً

زوجته .. و إحدى العمال الجدد.



اعتمت الدنيا أمام عينيه و لم يشعر بنفسه إلا و سوط الجياد
يمزق جسديهما معاً.

هرب الجبان بعدها مباشرة و تركها هي لزوجها يُفرغ ألمه و
شعوره بالمهانة و الخذلان.

و ليس أصعب من على الرجل من مشاهدة حُب مُراق من جسد
خائن.

لقد خانت العهد .. خانت أمانته .. امتهنت كرامته .

أوقف يده عنها ذلك اليوم فوزية .. التي تطلعت إليه بدمعتين
زائفتين امتلأت بهم مقلتيها.

" ما تستاهلش تودي نفسك في داهيه عشانها "

و خلال أقل شهر كانت إحداها تغادر ذمته و بيته ليحل محلها
أخرى.

وضع حسين يده على صدره و لازال الألم كما هو حتى بعد
مضي أكثر من عشرين عاماً على تلك الواقعة.



ترنح قليلاً حالما حاول الوقوف على قدميه ؛ شعور بألم شديد
يمتد بجانبه الأيسر بأكمله بدءاً من كتفه الأيسر مروراً بذراعه
لألم يكاد يُقارب الاحتراق استوطن قلبه.

" مراد "

زفر باسمه بألم ؛ يستنجد وجوده ؛ يطلب دعمه .

يموت هذا ما كان يشعر به في تلك اللحظة ؛ في البدء انكسر
قلبه بموتها ؛ و الآن قلبه يغادره مع رحيل ابنها.

أما عن الآخر فكان بالطابق العلوي ؛ يراقب غرفتيهما الخاليتين
؛ يارا صغيرته و الأقرب لقلبه بين الجميع ؛ داعب عروستها
المحشوة المفضلة بلونها الوردي و التي يبدو أنها نسيتها في
خضم ازدحام الأيام السابقة بالتحضيرات للزفاف.

جال بعينه أرجاء الغرفة في حنين لصاحبته و التي لم تغادرها
سوى من ساعات قليلة.

انفلتت عبرة من قسوة عينين لا تعرف الدموع و خاصةً على
امرأة ؛ و لكن ليست هي .. أي امرأة غيرها.



قلبه يشفق عليها من حقيقة زواجها من نذل ك زيد؛ و لا يستطيع
سوى القلق من رد فعلها عندما تعلم أنه ساوم على زواجه منها
بل وواقع زواجه من أخرى أيضاً.

غادر الغرفة قبل أن تغلبه عبراته من جديد و اتجه للغرفة الأخرى
؛ و يبدو أنه كما يُقال

" الفتاة لِعَمَتِهَا "

فقد نسيت نور دميتها المحشوة أيضاً المعروفة بـ "دورا"

تناولها مراد يشتم فيها عقب الصغيرة " قطعة السكر "

ابتسم حالما تذكر الوصف الذي أطلقته عليها يارا و كيف ذكرته
بجدوى الحصول على فتاتيت السكر خاصته قبل أن يفوت
الأوان .

و هنا تذكرها ..

لمى ..



ربما كان أحد الأسباب الرئيسية للزواج هو أن ينجب سريعاً قبل أن تنفذ فرصه للإنجاب كما سبق و أخبره صديقه في أمريكا؛ إلا أنه لا يُنكر أن الفتاة تدخل القلب حقاً.

مُعجب بها و من بإمكانه ألا يفعل و هي مبهرة حقاً؛ و الأجل من ذلك أنها تتعامل مع الجميع بعفوية و حب و إثارة؛ غير مدركة لكونها تخطف القلوب ببساطة التقاط الأنفاس.

يريدها زوجة و سيحصل عليها بالتأكيد!!

امتدت يدها لتغلق المصباح بجانب الفراش فانتبه للورقة التي علق ما بين الفراش و الكومود؛ تناولها ليكتشف أنها ورقة خاصة بالبنك لابد و أنها سقطت من رمزي و لم ينتبه لها.

صوت تحطم آتي من الدور السفلي جعله يهرول للأسفل في سرعة و قد طوى الورقة ووضعها بجيب بنطاله.

هرول باتجاه والده الذي يبدو و أنه فقد توازنه فسقط و أسقط المنضدة القريبة بما عليها.

هتف في لهفة : بابا .. إيه اللي حصل !؟!



بشحوب بالغ وازاه بعض من زرقة بدأت تظهر على وجهه همس
بضعف

" رمزي .. كلم رمزي "

تناول مراد هاتفه في سرعة و اتصل بأخيه : رمزي .. تعالى
بسرعة .. بابا تعبان قوي .

استمع للطرف الآخر قبل أن يتابع : شكلها جلطة تانية .. بسرعة
يا رمزي !

تطلع إليها في دهشة مع هاتفها المذعور بألا يلمسها ؛ زوى ما
بين حاجبيه في تساؤل : ياسمين .. مالك !؟

ارتجفت و هزت رأسها في خوف .

وضع كفه على قبضتها التي أحكمت إغلاقها فوق ركبتيها
فانتفضت مبتعدة عنه .



همست بتلعثم : مش عايزه يا ياسين .. مش عايزه.

تنفس ياسين بعمق و هو يحاول التفهم ؛ و كان الأمر صعباً ؛ هي من استعجلت الزفاف ؛ هي من كانت تريد إتمامه بأي شكل من الأشكال .

هل لازالت تحب هشام !؟

هل يثير فيها النفور !؟

الكره !؟

و لكن لماذا !؟

كانت تستطيع رفضه ببساطه و لكنها لم تفعل .. بل إن عزميتها لم تفتري يوماً بل كانت هي من تسعى إليه لا العكس.

فكيف به يتفهما الآن !؟

هز رأسه في حيرة و عينيه تراقبان انكماشها على نفسها و دُعرها الآخذ في ازدياد.



همس بتفهم رغم مئات الأسئلة التي تجول بعقله : أنا هاخرج
بره شويه على ما تهدي .

اتجه للدولاب و أخرج منامته ثم توجه للحمام في الخارج ؛ عاد
بعد ما يُقارب النصف ساعة ؛ طرق باب الغرفة فلم تُجب ؛ عاد
يطرقه إلا أن النتيجة كانت نفسها.

فتح الباب ببطء مصدراً نحنة لينبها لوجوده ؛ دخل الغرفة و
أغلق الباب خلفه في رفق .

وجدها لا تزال كما هي ؛ كأنها تخشبت في مكانها ؛ عينها تنظر
أمامها في جمود و تحت عينها خطان أسودان بفعل دموعها
التي امتزجت بمحدد الرموش الأسود فسالت على وجنتيها
فلطختهما .

همست في شرود غير موجه إليه

" أنا بكرهك .. بكرهك .. له عملي في كده .. له ها .. له
عملي في بابا كده .. أنا مستحيل أبقي زيك .. مستحيل .. أنا
بكرهك .. أنا .. "



توقفت للحظات و عادت دموعها تسيل على وجنتيها : سامحيني

يا ماما مكنتش أقصد .. أنا السبب .. أنا اللي موتك "

فخر ياسين فاه و هو يستمع لهلوستها غير قادر على التصديق و

غير قادر على التفريق بين كلماتها ..

أيها واقع .. وأيها هلوسه !؟



الفصل السابع عشر

الذنب

أحياناً يمتزج الذنب بالأمل ..

رغم كوننا نندم عليه حقاً ..

يوجعنا و يؤلم من حولنا ..

إلا أننا نحرص على الأمل ..

إما أن نصفح نحن أو يسامحنا من أذنبنا بحقهم

قد يعيش الذنب فينا فتموت من حوله كل المشاعر

نكذب على أنفسنا قبل الجميع بأننا قادرون على المضي قدماً

على الاعتذار وقت اللزوم ..

على الحياة بأريحية ..

فنكتشف أننا قد خسرنا أنفسنا في المقابل قبل خسارة الآخرين



فعندما يكون الحب أكبر ذنب ..

لا تلم إلا نفس عشقت بلا أمل

بلا هوية ..

فقط عشقت الألم حتى النخاع !!

توقفت أمام الباب في ارتباك و قد علت نبضات قلبها، أزاح
ذراعها الذي تأبط ذراعه لتحتضن أنامله أصابعها في لهفة،
منحها ابتسامة حنون قبل أن يُخرج المفتاح بيده الأخرى، دفع
الباب بقدمه و هو يهمس في خفوت " أهلاً بيكي في بيتك يا
حبيبتي "

أشاحت بوجهها بعد أن توردت وجنتيها خجلاً أعقبها شهقة
مُفاجئة عندما شعرت بجسدها في الهواء محمولاً بين ذراعيه
فهتفت برعب : نزلني يا زيد الله يخليك .

خطأ بها عتبة الباب و دفعه بقدمه فأغلقه و غمغم بابتسامة :

خايفه !؟



أجابت من فورها : أيوه طبعاً.

تساءل في استنكار : مني و لا ا عليّ؟!!

غمغمت في خفوت : خايفه على ابني !

أنزلها برفق لتقف أمامه ؛ تطلع إليها بعينين ربما ترى النظرة التي
سكنت فيهما للمرة الأولى.

احتارت في تلك النظرة المفعمة بالحب و شيء آخر من احتواء ،
لم يكن هذا فحسب بل شيء آخر في أعماق عينيه لم تره من
قبل.

مشاعر جعلت قلبها يصرخ بجنون ، تثن خلاياها تحت لمسات
أنامله التي جابت وجهها في حنو ارتعدت له فرائصها.

تنهد بعمق و مشاعره المتضاربة تجتاح جسده و قلبه ؛ مزيج من
الحب و الحماية .. و كثير من الذنب يقطن أعماقه.

لم يكن من المفترض أن تكون ليلتهما الأولى كزوجين هكذا !
لم يكن من المفترض أن تخشى شيئاً هذه الليلة بالذات سوى من
مشاعر جارفة قد تجترفهما و كيف بإمكانها مواجهتها بخجل



الأثنى الفطري و بعض من خوف مشروع حال وجودهما معاً و
قد مُنحت علاقتهما كل الشرائع الممكنة.

احتضن كفيها بيديه ثم قربهما من شفثيه و لثمهما الواحد تلو
الآخر

" أنا آسف "

اغرورقت عينيها بالدموع من فورها و قد فهمت المغزى من
أسفه .

لم تستطع التفوه بحرف كل ما استطاعت الرد به عليه كان دموع
صامته انسابت من عينيها بلا توقف.

ذنب يطوق عنقه بلا رحمه؛

لم يكن الأمر يقتصر على منحها لقب أم قبل أن تحصل على
لقب زوجة.

ربما كانت تلك نيته حقاً و لكن معها هي ..

يُفشل قلبه كل ما ينوي فعله !



كان الأمر أكبر مما تتصور بكثير.

لقد دخلت المتاهة بقدميها ظناً منها أنه لن يترك يدها خلال الرحلة إلا أنها لم تدرك أنه أضاعها حقاً و قبل أن تبدأ الرحلة بالكثير.

لم تتفوه بحرف و لم يفعل هو أيضاً..

حين تتعطل لغة الكلام تكتفي الروح بتنهيده تحمل ألف معنى!

تنهد واقتادها لغرفتيهما، ينوي تعويضها عن كل لحظة ألم

عاشتها و ...

ستعيشها .

بعد الفجر بقليل رن هاتف بالقرب منها؛ امتدت ذراعها لتصل للهاتف على المنضدة بجانب الفراش ؛ بعينين نصف مفتوحتين بحثت عن زيد بقربها فلم تجده .

فتحت الخط ظناً منها أن الهاتف لها؛ و قبل أن تنطق أتاها صراخ الأخرى على الجانب الآخر .

" إلحقني يا زيد .. عمر ييموت .. تعالى بسرعة ! "



ظلت تتطلع للهاتف ببلاهة لبعض الوقت ؛ اندفع نحوها و انتابه
الذعر حين وجد هاتفه في يدها .

إذاً كان صوت هاتفه حقاً ما سمعه منذ قليل .

شعرت بوجوده فانتفضت تحيط جسدها العاري بالشرشف
تحاول ستر ما ظهر منه في ارتباك .

تناول هاتفه من يدها و سقط قلبه في قدميه و هو يرى المكالمة
التي أجابت عليها منذ قليل .

ازدرد لعابه في توتر قبل أن تسأله في بطاء : مين زهرة ؟!

و مين عُمر ؟!

لم يعد الصمت يكفي و لن يكون بعد الآن .

جلس على حافة الفراش يحاول تجنب التقاء الأعين و بدأ
بالحديث .

و مع كل حرف يتفوه به كانت عينيها تتسعان و ترتجف شفثيها
بصدمة .



أما عن القلب فغابت شمسه فجأة فارتجفت و الظلام يمتد
بداخلها ببطء جالباً معه قشعريرة باردة اجتاحتها بلا رحمة.

توقف بعدما انتهت الكلمات ؛ فرغت جعبته من حكايات
الماضي و انتهى رصيد كان يمتلكه في قلبها.

أحاطت كامل جسدها بالشرشف و أحكمت إغلاقه ما استطاعت
قبل أن تتوجه للحمام بدون كلمة واحدة .

وقفت تحت الماء تغسل أثار لمساته من جسدها؛ تشعر بالتبلد إلا
من دموع تجري على وجنتيها دون صوت.

طال الوقت بها في الداخل فشعر بالخوف ؛ اقترب من باب
الحمام و هتف " يارا .. انتي كويسه ؟! "

لم تُجب فوضع يده على مقبض الباب يحركه ببطء ينوي فتحه
فصرخت من الداخل بدعر : خارجة حالاً .. إوعى تدخل .

خرجت بعد قليل ووجدت أنه قد ارتدى ملابس بدوره؛ اقترب
فأشارت بيدها أن يتوقف ؛ الآن لن تحتمل اقترابه أبداً بل لن
تسمح به بعد الآن



همست : زيد .. أنا راجعه بيت بابا.

تنهد بضيق يكره كونها علمت الأمر بتلك الطريقة و يكره أنه لن يجد الوقت لاسترضائها لن تسنح له الفرصة لطلب الصفح فهي أولاً و أخيراً كانت ضحية و رغماً عنه علقته بدوامه الماضي .

" أنا آسف لازم أنزل مصر. "

أغمضت عينيها و عادت الدموع تنساب من تحت جفنيها المطبقين رغم أنها أقسمت أنها لن تُريه دموعها بعد الآن.

تقلص قلبه ؛ يشعر بألمها بأكثر مما تتصور هي و مع تمتتها الأخيرة لفظ قلبه أنفاسه الأخيرة.

" طلقني ! "

كانت تهذي بكلمات غير مترابطة عن ذنب و قصاص ؛ عن حياة أنهتها دون أن تقصد و لكنها لم تحزن كما ينبغي ؛ عن جنس تكرهه و جسد تشمئز من كونه لها لأنه يُذكره بها.



بأم شاهدها بوضع مخزي؛ لها و لأبيها و لطفلة فقدت براءتها
لحظة وقعت عينيها على جسد الأم العاري بين ذراعي غريب مما
أفقدتها قدسية مكانتها في قلبها و سقطت من عينيها للأبد.
اقترب حتى كان في مجال عينيها يبغي تركيزها على شخصه ؛
على وجوده هو بالذات ؛ من اختبر معها تلك المشاعر معها .

هو ..

من شاهد و سمع معها كل شيء !

من تأذى معها من تلك الحادثة !

تطلعت إليه باستجداء : أنا قتلتها يا ياسين .. أنا مجرمة زيها
بالظبط .

احتوى وجهها بكفيه يأمرها بالصمت : ششششششش ... بلاش
تفكري في الموضوع ده دلوقتي .. انتِ مش مجرمة.

عادت تردد بشفتين مرتجفتين و كأنما لم تسمعه

" بس هي خاينه يا ياسين .. تستاهل تموت صح ؟! "



ضم رأسها لصدره فأجهشت ياسمين بالبكاء و لازال لسانها
يهذي بنفس الكلمات.

لم يكن يفهم كيف قتلتها من الأساس ؛ فهي كانت طفلة حينها ؛
لقد ماتت في حادثة بعد تلك الواقعة بعام و بضعة أشهر.

تركها تفرغ كل انفعالاتها و لم يتركها لحظة واحدة حتى انتهت
تماماً ؛ أبعد رأسها عن صدره قليلاً و همس : بقيتي أحسن.

أومات برأسها بالإيجاب ؛ فمنحها بسمه مشجعة و مسح بأنامله
أثار الدموع على وجنتيها.

تنهد بعمق يحاول استجماع شجاعة ربما أو استحضر حكمة
تجعله يتصرف في ذلك الوضع كما ينبغي .

تأملها .. لم تكن ياسمين التي يعرفها .. و التي كانت دائمة
التأنق .. شعرها الأحمر مشعث و عينيها حمراوتين بشدة.

نهض ببطء و اتجه للحمام ؛ غاب لدقائق ؛ خرج و جذبها من
ذراعيها برفق و اقتادها للحمام الملحق بالغرفة .



وقف خلفها يزيل الطرحة التي تشابكت مع خصلات شعرها
الطويلة في رفق ؛ ارتجفت حالما لامست أنامله سحاب فستانها
فابتعدت لا إرادياً إلا أن صوته الدافئ جعلها تتوقف " متخافيش
"

أزاح الفستان عن كتفها فانزلق حتى استقر عند قدميها .
همس : أنا جهزتلك الحمام .. لو احتاجتي حاجة ناديني .
خرج و أغلق الباب خلفه قبل أن يرى النظرة الممتنة التي علت
وجهها.

خرجت بعد بعض الوقت و قد زال كل المكياج الذي تلطخت
به ملامحها قبل قليل .. شعرها الرطب الذي التصق برأسها
ووجها النقي الخالي من أي زينة منحأها منظر بريء و ملامح
تظهرها بأصغر من عمرها بكثير.

استقبلها و اقتادها للفراش، غطاها جيداً ثم أشار للكنبة المقابلة
للفراش

" أنا هنا هناك عشان تبقي براحتك . "



تعلقت بكفه التي لازالت على الغطاء حولها

" خليك جمبي "

ابتسم فتحركت لتُفسح له مكاناً بجانبها؛ كانت ممتنة له للغاية ؛
لم تتوقع أبداً أن يكون ياسين بتلك الرقة حقاً و لا حنوناً بهذا
الشكل.

ارتكنت برأسها على صدره فيما أحاطت به ذراعه تُقربها منه
ليربت على ظهرها في حركة رتيبة حتى انتظمت أنفاسها و ثقلت
رأسها على صدره فأيقن أنها قد نامت.

انسل من جوارها في رفق ؛ فتح الشرفة ليتطلع في الأفق حيث
بدأ الليل يللم طرفه من السماء مُفسحاً المجال للشمس في
محاولاتها الأولى للظهور على استحياء.

لم يتخيل أبداً أن تكون تلك الواقعة قد أثرت على ياسمين بهذا
الشكل ؛ لم يتوقع أن تبدو ياسمين القوية بهذا الضعف.



تذكر تشنجهما الأول و فكر ربما كانت تخافه حقاً لأنها لم تعرف
سوى ياسين القاسي .. الصارم.. لذا كان حب أخيه الطريق
الأسهل فلطالما كان هشام أكثر لينا .. أهدأ طبعاً منه .

أو ربما لأنها لم تحبه من الأساس !!

و كيف يلومها و هو أيضاً يستحق الملام فما هو قلبه يخفق و
للمرة الأولى لغير زوجته .. و ليس هذا وحسب .

بل إنه خفق لمن أحبها أخيه و ترك كل شيء من أجلها.

أحبها و لم يمهلها القدر ليرتوي من حبها و لا أن يكتفي من
وجودها .

تطلع لشرفتها في الطابق الأعلى و خفق قلبه في عجز .

في صمت !

و أحياناً نصمت بداعي الاكتفاء و في جوفنا آلاف الغصات
تصرخ حيناً لمشاعر ليست من حقنا .. و لأشخاص لن يزيدنا
القرب منهم سوى المزيد من الألم.



و أصعب ما في الأمر أن تفشل في أول اختبار حقيقي لقلبك و
تعجز عن منح من تُحب السعادة التي يستحق .

استدار رمزي بالسيارة و عاد أدراجه مباشرة بعد أن انتهت
مكالمته مع مراد ؛ اتصل بالإسعاف الذي أتى خلفه مباشرة .
طوال طريق العودة للمنزل يدعو الله ألا يصل متأخراً؛ فهو لم
يُخانقه كما ينبغي ؛ لم يتهمه بكل ما أراد اتهامه به.

اغرورقت الدموع في عينيه و هو يعترف لنفسه بالسبب الحقيقي
لم يحصل منه على الضمة التي بإمكانها مواساة كل جروحه.
مداواة آلامه التي إن لم يكن هو المتسبب بها فهو كان على
مرأى و مسمع منها جميعاً.

استقبله مراد على باب المنزل



" مراد .. أنا هدخل مع الدكتور .. وهات انت نور نايمه في
العربية "

تحرك مراد فوراً لينفذ ما قيل له .

و بعد الفحص ..

الطبيب : الوالد حالته خطيرة جداً .. لازم يتنقل المستشفى فوراً.
أزاح الأب قناع الأكسجين عن وجهه ليغمغم " مبقاش في وقت
ولا لزوم للمستشفى . "

هتف رمزي متجاهلاً ما يقوله أبيه : اعمل اللازم يا دكتور .
أوما برأسه و خرج ليعث بالمسعفين الذين حملاه لسيارة
الإسعاف.

تمسك بكف رمزي في عجز و تمتم في ضعف : هات الأجنده
الزرقاء اللي في الدرج هناك .. بسرعة مفيش وقت.
أحضرها رمزي بسرعة و انطلق خلفه بالسيارة .



نظر رمزي لساعة يده في قلق و قد طال بهم الأمد بداخل غرفة
العناية المركزة.

غمغم مراد بقلق : اتأخروا أوي .

زفر رمزي بتوتر : إن شاء الله خير.

اندفعت يارا باتجاههم في تلك اللحظة ؛ بوجه منتفخ و عينين
بلون الدماء

ليغمرها رمزي في مواساة " يارا .. انتِ إيه اللي جابك بس ؟! "

تطلع لشقيقه بلوم " انت كلمتها ؟! "

هز رأسه في نفي قبل أن يقترب مراد منها بدوره و يتطلع خلفها :
انتِ جايه لوحذك و لا إيه ؟!

تجاهلته و سألت رمزي : بابا كويس يا رمزي ؟!

أجاب بقلق : لسه محدش خرج يطمنا.

هتف مراد بتوتر : ما هو لو مكنش الدكتور زعله ..



نظرت يارا لشقيقها بنظرة صارمة تحذيره فصمت ؛ تلك النظرة
شعر معها أن شيء ما قد حدث لها ؛ لم يسبق أن نظرت إليه
بتلك الطريقة أبداً.

تساءل مراد في حلق : فين البيه جوزك و إزاي يسيبك لوحك
في وقت زي ده.

غمغمت : مش وقته يا مراد .. بعدين نتكلم لما نتظمن على بابا

.

خرج الطبيب في تلك اللحظة فاندفع ثلاثهم باتجاهه .
_ والدكم قلبه وقف و عملنا له صدمات كهربية .. هو أخذ العلاج
اللازم بس للأسف الحالة لسه حرجه.

هتفت باكية : يا حبيبي يا بابا .

دفنت وجهها في صدر أخيها و أجهشت بالبكاء ؛ حاول رمزي
تهدئتها إلا أنه فشل تماماً و كأنما انتابتها هيستيريا البكاء .



حتى أبعدها رمزي في رفق و هتف في لوم : و بعدين معاكي يا
يارا .. انتِ حامل و اللي بتعملية ده مش كويس عشانك.

هتفت بحرقه " حامل ؟! "

ثم تابعت : أنا آسفه يا رمزي .. أنا مجرمة و ما استحقش أكون
أم و لا أستاهل أخ زيك .. سامحني عشان خاطري.

طوقها بذراعيه في حنان : انتِ بتهرجي .. انتِ أحسن واحدة في
الدنيا .. أنا اللي ما استحقش أخت زيك .

أبعدها قليلاً : انتِ تروحي دلوقتي و أنا هبقى أطمنك بالتليفون
.. قعدتك هنا ملهاش لازمه.

همت بالاعتراض إلا أنه تابع و هو يعلم أنها لن ترفض ذلك
الطلب بالتحديد: ثم إن نور لوحدها في البيت و لو صحيت و
لقت نفسها لوحدها هترعب.

همست برجاء : طب ينفع أشوفه قبل ما أمشي.

هز كتفيه بحيرة : مش عارف ينفع و لا لأ .



توجهت بصحبته لغرفة أبيها و تبعهم مراد بصمت و قد أدرك أن يارا تتجنبه لسبب لا يعلمه.

دخلت لبضعة دقائق تمت ببضعة كلمات ثم قبلت رأس أبيها و خرجت.

استوقفها الأب و همس ببضع كلمات لها بدوره خرجت على إثرها باكية.

هتفت بعدما استجمعت بعض من تماسكها

" رمزي .. بابا عايزك بس بعد مراد. "

أوما برأسه ؛ دخل مراد الغرفة بعد أن ارتدى الزي المعقم فوق ملابسه و كذلك غطاء الرأس و القدمين .

استمع للحديث الذي همس به إليه والده في صمت ؛ اكتفى بهز رأسه في معظم الأحيان و بهمهمات في أحيان أخرى.

طلب منه أن يكون نعم السند لأخيه و أخته ؛ ان تبقى أحقاد الماضي حيث هي ؛ مدفونة مع من قد ماتوا ؛ طلب منه أن ينسى و يصفح و أقسم له أن أخيه بريء من الادعاءات الماضية.



طلب منه وعد بأن يحمي أخته و يحافظ عليها ؛ و يمنح أخيه
فرصة فلم يعد يملك أياً منهم سوى الآخر.

و أخيراً طلب كليهما الصفح من الآخر.

أتى دوره .. دخل بخطوات متثاقلة يخشى ما قد يحدث و يرفضه
.. ليس الآن على أي حال .

اقترب من فراش الأب ؛ كان قد اغمض عينيه في إرهاق فتطلع
إليه رمزي في تمعن لأول مرة منذ مدة طويلة.

و لكم افتقد تلك الملامح الهادئة المحببة للنفس ؛ لطالما أخبره
أنه يملك قلباً رقيقاً مثل أمه إلا أنه كان يملك قلبه هو و طباعه هو
رغم كون كليهما ينكر ذلك.

فتح الأب عينيه فجأة ليضبط عيني ابنه الدامعتين فهمس
بضعف

" الدموع دي عشاني يا رمزي "

أشاح رمزي بوجهه في ألم فعاد الأب يهمس : بلاش تبخل على
أبوك بأنه يملي عينيه منك قبل ما يموت .



استنكر رمزي : بلاش تقول كده هتبقى كويس إن شاء الله .. و
انت اللي هتربي أحفادك كلهم.

ابتسم بحنو : تعالى جمبي .

لاحظ الأجندة التي لم يتركها رمزي منذ أخبره بها .

همس : اقراها يا رمزي .. الكلام اللي فيها يخصك.

فتحها رمزي بأنامل مرتجفة و معها أزاح الغبار عن كل القصة
الماضية التي لم يعرف عنها شيئاً قبل قراءته لتلك السطور التي
خطها والده بيده بتاريخ رحيله من المنزل.

القصة التي بدأت بزواج أمه و أبيه و ظهور فوزية في حياتهم
مرورا بكل الأحداث المؤلمة التي عاشتها أمه.

اقتربت منها زوجة السائس في ذلك اليوم لتغطي جسدها النصف
عاري و الممزق بفعل سوط انهال به زوجها على جسدها فأدماه
بشدة ؛ و الذي تسبب لها بالحمى خلال الأيام السابقة.

تأوهت نور حالما لمست المرأة جروحها المؤلمة.



فهمت الأخرى في شفقة " حسبي الله و نعم الوكيل "

عادت نور تتأوه و تتساءل : أنا مش فاهمه حاجة .. هو إيه اللي

حصل!؟

قصت عليها المرأة كل ما صار و كيف أنها تهذي و محمومة منذ

أيام؛ و أن السيد قد طلقها و أمر بأن تبقى في الغرفة الخلفية

الكائنة في حديقة المنزل حتى تغادره بعد أن تسترد عافيتها.

حاولت الاعتدال فصرخت بعجز و كل جسدها يئن بالوجع

" حسين عمل فيّ أنا كده .. صدق إني ممكن أخونه .. طلقني

كمان "

واستها المرأة : يا ست هانم ده ملعوب و اتعمل عليكِ انتِ و

البيه .. أنا جوزي شاف كل حاجة و قبل ما يلحق يتصرف كان

البيه جه و شافك مع الأجير إياه.

تساءلت : أنا يتعمل فيّ كده إزاي أنا مش فاهمة .. و جوزك

مدافعش عني ليه.



_ يا ست هانم انتِ كنتي زي ما تكوني متخدره بس في نفس الوقت واعيه .. و البيه اتجنن لما شافك و لولا الست فوزية كان زمانك موتي في ايده .. و جوزي مقدرش يفتح بقه .. البيه بتاعنا لسه هيتجنن من اللي حصل .. مش بعيد لو حامد فتح بُقه البيه يضربه هو كمان بالكرباج .

غمغت بألم : أنا لازم أفهمه .. أنا مكنتش في وعيي .. أنا حتى مش فاكره شكل اللي عمل كده .

هدأتها المرأة : استني بس تشدي حيلك و بعدين يحلها حلال . هتفت فجأة تتساءل عن صغيرها في قلق: رمزي !؟

طمأنتها : متقلقيش على البيه الصغير هو في البيت الكبير ميعرفش أي حاجة من اللي حصلت .

ثم تابعت : المهم انتِ تشدي حيلك عشان تقومي تدافعي عن بيتك و جوزك .. إلا الست فوزية بتلف حواليه و سمعت طراطيش كلام إنهم هيتجوزوا قريب .



إلا أنها لم تبرأ أبداً .. ظلت الحمى تلاحقها لأيام ؛ يعزوها بنيتها الضعيفة ؛ و قلبها المريض .

و رحلت بعد أقل من شهر على تلك الحادثة ؛ و ربما تحطم قلبها فعلياً مع زواجه من غيرها فليلة زفافة كانت هي جثة هامدة في فراشها الحقيقير ؛ في تلك الغرفة الباردة خلف المنزل .

مسح رمزي الدموع التي انسابت على وجنتيه إلا أنه لم يستطع ان يمسح الدموع التي ترقرقت على جدران قلبه للظلم الذي تعرضت له والدته .

تساءل : و انت عرفت القصة دي امتى ؟!

أجابه بألم : قبل ما تمشي انت بشهور .

رمزي بسخرية : يعني فضلت تلعن خيانتها خمس سنين .

غمغم بندم : كنت غبي .. كان قلبي مش مطمئن و إحساسي بيقول مستحيل نور تعمل كده بس أرجع و أقول .. أنا شفت كل



حاجة بعيني.. إزاي أكذب عينيه .. لحد ما سمعت فوزية
بتتخاقق مع نفس العامل في يوم على فلوس .

ضحك رمزي بمرارة : كانت خطة من فوزية هانم و العامل كان
بيبتزها.

أوما حسين برأسه في حزن : ساعتها مبقتش عارف أعمل إيه ..
كنت هموتها ساعتها بس كانت أم ولادي .. و كانت حامل في
يارا ساعتها .

تابع رمزي بمرارة: و بعدها بسنة رجعت اتبليت عليّ و رجعت
صدققتها!!

أنكر حسين : محصلش .. عمري ما صدقت كلامها عنك .. أنا
كنت عارفك كويس يا رمزي .

همس بعتاب : زي ما كنت عارف أمي كده .. و فوزية هانم
تلفق لأمي جريمة شرف .. و تتهمني إني بتحرش بيها .. و
تطردني بره البيت .

حسين في ندم : أنا اترجيتك تفضل انت اللي رفضت.



هتف في استنكار : عايزني أفضل بعد الاتهام ده .. دي هددتني
هتفضحني في البلد كلها .. و ان كل الناس هتصدقها .. عارف
ده عمل فيّ إيه .. في شاب لسه يدوب ١٧ سنة .

غمغم حسين في عجز : و أنا عمري ما حسيت بالراحة من يوم
أمك ما سابتني .. معرفتش الفرحة و السعادة إلا معاها .. أنا
عارف إنني غلطت في حقكوا كثير أوي .. أتمنى تسامحني يا
ابني قبل ما أقابل وجه كريم .

هتف رمزي بألم : لأ .. مش هسمحك تمشي قبل ما أخلص
تاري و تارأمي .. أنا ...

أخفض رمزي رأسه بألم و بداخله انفعالات شتى ؛ يحب أبيه و
يكره الاعتراف بذلك ؛ لم يتوقف لحظة عن الاشتياق إليه و
لكنه رغم ذلك يعاقبه بالابتعاد ؛ يريد الرحيل بعيداً عن هذا
المكان الذي ظلمت فيه أمه و لفظه هو بلا رحمه إلا أنه لا يشعر
بالراحة إلا فيه .

همس في رجاء: أنا .. أنا لسه مشبعتش منك .



انسابت الدموع على وجنتي الأب : أنت ابني اللي محبتش حد
 قده .. معزتك من معزة أمك .. أنا كل الي عايزه تسامحني و
 تاخذ بالك من أخواتك .. ملهمش غيرك .. و هكون مطمئن لو
 فضلت جمبهم .. إنت أخوهم الكبير .. سندهم يا رمزي ..
 خصوصاً مراد .

تطلع إليه في دهشة فتابع : صدقني .. ده أكثر واحد محتاجك
 بس هو اللي بيكابر.

أوما رمزي برأسه فأشار الأب إليه بالاقتراب .

طلب منه أن يساعده في النهوض فساعده رمزي على الجلوس
 برفق ؛ فتح الأب ذراعيه ليحتمي الابن بحضن والده الذي
 اشتاقه كثيراً .

و نال الأب جرعة الماء التي انتظرها سنوات و سنوات ؛ ظل
 كليهما متشبث بالآخر لبعض الوقت و العبرات تجري على
 وجهيهما ؛ يحاولان تعويض سنوات عِجاف مضت و التزود
 بالبعض لغد ربما لن يجمعهما معاً ، حتى تهدلت ذراعي الأب و
 تعالى صفير جهاز القلب معلناً توقف القلب عن العمل .



انتهت أيام العزاء في منزل العائلة الذي خيم عليه الحزن ؛
الجميع افتقد حنان الأب .

يارا تشعر بالقهر على ما آل إليه أمرها ؛ زوج تركها ليذهب
لزوجته الأخرى و ابنه المريض ؛ خدعها طوال تلك السنوات
بمسمى الحب أو ربما هي من أوهمت نفسها بذلك ؛ كانت تعلم
أنه يحبها و لكن حاجز خفي تم بناءه بينهما في مرحلة ما ؛
أقنعت هي نفسها رغم أنها لم تكن مرتاحة بالكامل أن الأمور
على ما يرام.

لا تستطيع أن تصفح عن مراد ؛ فزيد صديقه .. و الطيور على
أشكالها تقع ؛ ربما كان يجب أن تُقيم علاقتهما بشكل آخر .
رمزي أيضاً يشعر بالتشتت ؛ تراه و لا يستطيع فعل شيء له ؛ لم
تعد يارا القديمة التي تنتقل بين الجميع كجنية ؛ تساعد هذا ؛ و
تتطبب ذاك .



لقد فقدت حيوية قلبها الحنون !

غيابه أثر عليها كثيراً ؛ كان يشبهها كثيراً في طباعه ؛ ربما لم تكن لتحتاج رفقة زيد أو غيره إن كان أخويها حولها.

تفتقد أبيها بشدة و تتضرع لله أن يرحمه رغم اخطاؤه إلا أنه لم يكن سوى سندا لها الوحيد رغم مرضه في غياب إخوتها.

مراد كان يُخفي ما يشعر به حقاً خلف واجهة اعتاد عليها و ينتظرها الجميع منه كأمر مُسلم به ؛ يختفي خلف قناع العابث الذي لا يبالي أبداً بشخص آخر غيره ؛ و لكن عميقاً بداخله كان يبكي أبيه ؛ الرجل الذي احتمل الكثير من الألم طوال حياته و السبب أمه .

نعم .. كان يعلم كل ما صار في الماضي و كل ما فعلته أمه قديماً

رغم صغر سنه إلا أنه سمع و فهم أنها كذبت و لفقت و سرقت ما ليس لها .

و كان على أبيه و أخيه أن يدفعوا ثمن تلك الجريمة .



حتى أنها لم تُدرك أنها خذلتها هو أيضاً في طريق أنانيتها المعبد
بشخصيتها الشريرة.

لم يفهمه أحد حقاً ؛ ربما لأن لا أحد يعلم حقاً أنه على دراية
بما حدث سابقاً

دوماً كانوا يرونه العابث ؛ الوجه الآخر لأمه حتى لو لم تصرح
بذلك الألسنة.

إلا أن لا أحد كان يعلم حقاً أنه كان يرى كل النساء أمه ؛

ولا شيء أسوأ من قيمة يفقدها المرء عندما تضيع من عينيه قيمة
الأم.

تطلع للجالسة أمامه و عينيها و كل قسماتها تشي بالحزن.

لمى .. أو بالأحرى تمارا !!

النقيض من أمه في كل الشيء.

الشخصية المحبة .. المتفانية .. التي تؤثر الجميع على شخصها



تمنح السعادة لكل من حولها حتى لو افتقدت سعادتها هي في
سبيل ذلك !

تلك التي قرر أن يحصل عليها تحت أي شرط.
تلك التي محت نفسها لتحيا بمسمي أم لأبناء غيرها.

رمزي لم يكن حاله بأفضل منهما أبداً ؛ لقد فقد الأب حقاً هذه
المرّة ؛ رغباً عن كليهما ليدرك أخيراً أن ..

الموت هو نهاية ابتعاد بكامل إرادتك لرحيل رغباً عن أنف
الجميع !

أغمض عينيه يُفكر في زوجته ؛ تلك الحبيبة التي عوضه الله بها
لتداوي جروح ماضيه النازفة و تمنحه نور عينيه و قلبه .

تأخر عليها كثيراً ؛ رغم أنها بحاجة حقاً ؛ يشعر بذلك من صوتها
الباكي الذي يمزقه في كل مكالمة بينهما؛ ولكن ماذا الآن ؟!

لقد وعد والده بالبقاء برفقة إخوته !



مراد كان يتشبث به كأنما استبدل به أبيه !
رغم رفضه لذلك الشعور تماماً .

يارا التي كانت في ما يشبه الغيبوبة و لا تزال !
لقد تركها زيد و هو على يقين من ذلك و لكنها لم تتفوه بحرف
منذ موت أبيها .

لن يستطيع الرحيل و لا يمكنه البقاء ؛ فكيف يكون الحل لتلك
المعضلة .

رسالة نصية بعث بها إليها ..

" منال .. آسف مش هعرف أسيب إخوانتي في الظروف دي "

أتتها الرسالة فيما كانت قد اتخذت قرارها حقاً ..

ابتسمت فالرسالة طابقت ما انتوته حقاً .

توكلت على الله قبل أن تتجه للخزانة و قد بدأت يافراغ
محتوياتها في حقيبة سفرها .

اتصال هاتفي بالمطار و تذكرة عودة في أقرب رحلة للوطن .



لا يمكنها أن تحظى بأحلامها بعيداً عن زوجها و ابنتها ..
فحلم جميل بغياب أحبها هو في الواقع كابوس !!

انتظرها خارج المنزل لبعض الوقت حتى رآها ؛ كانت تهم
بالذهاب ليأرا في مياعدها المعتاد.

" لمى ! "

استدارت لتجده بقامته الطويلة الرشيقة و قد أخفى عينه خلف
منظار شمسي أنيق .

اقترب بضع خطوات حتى كاد يلتصق بها فتراجعت هي خطوة
للخلف .

" أتمنى تكوني فكرتي في العرض اللي عرضته عليك . "

تطلعت إليه باستنكار فلا المكان و لا الوقت مناسبين أبداً

" مراد .. إنت شايف إن الوقت مناسب لطلب زي ده ؟! "



و لن يكون مناسباً أبداً ؛ هذا ما فكرت فيه و الأسباب بالعشرات

ابتسم : قولي موافقة و أنا هخلي أي حاجة مناسبة .

هزت رأسها برفض قبل أن تتمم بأسف : مش هينفع يا مراد ..
أنا آسفة.

همت بالرحيل إلا أنه أمسك معصمها يمنعها من الرحيل

" حتى لو قلتك إنني هتجوزك مهما كان يا .. يا تمارا ! "

شهقت في عنف و الدائرة تضيق حولها أكثر فأكثر مما جلب
الدموع لعينيها فأخر من كانت تريده أن يعلم كان هو .

" إنت عرفت إزاي ؟! "

هز كتفيه في لامبالاة : مش مهم .. المهم إنك تستعدي تكوني
مراتي و إلا ..

كانت تعلم ما قد يحدث في حالة و إلا ..

سيعلم الجميع أنها كاذبة ..



أنها ليست تقربهم ..
 أن التوأم ليس لها ..
 وكل ذلك معناه أن ..

لن تتمكن من البقاء بعد الآن !

خلصت معصمها منه ؛ ابتعدت عنه و همست بعجز " و أنا إيه
 اللي يخليني أقعد هنا .. أنا همشي "

و بكلمات تقطر سخرية مبطنة بتهديد " مفيش مشكلة خالص
 على فكرة .. بس ده معناه إنك هتمشي من هنا لوحدك "
 هتفت بتصميم : أنا مش هسيب كريم و كارما .

غمغم بانتصار : يبقى نتجوز .

لم يدرك أياً منهم بأن عينين بلون البحر كانتا تتابعان ما يحدث و
 الغيرة تأكل قلب صاحبهما وازاه اقتراب ليدوي طلب الزواج في
 أذنيه

كالصاعقة !!



اقتراب صاحبه انفجار ليس من حقه ربما ..
فخلال الأسابيع الماضية كان يمارس الابتعاد .
نبتعد أحياناً ..

لأننا نعلم ان لديهم القدرة على ارباك مشاعرنا وتشويشها وحتى
نعيد لانفسنا اترانها ..

فالبعد رحمة !

أما بعد ما سمعه الآن فجحيم قربها أيسر كثيراً من تركها لغيره .



الفصل الثامن عشر

قد نتشابه أحياناً ..

و بالمقابل نختلف كثيراً ..

قد نحمل قلوباً متشابهة إلا أنها حين الحب تختلف ..

قد نملك نفوساً مختلفة ..

إلا أنها حين الوجد تأتلف ..

قد نملك أنفاس واحدة و رغم ذلك تحتبس للشخص

المختلف ..

قد نملك عقولاً مختلفة و حين يملك القلب زمام الأمور

يتصرف بذات القدر من الحماسة ..

و ما بين التشابه و الاختلاف تسير القلوب وفق أهواءها و يسيطر

القدر فاصلة النهاية .



وقف يتأملها كالمعتاد ؛ تخرج في ذات الميعاد يوماً ؛ تستغل فترة قيلولة التوأم لتذهب إلى يارا ؛ رغم الفترة القصيرة التي عاشتها زوجة أخية في المزرعة إلا أن هناك صداقة قوية قد نمت بينهما ، وكأن كلاً منهما كانت تنتظر الأخرى أو أن شعور كليهما بالوحدة ربط بينهما بوثاق قوي و سريع ؛ و الاحتمال الأكثر منطقية هو تشابه نفسيهما النقية فتآلفت أرواحهما على الفور. تأمل فستانها الليلكي الطويل بورداته البيضاء على شكل فُلات صغيرة تناثرت على ذيل الفستان و صدره .

شعرها الطويل بلون العسل الداكن تركته منسدلاً يتهدل حولها في فتنة تجهلها هي على الأغلب .

أما عن ذراعيها الخاليين من أي أكمام فقد أثاراً حنقاً بداخله جعله يتحرك باتجاهها ليعنفها على جسد تعرضه بسخاء .

لم يشفع له الكنزة الخفيفة التي حملتها على ذراعها تتوي ارتدائها بمجرد الخروج من باب المنزل الخارجي.

فهو معها لا يرى .. لا يفهم .. و لا يمنح أعذار .



هو يحترق غضباً و كفى !

ولتكتمل الصورة استوقفها مراد على باب المنزل الخارجي على
بعد عشرات الأمتار أمامه.

و انتابته مشاعر لم يعرفها إلا معها .. ربما فيما يختص بما هو
يخصه .. يغضب .. يحرق .. يسن القوانين التي من شأنها أن
تُحافظ على شرعية ما يمتلكه.

أما معها فهو يشتعل بالمعنى الحرفي للكلمة ..

تجعله هي في حالة استنفار دائم ..

عينيه .. قلبه .. عقله ..

و كأنما فقد هو السيطرة على كل ما هو له لتملكه هي ..

تُسيره كيف تشاء.

معها عرف معنى الامتلاك .. حتى لو لم تكن له حقاً .

حتى لو كان بينهما ألف حاجز و حاجز .

معها عرف لأول مرة كيف



يغار

شعور لم يتخيل يوما أن يشعر به .. ناهيك عن الاعتراف بأنه
يحترق فعليا لإعجاب أحدهم بها .. أو حتى التفكير فيها .. بل
إن حوارا بريئا مع غيره يجعله يشعر بالسخط .. بالغضب .. و
بالحنق.

يوما ما كان يعتقد أن ذلك الإحساس ضعف .. ثقة بالنفس
منقوصة ..

معها .. تغيرت كل المفاهيم. . ورغم أنه أبعد ما يكون عن ذلك

.

بل حتى إنه واثق حد الغرور ..

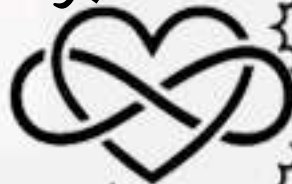
ولكن ..

الغيرة في قاموسه تعني .. ما له .. هو حق حصري

لقلبه و روحه !!

راقبهما خلال طريقه إليهما .. يُخبرها مراد ما يضايقها ؛ تنفر من

جرأته ؛ تعنفه كما يتوجب عليها أن تفعل معه ؛ كل هذا أثلج



صدره قليلاً ؛ قليلاً فقط فهي إلى حد ما لا يمكنها الوقوف أو
التحدث بحرية مع أيّ كان .. أو بالأحرى معه هو فقط .

وقف بينهما ليهتفا معاً

" مستحيل ! "

كليهما عناها ؛ كليهما شعر في قرارة نفسه بالرفض لما يجري ؛ و
لكن أحدهما صاحبه غضب حد الانفجار وشيك في من يجرؤ
من الاقتراب منها .. و هو ليس بأيّ كان ..

إنه مراد تحديداً ..

غريمه اللدود!

تطلع كليهما للآخر في حنق لأن كليهما ورغم كل شيء اتفقا.

رغم ما ينكره كلاهما ..

من مشاعر يتجاهلنها باحتراف ..

صمت يمارسه كليهما باقتدار ..

وقسوة يتقنها ..



تقتله و تذبحها !

أمسك معصمها يجذبها .. يبعدها عن نظراته التي حملت
إعجاباً واضحاً و ..

سخرية .

مراد كان يشعر بالسخرية من الموقف برمته ..

يهدد لينال امرأة ربما لم و لن يقابل مثلها أبداً ..

لن يثق بحظه الطيب فسؤال بديهي بإجابة لا تحتاج للتفكير .

ماذا فعل ليحصل على مثلها !؟

الإجابة : لا شيء .

سيكون صريحاً أمام نفسه على الأقل ؛ هي لن تنظر لمثله ؛

بشخصه العابث ؛ بماضيه المشين ؛ بقناعاته التي تجعلها تفكر به
من الأساس .

لذا .. لا طريق أمامه سوى التهديد !!

طريق قدرة لن ينكر ..



و لكن و لسخرية القدر ..

فهو يعلم كل مسالكها كظهر يده !

و الأحمق أمامه يظن ان بإمكانه منعه عنها ..

هيات !!

اتساع عينين في غضب و زفرة حارقة من أعماق تشتعل و هتاف

يكاد يقترب من الصراخ " إنت اتجننت يا مراد ؟! "

هذر ياسين كثيراً و مراد على نفس الوضع الساخر ؛ لا مبالاة لم

تقلل من ثورة ياسين بل أخرجتها عن السيطرة ؛ و قائمة من

المحرمات .. عن زوجة أخ لا يحق لها الزواج ؛ و لا يمكنه

السماح بذلك و له هو على الخصوص و كليهما يعلم الأسباب .

غمغم مراد ببرود بعد أن انتهت وصلة ياسين : خلصت كل اللي

عندك يا ياسين .. بص بقى ..

أشار بأصبعه لصدر ياسين : مش إنت اللي هتقولي أعمل إيه و

معملش إيه .. و لا ليك أي حق تدخل بيني و بينها .. أنا مش



جاي أعاكسها و لا أصحابها عشان تهلل زي ما انت عملت
دلوقتي .

زفر في قوة قبل أن يتابع : أنا جاي أطلب الجواز من واحدة
عاقلة و كبيرة كفاية إنها تاخذ القرارات اللي تخصها .
حرك سبابتيه في دائرة قبل أن يهتف في تقرير : مفيش أي حد
في الدنيا دي له رأي في الموضوع ده غيري أنا و هي .
زمجر ياسين لتصميمه على الجمع بينه و بينها .. حتى لو كان
ذلك في بضع كلمات متجاوزة .

ربت مراد على وجنة ياسين في تهكم : أعصابك يا ابن عمي ..
غلط على صحتك .. متنساش إنك لسه عريس برده .
دفع كفه في غضب و همّ بتوجيه لكمة لفك ذلك الساخر ليُفقد
سن أو أكثر يمحي بها ابتسامته للأبد .

إلا أن كلمة " عريس " سقطت على رأسه كدلو ماء بارد تراجعت
قبضته على إثرها .. بأي حق يثور و يغضب .. يمنع .



رحل الوقح مخلفاً وعداً بالعودة .. و تهديداً مبطناً بأنه لن ينتظر
قرارها كثيراً .

قادها باتجاه المنزل في سرعة أفاقته من مشاعرها المضطربة و
الغاضبة جدا بدورها .

توقفت و جذبت معصمها في قوة ، زمت شفيتها في ضيق قبل
أن تهتف

" انت إيه اللي بتعمله ده .. و إزاي تسحبني وراك كده .. انت
فاكرني إيه؟! "

تابعت بعنف : أنا مسمحكش على فكرة.

أحكم قبضته حول ذراعيها ليهتف بغضب بدوره

" و مين طلب منك السماح؟! "

هتفت بثورة و هي تحاول التخلص من قبضته اللتان تطوقان
ذراعيها

" انت أكيد مش في وعيك .. فوق يا ياسين .. أنا لما سكت و

انت بتتكلم مع مراد مكنش ضعف مني .. سكت عشان أنا



بحترمك .. و عارفه إنك أكيد غيران عليّ باعتباري مرات أخوك
 .. احترام مش أكثر فاهم .. لكن أنا لا ضعيفة و لا حد يقدر
 يمشييني زي ما هو عايز .. أنا قادرة كويس جداً آخذ قرارتي .. و
 محدش وصي عليّ .. فاهم يا ياسين.

كلماتها أتت لتصفعه .. الصفحة تلو الأخرى .

اعتصر بقبضه ذراعها حد التماع الدمع في عينيها إلا أنها ابت
 أن تُظهر ضعفها أمامه.

ودّ لو بإمكانه الفتك بها لم تفوهت من إهانات إلا أنه هتف
 بقسوة مشدداً على كل كلمة : انتِ مرات أخويا .. أم ولاده ..
 مكانك معانا ووسطهم .. مش مسموحلك تفكري في راجل تاني
 .. إلا إذا ..

تطلعت إليه بتساؤل فأجاب بنبرة خفيضة لا يعينها .. يعلم أنها
 ستستنكرها أو هكذا يتمنى " إلا إذا كنتِ مستغنية عن التوأم؟! "
 انتفض قلبها في عنف و همست بحروف مرتجفة : تُقصد إيه!؟



رفع رأسه بكبرياء قبل أن يتابع : لو عايزه تتجوزي تقدري تسيبي
المزرعة ..

صمت قليلاً ثم تابع : بس لوحدك !!
و أحياناً تكون الكلمات أشد إيلاماً من ألف صفحة !

الحب قد يأخذنا لمتاهات نكره التيه فيها ..
نصطدم بالعراقيل الواحد تلو الآخر ..
يجابهننا الألم في منعطف يلحقه آخر ..
و الذنب كُل الذنب أن القلب قد خفق لأحدهم ..

كلا ..

لا عيب في الحب بل كُل العيب في شخص أضعفنا فأهلكنا بلا
داعي!



وضعت فنجان قهوتها على الطاولة ؛ نظرت لساعة معصمها في
توتر تستجدي الدقائق لتمر ؛ تأكدت للمرة الألف من هاتفها و
تذكرتها و جواز سفرها .

رغم أن طائرتها ستقلع خلال نصف الساعة على الأكثر إلا أنها لا
تزال قلقة ؛ تخشى أن يظهر لها أحد في اللحظة الأخيرة يمنعها
من العودة ؛ خاصةً هو .

تنفست بعمق ترجو التخفيف من ألم معدتها بفعل التوتر .

جالت بعينها في المكان تبحث عنه ؛ يُخبرها قلبها أنه لن يتركها
لحالها ؛ ليس بدون كارثة على أي حال .

يقولون أن من يبحث عن المتاعب يجدها ..

و هي وجدته ..

يبعث عنها بين الجموع الغفيرة في مطار جون كينيدي ؛ ارتدت
نظارتها الشمسية ؛ رفعت ياقة المعطف لتغطي جزء من وجنتيها .



خفقات قلبها دوت بعنف أثار في صدرها الألم ثم لم يلبث قلبها
أن توقف حالما دوى صوته الذي صارت تنفر منه بل و يكاد
يصل بها لدرجة الرعب .

" فاكره إنك هتهربي مني ! "

ورغم ما تشعر به من قلق و خوف إلا أنها تماسكت بمعجزة و
غمغت بثبات تُحسد عليه " و أهرب منك ليه .. إنت إيه دورك
في حياتي أصلاً عشان أفضل معاك أو أهرب منك . "

فوجئ بهجومها الذي لم يتوقعه فصمت للحظه قبل أن يعلن : أنا
البنى آدم الوحيد اللي حبتيه .. أبو البنت الوحيدة اللي خلفتها
.. جوزك يا مدام.

فغرت فاها بذهول فما يتحدث عنه يخبرها أنه مريض أو مهووس
أو ربما حتى مغرور لدرجة الكبر .

هتفت باستنكار : إنت مصدق نفسك يا حسام .. بجد مصدق
كلامك ده.



زفرت بقوة : أولاً أنا بحب جوزي و بنتي الوحيدة مش بنتك
قلتلك الكلام ده قبل كده .

انقض على فكها يضغط عليه بسبابته و ابهامه

_ انتِ كدابة و أنا مش مضطر أصدق الكلام الفارغ ده.

شهقت بألم ؛ دفعت بقبضته التي اعتصرت فكها : انت أكيد
اتجننت .. حسام أنا مش مضطرة أبرر و لا أشرح و لا إنت
تهمني أصلاً عشان أعمل ده.

حملت حقيبتها و متعلقاتها : عن إذنك يدوب ألحق طيارتي.

سخر : ده على أساس إنني هسيبك .. تبقي بتحلمي يا حبيبتني.

أخرج هاتفه المحمول و عبث في شاشته لبعض الوقت قبل أن
يبتسم في انتصار و يضعه أمام وجهها لتتطلع للمحتوى الذي
يعرضه .

وضعت يدها على فمها بصدمة ؛ تهالكت على الكرسي بجانبها
و قد طفرت الدموع من عينيها فما أراها إياه كان صادماً بحق ..

و ..



كاذباً ..

أو على الأقل بعضٌ منه.

بعض الرجال قد يحملن الجنة لمن عشقن ؛ و البعض الآخر
يحملن لها سياط من لهب فقط لأنها أخطأت الاختيار وارتكبت
حماقة الحب لمن لا يستحق.

تلعثت بفعل الصدمة : إنت .. إنت سافل و ..

قاطعها : ششششششششش .. اللي شفنيه ده عينه بس للي ممكن أبعته
لجوزك المحترم لو منفذتيش اللي أنا عايزه.

غمغت باكية : بس ده كذب أنا معملتش كده.

ابتسم بتشف : يمكن مش انتي اللي كنتِ معايا في الآخر.. بس
ده ميمنعش إن الجزء الأولاني من الفيديو حقيقي .

هتفت باحتقار : إنت حيوان و ..

عاد يقاطعها : و بحبك .. و عايزك معايا هنا إنت و بنتي.

أجهشت بالبكاء : و الله ما بنتك .. و الله ما بنتك.



جلس بجانبها : سيني أنا أقرر الموضوع ده .. إنتِ هترجعي
مصر .. تطلبي الطلاق و تجيبي البنت و تيجي في خلال أسبوع
بالكثير .

تطلعت إليه بصدمة : إنت أكيد ..

بترت السبة التي كادت تنطقها حالما زغر لها في تحذير فتابعت
: إنت مفكر الموضوع سهل .. رمزي هيسيني بالبساطة دي ..
يطلقني و آخذ بنته و أمشي .. رمزي بيحبني و بيعشق نور ..
مستحيل .

ابتسم بتهكم : أنا متأكد إنه هيسيبك لما يشوف الفيديو اللطيف
ده .. مين ممكن يسيب حرمة المصون على ذمته لحظه واحدة
بعد ما يشوف خيانتها صوت و صورة.

أشارت له بيديها في ذعر حقيقي أعقبه توسل : لا لا لا أرجوك
اوعى تعمل كده .. أنا .. أنا هعمل اللي انت عايزه .



هز رأسه بثبات يخالطه ثقة و بنبرة مبطنة بالتهديد: كده نبقي
اتفقنا.. و اوعي تفتكري انك هتبعدي عني غير بمزاجي ..
فاهمة يا قلبي.

أومات برأسها في انكسار فتابع : قومي عشان يدوب تلحقي
طيارتك.

امتدت يده لتحمل عنها حقيبة السفر فتلامست أناملهما فأبعدت
يدها و قد ترك تأثير ملامسته نفوراً ؛ تقلصت معدتها في قوة و
تجدد أنفها في اشمزاز قبل أن تهول للحمام الملحق بالمطار
لتفرغ كل ما بجوفها دفعة واحدة.

أوصلها حتى الممر الخاص ببوابة دخولها للطائرة ؛ و قبل أن
تسلم أوراقها للضابط المختص تساءلت : انت بتعمل في كده
ليه!؟

قبل وجنتها ببسمة سمجة تعلو وجهه : و ده سؤال يا بيبي ..
عشان بحبك طبعاً.



لا تترك بمن يريد الرحيل ..
حتى لو كانت روحك معلقة بوجوده حولك ..
فهو لن يبقى مهما حاولت ..
مهما تذلت ..
حتى وان رضخ لما تريد ..
ستظل تؤرقك فكرة أنه لم يحبك لبقى ..
وانما أشفق عليك فاستجاب لما تريده أنت
لا ما يريد هو ..
و ذلك أكثر قسوة من الرحيل بكثير .

خرجت من حالة الشرود لتدخل حالة التفكير العميق و ..
الندم.



تساءل كل لحظة ..

هل كان يجب أن تمنحه الفرصة ليبقى .. ليشرح .. ليبرر لها لم
تركها

لم خانها .. لم منح نفسه لأخرى فأخذت منه ما كان لها وحدها
!؟

بل و الأدهى أنها سبقتها إليه ..

فاتخذها زوجة .. و أم لابن يحتاجه ..

تركها و ذهب إليهما ..

مسحت دموعها في سخط ؛ تكره ضعفها فيما يختص به !!

عقلها أنبأها سابقاً أنه تغير إلا أنها اتبعت الحمق المصاحب

لخفقات قلب عشقه

.. لم يكن لها منذ تلك اللحظة ..

كذبت على نفسها قبل ان يفعل هو ..

خدعتها مشاعرها قبل أن يقوم هو بخداعها ..



والحقيقة كانت أنه أحبها وأحب غيرها في نفس الوقت ..
 لن تصدق أنه لم يفعل فهو بالتأكيد و بدون أدنى شك يفعل .
 عادت أفكارها إلى تلك الليلة ..

ليلة زفافها ..

حيث أخبرها أنه زوج لغيرها .. و أب لطفل غير الذي يسكن
 أحشائها ..

و الأخرى نادته فاستجاب بلحظة واحدة ..

تاركاً إياها هي ..

رغم أنها من طلبت ابتعاده ..

من طلبت رحيله إلا أن ابتعاده كان مؤلم حد الموت ..

حد خداعها في شخص كان كل عالمها منذ وعت معنى أن
 تحمل لقب أثنى و ربما من قبل ذلك بكثير.

" مراد "



ما الذي عناه حينما زل لسانه باسم أخيها الذي تدرك أن بينهما
مؤخراً شيئاً ما .. كيف يكون له علاقة به من الأساس !؟

توقفت للحظات تفكر..

هل كانت لحظتهما معاً ..

ذلتها ..

هل كانت عفوية كما أخبرها أم أنه كان يقصدها ..

يخطط لها منتظراً اللحظة المناسبة.

هزت رأسها في رفض .. كيف به أن يثق برضوخها من الأساس
!؟

كلا .. لا يمكن أن يؤذيها مع سبق الإصرار.

و عادت تسخر من نفسها ..

و هل هناك إيذاء أكبر من الخيانة !؟

و كأنها للحظة انقسمت لاثنتين ..

إحداهما تدرأ صفة الحمق عن قلبها ..



و الأخرى تضعه في قفص الاتهام بتهمة إيذاءها عن سبق إصرار
و ترصد.

أغمضت عينيها في يأس لتعود تفتحهما لتنظر لها تفها مع رنين
مميز

" لسه بحبك ! "

رسالة جلبت المزيد من الدموع ..

ربما لأنه ما يزال يحبها حقاً ..

و هي تحبه حتى لو طلبت منه الطلاق ..

و لأنه حقاً يفعل فالألم حقاً أكثر قسوة.

و الابتعاد عنه صار فرض ..

أغمضت عينيها لتتضرع روحها ..

راحلة أنا عن هواك

بكل أمتعة شوقي وعشقي وشغفي ولهفتي

فودع روحي بما يليق بي



غادرت غرفتها لتبحث عن نور .. ربما هي الوحيدة التي
بإمكانها أن تنتشلها من حالة البؤس التي سيطرت عليها لتتسمر
في مكانها حالما سمعت أخويها يتجادلان.

هتاف فزع من رمزي تبعه لوم : انت إزاي تعمل حاجة زي دي
.. هي تفتكر إيه دلوقتي .. إني خنتها و اتكلمت عن السر اللي
اثمنتني عليه .. مراد .. إنت ازاي تساومها كده !؟

حرك مراد كتفيه في لامبالاه : انت مكبر الموضوع ليه يا رمزي
.. أنا مقلتش حاجة غير إني عايز أتجوزها.

جادله رمزي : بالطريقة دي يا مراد .. بتهددها عشان تتجوزك ..
وانت تقبل ترتبط بواحدة مش عايزاك لمجرد إنك ماسك عليها
ذلة.

تنهد مراد في سخط : بقولك إيه .. اطلع من دماغى .. كفايه
عليّ سي ياسين اللي عامل عليها وصي .. أنا عايزها بأي شكل
.. الموضوع بقى بيني وبينها محدش فيكوليه دعوة.



_ و أنا مستحيل أسيبك تضغط عليها لأي سبب من الأسباب ..
تمارا ملهاش ذنب مش كفاية اللي هي شايلاه.

زوت يارا بين حاجبيها في تساؤل .. اعتقدت أن الحوار عن
لمى أرملة هشام .. و لكن ..

من تمارا !؟

همت بالابتعاد إلا أن اسم زيد عاد يستوقفها.

مراد في تساؤل : سيبك من موضوع تمارا دلوقتي .. أنا هعرف
أخليها تحبني .. المهم هنعمل إيه مع زيد !؟

رمزي في حيرة : أنا مش عارف إيه اللي حصل بينهم .. يارا
رافضة تتكلم .. تفكر لازم نكلمه و نعرف في إيه !؟

هتف مراد في عنف : مستحيل أكلم الواطي ده و لا أسيبك
تكلمه .. إنت نسيت إحنا خليناه يتجوزها إزاي !؟ .. الكلب
أخذ الفلوس و هرب .



شهرت في عنف فيما تابع مراد : المهم إنه وقف يهددني إنه
مش هيسيبها مهما حصل و أتفاجئ إنه سابها بعد الفرح بكام
ساعة.

رمزي : أنا هتجنن .. نفسي أعرف إيه اللي خلاه يبعد بالسرعة
دي.

خطت لداخل الغرفة بخطوات مرتجفة

" يارا !؟ "

أشارت إليهما باتهام : انتو كنتو عارفين إنه متجوز و مخلف و
قبلتو تتموا الجوازه دي .. قبلتو عليّ إنكم تساوموه و تدفعوله
عشان يقبل يتجوزني !؟

ارتجفت شفيتها موازاة مع دموع غزيرة سالت على وجنتيها

" انتو إزاي تعملوا فيّ كده؟! .. أد كده هنت عليكوا !؟ "

استدارت تغادرهما بعد أن أخرست الصدمة كليهما مع تردد
صدي كلماتها الأخيرة في فضاء الغرفة

" مش مسامحاكم "



حبيسة عُرفتْها لأيام .. ربما لأسابيع لم تعد تُحصي ..
توقفت أمام التوأم اللذان أخذتا يتقاذفان ببعض الكرات الملونة و
تتعالى ضحكاتهما في مرح.

جلبت ضحكاتهما بسمة على ثغرها ؛ نزلت على ركبتيها تتطلع
إليهما في حب .

همست لكليهما : ياه لو تعرفوا أنا بحبكو أد إيه .. و بعمل
علشانكو إيه !؟

قد يعتقد البعض أنها رضخت للقمع الذي مارسها عليه ياسين .
إلا أنها سئمت الوضع برمته ..

ملت شعور أن تبقى حياتها و أعصابها على المحك طوال الوقت
.. اعتزلت الجميع .. لأنها يأست من الخوف المصاحب لمعرفة
الحقيقة .

و أصبح إفشاء سرها حتى غير مُجدي على الإطلاق ..



لقد هددها بأنها لو مارست حقها و تزوجت سيأخذ منها من
يعتقدهم أولادها فماذا قد يفعل إن علم أنها ليست أمهم من
الأساس.

ربما حينها لن ينتظر لحظة واحدة في طردها من البلدة بأكملها .
مراد لا ينفك عن محادثتها و لا تزال تتجاهله .. رافضة الرضوخ
له .

يارا تأتي إليها بين الحين و الآخر إلا أن ما تحمله كليهما في
أعماقها أكبر من أن يكفي الإفصاح عنه للراحة.

طرقات على باب غرفتها أخرجتها من مخاوفها ذات البداية
المعلومة و النهاية المفتوحة.

اقتربت منها فريدة ؛ داعبت التوأم لبعض الوقت قبل أن تتوجه
إليها بالحديث

" لمى .. ممكن أعرف عَزَلتكَ دي هتخرجي منها إمتى؟! "

ابتسمت بصعوبة : عزلة إيه بس يا ماما .. أنا .. أنا بس نفسي
تعبانه شويه .



كانت تعلم ما صار بينها و بين ياسين ..
لم يُخبرها ياسين التفاصيل بالطبع ..
مراد من قصّ عليها ما حدث .. طالباً منها السماح بالزواج.

هذا إن وافقت هي بالطبع !

و للوهلة الأولى صدمها الأمر ..

زوجة ابنها تتزوج غيره ..

يكون له عليها ذات الحقوق ..

يربي أبناءه شخص آخر ..

و لكنها حينما فكرت قليلاً تساءلت ..

لمَ لا ؟!

إن كان هذا الزوج لن يأخذهم بعيداً ..

مراد و رغم ماضيه المشين الذي يعلمه الجميع إلا أن ذلك النوع
من الرجال يتوقف عبثه عندما يعثر على أنثى حقيقية.

فكرت قليلاً بعيداً عن المنطق لكونها أم المتوفي ..



لو كانت هي أمها ..

هل كانت ستقبل بانتهاء حياة ابنتها لمجرد أن توفي زوجها ..

خاصة و هي لم تكد تعيش حتى ..

كل ما خبرته عن الحب و الحياة لا يتجاوز العامين !!

بالكاد تعدت الخامسة و العشرين ..

فكيف بها أن تطلب منها أن تتوقف عن الحياة لمجرد أن زوجها

توفاه الله!؟!

هذا ليس بعدل!!

تكلمت أخيراً : مراد طلب إيدك مني !!

شهقت تمارا في عنف قبل أن تهتف بدعر : أنا موافقتش .. و

الله قتلته لأ.

ابتسمت فريدة تطمئنها و طوقتها بذراعها في حنان : مش

محتاجة تقولي لي .. هو قالي على كل حاجة.

اخذت تمارا بالبكاء : يا فريدة هانم أنا ..



قاطعتها في دهشة : فريدة هانم !؟

دفنت تمارا رأسها في كتف فريدة و تابعت : أنا أسفة .. بس
إزاي أقولك أمي و انتو مفكرين إني ممكن أتجوز حد غير
هشام.. أنا مش عايزه أتجوز .. و الله أنا كريم و كارما عندي
بالدنيا.. مش عارفة أعمل إيه !؟

احتضنتها : بس أنا عايزاك تفكري !!

رفعت رأسها لتتطلع لفريدة في ذهول : أفندم !؟

ابتسمت فريدة و ربت على ظهرها في حنان : أنا هبقى أم أنانية
أوي لو طلبت منك تترهبني و انت في السن ده .. ده حتى ربنا
يحاسبني عليك .. أنا بس عايزاك لما تفكري في كده متبعديش
عنا .. عشان كده مراد حل مثالي .

خانتها مفرداتها فبحثت عن كلمات لم تجدها ..

هزت رأسها في حيرة

" أنا .. انت إزاي بتقوليلي فكري .. و ياسين يقولي لو حصل
أسيب الولاد و أمشي "



زوت فريدة ما بين حاجبيها و تمتت : ياسين قالك كده !?
 أومات تمارا برأسها بالإيجاب فتابعت فريدة : ملكيش دعوة
 بياسين .. فكري .. و محدش ليه أي سلطة عليك .. لو عايزه
 مراد أنا هجوز هولك و غصب عن عين أي حد.

قاطعتها قبل أن تعود لنفي تهمة ليست بجريمة من الأساس
 " محدش هيضغط عليك بأي شكل صدقيني .. اللي انت عايزاه
 هيحصل .. رجائي الوحيد بس تفضلو جمبي "

احتضنتها بقوة ثم أجهشت بالبكاء ؛ تشعر بالذنب لخداعها هذه
 الأنثى بالذات .. التي يعلم الله أنها تعتبرها أمها فعلياً .

كما تعاملها هي كإبنة بدورها.

تساءلت تمارا دون أن تغادر صدرها : أنا نفسي أعرف إحنا إزاي
 كنا مفكرينك جامدة و قاسية .. إزاي !?

ابتسمت فريدة : لأنني كنت كده فعلاً .. و لو هشام كان عايش
 يمكن مكنتش هبقى كده معاكي أبداً.

رفعت تمارا رأسها؛ تطلعت إليها في دهشة



_ أنا كنت بكرهك .. يمكن عشان خليتي إبني يواجهنني لأول مرة في حياته .. لا و يفضلك عليّ كمان بعد ما خيرته ما بينا .. و لما قالي إنه جاي قبل ما يموت علطول .. كنت بفكر بألف طريقة عشان أبعدكم عن بعض .. بس لما مات و حسيت أد إيه حته مني راحت و عمرها ما هترجع ثاني ندمت ..

حسيت إنني مكسبتش بقسوتي و قوتي .. بالعكس .. أنا لا قدرت أسيطر عليه و لا لحقت أقوله إنني خسرتة بغباوتي.

مسحت تمارا الدموع التي سالت على وجنتي فريدة : لما لقيتكم داخلين بيتي .. حسيت روحه لسه في المكان .. أد كده ربنا كان كريم معايا و عوضني بولاد من صلبه .. حته منه هتفضل معايا لحد ما أموت .. و بعدين وحدة وحدة حبيتك بجد .. مش لأنك مرات هشام .. لأ .. لأنك انتِ و لأنني متأكدة إنني هحبك مهما تكون شخصيتك .. و عشان كده قررت اني مش ممكن أجبر حد على حاجة ثاني .

أبعدتها فريدة قليلاً : ممكن بقى تقومي معايا عشان نفطر مع بعض .



تذكرت قسوته و نظراته الغاضبة على الدوام فهزت رأسها بالنفي

" بلاش يا ماما .. أنا مرتاحة كده ! "

وقفت و جذبتها لتقف معها : الرفض ممنوع .. اتفضلي قدامي .

تركتها فريدة لتطمئن على زوجها بعد وجبة مشحونة بنظرات

غاضبة .. و أخرى مستهجنة .. و ثالثة تحمل قلقاً و تفكيراً

عميقاً .

غادر ياسين و ياسمين بدورهما بدعوى عمل كثير في مزارع

المواشي .

أغمضت عينيها في عجز للألم المصاحب لرؤيته كل مرة ..

تحبه و يكرهها ..

تحبه و لا امل من الإفصاح في يوم من الأيام ..

أنه حبها الأول و الأخير ..

و الذي كُتب له أن يولد و يموت دون أن يغادر صدرها .



الموسيقى القادمة من المذيع استفزت فيها روحها السابقة .. و
التي لا تدري متى فقدتها و متى فارقتها شغفها بالحياة.

أرادها أم لأولاده تعلمهم عشقها للحياة فامتصتها المسئولية
الملقاة على عاتقها و أنين قلب يتخبط في أروقة عشق بلا أمل.

سابقا كان جسدها يترجم سعادتها بكونها تحيا و كفى..

الآن و بعد أن ضلت سعادتها الطريق في مفترق ما ، تحرك
جسدها بشجن .. تمايلت تماشيا مع النغمات المتألمة التي

تنبعث من روحها.

انسجمت حركات ذراعيها و ساقها مع انحناء جذعها و تراقصت

خصلاتها الطويلة معهم في انسجام غير واعية تماما لذلك الذي

يفتنه خصلاتها العسلية و الذي لم يتوقف محرك قلبه عن

التوقف و العمل بالتتابع و لم يكتشف أنه يحبس أنفاسه إلا

عندما ضاق صدره احتياجا للهواء.

كل ما به يعلن ..

اشتهي جنوناً برفقتك حين يتمايل جسدي بفتنة..



و هدوء كصوت أنفاسك حين تغفو ..
و همسة بأحبك أسقطها عمداً بأذنك !

مارس القسوة لأن لا بديل لديه ليجعلها تبتعد عن ناظريه ..
امتحن الغضب حتى يوارى غيرته التي خرجت عن السيطرة معها

و الآن في تلك اللحظة ..

لم يعد هناك ما يختبئ خلفه ..

الآن و قلبه يعلنها بأعلى صوته .. و عينيه تسطر على جسدها
قصة عشق يائسة سقطت معها كل أقنعتة .

اصطدمت عينيها بعينه المعبرة من خلف زجاج الشرفة حيث
وقف يراقبها في افتنان.

توقفت و عينيها تتساءل بألف سؤال و سؤال ..

و علامة استفهام كبيرة أعلنتها مع تصاعد حمرة فاتنة لوجنتيها ..



و اضطراب لقلب مريض به من الأساس .

" لأنني أحبك "

بديهية الجواب على سؤال لم يسأل فكان الرد هتاف اختنق به صدره .. ومات على شفثيه كألف كلمة ود لو نطقها و لم يفعل .. فأورثت قلبه الحزن كخيبة طفل لم يحمل الهواء طائرته الورقية.

انتهى السحر حالما اقتربت هي ..

احتضنت جذعه من الخلف و ارتكنت بوجنتها على ظهره ..

لا يزال مشهد ياسين أمام زجاج الشرفة .. مشدوهاً أمامها .. يراقبها في ..

في وله ..

لن تنسى ذلك الإحساس أبداً ..



الغيرة !!

ليست غيرة على ياسين كونه لها .. و لا يحق لغيرها الحصول عليه .

غيرة زوجة فعلية ..

لزوج في طريقها لحبه ..

استدار ليغمرها بين ذراعيه في حنان ؛ قبل رأسها وابتسم

" أكيد هلكتي من كتر الشغل النهاردة ! "

أومأت برأسها في إيجاب ؛ توجهها للفراش سوياً و لاحظ للمرة الأولى القميص الحريري الذي ترتديه.

رقدت بجانبه فجذبها لتريح رأسها على صدره كالمعتاد.

استكانت للحظات قبل أن تبدأ أناملها في مداعبة صدره في حركات دائرية مثيرة خطفت أنفاسه .

توقفت فجأة و أراحت كفها على صدره ثم رفعت رأسها لتنظر إليه في ثبات



رغم الرعب الذي يموج بداخلها.

" ياسين .. أنا بحبك ! "

و لأول مرة منذ بدء زواجهما يرى استسلامها لكونها زوجته ..

دفع بكتفيها برفق لتستلقي على الفراش ؛ بدأ بملامسة شفتيها

في رفق بقبلات رقيقة .. يعلم أنه يجب أن يكون حريصاً معها

لأقصى حد.. لم تدفعه .. استسلمت تماماً لتصبح

زوجته ..

قولاً و فعلاً !!



الفصل التاسع عشر

و ما زلت أتساءل ..

هل الحب قدر!؟

أم أنه خيار علينا اتباعه ..

و تَحْمَلُ المشاق حتى الوصول إليه ..

تحمل تبعاته حين الوصول ..

و لكن الغريب في ذلك أنه ..

ان كان خيار حقاً ..

فلمَ تعشق القلوب من لا يأبه بها!؟

و تهوى من كان الحصول عليه حد المستحيلات الثلاث

و لمَ ..

لَمَ الحنين لخیوط أمل أو هن من خیوط العنكبوت تقربنا إليهم



و يبقى حلمنا في أن نجتمع بهم في غير دنيا الخيال ..

مجرد ..

قـدر!!

تتحاشاه

تمارس التجاهل باقتدار و كأنها لم تغب لأسابيع في بلاد غريبة
بمفردها

لم تكن زوجته التي يعرفها .

فمن غادرته لم تعد كما كانت !

عادت إليه لتعزیه بكلمات مقتضبة ؛ تمنح ابنتها حناناً مقتضياً لا
يدري له سبباً ؛ بل إنه يكاد يُجزم أنها تخاف شيئاً ما .

تطلع إليها في إمعان حيث استقرت على الأرجوحة في حديقة
المنزل ؛ تحركها ليتمايل جسدها جيئةً و ذهاباً في روتينية فيما
كان الشرود هو سيد الموقف ..



كالمعتاد !

يخاف بدوره كثيراً ..

ربما لأنه أحبها أكثر مما يجب ..

طوال سنوات زواجهما لم تخذله أبداً ؛ كانت له نعم الزوجة كما
كان لها أروع زوج.

منذ طلبت منه مساعدتها منذ أعوام بعد طلاقها مباشرة ؛ و حملها
الذي حاولا إنقاذه قدر الإمكان رغم أنه لم يكن صاحبه.

لم يبخل عليها أبداً لا بالدعم .. و لا بالسند ..

و لا الحب الذي كانت تستحقه إلا أن الله قدر أن تفقده ..

رحمة منه بها !!

حتى تتمكن من نسيان ذلك الرجل ..

الذي منحته كل شيء و لم يبال بها مثقال ذرة ..

أبى أن تحمل منه ذكرى تؤرقها كلما تطلعت لابن يحمل صورة
أبيه .



و ربما رحمة به هو أيضاً ..

رغم أنه أقسم بينه و بين نفسه أن يحميها و يدعمها مهما كان ..

و أن يعتبر ابنها .. ابنه هو بالتبعية ..

و لكن الله كان رؤوف بهم جميعاً ..

عاد يتطلع للغارقة في شرودها بيأس ؛ لم يخبرها بعد بشأن الصورة ؛ لم يسألها لمَ أرادته معها بذلك اليأس ؟! .. لم يتمكن من الاطمئنان أن الأمور على ما يرام .. يمنحها المساحة الخاصة بها ؛ يشعر أن الأمر جلل و يخشى إثارته .

يدرك أنه سيتألم قلبه في النهاية .

لا يعلم لمَ في تلك اللحظة بالذات تذكر أغنية قديمة كانت أمه دائماً الدندنة بها .

تحمل شجناً عميقاً .. و تصف حاله الآن بأبلغ ما يكون .

اقترب منها و صوت أمه يشدو بأذنيه ..

حمال الأسية .. ظالمينك حبايبي



و بتنسى الأسية .. طول عمرك يا قلبي

انتهى به الأمر أمامها مباشرة ؛ فتطلعت إليه بشرود يحمل ألم عميق لا يدري له سبب .

أمسك جانبي الأرجوحة ليتمتم بنبرات شجية : وحشتيني !
اغرورقت عينيها بالدموع قبل أن تترجل عن الأرجوحة ؛ دفعته برفق واتجهت للمنزلة منكسة الرأس .

بينسوك الحبايب و لو طال الغياب

تروح تسأل عليهم و لا يردوش جواب .

خفق قلبه حالما غابت عن عينيه ؛ هو على يقين أنها قابلته هناك و تلك الصورة خير دليل على ذلك ؛ ربما كان سيشكوها و يخانقها لو شعر يوماً أنها نسيتته بالكامل !

أحبه .. لا يستطيع الإنكار .. منحته أجمل هدية قد تقدمها الأنثى لزوج يعشقها .

إلا أنها لم تمنحه قلبها بالكامل ؛ و لكم شعر بالعجز و غلبها هي بنظرات تحمل ذنبها الذي لم تزل أثاره تماماً .



كيف بإمكانها أن تُشعر قلباً لم يخفق إلا لسواها بالتهديد طوال الوقت؟!

ربما لأنها على يقين أنه سينسى .. سيحتملها مهما كان !

و لك في الحب دقة عارفها كل باب

تسامح اللي ينسى ة تُعذر اللي غاب

و غلبت أشتكيم و تقول دول حبايبي

حمال الأسية يا قلبي .. حمال الأسية !!

ربما يتوجب عليه أن يتوقف عن احتمال الألم ؛ ربما من الأفضل أن يواجهه حتى لو كان في تلك المواجهة خسارتها.

فإن كان وقوع البلاء شراً و ألماً كبيراً

فهو بالتأكيد هيناً أكثر من انتظاره !!

لحق بها و هو ينوي المواجهة أولاً و اخيراً ؛



و حين المواجهة لا مجال لأنصاف الحلول ؛ إما النجاة بكل ما
تحمله الكلمة من معنى أو الغرق في احتمالات لا حصر لها
للأبد.

اتجهت لغرفتها بالطابق الأعلى و التي أصرت على أن تسكنها
دونه متجاهلة نداء نور التي تجاوزتها كأنها لم تسمعها .

أغلقت باب الغرفة خلفها ؛ أسندت ظهرها للباب للحظات قبل
أن تنزل للأسفل ببطء .

احتضنت ساقيها و أسندت ذقنها لركبتها؛ تحرك جسدها للأمام و
للخلف برتابة لا إرادية.

لم يتوقف عقلها عن البحث عن حل للموقف الذي وضعها
حسام به منذ عادت لمصر.

لقد حشرها في الزاوية ببراعة مغلقة أمامها كل السبل للنجاة ؛
حتى أن التملص من الوضع الراهن صار رفاهية لا تحمل كلفتها.



ابتسمت ساخرة من تفوقها العلمي و عقلها العبقري الذي
 بإمكانه حل أكثر المعضلات العلمية ببراعة تثير الدهشة فيما
 يتوقف عاجزاً أمام حياتها الشخصية التي ما كادت تستقيم إلا
 أتى هو ليدفعها نحو الهاوية بكل قوته.

حسام .. ذلك الحُب الذي كان ..

نعم كان ..

و لكنها كان يجب أن تدرك ذلك بأبشع الطرق ؛ كان يجب أن
 تعلق بفتح هواه الكاذب ؛ تستجيب لهوان لمساته القديرة التي
 تملك مفاتيح فك طلاسم جسدها.

استجابتها له أشعرتها بالخزي .. بالضعف .. و ربما كان الأمر
 سيقصر عليهما و هذا ليس بجديد عليها منذ أخذت على يديه
 أول صدماتها و أقواها .. إلا أن الأمر يختلف حينما تخالجك
 تلك المشاعر إحساس بالغباء لم توصف به أبداً .. و للأسف
 الشديد .. رغم جرحها الدامي على يديه إلا أنها لم تتعلم الدرس
 .. و هذا أيضاً ليس من شيمها إلا إن كان الحب يورث حامله
 الغباء ..



بل و الحماقة أيضاً !!

ربما كان ذلك يحمل ميزة من نوع ما ..

هي رضخت إلا أنها لم تتنازل ؛ أحبته سابقاً و اعتقدت أنها ربما
لن تحب بعده أبداً .

إلا أنها هناك و على بعد آلاف الأميال و في مواجهة حبها
الوحيد و بعد أن علقت بفخه القديم بسذاجة أيقنت أن حبها
الكبير لم يكن إلا وهم أكبر .

تضائل وجوده حد التلاشي أمام صورة فارسها الأوحده .

رمزي !

حقاً الحب يورث الغباء ؛ فكيف بها و بعد كل تلك الأعوام
يغطي ضوء شمعة على ضوء الشمس !؟

حسام و رمزي .. لم و لن تكون المقارنة بينهما عادلة أبداً أو
منطقية !

و رغم ذلك هي عاجزة .. فذلك الكريه يخيرها ما بين الرضوخ
لهوان أسره مجدداً و إلا ..



هي لن تحتمل خسارتها لرمزي أبداً .. ليس بعد أن أيقنت أنه
الأوحد في قلبها و عمرها .

هي لن تفقد وجوده فقط .. بل ستفقد معها حبه و احترامه .
مسحت دموعها التي غافلتها لتجري على وجنتيها في قسوة ؛
نهضت ثم توجهت لخزانة الملابس تعتزم الشيء الوحيد الذي
تُجيده ..

الهروب !

لا شيء أمام عينيها إلا نظرات رمزي التي ترمقها بازدياء بعد أن
يرى الفيديوهات التي فبركها حسام لهما معاً .

بدأت بوضع ملابسها داخل الحقيبة حتى أتمت مهمتها على
أكمل وجه ؛ بدلت ملابسها و انتوت الرحيل للأبد .

ربما سيكرهها .. أو يتهمها بالأنانية إلا أنها لن تحتمل أبداً أن
تحمل عينيه نظرة لوم واحدة تنعتها بالخيانة .

نور !

أما عن ذلك الملاك .. نور عينيها ..



فربما من الأفضل أن تُعاقب بالحرمان منها بتهمة الحماسة .

رمزي سيكون نعم السند لها كما كان دوماً معها !

كما أنها لن تحتمل إيذائه بحرمانه من ابنته التي تستحق حبه و
دعمه طوال سنواتها القادمة.

ارتمت على الفراش تُجهش بالبكاء و هي تتخيل سنواتها القادمة
بدون قلبها و عينيها !!

لم يغمض له جفن طوال الليل ؛ يشعر بالغضب يمزق أوصاله إرباً
؛ غضب من مراد على جرأته عليها .. غضب عليها لأنها سمحت
له بالتمني .. على ياسمين التي اعترفت بحب لا تعنيه .. و لا
يريده .. و على نفسه فوق الجميع لمشاعر تتنازعه ما بين واجب
تجاه زوجة لا ذنب لها .. و قلب أوصمه بالخيانة للأبد.



أزاح ساعدها الذي استكان على جذعه في رفق لينسل من
جانبها بهدوء ؛ توجه للحمام الملحق بالغرفة يمحو آثار لمساتها
في عنف تحت الماء الذي فقد كامل خواصه .

فلم يستطع أن يزيل ما يشعر من اتساخ طال روحه و لا تمكن من
إطفاء لهيب الحنق و الغضب بداخله.

وقف أمام الشرفة في بقعته المفضلة ينتظر ظهور أول خيوط
الفجر ؛ إلا أنه تلك المرة لم يستطع أن يتطلع للأعلى حيث توجد
هي.

انطلق يحمله جواده مع أول شعاع شمس فرض وجوده ماحياً
ستار الظلام ؛ ينهب الأرض نهياً حتى وصل لسفح الجبل ؛ ذلك
المكان الذي يشعر فيه بالراحة من عناء تحمل كل تلك المشاق
الملقاة على عاتقه.

و هناك هاجمته الذكريات ..

" أنا جاهز يا أمي .. وقت ما تحبي ! "

و قرار زواج لا بديل عنه !!



" كلمه .. خليه يجيب مراته و ييجي نتعرف عليها "

عودة مستحقة لغائب لم يعد!!

" مش يلا يا حلويين .. إبقو حبوا بعض بعدين .. المأذون وصل "

" .

و صارت المسئولية شرعية!!

" إوعى تسيبني عشان واحدة تانية يا ياسين .. أنا ممكن أموت "

و عهد واجب النفاذ لأنثى جُرحت بالعمق!!

" هشام مات ! "

افتقاد لشقيق لن يعود !!

" أنا لمتي .. مرات أخوك و دول ولاده . "

خطف بمعية أجمل عينين في الكون!!

" حلو أوي المشهد ده بجد .. وصية و أرملة و توأم .. لأ بجد "

برافو عليك .. فنانة !! "

انفلات لخصلات من نسيج العسل!!



" مراتي وولادي أمانة في رقبتك يا ياسين "

اضطراب لخفقات قلب لم يسبق له أن فقد السيطرة عليه!!

" معقول يا أمي .. انتِ إزاي تسيبها لوحدها معاه "

مشاعر حنق للمرة الأولى!!

" إنت اتجننت يا مراد؟! .. إنت ناسي إنك بتتكلم عن مرات

أخويا "

احتراق حد الهديان !!

" دي أكثر رواية بحبها !! "

لمسات تشعل النار بخلايا جسد اعتقدتها ميتة!!

" شرفت يا كرم بيه .. أنا هبعثك حد يساعدك في توضيب

الشنط و يوصلك بره المزرعة "

غيرة صحبها فقدان سيطرة تام!!

" حلو أوي اللي حضرتك عملاه ده .. و ده بقى أسميه ايه ..

عرض مجاني للشباب الغلابة . "



و جمال لا يتوجب أن يراه أحد !!

" مبروك يا ياسين ! "

صاحبها غصة و شعور بالعجز!!

" مش عايزه يا ياسين .. مش عايزه "

قلب لا ذنب له !

" يبقى نتجوز "

طلب زواج يضاهي المستحيلات!!

" أنا مسمحلکش على فكرة "

فرس بري لا يقبل الترويض!!

" لو عايزه تتجوزي تقدري تسيبي المزرعة .. بس لوحدك !! "

تهديد لن يتمكن من تنفيذه حتى لو أراد!!

" ياسين .. أنا بحبك ! "

جسد يتمايل في رشاقة و خصلات تتراقص بافتنان تبعها اعتراف

لا يمت للمنطق بصلة و رغم ذلك يحمل كل منطق لقلبه!



تصير عندها البسمة معجزة

و السعادة حلم صعب المنال !

عاد بالمال اللازم كما وعددها ؛ و لكنه أحضر معه حزن عميق لم
يسبق لها أن رأته عليه.

أوفى بوعدده حقاً و بما عاهد عليه خالها ؛ لم يتركها أبداً منذ
تركت البلدة منذ أعوام ليست بالقليلة.

كان سنداً .. عوناً .. أباً ..

كان كل شيء إلا الصفة الرسمية الوحيدة التي يملكها عليها
زوجاً !!

" بتحبها يا زيد؟! "

سؤال يحمل إجابة بديهية ..

يوقع عليها قلب عاشق ؛ و تشهد عليها كل جوارحه!

تنهد بعمق جرح غائر في صدره ثم أعلن

" جرحتها أكثر "



ربت على كفه الموضوعه على فخذهِ و تمتت " كلمني عنها يا
زيد .. عُمرك ما كلمتني عنها ! "

عاد يزفر في يأس : و إيه هيفيد الكلام عنها دلوقتي ؟! .. كل
حاجة بينا انتهت !

أطرت برأسها أرضاً و غمغت في أسف : كل ده بسببي .. أنا
أسفة!

احتضن كتفها بساعده و هزها في رفض : إنت ضحية زيها
بالظبط .. بس أنا كنت مجرم أكثر من اللي أذاك .. على الأقل
أنا حبيتها بجد و رغم كده على أد ما حبيتها وجعتها.

وضعت أناملها على فمه تشنيه عن إيذاء نفسه و لو بالقول و لكن
هيات .. فشعوره يفوق ما يلفظه بكثير.

" زيد .. إنت كان عندك مبرر .. "

قاطعها : متكديش على نفسك .. الحقيقة بشعة و مش هينفع
تجملها.



صمت قليلاً ثم تابع : أنا متأكد إنك شايفه اللي حصل أبشع من
اللي بقوله.

أطرت برأسها ثانية ثم همست : لو مكنش عشاني كنت مستحيل
تأذي يارا.

ثم أعلنت بتأكيد : أنا واثقة من كده.

تطلع للهاتف في يأس ممزق ما بين شعور قاتل بافتقاد سماع
صوتها .. الاطمئنان عليها بعد ما حدث ؛ و ثقة في كونها لن ترد
عليه أبداً.

هتفت زهرة في حيرة : يمكن لو كنا في ظروف ثانية كنت جيت
معاك و فهمتها إن القصة مش زي ما هي فاهمة.. احنا جوازنا
حبر على ورق .. حماية ليّ و لابني مش أكثر.

ابتسم بسخرية : مبقاش يفرق .. أنا خسرتها خلاص .. مفيش حد
و لا حاجة ممكن تخليها تسامحني.

شعرت باليأس بدورها .. فحياة صغيرها على المحك .. و حياتها
بدورها على المحك.. و هذا النبيل الذي أفسدت عليه حياته و



فقد حب عمره بسبب وقوفه بجانبها .. يشاركهما تلك الحياة
البائسة على الرغم منه.

تطلعت لصغيرها الذي يرقد خلف الزجاج العازل في انتظار قلب
جديد يلائم قلبه الصغير.. و حينها تذكرته ..

بعض المقربات منها هن من لفتن نظرها إليه ؛ نظرات ملؤها
إعجاب طاردها أينما ذهبت ؛ محاولات عدة للحديث معها دون
جدوى.

كان ذائع الصيت كفتى عابث مدلل أما هي فكانت تبحث عن
رجل تأمن إليه لا فتى يعبث معها لبعض الوقت حتى يملها و
ينتقل لأخرى.

كل خلجة من خلجاته ؛ إيماءة ؛ نظرة .. لقاء حتى لو بدا عابراً
يخبرها أنه ليس هو من تبحث عنه.



و أيقن هو ذلك بعدما باءت كل محاولاته لاسقاطها في حباله
بالفشل.

حينها بدأ الأمر من زاوية مختلفة .. بدأ يحاول إقناعها بأنها
يحبها و يريد لها زوجة.

و نظراً لكونه محترف اصطياد فتيات سقطت في شركه أخيراً.
خدعها بورقة زواج عرفي تمنحه حق الجلوس معها دون رقيب
حتى يصير ما بينهما شرعي.

وعدها ألا يتجاوز معها حدود الخطيب إلا أنه تجاوز كل
الخطوط الحمراء .

مخدر ما تم وضعه بطريقة ما ليحصل أخيراً على بغيته منها
ليتركها بعدها كما يترك الأخريات متفاخراً بأن لا أنثى تستعصي
على ابن الجبالي.

بكت و تذلت ألا يتركها .. ألا يفضحها و لكن دون جدوى.
و ليزداد الطين بلة اكتشفت أنها حامل .. لينتابها اليأس من
الحياة بأكملها.



و لأنها كانت تعمل في مزرعة ياسين الجبالي كان أن جذبها من
تحت صهوة جواد بري سقطت أمامه.

هتاف أقرب للصراخ لازال يصم أذنيها للآن

" انتِ اتجنتِ .. حد يسرح في مكان زي ده ؟! "

حينها سقطت على ركبتيها أمامه لتبدأ بالنواح و الدعاء بأن
تنتهي حياتها لترتاح.

انتظرها حتى هدأت تماماً و طالبها بتفسير لما حدث و إلا
فلتبحث عن عمل آخر لا تتسبب لنفسها فيه و لا لصاحب العمل
بكارثة.

بعد محاولات شتى قصت عليه ما صار بينها و بين ابن الجبالي
الآخر ؛ انتهت قصتها بلعنات لها على سذاجتها و لعنات على
ابن الجبالي لفسقه و ضلاله .. لخداعه لها و لغيرها من الفتيات
تحت مسمى حب زائف .

كلاهما كان يدرك لحظتها أنه لا يعرف الحب ..

و بما لن يعرفه أبداً.



ساعدتها ياسين ما استطاع ؛ حاول اقناعه بتوثيق العقد العرفي

فأنكر الأمر برمته !

أخبرته بالحمل فنفي أي علاقة بها من الأساس !

و بدأ العجز يتسلل إليها شيئاً فشيئاً ؛ انتشلها ياسين حينها من

يأس كاد يلقي بها لحتفها .

اختفت لبضعة أشهر أقنعا خلالها العاملين أنها تزوجت و أن

زوجها سافر ليعمل في بلد عربي ؛

انتهت أشهر الحمل ووضعت زهرة جنينها ؛ مع مشاهد متكرره

لدعم غير مسبوق من ياسين ؛ وقف بجانبها و ساندها كما لو

كانت تخصه بالفعل ؛ و عادت الأمور تتأزم من جديد .

الطفل يحتاج لاسم أبيه ..

كيف ذلك و أبيه ينكر وجوده علاقة بينه و بين أمه؟!!

كادت تجن حينها ..

كيف لابنها أن يكون مجهول الهوية؟!!



كيف بها أن تحتمل هذا؟!
و كيف سيواجه ابنها الأمر فيما بعد؟!
و الأهم ..

كيف تمكن هو من النوم ملئ جفونه و له ابن من لحمه و دمه لا
يأبه به مثقال ذرة.

لم تكف حينها عن الاستغفار و الصلاة .. دعت الله حتى جف
حلقها ؛

أتاها ياسين بعد بضعة أيام يحمل استجابة لدعواتها .
شهادة الميلاد وضعها أمام عينيها لتسترد روحها المفقودة.

تهللت و سجدت شكراً لله !

" إزاي .. إزاي وافق؟! "

أجابها حينها : مش مهم إزاي .. المهم خدي إبنك و سيبني البلد
كلها .

اعترضت : أيوه بس ..



قاطعها : مفيش بس .. روجي لخالك اللي في مصر .. ابعدي
عن هنا خالص .

نفذت ما أمرها به ياسين ؛ سافرت لبلدة أخرى عند أقارب
لوالدتها.

عادت للمرة الأخيرة لتودع البلدة و تشكر ياسين على ما فعل
معها.

اندفع نحوهما كالثور الهائج ؛ أمسك ياسين من تلايبه دافعاً إياه
في عنف حتى سقط كليهما و بدءا العراك .

" إنت إزاي تزور شهادة ميلاد ياسمي ؟! .. أنا هحبسك يا
ياسين! "

هتف ياسين بكره و العراك لا يزال على أوجه: إنت اللي جبان
.. ما هو انت لو بني آدم محترم مترميش لحمك في الشارع.
لهث مراد و هو ينكر كعاداته: دي كدابه .. محصلش بينا حاجه
.. خليها تثبت لو تقدر.

تلاحقت أنفاس ياسين : يا أخي اتقي الله حرام عليك.



صرخ به : دي طمعانه ف اسم و فلوس الجبالي .. مش واحدة
زي دي اللي توقع مراد.

صرخت و قد اکتفت من كليهما: بسسسسس!!

هتفت بانفعال باك : أنا آسفة يا أستاذ ياسين على التعب اللي
سببتهولك .. و متشكرة أوي على وقوفك جمبي.

ثم وجهت حديثها لمراد : أما انت .. أنا عايزاك ترتاح .. أنا
مش عايزة منك أي حاجة .. لا اسم و لا إثبات جواز و لا فلوس
و لا أي حاجة .. متخفش على اسمك و مالك يا مراد بيه .. اللي
كنت خايف منه ..

تهدج صوتها بشجن : ماات .. ارتحت .. مات ..

انتفضت مع الهرج و المرج الذي صار بغرفة ابنها ؛ اندفعت
باتجاه الغرفة و الاطباء و الممرضين في حالة استنفار ؛ تطلعت
لزيد في رجاء و لسانها يردد الدعوات بأن ينجيه و يكتب له
السلامة.



تمتم الطبيب ببضع كلمات بالإنجليزية لزيد فتطلعت إليه في
تساؤل بعينين محمرتين نضبتا من كثرة ما بكت .

أجاب تساؤلاتها بألم : الدكتور يقول قلبه خلاص مبقاش ينفع
لوحدته .. حطه على جهاز داعم للقلب .. و لازم العملية تتعمل
في أقرب فرصة.

تهالكت أمامه في هشاشة و كأنما نضبت كل طاقتها دفعة واحدة
أو بالأحرى المتبقي منها.

استقبلته والدته بعينين متفحصتين ؛ يبدو التعب جلياً عليه كما
أن عينيه بلون الدم فضحتا أرقه و ربما الضغط المتأزم بداخله و
الذي يهدد بانفجار وشيك.

ربت على ذراعه في حنو : صباح الخير يا حبيبي .
قبل رأسها : صباح الخير .. أنا في المكتب ورايا شغل .
استوقفته : ياسين عايزه أتكلم معاك .

هز رأسه بيأس : ممكن الكلام يتأجل يا أمي أرجوك .



أومات برأسها في استسلام : ممكن طبعا .

أسند ظهره على الباب بعد إغلاقه ؛ لا زال جسده ينتفض في
انفعال ؛ توجه للمكتبة ؛ تناول كتاب حمل أول ذكرى.

مرريده على الكتاب في رفق صاحبه نبضات عنيفة لقلب أوهنه
الحب.

أغمض عينيه في استسلام لذكرى خصلات بلون العسل الداكن
انفلتت من عقالها لتغمرها في مشهد حابس للأنفاس.

وازتها ذكرى أخرى للمسات خجولة من أنثى تحمل شرعية
الاقتراب.

نفض رأسه في قوة يرفض صورة ليستحضر أخرى بالقوة؛
إحداهما زوجته و الأخرى زوجة أختة.

إحداهما حلال موجه للقلب ، و الأخرى تملك الجوارح بدرجة
خيانة مع مرتبة الشرف!

زوجة يجب أن يحيا لها ؛ و حبيبه يحيا هو بها!

يأس .. و ربما عجز و إحساس عميق بالذنب .



أكثر ما كان يوجعه هو الخيانة و أصبح يمتنها بسهولة التقاط
الأنفاس.

خائن لزوجته لها كامل الحقوق الحصرية فيه؛ خائن لقلب يحب
أنثى و يمنح نفسه لأخرى ؛ و خائن لذكرى أخ يحلم بامرأته.
طرقات على باب غرفته ؛ دخلت زوجته على إثرها و نظرة لائمة
تعلو وجهها.

" مش المفروض أقوم ألايك جمبي ؟! "

اقتراب وازاه التقاط كفيها و تقبيلهما بالتتابع

" أنا آسف ! "

وقوف على أطراف أصابع ؛ طالت خده بعد جهد لتطبع قبلة

خجول مع تمته مرحة " تقبلته "

ابتسم و جذبها ليغمرها بين ذراعيه لتندس هي بينهما بحثاً عن

أمان بإمكانه تأمينه لها باقتدار.

شهقة تبعها أسف و هرولة مبتعدة عن مرمى نظره.



أفلت ياسمين و اندفع خلف الأخرى التي ارتسم ال..
لا يعلم ما رآه في تلك اللمحة السريعة قبل أن تهرب مبتعدة.

لحق بها : استني يا لى.

أخفضت رأسها و قد صار وجهها بلون الدماء ؛ تلعثت: أنا آسفة
.. الباب .. مفتوح .. الخيل...

قاطعها محاولاً تجنب إحراجها أكثر و قد لاحظ أنها ترتدي ثياب
الركوب : انتِ عايزة تركبي خيل.

أومأت برأسها بالإيجاب فتابع : تمام .. استيني في الاسطبل ..
اختاري الحصان اللي يعجبك و أنا هحصلك.

هزت رأسها في رفض تحاول تلافي التقاء العين : ملوش لزوم
.. مش عايزه أتعبك معايا.

هتف بتأكيد : روي و استيني!

غابت من أمام ناظره تاركةً له قلب يشعر بالجنون في رفقتها و
بالضعف في غيابها.



أما هي فتصاعد الحنق بداخلها ؛ لمَ على الدوام يعاملها بتلك
الطريقة؟!!

لمَ يشعرها على الدوام أنها لا يجب أن تتصرف بمفردها؟!!

و كأنها عاجزة و هذا أبعد ما يكون عن الحقيقة!

اغرورقت عيناها بدموع اليأس و صورتها تحتل المشهد أمام
عينها.

وخزة قاسية لا تزال تؤلم قلبها ؛ عاجزة عن التنفس كما ينبغي
حتى!

اختارت فرساً بيضاء بدت مسالمة ؛ امتطتها بسهولة بمساعدة من
السائس الذي ناولها اللجام.

زمت شفيتها في عناد و قد اتخذت قراراً بالانطلاق فوراً و دون
انتظاره.

سارت بها ببطء في البداية حتى اكتسبت بعض الثقة من الفرس
فبدأت تشد لجامها و تسرع شيئاً فشيئاً.

وازت سرعتها ازدحام الأفكار في رأسها ؛



عينين تخطفان أنفاسها من الوهلة الأولى ؛ احبته رغم كل
المحاذير التي وضعتها في طريق قلبها لكي لا تفعل .

يأس من انتزاعه من قلبها لكونه ليس لها ولن يكون!

غضب و حنق من تسلطه عليها على الدوام دون وجه حق !

حتى تهديده بحرمانها من التوأم.

احتملت الكثير و ستحتمل الأكثر من أجل الالتزام بوصية لى و

هشام.

وجوده بين ذراعيها كان أكثر إيلاماً من كل ما عاشته !

و كأن تهديد مراد ليس بكافٍ ليؤرق مضجعها فأتت صورتها

لتجسد المعنى الحقيقي للألم.. للعجز .. لقلّة الحيلة.

اكتشفت و للمرة الأولى أن للغيرة نيران مؤلمة حد الشعور

بالحرق حياً.

حاولت ابعاد صورتها من أمام عينيها دون جدوى



حيوان ما مر سريعاً أمام فرسها مما أجفلها و أربع الفرس الذي
 سهل في قوة ؛ صرخة مرتعبة أطلقتها تزامنت مع وقوف الفرس
 على قائمتها الخلفية مما أدى لاختلال توازنها فسقطت أرضاً
 حاولت تفادي السقوط بذراعيها إلا أنها ساعدها اصطدم
 بالأرض في قسوة تبعه رأسها فشهقت في ألم قبل أن تعتم
 الصورة أمام عينيها.

" عنيدة "

كان هذا ما فتئ يردده منذ ذهب خلفها ليجدها انطلقت بدونه ؛
 تساءل في حنق لم تثير غضبه على الدوام ؛ تضرب بكل أوامره
 عرض الحائط في لامبالاة.

ظهرت على مرمى بصره و أثارت غضبه للأقصى ؛ تنطلق بسرعة
 كبيرة لا تتناسب مع طبيعة الأرض الصخرية ؛ تلك الحمقاء
 بإمكانها فقد توازنها في لحظات.

انقبض قلبه عندما سقطت بالفعل أمام ناظريه فوكز حصانه في
 قسوة لينطلق بأقصى سرعة .



ترجل بجانبها يتلمسها في لوعة " لمى .. ردي عليّ ! "

خشي أن يحركها فربما بها كسر ما ؛ ازداد رعبه عندما رأى خيط
من دماء امتزج بخصلات شعرها.

صرخ بها و الرعب يتصاعد بأعماقه بسبب جرح رأسها

" غبية . "

حملها برفق ليجلسها على الحصان قبل أن يصعد خلفها دون ان
يفلتها.

انطلق بأسرع ما تسمح به حمولته.

هتف بالسائس الذي استقبله مطالباً بمساعدته على الترجل .

عاد يحملها برفق مقرباً إياها من قلبه فيما تهدل ذراعها حولها

همس في أذنها بلوعة " خليك قوية عشان خاطري .. اوعي

تسيبيني . "

عاد يهمس برعب من يخشى الفقد

" أنا بحبك . "



الفصل العشرون

نتألم كثيراً و أقسى ألم ذلك الذي يحمله القلب

فكثير من الأوجاع لها دواء إلا ذلك الألم

عجز معه الطب

تشي به كل الحواس و تفضحه عيون كل صب

المواجهة صارت فرض إما المضي في حياة هائلة بلا أدنى
شائبة أو الانسحاب الأبدى رغم ما قد يسببه ذلك من معاناة،
ليست له وحده بل للجميع.

تبعها بعد أن اتخذ قراراً بكشف كل الأوراق؛ سؤالها عن كل ما
صار هناك بما فيه مقابلتها لطليقتها.

اصطدم بها بمجرد أن عبر مدخل المنزل ؛ أشاحت بوجهها فيما
استقر بعينه على حقيبة ملابسها التي تجرها خلفها.



انقبض قلبه و بعينين مضطربتين تساءل مشيراً لحقيبة سفرها:
 إنتِ واخده شنطتك و راحه فين؟!!

لم تجرؤ على النظر في عينيه ؛ أجابت كاذبة فيما أطرقت برأسها
 أرضاً : أنا راجعة أمريكا .. إنتِ ناسي إن جالي عرض شغل
 هناك.

سيطر على مشاعره التي بدأت تموج بهياج لا يمكنه من كبح
 جماحه : و مين سمح لك بالسفر؟! .. إنتِ ناسيه إنك مراتي و
 لازم تاخدي موافقتي عشان تسافري?!!

تطلعت إليه بدهشة ؛ بصدمة الرفض: و إنتِ من إمتي رفضت
 إني أعمل اللي أنا عايزاه?!!

ارتسمت بسمة ساخرة على شفتيه : تصوري معاكِ حق .. أنا
 غلطان فعلاً.. المفروض لا أفكر و لا أقرر و أسيبك عملي اللي
 انتِ عايزاه .. بغض النظر عن ان اللي عايزاه ده هيناسبني و
 يناسب بنتك و لا لأ .



اضطربت بدورها ؛ لا تدري كيف تُخبره بأنها تبتعد عنه من أجله
 ؛ و ربما من أجل ابنتها ؛ تعلم علم اليقين أن حسام لن يتوانى
 عن تدمير عالمها بلا رحمة.

_ أنا .. أنا..

قاطعها بتقرير: إنتِ أنانية .. كل اللي بتفكري فيه هو نفسك و
 بس .. مش مهم أنا .. و مش مهم نور .. أهم حاجة منال و بس.
 ثم تابع يُذكرها بكل ما مضى يضعها أمام نفسها للمرة الأولى و
 ربما الأخيرة ؛ يجبرها للمرة الأولى على الوقوف أمام مرآة
 الحقيقة .

" معلىش يا رمزي متطلبش مني أحبك بالسرعة دي أنا مجروحة
 .. آسفة يا رمزي مش هقدر أجيب طفل تاني أنا مشغولة ..
 رمزي لازم تدعمني و تقف جمبي .. رمزي مش هينفع أسافر
 معاك عشان أبحاثي .. رمزي خد بالك من البنت عندي مذاكرة
 .. مليون آسفة و ألف معلىش .. و رمزي صابر و ساكت عشان
 بيحبك .. عشان محتاجك حتى لو انتِ مش محتاجاه .. بس في
 الآخر كنت متأكد إن مفيش أغلى منا عندك .. حتى السفر



مكنش عندي مشكلة معاه ما دام مع بعض .. إنما يبقى أمر واقع
سواء بوجودنا أو عدمه .. إن اللي عايزاه يحصل غصب عني و
عن مصلحة بنتنا .. إنك تعتبرنا سلمة تدوسي عليها وقت ما
تحبي عشان رغباتك .. لأ يا هانم .. اسمحيلي أقولك للمرة
الأولى في حياتي .. آسف .

فغرت فاها في زهول ؛ و صفعات رمزي بكل حقيقة واجهاها
معاً تتوالى بلا توقف حتى أدمت قلبها ؛ قلبها الذي يدرك للمرة
الأولى كم احتمال كل ما مضى بغير تردد ، بلا تدمير لأنه يحبها ؛
حينما اعتقدت هي أن رضوخه لرغباتها أمر مسلم به .

اقتربت منه ترتجي قلب العاشق الذي تعرفه : رمزي .. انت
عارف إنني معنديش أغلى منكم .. أنا .. أنا بدور على مصلحتنا
كلنا .. غصب عني أبعد بس ..

قاطعها : بس حبيب القلب محتاجك صح ؟!

شهقت في قوة؛ فغرت فاها في زهول ؛ كيف علم بالأمر ؟!

من أخبره ؟!



و لأن الذنب يؤلم .. يمزق .. يقتل

حاولت السيطرة على مشاعر ذبيحة : أنا مش فاهمة انت بتتكلم
عن إيه !؟

نظر إليها بازدراء ؛ لا يكاد يصدق أنها هي منال .. من أحبها ..
زوجته و أم ابنته الوحيدة.

تمتم باتهام : الظاهر إن حسام بيه مش قادر يستنى لما ترجعيله
بمزاجك فقرر يحطك قدام الأمر الواقع و بعثلي صوركم مع
بعض.

و لأن المخطئ يكمله ذنب الخطيئة ؛ و يعتقد أن الجميع يعلم
سره ؛ و حينما يحاول جهده إخفاؤه يقع هو في الذلة تلو الأخرى
حتى يفصح خوفه عما يخفيه.

سقطت أمامه على ركبتها تبكي بحرقة و ندم ؛ تمسكت بينطاله
في رجاء : محصلش حاجه بينا .. و حياة نور ما خنتك.

أتى الوقت الذي توجب عليه أن يفغر هو فاه في ذهول ؛ لقد
توقع الكثير و لكنه لم يتوقع أبداً أن تصل إلى هذا الحد.



جذب ذراعها لتعاود الوقوف ليجرها خلفه في سرعة صاعداً
الدرج في سرعة ؛ فتح باب غرفته ليدفعها للداخل في عنف
كادت أن تسقط أرضاً إلا أنها حافظت على توازنها بصعوبة.

أحكم إغلاق الباب ثم أوصده بالمفتاح ؛ تطلعت إليه في رعب ؛
ترى رمزي آخر لم يسبق أن رأته من قبل ؛ ملامحه الهادئة انقلبت
لشيء قاسي .. شرير لم تعهده عليه ، بل حتى لم تتخيل في أسوأ
كوابيسها إن تنقلب سحنه بهذا الشكل.

هتف بها بوعيد : أنا مش هخرج من هنا غير لما تحكي لي كل
حاجة .. كل حاجة يا منال.

بدأت ترتجف و أخذت تقص عليه كل ما صار منذ وصلت
لأمريكا حتى عادت مع وعيد بالعودة خلال أسبوع أو إرسال
تلك الفيديوهات المفبركة له.

ضم قبضتيه في قوة بعد أن انتهت من سرد كل الأحداث على
مسامعه دون زيادة أو نقصان ؛ حاول السيطرة على مشاعر تود
الفتك بها ؛ تود قتلها لخيانته ؛ لضعفها .. لاستسلامها لذلك
الرجل من جديد و دون وجه حق.



دار في الغرفة في هياج للحظات قبل أن يضرب زجاج المرأة
بقبضته في عنف وازاها هتاف غاضب : غبية .. ضعيفة ..
خاينه.

اقتربت منه في سرعة تحاول الوصول لقبضته التي سالت منها
الدماء في غزارة ؛ أبعد يده النازفة و أشار بالأخرى بالتوقف .
تسمرت في مكانها و عينيها لا تزالان تتطلعان للدماء في قلق :
سيبني بس أبص على الجرح .. من بعيد يا رمزي أرجوك.

و كأن جرح يده يقارن بما فعلته بقلبه ؛ و بكبرياؤه !
هتف بقسوة : خايفة عليّ .. تفتكري الجرح ده ممكن يتساوي
مع جرح الخيانة.

أطرقت برأسها و همست بندم : أنا مختكش .. و الله ما حصل
.. الصور متفبركة.

اعتصر ساعديها و هزها بعنف هاتفاً في غضب: قرب منك و لا
لأ ؟! .. اتكلم و لمس و لا لأ ؟! .. قلبك ضعف و لا لأ ؟!
طفرت الدموع من عينيها : أيوه .. أيوه .. أيوه.



تركها في ازدياء ؛ أعطائها ظهره و قد أيقن أن النهاية قد حانت ؛
لم يعد بإمكانه التمسك بها بعد الآن ؛ لن يتمكن من الغفران .

التسامح بحر لا ينضب ..

خاصة مع من نحب ..

و حينما نغفر مرة و اثنتان و ثلاث ..

يعتقد من نحب أن رضوخنا ضعف ..

غفراننا استسلام ..

حبنا مسلم به ..

ثم تأتي لحظة ..

عشرة أو خطيئة ..

لا يهم إن كانت صغيرة أو كبيرة ..

إلا أنها غالباً ما تكون الأخيرة ..

حينها تكون بالنسبة إلينا كالقشة التي قصمت ظهر البعير ..

و تصير لمن نحب ..



صفعة ..

لن ينساها أبداً ..

تظل على الدوام تحمل علامات أصابع الحلیم ..

الذي حذرنا الأوائل من عنف غضبته !!

هتاف أخیر أجهز عليها ؛ اختنقت به و صدم كليهما على حد

سواء

" منال .. انتِ طالق ! "

غضب عارم ذلك الذي سيطر عليها حال خروجه في إثرها ؛ لقد

رأتها متعانقين ففضحها وجهها ؛ أعلن عن عشق لن يغفل على

امرأة .

ابتعادها .. ملامحها المصدومة .. الغيرة التي ظهرت جليلة ..

عينها اللتان ضاقتا في ألم .. كل ذلك يعلنها بوضوح ..



لمى عاشقة ..

لزوجها !!

و على الرغم منها عادت ذكرى الرفض الأول ؛ الحب الأول و
ربما ذلك الذي لا يأتي في الحياة سوى مرة واحدة.

ذلك اليوم استمع هشام لثريتها المعتادة ؛ لخطتها المستقبلية
التي تشمله ربما لأعوام عديدة قادمة .

لاحظت أنها تستجدي حبه و اهتمامه في حين أن شروده كان
واضحاً وضوح الشمس .

حركت كفها أمام عينيه تجتذب انتباه لها لا يبدو أنه سيفعله

" هاي .. روحت فين يا هشام ؟! "

ارتبك للحظات قبل أن يعلن : معاك .. سرحت بس شوية .

زمت شفيتها في ضيق مفتعل ؛ تدلت: سرحان و أنا معاك .. أنا

مخاصماك !



انفجرت شفثيه عن بسمة تائهة ؛ بدت و كأنما ضلت طريقها
لتحتل الفم الخطأ : متقدريش على فكرة.
أخرجت لسانها له في طفولية مصدرة صوت مغناج: أقدر على
فكرة .

زفر في قوة ؛ يحاول استجماع قرار يعلم أنه سيجرحها ؛ رغبة
اعتاد تأجيلها لأنها ستؤلم .. ستؤذي كل من يحب.
قد يكون ما سيفعله أنانية لم يعتدها ؛ إيذاء لم يسبق له أن مارسه
عمداً أبداً

إلا أن قلبه قد صار على المحك الآن .

كيف به أن يتجاهل حباً كذاك ؟!

حياة كتلك التي اعتقد أن أنفاسه ستنتهي قبل أن يحيها !

ربما اعتبروها أنانية ..

حب للذات لم يسبق أن اتصف به أبداً ..

إلا أنه يحمل تضحية بقدر ما يعتقدون العكس !



تضحية بوجوده بينهم .. بحب .. بقرب .. بحياة لم يعرف سواها
.. بمكانة ستتغير للأبد في قلوبهم!

أغمض عينه للحظات يستجمع حروف لن تؤذيها أو ربما تؤلمها
بقدر أقل

غمغم أخيراً: ياسمين .. انتِ عارفة إنني بحبك صح!؟!

أومأت برأسها في إيجاب قبل أن تصفعها كلماته التالية: أنا
كمان عارف إنك بتحبيني .. انتِ طول عمرك بالنسبالي زي
ياسين بالظبط .. أختي .

هتفت في دهشة : أختك!؟! .. هشام إحنا مخطوبين!!

صمت للحظات ثم همس : بصراحة .. أنا حاسس إنني مش
هقدر أكون ليك الزوج اللي بتمنيه .. أنا بحبك أيوه .. بس مش
الحب اللي المفروض أحبه لمراتي .. مش الحب اللي تستحقه
يا ياسمين.

تحجرت الدموع في عينيها : يعني .. يعني إنت مش بتحبيني.



همّ بالاعتراض فأوقفته بإشارة من يدها: في واحدة تانية؟! ..
أكيد في واحدة تانية!؟

أطرق برأسه ينتابه شعور بالذنب لا يقدر على مواجهتها ؛ نعم
يحب ؛ بل إنه عاشق حتى النخاع ؛ إحداهن أسرته في لحظات
؛ أسقطت دفاعاته الواحد تلو الآخر بسهولة لم يتخيلها ؛ بل و
ربما لم تقصدها هي أيضاً.

و حين سقط آخر درع بقي به نفسه رفع قلبه راية الاستسلام !
رغم أن اجتماعهم أشبه بالمستحيل إلا أنه على يقين أن أي
حرب في سبيل عينيها واجبة .. حتى لو نال الشهادة في سبيل
ذلك .. يكفيه القتال للوصول لحرم قلبها!

حينها عادت حالتها النفسية تنتكس كما حدث تماماً بعد موت
أمها ؛ هرب بها والدها للعلاج في الخارج كما سبق و فعل من
قبل !

اكتئاب حاد .. مع ميل لا إرادي للعنف .. حالة استوجبت
وجودها في إحدى مصحات أوروبا لشهور عدة.



لم تعد منه إلا قبل خطبتها بقليل !

كانت تعلم أن ياسين سيفعل ؛ بل كانت تنتظره في الواقع ؛
تحاول التأقلم مع واقع بلا هشام ؛ ليست خيانة له ولا لحب
حملته له في قلبها على الإطلاق ؛ بل ربما لأن الرجال بعد هشام
سواء .. لذا لن يكون هناك فرق بين رمزي أو ياسين أو مراد أو
غيرهم ..

كل الرجال بعد من أحببت يتساوون!

عاد قلبها يثور في حنق تمتت في تلك اللحظة حينما هروا
ياسين خلفها دون أن يكلف نفسه عناء إعطاءها تبرير لهروبه ..
للحاقه بها .

أسوأ ما قد تحمله المرأة هو قدرتها على فهم مشاعر الآخرين
بوضوح!

و في حالتها بوضوح أكثر من اللازم؛ فهتمت مشاعر يحاول أن
يخفيها باستماته ؛



يتجنب حرج إيلام زوجة وعدها بالوفاء .. يتجنب الرفض من
قبل الأخرى ربما ؛ على الأغلب هو لا يدرك أنها عاشقة له كما
هو متيم بها.

لكنها تعلم و تدرك جيداً ..

و لن تسمح برفضها للمرة الثانية .. من قبل الأخ الآخر .. و
لصالح ذات المرأة !

اقتربت من الحائط الزجاجي في المكتب الخاص بياسين تتطلع
للحديقة أمامها في شروء.

قطعة دخوله حاملاً إياها ؛ يكاد جزعه يتجسد شخصاً من فرط
خوفه على الغائبة عن الوعي بين ذراعيه.

خرجت مسرعة لتبين الأمر لتسمر مكانها إثر إعلان كانت تدركه
و لكنها لم تتوقع أن يحمل شجاعة التصريح به.

" أنا بحبك "

توارت في سرعة كي لا يراها قبل أن يدفع باب المنزل بقدمه في
نفاذ صبرها تفتاً باسمها في لهفة " ياسميين "



خرجت من مخبأها في بطاء بوجه شاحب من الصدمة فسرها هو خطأ على أنه خوف على النازفة بين ذراعيه.

" ياسمين .. كلمي رمزي ييجي بسرعة .. قوليله لمى وقعت من على الحصان . "

تفرس في ملامحها مراقباً هزة رأسها بالإيجاب فتابع : متخافيش .. هتبقى كويسه إن شاء الله.

إعلان يريد به أن يواسي قلقة قبل أن يطمئن به الآخرون.

صعد بها لغرفتها ؛ أرقدها على فراشها في رفق ؛ أبعد خصلاتها التي التصقت بجبينها ليرى مدى عمق الجرح النازف أمامه.

ارتجفت شفثيه قبل أن يهمس بقلق : لمى .. لمى ردي عليّ .

دارت عينيه في المكان في لهفة لتقع عينيه على علبة المناديل المعقمة التي تستخدمها للعناية بالتوأم.

اخرج بضعة مناديل منها و بدأ بإزالة آثار الدماء حول الجرح في رفق ؛ يبتهل حضور رمزي بسرعة ليسيطر على جرحها الذي يتزف بغزارة.



و لم يخيب رمزي رجاءه ؛ كان أمامه في دقائق و خلفه ياسمين و فريدة التي هتفت بفاطمة أن تبقى مع التوأم في حجرتها.

قص عليهم ياسين ما صار في سرعة ؛ أخرج رمزي الإسعافات اللازمة من حقيبته التي جمع فيها كل المتاح في منزل والده.

تساءل : هي ما فاقتش من ساعتها !؟

أجاب ياسين : لأ .. هي أغمى عليها أول ما وقعت و أنا جبتها
علطول.

أبعد رمزي خصلات شعرها ليكشف عن الجرح في جبينها أسفل
منبت شعرها مباشرة.

غمغم : الجرح عميق .. محتاج يتخيط.

بحث في الحقيبة عن الأدوات اللازمة فلم يجد ما يريد فأعلن
بعجز : لازم تروح المستشفى يا ياسين .. جرح راسها محتاج
خيط تجميل عشان ما يسيبش أثر .. و تعمل أشعة يمكن يكون
في كسر و لا حاجة .. لازم تفضل كمان تحت الملاحظة عشان
لو في ارتجاج في المخ لا قدر الله.



أخذت فريدة تردد : لا حول و لا قوة إلا بالله .. دي كانت زي
الفل من نص ساعة بس .. لا حول و لا قوة إلا بالله.

هتف ياسين : طب يلا بينا على المستشفى.

اقترب رمزي ليعرض المساعدة: خليني أساعدك نزلها.

تطلع إليه في حنق أقرب للاستنكار: جهز انت العربية و أنا

هنزلها .. بسرعة يا رمزي !

عاونها مجدداً للرقود على فراشها بعد أن عادت من المشفى
بجبيرة حول الساعد الأيمن ؛ و خمسة قُطب أعلى جبينها.

ارتجفت حالما أحاط ظهرها بساعده يعاونها على الاستلقاء
دفعت يده برفض للمسات تثير فيها إضراباً غير مأمون العواقب

" أنا كده تمام ميرسي "



وجنتيها اشتعلتا حالما قابلت نظرات عينيه تحيط بها في حنو و

..

غضب !

زفرت في ألم و هي تدرك أنها على الأغلب لن تتمكن من نيل

شيء منه سوى الغضب.

جلست فريدة على طرف الفراش بجانبها : أنا مش فاهمة انتِ
ليه صممتي ترجعي البيت .. كان المفروض تباتي النهاردة هناك

عشان نطمئن عليكِ.

هتف ياسين بعنف حائق: عشان راسها ناشفه .. دي ممكن

يجرالها حاجة لو سمعت الكلام.

نهرته فريدة : و بعدين يا ياسين!

ربتت تمارا على ساعد فريدة في حب : أنا كويسه يا ماما

متقلقيش عليّ .



ثم تطلعت إليه بعجز ثم تابعت : سيبه يا ماما .. مفيش فايده ..
هو شايف إن راسي ناشفه لكن مش شايف إنه مغرور و مفكر إن
هو بس اللي صح و كل الناس غلط.

تطلع إليها ؛ بل بالأحرى احتواها بعينه و لسان حاله يقول ..

تخالني مغرورا و لا تعلم أنها قد فطرت قلبي ..

الكبرياء معك بلا معنى ..

حبيبي !!

ابتسمت فريدة في حب وازاته حركة من رأسها تقضي بأنهما
ربما لن يتوقفا عن الشجار كما لو كانا ..

توقفت أفكارها و عادت إليها شكوك سابقة ؛ إحساس بأن الأمر
ليس تماما كما يبدو ؛ تغيرات بابنها تلحظها للمرة الأولى ؛ ربما
تجاهلتها لأنه شديد البراعة في إخفاءها ؛ أما الآن و أمامها و من
المرات النادرة التي كانت عينه تحمل لها مشاعر تخلت عن
حذرها .

يرمقها و كأنها تسكن بين جفنيه و يحرسها بأهدابه .



يتيه بها ببساطة و على الرغم من ثباته!

طرقات على الباب صاحبها دخول مراد و ياسمين ؛ انقلب وجه ياسين في لحظات أدركتها أمه و زوجته.

مراد كان شديد الجاذبية عندما يريد؛ و لقد بدأ بلعب ذلك الدور على أكمل وجه .

تحدث بتلقائية و مرح مجتذباً بحديثه الساخر ضحكاتهم بسهولة؛ حتى تمارا تخلت عن حذرهما الفطري معه و انطلقت ضحكاتها العذبة بعفوية.

حتى تأوهت في النهاية من ألم رأسها فتطلع ياسين إليها بقلق :
أعتقد كفاية كده .. المفروض ترتاحي.

همّت بالاعتراض إلا أنه غمغم بحزم : و يا ريت تسمعي كلامي مرة .. هكون شاكر ليكِ.

تطلعت إليه و لم تعرف بما يتوجب عليها الكلام.

و حين تتعطل لغة الكلام تكتفي الروح بتنهيده!

أومأت برأسها في استسلام لطلبه للمرة الأولى .



تركوها مع وعد فريدة بالاعتناء بالتوأم ؛ ووعد مراد بأن يأتي غداً
مع يارا التي لم تستطع ترك نور بمفردها.

" مراد .. أعتقد مفيش داعي تيجي تاني .. هي .. "

قاطعها مراد : ياسين .. أعتقد مفيش حد ممكن يمنعني آجي
بيت عمي .

هتف ياسين بسخرية : عمك !؟ .. مراد إنت بتهزر أكيد .. من
إمتى بيهمك حد غير مراد.

اقرب منه و استعار لهجة ياسين الساخرة : دلوقتي بقى بيهمني
.. انت نسيت إني طلبت أتجوزها.

أمسك ياسين تلايبه و هتف من بين أسنانه : بتحلم!

نفض مراد قبضتي ياسين عن قميصه و تابع بتوعد : مش انت
اللي ممكن أطلب رأيك .. المهم رأيها هي .. و هي لسه
مرفضتش.

أعلن ياسين بتقرير : و مش هتوافق.



ابتسم مراد بسخرية و غمغم بثقة : هنشوف!

عدّل مراد ملابسه قبل أن يتابع بتزق : أشوفك بكره يا ابن عمي!

بمجرد مغادرة مراد اندفع ياسين صوب مكتبه ؛ صفق الباب

خلفه في عنف ؛ أخذ يدور في الغرفة بثورة عارمة هي أقرب

للهاياج.

بداخله غضب قادر على الفتك بكل من حوله .. و أولهم مراد .

أما عنها فلم يستطع التفكير كيف بها ان تكون بذلك التساهل

معه ؛ لم لا تكون حازمة و تخبره برفضها بكل وضوح ؛ كيف بها

أن تضع مراد بذات المنزلة مع هشام دون أن تطال ثورتها

الجميع.

طرقت فريدة الباب ؛ اقتربت منه في تؤوده ؛ ترى من خلال

احتقان وجهه ؛ ضيق حدقتي عينيه أنه يعاني الكثير .

بدأت الكلام : ياسين .. صوتك مع ابن عمك كان عالي أوي ..

بس أنا محبتش أتدخل.

تنهدت ثم تساءلت دون موارد: ممكن أعرف في إيه بينكو؟!



حرك يديه في ثورة : اتجنن .. عايز يتجوز لى .

" طب وإيه المشكلة؟! "

اتسعت عينيه في ذهول قبل أن يهتف في عدم تصديق : أفندم يا
أمي!!

أعادت ردها : بقول وإيه المشكلة؟! .. لى لسه صغيرة و
جميلة .. لو وقفنا قدام حقها في انها تعيش يبقى حرام علينا.
هز رأسه برفض : لا لا لا مش ممكن يكون ده رأيك .. لى
مرات هشام يا أمي .. تقبلي إن حد يتجوزها غيره.

توقف هنيهة ليفكر ثم تابع بغضب : هي اللي قالتك؟! .. هي
اللي طلبت منك كده؟! .. هي موافقه على مراد يا أمي؟!
كل خلجة من خلجاته .. كل إيماءة تُخبرها بكل وضوح عن
صدق إحساسها ؛ خاصةً ثورته الغير مبرره .

المفترض ان ترفض هي .. الحماة .. أم الزوج
أن تتزوج كَنتها آخر غير ولدها ؛ خاصة إن كان له أطفال منها ؛
أما أخ الزوج فلم يرفض هذا؟!!



ألقت بقنبلتها دون انتظار : أنتَ بتحبتها يا ياسين !؟

امتقع وجهه وارتيك ؛ تلعثم للحظات؛ فيما انتفض قلبه في

صدره بعنف : أنا .. لأ طبعاً أنتِ إزاي تفكري كده !؟

تشر بمدى ما يعانيه ابنها هي قد خسرت ابن بالفعل بسبب

الحب ؛ قطعاً لا يمكنها احتمال تعاسة الآخر.

تنهدت ثم ربت على صدره بحنان : اتجوزها يا ياسين.

نظر إليها في ذهول قبل أن يتمالك خفقات قلبه التي تعلن حبها

مع كل نبضة : للأسف مينفعش.

نكس رأسه و تابع بأسف : أنا آسف يا امي .. أنا تعبان و عايز

أنام.

استقبلته بذراعين مفتوحتين ؛ تنهد في استسلام قبل أن يحيطها

بذراعيه فيما احتضنته هي في المقابل.

غمغمت هي تلك المرة: أنا جهزتلك الحمام .. عارفة إنك مرهق

و أعصابك مشدودة.



لاحقاً في سويعات الليل الأخيرة و لليوم الثاني على التوالي
ينتابه الأرق ؛ نام بين ذراعيها فقط لساعات قليلة لا تتجاوز
الثلاث.

أزاح ذراعها عن صدره برفق ؛ تسلل من جانبها ليرتدي ملابسها
في خفوت .

قادته قدميه إليها ؛ لا يزال يشعر بالقلق الشديد عليها؛ و قلبه
يحمل الكثير .

يرفض كون قلبه يخفق لها رافضاً سيطرة أحكمها حوله لأعوام
طوال؛ غير مسموح له بأن يحبها ؛ لا يمكنه أن يكون بديلاً
لأخيه بأي شكل من الأشكال.

ناهيك عن وعد يطوق عنقه؛ وعد لا خلاص منه لزوجة لم يعد
لها من هذا الكون غيره.

فتح باب غرفتها في رفق؛ كانت غارقة بين وسائدها ؛ جذب
عينه خصلاتها الثائرة كالمعتاد.



اقتراب دون صوت لينظر إليها بحرية .. للمرة الأولى بهذا
القرب و ذاك التمعن.

تنفس بعمق و نفسه تعلن ..

أنت الكلام الذي يستحيل نطقه ؛ يقف مثل الغصة .. مثل دمع
عصي .

قاوم للحظات شعوراً غامراً بتلمس شفيتها المكتزتين باعتدال.
امتدت أنامله لتتحسس خصلاتها .

تململت في نومها مصدرة صوتاً أشبه بمواء قطة متكاسلة وازتها
ضمة لشفيتها في إغراء تجهل أنه قد يتسبب بتوقف القلوب.

لم يستطع المقاومة أكثر ؛ انحنى جذعه ليصل لشفيتها يملكهما
في توق لم يسبق له أن اختبره من قبل!!



الفصل الحادي و العشرون

أحيانا ما يتلبسنا ثوب الخطيئة
مهما اعتقدنا أننا بعيدين تماما عنه
نغتر بعلمٍ أو بقربٍ من الله
يخدعنا غرور نمتلكه بأننا أقوى
على الخطأ
على ارتكاب أي ذنب
على الوقوع في شركه
لتأتينا الصفعة من موطن قوتنا
تصدمننا بحقيقة كوننا و مهما أرتدينا ثوب الفضيلة
بنو آدم
و ابن آدم مهما تصالح مع نفسه ..



خطااء

خطأ اختيار شريك الحياة، تلاه خطأ إجبار آخر على الزواج ليصلح ما أفسده الأول، تلاه استسلام لضعف، لوهم يسمى عبثاً الحب الأول فيما يجب أن يسمى يقيناً ..

الوهم الأول.

شريك امتص منها الحياة و رغم ذلك تمسكت بوهم وجوده الهزيل في قلبها؛ فيما منحها الآخر كل كيانه عن طيب خاطر و لم تمنحه هي سوى الفتات .. قشور من روحها مَنَّت بها عليه. قد يوهمنا القلب بأنه لا يملك حق النبض سوى لشخص بعينه فنستسلم بلا إرادة تُذكر في حين أن الحب الحقيقي مدفون حقاً في أعماقنا و لكنه يتوارى على استحياء خلف بريق زائف لما اعتقدناه يوماً ما حياً.

انتهت من وصلة بكاء مريرة ؛ تدرك الآن أنها قد خسرت حبيبها .. زوجها .. سندها الوحيد في هذه الحياة و للأبد.



ربما لو أمضت عمراً آخر فوق عمرها نادمة على فقدتها إياه لن
يكفيها !

عادت للأسفل حيث حقيبتها لازالت مهجورة كما تركتها منذ
بعض الوقت تلفتت حولها تبحث عنه ؛ ربما لتودعه للمرة
الأخيرة إلا أن عينيها توقفتا على فتاة جميلة أعلى الدرج ؛ امتزج
الحنن بملامحها حتى يُهياً لمن يراها أنه صار سمة خاصة بها.
هبطت الدرج في ببطء في حين تعلقت عيني منال بها حتى
صارت أمامها تماماً

و بسؤال بدا لمنال كبديهية شروق الشمس من المشرق

" بتحيه ؟! "

عادت عيني منال تمتلئ بالدموع لتغمغم بمرارة: خسرت.
ابتسمت يارا ابتسامة باهتة لتتابع بتقرير: بس هو بيحبك!
وضعت منال راحتها على قلبها الذي أصابته غصة مؤلمة :
جرحته .. قوي.



زفرت يارا في قوة : رمزي قلبه أبيض .. اديله فرصه ينسى .

أومات منال برأسها مؤيدة : رمزي مفيش زيه .

ثم ابتسمت في سخرية مريرة : واضح إنني كان لازم أخسره عشان
أحس بقيمته.

ربت يارا على ذراعها في شفقة: لو بيحبك حقيقي هيسامح ..
طال الوقت و لا قصر قلبه هيحن.

عادت منال تتلفت حولها في رجاء لنظرة أخيرة فأجابت يارا
على سؤال لم يُسأل : رمزي خرج .. كلموه عايزينه عند عمي.
_ و نور!؟

أشارت بيدها للغرفة التي تقبع بها نور فعادت يارا تتابع : مش
عايزاها تتضايق لو شافتك ماشيه .. بلاش تدخليلها.

ازدردت منال لعابها في توتر: أنا .. ممكن تخلي بالك منهم.
أومات برأسها في وعد غير منطوق : اطمني.



اتجهت يارا لمنضدة قريبة لتتناول ورقة و قلم دونت عليها شيئاً

ما

ناولتها الورقة و هي تعلن : ده رقم تليفوني و رقم البيت كلميني

وقت ما تحبي.

احتضنتها منال في امتنان : أنا متشكره قوي يا يارا بجد.

ربت يارا على ظهر منال : خدي بالك من نفسك.

مسحت منال دموعها التي سالت غزيرة على وجنتيها لتكتشف

أنها لم تخسر فقط زوجاً و ابنه .. بل خسرت أخت و صديقة

أيضاً لم يسعفها الوقت التعرف عليها .

خرجت منال لتجد أن يارا قد ربت لها أمر سائق يقودها للمطار

.

طوال الطريق للمطار و عينيها تتابعان ما حولها من مناظر خلاصة

بعينين لا تريان بوضوح و قلب يخفق بوجل.

تساءلت هل ستمكن من العودة لتنعم بالبقاء في هذه الأرض مرة

أخرى !؟



..

تلك البلدة بكل ما يحيط بها من قسوة و جمال في نفس الوقت
أمنية أسرتها بينها و بين ربها و ابتهلت إليه بكل كيانه أن يليها.

أرأيتم أحد يرحل و هو في مكانه و يعود فلا يجد نفسه !؟

كان هذا هو شعوره تماماً عندما لامس شفيتها بتوق ؛ لم يكن
يتخيل أن بإمكانه التحليق و الغياب عن الزمان و المكان من
مجرد ملامسة تحمل شوقاً يصل لحد الخطيئة.

هو قلبه بين قدميه حالما تلمت لتصدر نفس الصوت الذي
نسف مناعة البعد عنها منذ لحظات ، جاهد نفسه كثيراً لئلا يكرر
فعلته الحمقاء مرة أخرى.

استدار مهرولاً يبتعد عنها .. هارباً من مشاعر يخشى أن تفضحه
.. و أخرى تضعه في خانة المذنب .. المتعدي على حرمة ما
ليس له .. أسرع مغادراً كأنما تطارده الشياطين ليتسمر حالما
وجد عينين تطالعانه في عدم تصديق .



أفسحت له الطريق ليغادر الغرفة، تبعته في سرعة بعد أن أغلقت الباب في رفق كي لا توقظ الراقدة بالداخل.

أشارت إليه دون كلام أن يتبعها فتبعها لغرفتها ؛ أوصدت الباب خلفه قبل أن تتطلع إليه في استنكار ، لا تكاد تصدق أن ياسين قد فقد عقله لتلك الدرجة.

أن يفقد سيطرته على نفسه لتلك الدرجة ؛ إثم كبير لم تتخيل أن بإمكانه الوقوع فيه أبداً، و لولا أنها رأته بعينها لم تكن لتصدقه أبداً.

هزت رأسها في عجز و هي تشير إليه بإصبع الاتهام: انتَ؟!!

.. انتَ يا ياسين تعمل كده .. و مع مين؟!!

مرات أخوك اللي المفروض تحميها تبقى انتَ أول واحد يخون الأمانة دي .. أنا مش مصدقه اللي شفته بعيني ده .. مصدومة فيك بجد.

هرب من التقاء عينيها لثلا ترى حبه ماثلاً في عمقهما فهو لن يستطيع الإنكار بعد الآن .



حاول التبرير بضعف : يا أمي أنا .. أنا ..

قاطعته باتهام مرير : انت إيه؟! .. بتحبها؟! .. بس ده مش
مبرر أنك تعمل اللي عملته ده .. دي خيانة يا ياسين .. خيانة.

أنكر بقوة صفة التصقت به ، يكرهها بقدر كرهه لأبيه ؛ تمثال
الخيانة الأول ، المذنب بجدارة .

هز رأسه في عنف ينفي صفة تضعه ووالده في نفس الخانة ؛
اتسعت عينيه بإدراك أنه أتى نفس فعلة أبيه الشائنة قبل أعوام؛ و
لسخرية الأقدار من ذنب لم يستطع أن يغفره لوالده فسقط فيه و
مع نفس الشخص ..

زوجة أخيه!!

صمت حد الخرسة ..

ألم حد توقف القلب تماماً ..

أطرق برأسه في ندم و أسف ربما للمرة الأولى في حياته : أنا
آسف .. أوعدك إن اللي حصل ده مش هيتكرر تاني أبداً.



أعلنت بعنفوان قديم انكسر برحيل الغالي فاستعادته لتحمي ما
تركه خلفه

" و أنا مش هستنى لما يتكرر! "

تطلع إليها بتساؤل فتابعت بشراسة: يعني أنا مش هسمحك تغلط
تاني .. سواء يارادتك أو غصب عنك.

تنهدت ثم أعلنت في تقرير : لو بتحبها اتجوزها .. أو ..

تساءل بحذر : أو إيه !؟

أقلت بقنبلتها الأخيرة في وجهه : أو مراد يتجوزها!

غادر الغرفة بان دفاع غاضب، و قد فقد حق الانفجار بعنف ؛
الرفض القوي لزواجها من آخر .. حتى لو كان ما حدث لحظة
ضعف أدت لخطيئة إلا أنه لا يزال لا يستطيع الاقتراب منها.
الوضع هو نفسه ..



يحبها بل ان الحب قد فقد معناه معها فصار ما يحمله لها أكبر و
أعظم من مجرد مسمى تتناوله الألسن أحياناً بالحق و كثيراً
بالباطل .

تدور الأفكار في عقله و قلبه في دوامات لا تهدأ ..

لا يستطيع التوقف عن التفكير .. أو بالأحرى التمزق ما بين
خيارين كليهما مُر، لا تزال صورتها المصدومة أمام عينيه تؤلمه و
لا تنفك كلماتها التي قالتها باتهام مستحق تدور في عقله تثير به
شئات لا يتوقف و ألم حد إثارة حمم غضب و عجز و ...
غيرة سوداء صاحبت انتهاء تصريحها القاتل.

" قدامك حل من اتنين .. يا تتجوزها يا تسيبها تتجوز مراد "

ثم إعلان أخير أجبره على الاطراق برأسه أرضا في ذنب

" و مش عايزه أشوفك غير و انت بتقولي على قرارك "

توقفت قدميه أمام حجرة أبيه .. للمرة الأولى طواعية .. يرغب

أخيراً في الاستماع إليه !!

يبحث عن مبرر بعد أن سقط في نفس شركه السابق !!



كيف به أن يُحمِله ذنب هو نفسه اقتترفه في لحظة ضعف ..

لحظة فقد فيها عقله ..

فاتزانه ..

ف...

خان !

أتاها مقبلاً عليها بابتسامة خلافة تُضيء ملامحه فتألفت نظرات
الحب في عينيها، حاولت إخفاءها فعجزت عن ذلك خاصةً مع
تأمر خفقات قلبها ضدها بدورها فأخفضت وجهها في حياء بعد
أن تورد بصورة خاطفة للأنفاس.

ارتجفت حالما تناولت أنامله ذقنها وأجبرتها على النظر لأعلى ،
لعمق عينيه بلون البحر الذي ذَهَبَتْه أشعة الشمس، بدا من هذا
القرب بعيداً جداً ؛ طويلاً جداً بالمقارنة مع قصر قامتها المُلَفَت.
ازدردت لعابها في توتر يثيره بأنفاسها و حُمى تصيب جسدها في
اقترابه لاسيما و عينيه تحملان تلك المشاعر و بذلك العمق.



عادت تهرب بعينيها في خجل فأحاط بكفيه وجنتيها بإصرار
مُجبراً إياها على الإذعان لأسر عينيه .

همس برقة شغوف: بحبك.

امتلاً صدرها بعطره الأخاذ فاحتبست أنفاسها ؛ طرق قلبها أرجاء
صدرها بجنون شعر هو به تحت أنامله فوق وريدها العنقي
فابتسم في رقة متابعاً : عُمري ما تخيلت إني ممكن أحب أصلاً
.. كنت مفكر إني عمري ما هحس بيه لحد ما شفتك.

تنازعتها مشاعر شتى ما بين سعادة بالتصريح بحبه أخيراً مما أثلج
صدرها و غمر قلبها العاشق له بحب يفوق ما يحمله من الأساس
؛ و خوف لأنها ليست هي من يعتقد أنه يحبها.

عاد يعلنها بقوة أكبر: بحبك.

ارتجفت شفتيها تبحث عن كلمات تبعثرت على أطراف ثغرها :
أيوه بس .. أنا .. أنا ..

داعب الفم المرتجف بإبهامه ثم أحنى رأسه ليطبق على ثغرها
الذي تلعثت عليه الحروف فضلت الطريق؛



استجابت هي له في تلقائية و بعفوية شديدة و كأنما تعرف
الطريق جيدا لشفتيه ، ثغرها الذي لم يلمسه سوى أنامله و شفتيه
كان ينتظره هو بوجه خاص .. منحتها مداعبته و امتلاكه الأسر
الحياة ، توردت وجنتيها في خجل متأخر و ابتعدت عنه على
مضض تبث عن تماسك بعثره هو بغير رجعه ، تردد في همس
يذبحها " ليس لك .. و لن تكوني له "

شهقت ليقابل عينيها ظلام حجرتها لتكتشف أن أحلامها صارت
متطرفة فلم يعد يتعين عليها أن تُقاوم وجوده حولها فقط في
صحوها بل إن عليها أن تتعذب في نومها أيضاً.
تحركت في حذر لتجنب ألم ذراعها و نبض الوجد في رأسها مع
الحركة القوية.

أغمضت عينيها ثم أخذت نفساً عميقاً قطعته في منتصفه ؛ لأن
صدرها امتلأ بعطره بالفعل كما لو كان بقربها بالفعل ؛ اضطربت
أنفاسها بإدراك أن أحلامها صارت ملموسة لدرجة أن تشتم عطره
بذلك الوضوح.



خفق قلبها بحدة قبل أن تتلمس شفيتها برقة متذكراً أثر قبلته
التي لا تزال تسكرها ..

لقد كان أروع حلم عاشته حتى الآن ..

بل وربما أبداً !

دخلت الغرفة المجاورة لغرفة ابنها في المشفى تبحث عن زيد
لتراه ساجداً أمامها في خشوع .

ابتسامة شاحبة صاحبت اقترابها منه دون صوت لئلا تشتت
انتباهه ؛ أمّن قلبها و لسانها على دعواته الخاصة بعمر و بها و به
ثم اتسعت عينيها في صدمة و هي تستمع لبقية دعواته الخافتة ؛
تهالكت على المقعد المجاور لها و تجمعت الدموع في مقلتيها

انتهى من صلاته ليجدها بالقرب منه تنظر إليه في ازدراء .

زوى ما بين حاجبيه في تساؤل فبدأت هجومها من فورها : حتى
إنت يا زيد .



هزت رأسها في رفض قبل أن تُقرر : كلكم زي بعض .. كلكم
 أنايين .. الحب عندكم وسيلة عشان توصلوا لغرض واحد بس
 منا .. أنا كنت مفكراك غيرهم .. كنت مقتنعة إنك بتحبها فعلاً
 .. كنت ..

أمسك كفيها متطلعاً إليها في عدم فهم لتلك الاتهامات التي
 صبته على رأسه في اندفاع .

قاطعها : أنا مش فاهم حاجة .. إيه اللي حصل لكل ده.
 جذبت كفيها من بين يديه في عنف ثم تطلعت إليه بكره : يارا
 حامل !؟ .. بتدعي ليارا و لابنك .. انت ازاى تعمل فيها كده ..
 ازااااي.

أخفض رأسه في ندم : أن قلبه للذكرى ، يشتاها حد المرض.
 تنفس بعمق ثم بدأ بالكلام مع بسمة مريرة صاحبت الذكرى و
 بدأ بسرد الماضي الذي جمعهما .

_ أنا بحب يارا من و هي طفلة .. كنت دائماً بحس ناحيتها
 بحاجة مختلفة رغم فرق السن الكبير اللي بينا بس لقيتني بحبها



و هي كمان .. تقدري تقولي انها حبيبة عمري و أنا الوحيد اللي
 قلبها فتح على أيدي .. كانت معتبراني كل عيلتها .. كبرت على
 أيدي لحد ما راحت الجامعة و كنت بموت من خوفي عليها و
 منها .. كنت خايف لما تبعد تبطل تحبني أو حد ثاني يبعدها
 عني .. بس كل مرة كانت بترجع فيها كانت بتبقى مشتاقة أكثر و
 حبي بيزيد جواها أكثر.. لحد ما خالي بعثلي قبل ما يموت بأيام
 .. سافرت و عرفت قصتك مع مراد و طلب مني أفضل جمبك
 انتِ و عمر .. متصوريش وقتها كرهت مراد أد إيه .. خصوصاً
 لما عرفت بمرض عمر و إزاي انتِ اتعذبت لوحدك الكام سنة
 دول .. قررت أنتقم منه .. و لأنه كان بره ساعتها مقدرتش
 أواجهه و لا أجيبك حقك منه .. قررت ساعتها أخليه يجرب
 نفس الإحساس مع أخته الوحيدة .

تطلع لتعبيراتها المستاءة و المتأثرة في نفس الوقت ثم تابع : لما
 رجعت مكنتش قادر أشوفها يارا اللي بحبها .. يارا بنتي قبل ما
 تكون حبيبتي .. كنت شايفها أخت مراد و بس .. و بدأت



أحاول أستغل حبها مرة و اتنين و ثلاثة .. بس هي بكل براءة
كانت بتنسف كل خططي .. لقيتني مش قادر .

جابهته باتهام مكذبة ادعاه : بس حصل و انتقمت فعلاً .

أقسم : و الله أبداً .

زم شفتيه في غضب من نفسه و منها على حد سواء : اللي حصل
بيننا كان غلطة .. لحظة ضعف و هي .. هي بريئة بغاوة .

زفرت زهرة في حنق: غلطة قررت تستغلها مش كده!؟!

دافع عن نفسه مبررا تصرف دنيء بفعل أكثر دناءة: عشان خاطر
عُمر .. كان لازم أجيب فلوس علشان العملية .

وقفت أمامه و قد اشتعلت غضباً و حنقاً من غياب ذكوري تكون
الأنثى هي أول ضحاياها و آخرها .

دفعت يدها صدره في ثورة متابعة اتهاماتها مزللة بها كيانه: و
انتقمت .. و جبت الفلوس .. و شمت في مراد مش كده!؟!

ضحيت بقلبك و بحبك و جرحت و دمرت واحدة بريئة تانية

مش كده .



اختلف صوتها بعبراتها التي مسحتها بقسوة ثم أعقت: وهي
ذنبها إيه؟! .. و أنا ذنبي إيه؟! .. و غيرنا و غيرنا .

حين تخطئ الأنثى يظهر لها من كل ركن جلاد و من كل
منعطف قاضي؛

أما حينما يخطئ الذكر لا تجد سوى مبرر تلو الآخر و يتحول
المجتمع كله لشاهد لإثبات براءة هي بريئة من أخطاءه من
الأساس.

ابتسمت في مرارة : اللي حصل ده يكسر أي حد و خصوصاً لو
كان من حب العمر زي ما بتقول .. ادعي ربنا انها تسامحك و
ادعي كمان يحفظ ابنك عشان لو خسرته بسببك هتبقى خسرتها
للأبد.

تطلعت إليه بحزن قبل أن تغادر لتطمئن على ابنها و تترك زيد
غارقاً في ندمه و تيهه و ..



تضرعته بأن تسامحه يارا ..

حبيبة عُمره!

تابعت بعينها ملامح يارا الشاردة .. الحزينة على الدوام منذ
موت والدها و اختفاء زيد.

حاولت تمارا أكثر من مرة أن تخرج منها أي بوح عما يدور
بداخلها إلا أنها كانت ترفض بإصرار.

حاولت إكساب صوتها بعض المرح و هي تغمغم: يارا .. انتِ
جايه تسليني عشان تعبانه و لا جايه تسرحي !؟

ثم تابعت بخبث : لو زيد وحشك أكلمه يبجي فوراً.

تطلعت إليها في تشتت ؛ تعلم أن ما فعلته هو الصواب ؛ طلاقهما
كان أمر جعلته الظروف واجبة .. النسيان في حالتها يرتقي
لمرحلة الإلزام .. الوجوب قطعاً ..

ولكننا أحياناً ..



نخدع أنفسنا ونوهمها بالنسيان حتى نضمدها ظاهرياً، كمن يتناول المسكنات لتسكن الألم مؤقتاً أما في الواقع ، فلا الألم أنتهى و لا المسكنات ساهمت بأن تُجدي نفعاً.

كانت يارا تعلم أن تمارا كانت شاهدة على ما حدث معها منذ البداية و لكن كبريائها يأبى أن تُعري روحها .. تُظهر مشاعرها القتيلة أمامها أو أمام أياً كان.

زفرت في ألم أصاب تمارا بالحزن ؛ تشعر أنها اكتشفت الأمر؛ و من قد يحتمل جرحاً كذاك و من شخص أحبه لتلك الدرجة. أشارت إليها تمارا لتقترب أكثر ثم فتحت لها ذراعيها ؛ ترددت يارا للحظات قبل أن ترتمي بأحضانها .

تماسكت للحظات قبل أن تجهش بالبكاء حد الأنفاس المتلاحقة؛ هدهدتها تمارا حتى هدأت وتيرة بكاءها أخيراً. ثم تمت بصوت غلفه الحزن : و بعدين بقى في العبط ده ؟! .. مفيش حاجة في الدنيا تستاهل إنك تعملي في نفسك كده.



ابتعدت يارا قليلاً لتمسح عبراتها فامتدت أنامل تمارا لتفعل
المثل .

شهقات بكاءها سيطرت على صوتها : أنا .. أنا موجوعة أوي يا
لمى .

ثم أشارت لصدرها موطن القلب : قلبي واجعني بجد .

هتفت تمارا بحنان غامر : سلامة قلبك .

تابعت يارا بذات النبرات المتقطعة بفعل البكاء: أنا أد كده كنت
ساذجة .. أد كده كان سهل يضحك عليّ بإسم الحب .

ربت تمارا على ظهرها في حنان : الحب مش إنك تكسبي قلب
يحبك و بس عشان الحب في حد ذاته سهل أوي .. الأصعب
إنك تلاقي القلب اللي مستعد يبيع الدنيا عشانك .. يفكر ألف
مرة قبل ما يجرحك أو يأذيك .. يحميك من الوجع و الجرح و
الخوف عشان انتِ منه و اللي ممكن يوجعك أكيد يموته .

تطلعت إليها بحزن : زيد كان كده .. كان .. كنت مفكره أنه كده
لحد ما جرحه قتلني .. موتني .



تنهدت تمارا في عمق : مفيش جرح بيقتل و لا حبيب ممكن
نموت بعده .

ابتعدت عيناها و تابعت في شرود : بس في شخص واحد بس
ممكن يحقق لك كل اللي قلته .. هو أينعم صعب تلاقية ..
يمكن يكون موجود في آخر الدنيا .. و بظروف قدرية تقابليه و
تحبيه .. بيبقى في حاجة جواك بتقولك إن هو ده .. و ان
الشخص ده بالذات ملوش بديل .

تطلعت إليها يارا في ذهول و عدم فهم : انتِ بتكلمي عن
مين؟!!

اكتشفت تمارا أنها تتحدث عن حالتها هي فاستدركت :
الشخص ده لما تلاقية .. اوعي تفرطي فيه و لا تفكري إن يكون
ليه بديل في قلبك حتى .. حتى لو عُمره ما هيكون ليكِ .
شعور القهر لم يقل أبداً بداخل صدرها بل ازداد: زيد .. زيد طلع
متجوز و عنده ولد مريض .. ليه عمل في كده و ليه من الأساس
يعمل فيهم كده.



صمتت تمارا فليس لديها إجابة على سؤال يارا؛ هي متأكدة أن
زيد يعشقها؛ قلب كقلبها لن يخطئ اكتشاف الفرق بين رجل
عاشق و آخر يمارس الخداع .

هزت كتفيها في حيرة: إجابة السؤال ده عند زيد .. زيد لوحده.

تطلع للراقد أمامه بمشاعر بلا تفسير؛ ربما لأنه لم يحاول ترجمتها
أو لأنه لم يكن يعتقد أنه قد يأتي اليوم الذي يذهب إليه بقدميه
من الأساس.

اقترب من فراشه في خفوت ؛ أشار للممرضة المرافقة له
بالخروج ؛ جذب كرسي ليضعه بجانب الفراش متمعناً في الراقد
أمامه وقد أنهكه المرض والوحدة.

رفرف الأب بعينه للحظات قبل أن يطلب بهمس : مايه ..
كوباية مايه!؟



سكب ياسين القليل من الماء في كوب ؛ ساعده في الاعتدال قليلاً فتطلع إليه الأب في ذهول ؛ وضع ياسين الكوب على فمه ؛ ارتشف الماء على جرعات ثلاث قبل أن يهمس : الحمد لله .
أخفض ياسين رأسه و ربما خامره شعور بالندم ؛ ما زال ما رآه في صغره يؤلمه كما كان لحظتها إلا أنه لم يعد يرفض استماع تبرير قد لا يجعله يسامحه و لكنه على استعداد للفهم الآن .

هم بالخروج إلا أن تضرع الأب باسمه استوقفه

"ياسين"

سؤال وحيد قذف به في صمت الغرفة فدوى كقنبلة

"حيثها؟!!"

أوماً الأب برأسه و قد ترغرغت عينيه بالدموع لذكرى بعيدة في الزمن .. قريبة من القلب .

قلبه لا يزال يبكيها حتى اليوم .

تمتم بأنفاس مختنقة : تقدر تقول محبتش غيرها !



زوى ياسين ما بين حاجبيه في ألم : و أمي ؟!

تنهد الأب في استسلام : حبي لأمك مختلف .. عشرة .. تعود ..
احنا اتجوزنا لأننا كان لازم نتجوز .

_ و مرات عمي ؟!

شرد بعينه و علت شفثيه ابتسامة مريرة: أمال كانت حبيبتى من
قبل ما أشوف أمك .. بس أمك هي اللي كان لازم أتجوزها .
تنفس بعمق و تابع : و يا ريت كان عندي شجاعة أخوك و
أرفض المفروض و أمشي بس ورا قلبي .

بدأ يقص عليه ما صار قبل أكثر من ثلاثون عاماً ؛ و كيف أنه
عاد من الخارج ليجد أن زفاه قد تم تحديده بالفعل فلم يستطع
الرفض و خاصةً أن كليهما ابنتى عمه ؛ حاول كثيراً أن يجبر قلبه
على زوجته إلا أنه لم يستطع كما أنها لم تساعد أيضاً؛ كان كلما
أزال بعضاً مما بينهما ليقترب يجدها تبني ألف حاجز و حاجز
آخر .



و حينما قرر أن يُخبرها برغبته في الزواج من أخرى مع فرصة
تخيرها بين الماضي قدماً في زواجهما أو انهاؤه ؛ اكتشف حملها
بابنه الأول.

و توجب عليه أن ينتظر حتى تمضي شهور الحمل ووضعت فريدة
مولودها الأول ؛ و قبل أن تسنح الفرصة لطلبه من جديد أتى
الأخ الأصغر من العسكرية ليطالب بابنة العم الأخرى زوجة .
تطلع إليه ياسين في ضعف ؛ يشعر تماماً بصعوبة ذاك اليأس
المصاحب لزواج من يحب من آخر ؛ أن يمتلك الآخر كل
الحقوق التي من شأنها أن تشعل في قلب المحب الحريق.
تساءل بخفوت: طب ليه و بعد كل ده ما استسلمتش لقدرك و
عشت راضي بقضاء الله و باللي قسمه ليك.. ليه تخون.

انسابت دموع القهر من عيني الأب: عارف يعني إيه يبقى قلبك
متبرمج على شخص واحد بس .. يمكن غصب عنك أو يارادتك
انك تعزل عنه أي حد تاني .. حاولت .. و الله حاولت عشان
خاطرك و خاطر أخوك .. فريدة كان ليها معزة خاصة بس مش
زي أمال.. و دي حاجة كانت غصب عني!



خفت صوته و هو يتابع: أنا مش خاين يا ياسين .. أنا غلطت مرة .. مرة واحدة بس بس غلطة بألف غلطة .. غلطة العمر!

تتابعت المشاعر على وجه ياسين ما بين ألم و عجز ؛ لأول مرة يكتشف أن الحب لعنة تلك العائلة.

لا أحد منهم كامل ؛ و لم يستطع أحدهم أن يقاوم الوقوع في شركه.

الحب مصيدة من علق بها انتهى أمره و ظل أسيراً له للأبد.

غمغم ياسين بشرود : الحب ده شيء غريب جداً .. بيخطفك لما تبقى متأكد انك في معزل عنه .. انك أقوى منه .. بيجبرك إنك

تسلم مهما دافعت عن قلبك .. مهما قتلته إن الحب ده مستحيل

.. إنك مش عايز .. ان مينفعش تتجاهل مسؤولياتك .. انك

تتخلي عن وعودك .. بياخدك غصب عنه لسكته.

تطلع إليه الأب في اشفاق .. فلقد أصابته لعنة تلك العائلة .



قد يبدو رجالها أشداء ؛ يحملون قسوة يتميزون بها عن غيرهم إلا أنهم حينما يخفق ما بين جنبيهم لا يتورعون عن ارتكاب الجنون ذاته في سبيل من يحبون.

توجه ياسين لمغادرة الغرفة فاستوقفه الأب منادياً إياه في رجاء

" ياسين "

توقف ياسين قبل أن يلتفت برأسه في استفسار ليتابع الأب

" سامحني يا ابني ! "

زفر ياسين من أعماقه

" ربنا يسامحنا! "



الفصل الثاني و العشرون

بين نظرة و نظرة ..

توارت واحدة تعني الكثير و تخفي أكثر.

و ما بين كلمة و كلمة ..

أُقيت واحدة عرضا أو سقطت إحداها سهوا ؛

تنفي ما قد أُعلن و تُصرح عن الكثير مما تخفيه أعماقنا.

نظرة هي في الأساس رسول لمشاعر تستوطن القلب.

كلمة تعنيها حقا و لا تملك شجاعة التصريح بها فسكنت

أعماقك ..

حتى حين!!



تابع ثلاثتهم نور و التوأم يلعبون في صخب يحاولون سرقة بضع
بسمات من على أفواه الصغار الذين تتعالى ضحكاتهم المرححة ؛
غير حاملي هم قلب يحب بيأس و آخر خدعه الحب ليقتل
كبرياؤه و ثالث يشعر بالامتهان .

دموع ملأت عينيها مع بسمه شاحبة علت وجه تمارا ؛ أنين يغمر
القلب ما بين ألم مصاحب لغيرة على حبيب يمتلك شغاف
القلب و لا تمتلكه هي .

حب كان من المفترض به أن يمنحها سعادة لا توصف ليكسبها
شقاء لم تتخيل انها قد تشعر به في حياتها .
حبيب انتظرته طويلاً ليلقيه القدر أمامها تماماً بعد أن قيد روحها
و كيائها بأكملة بأغلال أبدية .

ترك لها فقط حرية قلبها فخفق و عشق ، سلم و استسلم
لمن أحب مانعاً إياها حرية التعبير عنه أو حتى رفاهية التصريح
به .

سرت بضع ابتسامات و بكى قلبها يتم المشاعر!



حاولت يارا بدورها الانخراط و اللهو مع الصغار كما اعتادت
لتكتشف فجأة أنها لم تعد تستطيع ذلك.

لقد فعل بها الجرح الأسوأ على الإطلاق ..

لقد هرمت روحها المرححة !

استنزفها الألم حتى الأقصى ؛ فـ وأد قلب دوماً كان طفلاً مرحاً
يلهو و يلعب ألعاب الصغار.

دلال تشبعت به حد الثمالة فاختنقت به أنفاسها حد الغرق!

شعرت بالحنين لأيام كانت لا تحمل للحياة همماً ؛ تفعل ما تريد
وقتما تشاء ؛ ضحككتها المرححة تدوي في أرجاء البلدة بأجمعها.

لقد أضاف لها الجرح عشرات الأعوام فشابت مشاعرها قبل
الأوان!

إلا أنها و مع ذلك كله حاولت ..

حاولت سرقة بضع ابتسامات بدورها ..



ليس من أجلها و لكن من أجل صغير يسكن أحشاءها..

لا ذنب له!

أما عنه .. فتطلع لابنته بحب فطري خُلق به ربما ؛ أضاف عليه

حنان يمتاز به دون غيره.

يُري أم كان بإمكانه منحه أفضل منها؛ يعني قلب منح و منح حد

الجفاف فاستغلت هي كل ذلك حتى استنزفته بالكامل و ياليتها

اكتفت !

أخذت منه ما أرادت و بحثت في غيره عما تريد ..

و ما بينهما تركت قلب أحبها يقسم أن يمتهن القسوة فيطردنها من

قلبه بلا رحمة!

ضرب كفاً بكف و غمغم بسخرية ممطوطة جذبت إليه ثلاثة

أزواج من العيون الحانقة

" البؤساء !! "



هتف رمزي في غضب مبطن بالتهديد : مراد ! .. خليك في
حالك!

أشار إليهم بإصبعه في اتهام و ابتسامة ساخرة تعلو شفثيه :
بذمتكم دي وشوش تقعد ما أطفال .. هتعتقدوهم.

تطلعت إليه يارا في حنق مازال يُغضبها أن الجميع خذلها في
زيجتها و خاصةً مراد الذي أخبرها زيد أنه السبب فيما صار ؛
ربما كانت لا تدرك كيفية ذلك إلا أنها على الأقل تعلم جيداً
أنهما صديقين و أن الطيور على أشكالها تقع.

هتفت : ده على أساس إن حضرتك الملاك البريء .. يا ريت
تبص لنفسك الأول .

غمغم من بين أسنانه : بلاش تخليني أتكلم يا يارا .. انتِ عارفة
إن كلامي مش هيعجبك .

بنبرة تحذيرية و ملامح قاسية : مراد!!



فتحت فاها للمرة الأولى منذ مدة فأتى صوتها أجش ؛ أشارت
للمكان الذي تواجدوا فيه و الذي كان الحديقة الخلفية في منزل
ياسين الجبالي.

" تفتكروا إن هنا المكان المناسب للكلام اللطيف ده؟! "

تنهد رمزي محاولاً استدعاء ثبات يفتقده : معاكِ حق.

رفع مراد كفيه في استسلام للأمر قبل أن يتوجه بالحديث إليها :
عايز أتكلم معاكِ.

تقلصت معدتها في توتر ؛ تعلم أن ذلك الحديث آتٍ لا ريب ؛
مهما تأجل .. مهما تجاهلته سيأتي حتماً و هي حتى الآن لا تعلم
كيف ستتصرف في هذا الأمر.

وقف رمزي في مواجهة أخيه و قد فطن لما يريد أخاه فوضع
يده على صدر أخيه يدفعه برفق عنها في حماية.

" مراد .. إبعد عن لمى ! "

اقترب بشفتيه من أذن أخيه ليهمس في تقرير قاسٍ : تُقصد

تمارا!



شهمت تمارا في رُعب و هي تتلفت حولها في دُعر ؛ تخشى
المُحتم و تعلم أنه آتٍ بدوره ؛ و ترتعب من ذلك اليوم حد
الموت .

حان الوقت لتبادل الأدوار فاحتوتها يارا تلك المرة بحنان و
همست تطمئنها

: ما تخافيش يا حبيبي كلنا معاكي.

تطلعت إليها في صدمة ؛ يارا أيضاً كانت تعلم بالأمر .

كل جهودها لإخفاء سرها باءت بالفشل ؛ و للمفارقة كانت
مساعدتها لها في محنتها هي سبب ذلك كله.

ربت تمارا على ذراع يارا بذراعها الخالي من الجبيرة ؛ ابتعدت
عنها بصمت و عينيها تتطلعان لرمزي الذي وقف بتحفظ أمام
أخيه ؛ ارتجف ساقيها حالما وقفت لتواجهه.

و لكم بدت ضئيلة الحجم بينهما كطفلة تحاول فض نزاع بين
شقيقين بسببها.



غمغت بتحشرج اكتسى به صوتها : سيبه يا رمزي .. أنا كمان
عايزه أتكلم معاه.

أشار بيده إيداناً بالتحرك بعيداً عنهما ؛ سارا متجاورين لبعض
الوقت ، ابتعدا قليلاً قبل أن يقطع الصمت : يا ريت تكوني
فكرتي و أخذتي قرارك.

توقفت ثم استدارت لتواجهه لتتساءل في اهتمام : ممكن أسألك
سؤال ؟!

أوما برأسه فتابعت بتساؤل غلبه الفضول : انت ليه بتعمل كده ؟!
هز كتفيه و هو يدعي عدم الفهم : بعمل إيه ؟!

عادت تواجهه بقوة أكبر و نبرات حازمة و لائحة في نفس الوقت
: ليه مُصر إنك تخلي اللي حواليك يكرهك .. ليه تثير فيهم

النفور بدل القرب .. ليه مصمم تبعد اللي بيحبوك عنك أو اللي
ممكن يحبوك في يوم من الأيام ؟!

غمغم بلا مبالاة : لأن ده ببساطة أنا !!



نفت دوراً يحاول لعبه أو مكانةً حبس نفسه فيها ربما بإرادته و
ربما وجد نفسك فيها فعجز عن تغييرها: مش مصداقك!
أحياناً تجربنا الظروف على أداء دور معين في مسلسل الحياة
الهزلية ؛ و كثيراً جداً ما يلتصق بنا هذا الدور و نتقمصه حد
التغلغل بنا ؛ حينها يُصبح متابعة هذا الدور حتى لو كرهناه أيسر
كثيراً من العودة لحقيقتنا التي تناسيناها مع مرور الوقت.
بسمة هازئة تبعتها تساؤل ساخر : و ليه بقى مش مصداقاني!؟
أجابت بتقرير : لأن اللي يحب أخته بالطريقة دي .. و يخاف
عليها كده مش وحش .. و اللي يحاول يهذب من نفسه عشان
بنت أخوه اللي عينيه بترسم قلوب لما يبشوفها مش كده .. اللي
بيلجأ لأخوه رغم كرهه ليه أو نفوره منه لأي سبب من الأسباب
مش كده .

حاصرته بعينها لترى مدى تأثير كلماتها عليه : انتَ مش
الشخص ده يا مراد .. انتَ بتستخبي وراه من حاجة أكبر من
كده بكثير.



أصابت بكلماتها أعماقه ؛ ربما كان معها بعض الحق و لكنه
ليس الملاك الذي تتصوره أو تحاول أن تفرض وجوده بالقوة.

هو مذنب حد براءة لا يذكرها ..

أناني لدرجة الهوس ..

مُصاب بالحب تجاه أخته و ابنة أخيه ..

و ربما أخيه حتى لو كره الاعتراف بذلك ..

و لكن ..

كل هذا لا يشفع له أنه عبث حد الإجرام ..

ظلم حتى أوشكت روحه الطيبة على لفظ أنفاسها الأخيرة!

لا يدري لمَ في تلك اللحظة طافت صورة أمه بعقله !؟

ربما لأنها كانت تختلف كلياً عن الماثلة أمامه بكل ثبات !

تمارا كانت نقيض أمه في كل شيء؛ حينما آثرت والدته نفسها

على الجميع حد فعل المستحيل لتحقيق رغباتها الشخصية بكل

الوسائل المشروعة و غير المشروعة كانت تمارا تمنح نفسها



للأقصى دون أن تنتظر مقابل أو تفكر حتى في عرفان بجميل لا
يدري أحدهم أنها تفعله من الأساس.

رد على تساؤلاتها بسؤال بدوره : انتِ اللي ليه بتعملي كده؟!
هزت كتفيها ببساطة و قد ارتسمت بسمة مطمئنة على وجهها: أنا
بعمل اللي كان لازم أعمله .. مش تفاني و لا تضحية و لا كل
الكلام الكبير ده .. أنا كنت أمل أختي و جوزها الوحيد .. تخيل
أب و أم سابوا ولاد ملهمش حد غيري في الدنيا .. قبل حتى ما
يلحقوا يحفظوا شكلهم .. كان لازم أنفذ وصيتهم .. كان
مستحيل أسيبهم لحد غيري يربيهم .. دول الذكرى الوحيدة اللي
باقية من أختي .. كان ممكن بكل بساطة أربيهم بعيد و محدش
كان هيعرف إنهم موجودين أصلاً و أنا كنت هتكفل بيهم و
هقدر .. بس كان من حقهم يعرفوا أهل أبوهم .. مكنش ينفع
أحرمهم من حبهم و لا اهتمامهم.

_ و ليه تاخدي دور مش دورك؟!!

ابتسمت بمرارة : تفتكر لو كنت قتلهم أنا خالتهم مش أمهم كان

هيبقى ليّ حق فيهم؟!!



تفرس في ملامحها الجميلة التي علتها مسحة شجن: و ده مش
ظلم ليك .. مش حرمان من حقك في الحياة!؟!

ابتسمت : كفايه إني معاهم ووسطهم .. أنا راضية بدوري ده جداً
و مش عايزه أكثر من كده في الدنيا.

بدأت تتسلل لأعماقه ؛ يحترمها .. يُقدرها .. يشعر أنها ستكون
الدواء لكل جروح نفسه النازفة.

عاد يطلب ما طلبه منها من قبل و لكن برجاء تلك المرة : عايزك
.. محتاجك في حياتي يا تمارا.

تطلعت إليه بتساؤل: اشمعنى أنا!؟!

اعترف للمرة الأولى و لكنها كانت تحمل ذلك التأثير و لقد
اختبره بنفسه ؛ كانت بكل بساطة تستطيع انتزاع كل البوح الذي
تكتمه بداخلك ..

معها يشعر المرء أنه يتحدث مع نفسه ؛ تستجوب دون فضول ؛
تهتم دون أن تشعر من أمامها أنها تمن عليه ؛ تستمع مع شعور
عميق بالحبور لأنها بكل بساطة تجلب الراحة.



_ في البداية كنت بحلم بالأطفال بعد مشكلة صحية اتعرضت
ليها .. كنت بدور على أي واحدة و السلام عشان أقدر يكون لي
ولاد و انتِ عندك توأم فطبيعي هتكوني اختيار مثالي؛ بعدين
عرفتك انتِ .. شخصيتك لفت انتباهي .. روحك المختلفة عن
أي واحدة عرفتها .. دلوقتي بقيت محتاجلك انتِ بالذات و
متأكد إنني عمري ما هلاقي حد زيك.

تابع بندم : أنا غلطت كثير أوي .. و ظلمت بنات كثير أوي .. أنا
مش الملاك اللي انتِ متصوراه بس بيك و معاكِ هقدر أكون
الشخص اللي بتتمنيه .

اعترضت : بس أنا مش لمى أم التوأم و ممكن جداً أكون مش
بخلف.

تنهد: ممكن طبعاً بس وجودك في حياتي مكسب سواء بولاد أو
من غيرهم أنا متأكد.

أطرقت برأسها و تساءلت بخفوت: و لو رفضت!؟



صمت قليلاً ثم تابع : من حقي أضغط عليكِ و أهددكِ عشان
تقبلي!

هزت رأسها في يأس : و مين إداك الحق ده !؟

ابتسم بسخرية: أنايتي اللي بتحاولي تقنعيني إنها مش موجودة .

هتفت بضعف المهزوم يغالبها شعور من خسر معركة بالغة
الأهمية

معركة تتوقف عليها حياتها بأكملها.

" مراد "

زفر في حرارة تبعها تمتمة من بين أسنانه و كأنه يُصارع نفسان
بداخله ؛ مراد القديم و ذلك الذي يرغب في أن يكونه معها.

" هسيبك تفكري كويس و مش هضغط عليكِ "

تهلل وجهها قليلاً قبل أن يتابع : بس بشرط!



اختفت البسمة من على وجهها بنفس سرعة ظهورها حالما أكمل
: إدي لنفسك فرصة و أنا كمان محتاج فرصة بجد .. مش يمكن

تحبيني!

شردت تفكر في من استوطن قلبها ؛ و كأن كل فرص العالم
لرجاله أجمع قادره بزحزحته من بداخلها.

انتهى العشاء بسلام و غادرت فريدة لغرفتها في حين اتجه ياسين
لغرفة المكتب حيث عاد التوتر يُخيم على الأجواء من جديد ؛
تشعر بأن هناك أمر جلل لا تعلمه بين ياسين و فريدة.

كلاهما لا يُفصح عما بداخله فقط ياسمين تبدو عليها السعادة
جلية ؛ بل إنها تبالغ في إظهارها أحياناً ؛ كمن يتعمد إثارة ضيقها
بالاهتمام الزائد بزوجها أمامها.

صارت أكثر ثقة ؛ أكثر تباشطاً معها ؛ لم تعد تجتنبها كالسابق ؛
و كأن ياسين كان حجر عثرة بينهما و بامتلاكه لم يعد لكرهها أي
أهمية.



لم تكن تعلم حقاً أن ياسمين تخاف أكثر من ذي قبل ؛ تكرهها
كما لم تكره أحد في حياتها .

لا تزال تشعر بأنها السبب الوحيد لتحيا هي في شقاء طوال
عمرها!

كل ما تفعله كان قناعاً زائفاً يخفي ما بداخلها!

تحاول أن تبدو بمظهر العروس السعيدة ؛ الغير حاقدة على زوجة
حبيبها السابق ؛ تحاول إثارة ضيقها و غيرتها بكل السبل لتذيقها
بعض مما اختبرته و لا تزال تواجهه بسببها.

أما عنها هي ..

تمارا ..

فصار أي مكان يجمعها معه مؤلم لأبعد حد ؛ قلبها الذي يخفق
له بيأس و عينيها اللتان تحرمهما لذة البحث عن عينيه في لهفة
قد تعلن عن مشاعرها بوضوح.

ذلك الحزن الذي صار يسكنه و كأنما انتهى كل ما يربطه بذلك
العالم فزهد كل ما فيه.



أحياناً تود الصراخ برغبتها في التواجد حوله ..

تحلم أنها تحمل مصباحاً سحرياً قادر على ابتلاع كل الظروف
التي تُبعدهما عن بعضهما البعض .

بل إن مارد المصباح قادر بأن يجعلها تبدأ الأمر من البداية
فيجتمعاً معاً دون أي قيود .

التقى بها في طريقه لغرفته ؛ كالمعتاد تحاول الهروب من التفكير
فيه برواية تعشقها

" كبرياء و هوى "

ابتسم للذكرى حالما تبين عنوان الكتاب بين يديها و منحها نظرة
خطفت أنفاسها ؛ نظرة اختفت من عينيه لبعض الوقت ؛ تلك
النظرة قادرة على جلب ابتسامة بلهاء لشفيتها مع حمرة خجل
فاتنة لوجنتيها ؛ نظرة يودعها عشقاً يهرب منه و تتجاهله هي
مدعيةً أنها لم تره .

لا تستطيع معها سوى الأمل حد الألم ..

سوى الطمع حد طلب المستحيل ..



سوى التمني حد اللامعقول ..

لتعلن بقلبها ..

أبدأ لست طامعة بك ..

أنا فقط لا أريد ..

سواك!!

عيني فريدة اللائمتين دون حديث أعادته للواقع الذي يخلو منها

رغماً عنه ؛ أحجمت الحلم .. عادت تضعه في منزلة خائن

الأمانة ..

خائن لذكرى أخيه ..

خائن لزوجة ..

خائن لحرمة أنثى استأمنته على نفسها

فخان .

ولأن الخيانة وصم شديد القسوة ..

تمنع ..



تحرم ..

تأخذ كل الحقوق في أن يصرخ بها و به حين تبتم لمداعباته ؛
حين يأخذها و التوأم لزهات خارجية تعود بعدها مبتهجة ؛ حين
تسمح له بالحديث .. بالقرب .. بمشاركتها أفكاره و أحلامه ..
بإعطائها السعادة التي تستحق ..

و الأكثر ألماً على الإطلاق أنها تمنحه حق اشتهاها !!

يكنم صرخاته داخل صدره فتنفجر بها أعماقه بلا رحمة ..

لا يملك حق التعبير عن غضبه و غيرته ..

يود لو اجتذبها من شعرها الطويل كأنثى رجل الكهف ليحبسها
في كهفه الخاص ..

لا ترى غيره و لا تشغل قلب أحد سواه!

خاصة ابن عمه ..

مراد الذي لا يعرفه حقاً غيره ..

لا يليق بها و لا يمكن أن تكون له أبداً !



بل للحق ..

لا تليق بأي رجل ..

هي أنثى أخيه و كفى ..

أغمض عينيه في عجز و نهشت الغيرة قلبه ؛ حتى ذكرى أخيه
كأول رجل في حياتها تثير حنقه.

لمَ لم يراها قبلاً!؟

لمَ لم تحبه و يكون بقلبها الوحيد!؟

حينها كان سيتحدى العالم أجمع ليحصل عليها دون أدنى تردد!

أصبح وجود مراد واقع خلال الأيام الماضية؛ يكاد ينفجر دون أن
يتمكن من الكلام و هو يراه يوماً بعد يوم يمارس اقتراب
تكتيكي منها و من التوأم.

الأيام السابقة كانت كالعيش في الجحيم حرفياً!



طوال أيام توقف عن حصرها لم يكن له من ملجأ سواها ..
تجاهلها أو بالأحرى هرب منها .. من إحساسه بالذنب نحوها ..
يعاقب نفسه بالحرمان ف تفتح له الأخرى ذراعيها تمنحه أكثر
مما يرغب و أوفر بكثير مما يريد و كأنها ..

و كأنما تعلم أن قلبه مشغول بسواها فتبذل أقصى ما تستطيع
لتحتويه.

تأفف وازاه صفق باب غرفته فانتفضت للمفاجأة قبل أن تلاحظ
أنه يتميز غيظا من شيء ما لا تدركه .. ملامحه تبدو و كأنما
قدت من حنق .. ما بين زفرات هنا و ركلات هناك تصاحبها
تحركاته العنيفة في فراغ الغرفة الذي يضيق أمامه حد الاختناق
في تلك اللحظات.

ابتسمت بدلال ؛ تدرك جيدا كيف بإمكانها تعديل مزاجه
المنزعج بشدة.

تهالك على الفراش بعصبية لم يؤثر الحمام الذي أخذه للتو في
تهدئته.



خلال لحظات غيابه كانت ارتدت ثوب نوم حريري أسود اللون
 .. قصير حد الوصول بالكاد لمنتصف فخذيها .. شفاف حد
 إخفاء لا شيء تقريبا حتى أن بشرة جسدها البيضاء ظهرت جلية
 تحت ثوبها المغربي حد إغواء قديس .

انتفض بدوره حالما لامست أصابعها عضلات كتفيه المتشنجة
 همست برقة " انت متوتر كده ليه .. أعصابك متشنجة جدا "
 زفر في نفاذ صبر فيما غابت هي عنه للحظات .. رائحة عطرية
 لذيذة داعبت أنفه فيما عادت أصابعها لتدلك كتفيه في يسر أكبر

- هعملك مساج هيظبطلك الموود يا حبيبي .

تأوه في استرخاء و أصابعها تعرف طريقها تماما للوصول به لراحة
 فرضتها خفة أناملها السحرية مخففة تشنجات أعصابه شيئا
 فشيئا.

انتهت مهمتها على أكمل وجه رافق توقف أصابعها عن التدليك
 أخيرا .



بسمة راحة علت ثغره، امتد ذراعيها ليحيطا عنقه من الخلف ،
 طبعت قبلة رقيقة على خده فيما داعبت أصابعها صدره .. و كما
 توقعت تماما جذبها من ذراعها مديرا إياها لتصبح أمامه، جف
 حلقه عندما تمنع فيما ترتدي أو بالأحرى لا ترتدي.

جالت عينيه على جسدها المكشوف بفتنة حتى استقر على
 شفيتها المكتنزتين ياغراء ..

توقف عقله عن العمل .. عن التفكير ..

مارس الهروب الذي أصبح يجيده معها ..

هي تمنح بسخاء و هو يأخذ بلا وعي ..

و ما بين المنح و الأخذ ..

أنثى تبحث لقلبها عن مأوى و ذكر يحاول أن يمارس المفروض

يتبع المقدر ليهرب من رغبة حقيقة لا تشمل تلك الأنثى بين

ذراعيه .



و هناك في أعماق لاوعيه رآها ..

تمنح لغيره ما يتوق هو إليه .. لقد أصبحت له و شعر بأن حقيقة وجودها في حياة أياً كان ألما بدرجة قتل لا ينتهي ..

حد إزهاق الأنفاس مرة بعد مرة بعد مرة ..

فلا الموت يرحمه .. و لا الحياة تخفف عنه .

غريب هو ذلك القلب بين ضلوعنا ..

يخفق .. فيجبرنا على الإقتراب .. نخاف أن يُجرح فنسارع
بالابتعاد.

و في النهاية ..

لا الاقتراب يشفع و لا الهروب يمنع ما سطره القدر على قلوب
البشر.

تطلع للراقدة بجانبه غارقة في نومها بندم ..

عاجز عن الشعور بها كما ينبغي ..

عاجز عن الإخلاص لها كما تستحق ..



عاجز عن التوقف عن التفكير في غيرها حتى في أكثر اللحظات
حميمة بينهما!

يكاد يجزم أنه تحول لآخر لا يعرفه بعد أن استوطنت قلبه ..

بعض المشاعر تستقر في القلوب كرؤوس الدبابيس كلما تنفست
أوجعتك!

لليوم ال...

لم يعد يُحصي أيضاً متى توقف عن النوم كما ينبغي ؛ كانت
تستعد للخروج برفقة مراد و التوأم .

تتحدث بتلقائية عن نزهة على شاطئ البحر و تتساءل عن كريم
واقى من الشمس خاص بالتوأم.

مبتهجة لدرجة تؤلم القلب ..

هذا أيضاً اعتاده !

زفر في حنق قبل أن يقترب ليهتف بعنف : مش ملاحظة ان
خروجائك كِترت اليومين دول مع مراد.



أغمضت عينيها في ألم مصاحب لوجوده حولها زاد عليه حديثه
المتملك الآن .. و لكم تود لو يكون غيرة لا لشيء إلا أنها
ستعرف أنها ليست وحدها من يعاني !

إلا أنه فقط يصرخ و يلوم و كأنه يمتلك أمرها !!
و بينما يمنح زوجته كل شيء .. لا يبخل عليها هي أيضاً بالمنح

..

فيورث قلبها الخيبة و مشاعرها الألم و روحها قلة الحيلة!

تهدت باستسلام: ماما فريدة عارفة و موافقة.

غمغم بنفاذ صبر: و أنا مش هبقى مطمئن عليكم معاه خصوصاً
على البحر .

اعترضت : أيوه بس ..

استوقفها : أوعدك أنا هاخذكم هناك يوم ثاني و ...

" ياسين ! "



هتاف حازم جعله يبتر عبارته قبل أن تتابع فريدة : مراد وصل يا لولو.

هتف ياسين بغضب بعد أن خرجت و التوأم تحت سمعه و بصره .. و

رغمًا عنه : انتِ إزاي مطمئة عليهم مع مراد .. مراد يا أمي ..
اللي مش عايز من الست غير حاجة واحدة .. اللي عمره ما شال
مسئولية حد غير نفسه.

غمغمت من بين أسنانها بقسوة : يا ريت تفتكر مين كان مش
أهل للثقة قبل ما تتهم مراد بأي حاجة.

اتسعت عينيه في ألم : أنا يا أمي .. أنا ..

قاطعته بحزم تضغط على جرح يبذل المستحيل لإخفاءه : انتِ
بتحب و مش عايز تعترف بده انتِ حر .. بس يا ريت ما
تحرملك من اللي عايز تحرم نفسك منه.

تغضن جبينه في ألم: تفتكري إن ده مش بيعذبني .. بس غصب
عني !



اقتربت منه تربت على ذراعه في حنان: انت عشت كل حياتك
لغيرك .. من حقل تفكر في نفسك .

همّ بالاعتراض فاستوقفته بإشارة من يدها : دي مش أنانية و لا
ظلم للي حواليك .. صدقني يا ياسين انت ممكن تستحمل و
تضغط على نفسك مرة و اتنين و عشرة بس تفكر هيجراك إيه
لما طاقة تحملك تخلص !؟ .. و هتأذي نفسك بس و لا هتوجع
معاك كل اللي حواليك.

همس بضعف : بس ياسمين ..

قاطعته : سيب ياسمين عليّ !

_ و هشام .. دي مراته إزاي بس !؟

تنهدت : لو مش هتبقى مراتك هتبقى مرات غيرك .. ده الواقع
اللي لازم تفكر فيه .. لو مستعد تجوزها لغيرك .. ده إختيارك!
أوما برأسه في استسلام و همسة أخيرة : مش هعمل حاجة غصب
عن ياسمين.

ابتسمت في حنان : ما تخافش .. عمري ما هجرحها.



غمرت الأم ابنها و ربت على ظهره في حب غير مدركة هي و
هو لعينين تراقبانهم في قسوة ؛ تحجرت الدموع في عينيها و
بقلبها ظلام استشرى بداخلها في سرعة تنوي أن تُريهم ياسمين
أخرى غير التي يعرفونها.

التجأت إليه كالمعتاد كلما حان الفحص ؛ كلما أتى قلب جديد
يحتمل أن يحصل عليه عُمر.

ابتسم الطبيب تلك المرة وواجههم بالأمل ؛ القلب الجديد يلائم
الصغير تماماً .

غار قلبها في صدرها و قد تم تحديد جراحته خلال ثمانى و
أربعون ساعة.

قضت معظم الوقت في الصلاة و الدعاء أن يخرج من تلك
الجراحة سالماً فلقد عانى الكثير و تألم أكثر.

تركها زيد بين يدي الله تبتهل إليه بكل جوارحها فيما أخذ ذلك
الأمر الذي يؤرقه منذ بعض الوقت يشغله من جديد.



مند صار أباً و هو يتساءل حقاً هل بإمكانه كتمان أمر عُمر عن
أبيه في حالته تلك!؟!

سبق ووعدھا بكتمان أمره عن أبيه الذي يرفضه من الأساس ..

خوفاً عليها ..

و على عُمر ..

و على ياسين أيضاً لتذويره هوية الطفل!

إلا أنه الآن و إن لم يتصرف بما يشعر به ربما سيقضي باقي
عمره نادماً.

توارى عنها ؛ التقط هاتفه و أجرى مكالمة هاتفية واحدة .

" ابنك بين الحياة و الموت ! "



الفصل الثالث و العشرون

هل بإمكانني قول أحبك و ما بين الألف و الكاف ..

عبرة تجمدت في مقلتي تأبى رجولتي أن تسيل

و غصة تسكن أعماقي و ليس للألم بديل

و عمر مضى لم أدرك فيه أنني انتظرتك

اشتقتك ..

أحببتك و ليس لي في الابتعاد عنك ..

سبيل !!



" بتهربي مني؟! "

أجفلت لصوته الذي حمل جفاءً بقدر ما حمل لهفة المنتصر؛
اختنقت بالفعل لمشاركته نفس هواء غرفة مكتبها في الجامعة.

ابتسم في ثقة للخوف الذي تصور أنه رآه في عمق عينيها
السوداوتين قبل أن يتابع بخبث مشيراً بسبابته بالرفض : من
حسام .. مفيش هروب يا قلب حسام.

زفرت في كره : عايز إيه يا حسام؟! .. مش خلاص نفذت اللي
انت عايزه .

ابتسم بانتصار و أدرك أن خطته قد أتت ثمارها واقترب
فانتفضت مبتعدة ؛ أجبرت ساقها على التحرك ؛ تراجعت
للخلف حتى اصطدم ظهرها بسطح مكتبها فتأوهت في ألم.

قلص المسافة بينهما في خطوة واحدة ؛ صار أمامها مباشرة يكاد
يلامسها بكامل جسده؛ امتدت أنامله تتلمس وجنتها فأبعدت
رأسها في عنف متحاشية لمستته .



زم شفتيه في سخط قبل أن يسحق ذقنها ما بين سبابته و إبهامه
 مجبراً إياها على النظر إليه ليتابع بحزم : أعتقد إن مبقاش في
 سبب لعندك يا منال .. المستقبل و هناك مش هنا .. و اللي كان
 بيربطك بمصر خلاص انتهى .

ثم تابع في تشف: مبقاش لنا إلا بعض يا بيبي!

تجمعت الدموع في مآقيها تتساءل كيف صار و أحبته يوماً ؛
 كيف أوشكت على استبدال من كان معدنه من الذهب النقي
 بمن لا يحمل من وصفه سوى البريق و ليته بريق حقيقي.

استجمعت كل ذرة من مشاعر مُنفرة تحملها له لتبصق في وجهه
 ثم دفعته بكفيها بعيداً في كره .

اختل توازنه للحظات فقد أخذته على حين غرة قبل أن ينتفض
 في غضب و قبل أن تسارع بالابتعاد كانت كفه تجد طريقها
 لخدّها.



طفرت الدموع من عينيها و هي تهتف بصوت متحشرج باكٍ من
ألم الهوان قبل أن تؤلمها الصفحة : انتِ إزاي بشع كده .. أنا
إزاي حبيتك أصلاً .. أنا بكرهك .. بكرهك يا حسام .

قاطعها و هو يعاود الاقتراب منها بوجهه في غضب لم تره من
قبل و قسوة لم تختبرها أبداً : مش بمزاجك على فكرة .. الحب
أو الكره .. وجودك هنا أو في أمريكا .. حتى النفس اللي
بتتنفسيه مش بمزاجك .. أنا حسام .. هاه .. حسام و لو كنتِ
نسيتِ أفكرك مين حسام .. حسام اللي ممكن يعمل أي حاجة
عشان يوصل لهدفه .. لا انتِ و لا غيرك يقدرُوا يقفُوا قدام
طموحي أو رغباتي .. فاهمة .

اتسعت عينيها في رُعب قبل أن يهتف بوعيد بنبرة أقب للصراخ:
فاااهمة !!؟

أومات برأسها دون أن تجرؤ على الرد أو تمتلك شجاعة القبول
أو الرفض .

كل ما دار بخلدها في تلك اللحظة أنها تحتاج لمعجزة ..



يأتي البعض لحياتنا كنعم و البعض الآخر كدرس ..

و ما أقل الأولى و أكثر الثانية !!

و لقد كان درسها موجه .. و شديد القسوة !

خفق قلبه في عنف حال رؤيتها ؛ همس باسمها بذهول

" زهرة "

ربما أفقدتها تلك الأعوام عبق امتزج بكيانها ؛ ميزها عن كل من
سواها ؛ إلا أنها لا تزال تحمل ميزة لم يمتلكها سواها.

كانت دائماً و يبدو أنه سيصير أبداً أيضاً تمتلك مغناطيس خاص
بها ؛ يجذب عينيه و قلبه إليها بشكل خاص.

رغم الحزن الذي كسى محياها الجميل و النحول الشديد الذي
لم تكن عليه أبداً إلا أنها ..



قاطعت أفكاره حالما رفعت رأسها عن مصحفها لتلتقي بعينه
فتسع عينيها في رهبة تبعها ذهول و صدمة ؛ قرّبت مصحفها من
صدرها في احتضان و كأنما تحتمي به منه.

وقفت بساقين ترتعشان لم تقويا على حملها فتهاوت جالسة مرة
أخرى فيما أجبر هو قدميه على الاقتراب.

همس بحنين: زهرة!

أشارت بيدها ليصمت و دموعها تجري على وجنتيها في صدمة ؛
عاود الهاتف باسمها فوضعت كفيها على أذنيها ترفض سماعه ؛
أغمضت عينيها بشدة تحاول إقناع نفسها بأنها عندما تتوقف
عن رؤيته فذلك يعني بالتبعية عدم وجوده و لكن هيهات !!
هو كان أمامها حقاً ..

ملاً الفراغ أمامها كما كان يفعل ؛ لازل يضع نفس العطر الذي
رغم قوته إلا أنه كان يلهب حواسها.

هزت رأسها في رفض لوجود عاد يفرضه عليها بالقوة و كلمات
رددها زيد قبل دقائق تدوي في أذنيها بقوة ..



كان يسألها عن مدى ما قد نحملة من حب لأولادنا ..

عن مقدار معزة لا نحملةا لسواهم ..

عن كم التضحية التي قد نبذلها من أجلهم ..

كانت تجيب عن كل تساؤل بروحها ؛ نعم كانت الإجابة لكل

سؤال ..

فلا مشاعر أبداً قد تضاهي ما قد يحملة الأب و الأم لطفل حمل

منهما روحاً و دم !

ختم كلماته بتقرير و اعتذار

" أنا آسف يا زهرة .. أنا لازم أحارب عشان وجودي في حياة

ابني! "

لم تفهم حينها ماذا كان يعنيه باعتذاره و لمحة الذنب على

ملامحه ؛ الآن فقط فهمت ..

الآن عرفت أنه ضرب بكل توسلاتها عرض الحائط ..

أخلف وعده معها في النهاية ..



لقد أخبره ..

لقد عاد مراد ..

و بقوة !!

" هو فين ؟! "

كرر سؤاله مرة أخرى لتجيب ببلاهة : هو مين ؟!

بلهفة كانت إجابته " عُمر "

هتفت بقسوة : عمر ابني!

بانكسار كانت همسته : و ابني !

صرخت : لأ !!

استجمعت شجاعته لتواجهه في قسوة نمت بداخلها مع رفض

لوجودها بعد حصوله على مبتغاه منها..

رفض للاعتراف بجنين ينمو في أحشائها من دمه و لحمه ..

نكران لنسب صغير لم يكن له ذنب في الحياة سوى أنه أبيه ..

تهديد بالسجن لها لو حاولت إصاق الطفل به ..



سنوات مريرة مرت بدونك ..

معاناة تكبدتها هي و صغيرها ..

خالها ثم زيد ..

ألم صاحبه مرض ..

رعب حد السماء من فقد طفل هو كل عالمها .

رفضت تصرّحه حتى لو جاء على استحياء : ابنك مات !!

اتسعت عينيه بذعر و هو ينفي قولاً أوعز في قلبه غصة مؤلمة:

بعد الشر أنا لسه جاي من عند الدكتور ..

استوقفته مشيرةً بيدها أنها ترفض وجوده من الأساس: ابنك انتَ

مات يوم ما رفضته .. ابني أنا ربنا يحفظه !

تطلع إليها بيأس : رفضك لوجودي مش معناه نفي كونه ابني يا

زهرة.

هتفت بقسوة اكتسبتها خلال أعوام طويلة من الوحدة و الألم



_ ووجودك هنا دلوقتي مش معناه إني هلغي كل غياب السنين
اللي فاتت.

اقترب خطوة يختبر رد فعلها فصمتت فاقترب أخرى و أخرى
_ أنا عارف إني أذيتك كثير أوي .. بس صدقيني أنا بتغير ..
بحاول أكون شخص تاني غير الشخص اللي كان بيبعد عنه أي
حد بيحبه.

تأملته تبحث فيه عن ذلك العايب الذي كانه فلم ترى في عمق
عينه سوى انكسار لغرور قديم .. عنفوان صار هزياً بمرور
الوقت .. ربما لعلمه بحالة ابنه المرضية و لكن أي ابن يبحث
عنه الآن و هو من أنكره أولاً ثم تنفس الصعداء لزواله من
الوجود.

هزت رأسها في حيرة و عدم فهم : انت إيه اللي جابك يا مراد
!؟ .. له راجع تدور على ابنك دلوقتي !؟

ابتسم بمرارة و لتكتمل دهشتها للأقصى لمعت عينه ببريق دموع
كسيرة



_ يمكن عشان حسيت بأهمية كوني أب !!

واجهته بقوة : اعترف إنك عمرك ما حبيت حد غير مراد .. لا
أنا ولا غيري .

أنكر : بالعكس .. أنا حبيتك بجد زيك و يمكن أكثر .. أيوه
كنت أناني مش هنكر .. أيوه اترعبت لما قلتيلي إنك حامل ..
الابن ده كان مسئولية أنا مش قدها .. و يمكن لسه مش قدها
بس محتاجها .. و الله محتاجها فوق ما تتصوري .

لم يعد الأمر بالنسبة إليه مجرد التمسك بابن ربما لن يتمكن من
إنجاب غيره ؛ بل صار رغبة حقيقة في كونه الأب الذي يفتخر
به ابنه .. يريد أن يكون شخصاً غير الذي كانه فربما أرهقه لعب
دور العايب الأناني .

و ربما كان يحتاجها هي على وجه الخصوص ..

لا زال يذكر إحساسه بها ؛ لن ينكر أنها كانت غير كل من عرف .

دوما ما كان الحب يمر على قلبه مرور الكرام، ينتهي الأمر
بمجرد وصوله لمبتغاه .



ما عداها هي .. كانت الأقرب .. الأجل .. الأرق ..

طالبها بكل شيء حينما لم يكن على استعداد لتقديم أي شيء ..
ربما لو كانت بقيت .. واجهت .. جابهت ..

كان الوضع اختلف كثيرا.

أخفض رأسه بندم امتلأت به قسماته

_ أنا مش طالب منك تسامحيني .. عارف إنه طلب مستحيل ..
أنا بس عايز أكون متواجد في حياة ابني .. اسمحيلي أعوضكم
عن تقصيري اللي فات .

ثم تابع بتوسل " و أرجوك متحرمينيش من وجودي قريب من
ابني "

و أكمل بهمسة لم تسمعها " و منك "

أحيانا يكون من أسوأ الأمور أن يكون الحبيب

صديق سابق ..



فالصداقة رغم كل شيء هي أكثر العلاقات قرباً من النفس

و أبعد ما تكون عن الأنانية ..

قالوا .. الصديق وقت الضيق ..

و قالوا أيضاً رُب أخ لكلم تلده أمك ..

لذا كان يتوجب عليه أن يفكر ألف مرة قبل أن يؤدي ..

يجرح ذلك القلب الذي احتواه كصديق قبل أن يصير حبيباً !!

كان يعلم ما يؤلمها و قتلها بيده ..

كان يدرك ما قد يؤديها .. يجرحها .. و فعلها بدم بارد!

الألم ممن سلمته مقاليد قلبك بألف وجع !!

شاردة في شرفتها تحمل من الحزن ما لم يتصور أن تحمله قط

ناهيك عن كونه السبب الأول به.

تكورت بطنها بفتنة ؛ خفق قلبه في حب لتلك المخلوقة التي

كان و لا يزال يعتبرها طفلة .. و التي صدف الآن أنها صارت

تحمل طفله أيضاً.



زفر في شوق يا الله كم اشتاق لذلك الكيان الذي كان يبدو على
الدوام أنه سقط منه فتعلق به و تعلق بها حد امتلاك غير مشروع
؛ حد الاستهانة بامتلاكها قلب خلق لها و بها .

استقبله رمزي قبل أن يصعد إليها ؛ كان حانقاً عليه هو الآخر فما
فعله بها كان قتلاً مع سبق الإصرار.

بقسوة و جب عليه امتلاكها من أجلها تساءل

_ عايز إيه يا زيد مش خلاص خلصنا !؟

ارتجف زيد بلا وعي قبل أن يستنكر : خلصنا !؟ .. خلصنا إزاي
.. أنا عايز مراتي يا رمزي !!

استنكر رمزي بقوة : و ليك عين تيجي تطلب مراتك بعد اللي
عملته فيها !؟

إنت إيه يا أخي .. الجرح عندك بالساهل كده !!

حاول زيد متابعة طريقة ليصل إليها إلا أن رمزي استوقفه ؛ كان
على استعداد ليبدأ عراقاً لا يُحبذه من أجلها ؛ و كان الآخر في



وضع استنفار أيضاً ؛ يريد لها بأي شكل من الأشكال و سيفعل إن سمحت له أو لم تسمح .

أمسك رمزي زيد من تلايبه في حين حاول زيد بكل قوته أن يتخلص من قبضتي رمزي القويتين اللتان أمسكتا به مانعةً إياه من تجاوزه.

_ سبيني يا رمزي أدخل أطمئن عليها!

_ وهي مش عايزاك .. يا ريت كفايه أوي لحد كده .

هتف من بين أسنانه " دي مراتي يا رمزي و محدش من حقه يمنعني عنها "

هزه رمزي بعنف ليس من سماته أبداً و لكن عند يارا و جب الدفاع عنها كالطير الذي يحمي أفراخه بكل قسوة و عنف.

_ يارا مش هتشوف ضفرها تاني .. و هتطلقها .. فاهم !

هتف زيد بلوعة : مستحيل !



يرفض كونها ترفضه ؛ يصر على وجوده حولها و لو بالقوة ؛ إنه
 حقه ؛ التواجد بقربها هي و ابنه أمر لا يقبل المناقشة ...
 فليتواجد بجانبها و يتوسلها الغفران باقي عمره و لن ييأس.
 سمعت الجلبة بالأسفل فتوجهت لتستكشف الأمر ؛ غابت الدماء
 عن وجهها حالما سمعت صوته بالخارج.

كان من الواضح أن شجاراً يدور بينه و بين رمزي!

أجبرت ساقها اللتان تسمرتا حالما وعت وجوده على التحرك
 في سرعة لتصطدم بالرجلين اللذان اشتبكا بالأيدي .

ارتعبت لما قد يصل إليه الأمر ؛ اقتربت منهما و هتفت بحزم لا
 تدري كيف تلبسها رغم الارتجاف الذي تشعر به في أعماقها.

" زيد !! "

تهالكت ذراعيه اللتان كانت تبعدان رمزي عنه ؛ حاول التوجه
 إليها إلا أن رمزي استوقفه.

توسل قائلاً : سيبي يا رمزي الله يخليك.



تطلع ليارا في تساؤل ؛ هي وحدها من تملك الحق في السماح
بالقرب .

منحته هزة رأس فأفلمته ليعلم حماية لها بالبقاء حولها إن احتاجته

_ أنا هنا يا يارا لو احتاجتيني!

ايماءة أخرى مع نظرة امتنان و ربما أمل في وجوده سابقاً ؛ ربما
كان الأمر مختلف كثيراً.

نظراته لها حملت ندماً و اشتياقاً لوجودها قربه .

اقترب فابتعدت تحافظ على المسافة بينهما ؛ اضطراب داخلي و
لكنه ظهر في صورة تماسك تُحسد عليه .

_ جاي ليه يا زيد!؟!

أجاب بندم حقيقي : جاي أعتذرلك .

ابتسامة ساخرة علت ثغرها و تمت في مرارة : تعتذر!؟! .. عن

إيه بالضبط .. عن قلبي اللي جرحته .. و لا عن يارا اللي دمرت

ثقتها في نفسها و ثقتها في اللي حوالها .. عن الوضع اللي

حطنتي فيه قدام نفسي و قدام أخواتي .. و لا عن مساومتك



عليّ .. ولا جوازك ولا .. ولا .. أسامحك عن إيه ولا إيه و
اللسنة طويلة أوي .

أطرق برأسه لم يكن كل الندم بكاف ولا كل التوسلات بذات
فائدة ؛ ربما كان يطمع ببراءة قلبها الذي أحبه على الدوام ؛ أما
الآن فلم يعد يعلم هل بإمكانها أن تفعل أو هل بقي له في قلبها
نصيب.

_ أنا عارف إن أي كلام هقوله مش هيمحي اللي فات .. بس أنا
مكنتش أقصد .. والله ما كنت عايز أدخلك في اللعبة دي من
الأول بس غصب عني .. أرجوك اسمحيلي أشرحك القصة من
الأول.

صمت ..

و ليس كل الصمت رضى ..

أحياناً لا تكفي كل حروف الأبجدية للتعبير عما بداخلنا فلا
يكون حينها للصمت بديل!



اعتبره هو إيذاناً بالكلام و بدأ بسرد القصة من بدايتها .. منذ
أعوام مضت .. تلك القصة التي بدأت بمراد و انتهت به مخلفةً
حولها الكثير و الكثير من الضحايا.

انتهى بإعلان " أنا حبيتك بجد يا يارا .. دي الحاجة الوحيدة
اللي متغيرتش من الأول للآخر "

طوال حديثه كانت تنتابها مشاعر مختلفة ؛ ما بين حنين لما كانه
؛ قسوة أحياناً ؛ ألماً في معظم الأحيان.

إذاً القصة بطلها مراد .. اخيها الذي أذى فتجبر .

الطفل طفله و الانتقام يخصه فلمَ إذاً هي من تتعذب !

هي من أورها حبها ضعفاً لم تمتلكه أبداً ؛ أصابها في مقتل ؛

أصاب قلبها الذي كان أجمل ما بها !

أدلت أخيراً باعتراف

" طب ما أنا كمان حبيتك .. بس انت بقى كنت أد الحب ده ؟!

.. عملت إيه عشان تستاهله ؟! .. حافظت عليه إزاي ؟! ..



الحب كان المفروض يقويك .. ينسيك إنتقامك .. مراد غلط
 أيوه .. بس انت كنت مجرم أكثر منه عارف ليه؟! "
 تابعت بقسوة تضعه بها أمام أخطائه التي يبحث لها عن مبرر .
 _ مراد مظلّمش زهرة عشان هي كانت عارفاه كويس وحبته ..
 حبت مراد الغني .. الوسيم .. الدون جوان .. و هو كمان كان
 واضح ممثلش معاها دور البريء زي انت ما عملت .. انت
 أذيتني و انت عارف كويس انت بتعمل ايه .. حبتني؟! .. دي
 حاجة أنا متأكدة منها بس على أد ما حبيت وجعت يا زيد .

هتف برجاء : أنا عملت كده عشان هدف نبيل !!

صاحت به في غضب : و أنا كنت فين من غرضك النبيل ده؟!
 .. كنت فين و انت بتبعد عني و سايبني أستنى منك خبر و أنا
 من جوايا متأكدة إنك مستحيل تتخلي عني .. كنت بتفكر إزاي
 هتساوم على حبي .. إزاي هوجعني أكثر ما انت واجعني .

انسابت عبراتها فمسحتها بقسوة ترفض ضعفاً ربما يبحث عنه
 فيوهمه بالأمل



_ أنا حبيتك حقيقي ..

بس عُمر الحب ده ما هيضعفني .. الحب قوة مش ضعف و أنا
عمرى ما كنت ضعيفة .. عشت قبلك و بيك و هعيش بعدك ..
مبقتش فارقه.

هتف بصدمة : يارا !!

أدارت ظهرها له تاركةً لدموعها العنان بعيداً عن نظراته و همسه
أخيرة حملت رجاء لم ينفذه سابقاً ؛ ربما لعلمه بأنه قادر على
الاعتذار أو لثقتة في قلب أحبه و لن يتمكن من مجافاته طويلاً.

" طلقني يا زيد ! "

أمسك كتفها بقوة من الخلف يهزها برجاء علها تسمع أو تغفر له
توسلاته

" مستحيل يا يارا .. مش هقدر أستغنى عنك و لا عن ابني .. أنا
بحبك و الله عمرى ما حبيت و لا هحب غيرك . "



تملصت من قبضتيه و دون أن تنظر إليه قررت : لو بتحبني فعلا
ولسه باقي ليّ معزة في قلبك .. طلقني .. طلقني عشان أعرف
أعيش .. عشان أصلح يارا اللي انت كسرتها .

بذلت مجهودا لا يستهان به و أنا أحاول الحفاظ على صورتك
في نظري ..

و تعبت أكثر و أكثر و أنا أحاول إقناع قلبي أنك لا تستحق .

غمغم برجاء أخير آملاً في بقاياها بداخلها : اطلبي مني الطلاق و
انتِ بتبصيلي .

استجمعت شجاعته لتستدير ؛ بحثت عن عينيه لتهتف بنبرات
مرتعشة

" طلقني يا زيد .. أرجوك !! "

ماتت الكلمات على شفتيه ؛ كيف بإمكانه نطقها ؛ كيف به أن
يُبعتها عنه بكلمة يُطلقها هو ؛ كيف يُحرم على نفسه التواجد
قربها و قرب ابنه ..



كيف؟!

تنفس بعمق يبحث عن شجاعة قتل روحه بلا ثمن ؛ استجمع
قواه ليمنحها ما تريده حتى لو كان لا يرغبه هو .

" انتِ طالق يا يارا !! "

تماسكت للحظات .. لدقائق .. حتى شعرت برمزي بقربها .

استدارت لتحتمي به من قسوة الأيام عليها بلا أي ذنب ؛
التماسك الذي تلفحت به لبعض الوقت استهلكها بالكامل
فخرت على ركبتها تجهش ببكاء مزق نياط قلبه .

نزل بركبته أمامها ؛ احتضنها في قوة و هو يطلب منها التماسك
و القوة ؛ يخبرها أنها كانت شجاعة حقاً و فعلت الصواب ؛ بل
حتى أنه لم يكن يتخيل أن يارا الصغيرة قد تمتلك تلك القوة .

هتفت بألم يمزقها : هموت يا رمزي !!

هتف ينهرها : الحب مش بيموت .. الحب بيعلق روحك بين
الحياة و الموت .. المأساة مش في بُعد اللي بتحبيهم عنك ..



المأساة في بُعد قلبك معاهم .. الحب مسئولية كان لازم نختار
اللي قدها !!

عادت تبكي بمرارة و كلماته تصيبها في الصميم .

الاقتراب يحمل لذة محرمة ؛ خاصةً أن كان الاقتراب غير مأمون
العواقب ؛ خطير على احتمال قلب أوهنه العشق ..

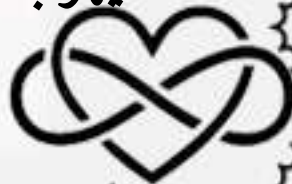
قلب تلبس برداء القوة في عنفوان ؛ اعتقد أن قلبه سيكون بمأمن
من الحب فأتاه على حين غرة!

أتاه بعد وعد بعدم الخيانة .. بعد مسئولية لم يكن يتخيل أن تنوء
بها كاهليه بهذا القدر.

أتاه ليشعره بضعف ذنب يدرك بشاعته جيداً يعلمه هو على وجه
الخصوص دون سواه.

اقتربت منه تعلم جيداً أنها قادرة على جعله ينساها و لو للحظات
يُسكنها أحضانه.

يهرب بها من أفكار تدور حول الأخرى .. و ماذا في ذلك !؟



هي أيضاً تبحث فيه عن حق لم يكن لها ..

اغتصبته ممن تملك قلبه !!

ربت على رأسها التي توسدت صدره في شroud فهمست : ياسين

!

استرعت انتباهه ثم تساءلت : انت سامحت أبوك !؟

امتقع وجهه قبل أن يهمس باضطراب : إيه اللي خلاكِ تقولي

كده !؟

_ بقيت بتطلع و تقعد معاه .. خلاص نسيت يا ياسين !!

أعلن برفض : لا نسيت و لا سامحت .. أنا بس .. حسيت إني

محتاج أتكلم معاه.

فكرت قليلاً ثم تابعت : أنا كمان .. ساعات بفكر إن أمي لو

كانت موجودة كنت هحتاج أسمعها .. و أعرف مبرراتها .. بس

برجع تاني و أقول طب هي لو ليها أسبابها .. بابا ذنبه إيه !؟ ..

و أنا ذنبي إيه !؟



تطلعت إليه تُدرك وقع كلماتها عليه جيداً : أصل الخيانة صعبة
أوي يا ياسين .. إنك تسرق حق حد و تديه لحد تاني .. إحساس
بشع حقيقي.

كلماتها كانت تصل لأهدافها ؛ عادت تُورثه ذنباً لم ينساه و لن
يفعل ؛ ليته كان بوسعه منع قلبه عنها.

للحب سلطان يمارسه على القلوب حيث لا مفر من تجاوزه و لا
جدوى من التملص منه.

بل إنه أحياناً ما يكون كبحر من رمال تعلق به مهما احترست ؛ و
تغوص به أكثر كلما ازدادت مقاومتك!

بكل رغبته يرغب أن يكون لها ؛ مخلص لزوجة هي من دمه من
الأساس إلا أنه يعجز حقاً مهما أرغم نفسه على المقاومة.

مكالمة هاتفية جعلته ينتفض في مكانه فأبعدها في قلق .

تساءلت : في إيه يا ياسين !؟

أجاب باقتضاب : مشاكل في المزرعة !

قامت بدورها و أعلنت : آجي معاك!



هز رأسه برفض : لا خليك .. يمكن أتأخر .. نامي انتِ .

طرقات على باب غرفتها تبعه دخول فريدة .

كانت تعلم جيداً ما ستحدث به ؛ تعرف كيف سترد ؛ انتهى

الحوار ببضع دمعات مدروسة و لهجة خانعة بهمسة متألمة

" اللي تشوفيه يا طنط .. إذا كان الجواز ده في مصلحة التوأم ..

أنا .. أنا معنديش مانع . "

غادرت فريدة الغرفة و هي تدرك أنها فعلت ما يتوجب عليها

فعله ؛ ما هو في صالح الجميع .

و لكن هيهات ..

كان لياسمين رأي آخر ..

ربما لم ترفض الزيجة الأخرى و لن تفعل و لكنها على ثقة أن

الرفض لن يأتي منها .

ربما لبعض التفهم ميزة في النهاية !!



فيا سين يكره الخيانة و كونه يرفضها سيحرص ألا يفعلها صراحةً
على الأقل.

و الأخرى تحمل أخلاقيات رفض كرهها لها إلا أنها تؤمن أنها
لن تبحث عن سعادتها على أنقاض سعادة أخرى أبداً حتى لو
كانت هي !!

توجهت من فورها للمي و بعد بضع حوارات بلا طائل أعلنت
بكل وضوح للأخرى التي صرعتها كلماتها.

" أنا حامل ! "

عادت لغرفتها بابتسامة منتصرة ؛ لقد حققت أهدافها و بنجاح
منقطع النظير.

لن تنام ستنتظره هذا ما قررته ؛ أخذت حماماً ثم ارتدت أجمل
أثواب نومها و تعطرت بالعطر الذي سبق و أخبره أنه يُعجبه.
انتفضت من فراشها لتتوجه بسرعة لخزانتها و قد أوشكت على
النسيان.

خبطت على رأسها و هي تهتف : غبية!



امتدت أناملها بين طيات ملابسها تستخرج من بينها الأقراص
الخاصة بها والتي تحرص على تناولها يومياً.
ابتلعته بجرعة ماء ثم استلقت على فراشها تضع سماعات الأذن
؛ تنتظره ..

و تبتسم في انتصار تكاد تراه بعينها.

لم تشك لانقطاع عاداتها الشهرية لأنها غير منتظمة من الأساس
.. لم تتوقف لتفكر في الوزن الذي اكتسبته مؤخراً فهي في
الواقع تصاب بالشره العاطفي و تأكل دون وعي ..
ما أجفلها حقا بل و أربها حد انقطاع أنفاسها .. و اتساع
عينها في محجريهما هو تلك الحركة المبالغتة لشيء ما يسكن
معدتها ..

أو بالأحرى أسفل بطنها .. رحمها بوجه خاص.

سخرت من نفسها ..

فها هي الطيبة النسائية الأفضل في مصر ..



بل من الأمهر عالمياً ..

تكتشف أنها حامل ..

و بمحض الصدفة البحتة .

ابتسامة توازت مع خفقات قلبها الذي أعلن افتقادها إليه ..

و إلى ابنتها حد الألم .. رغم أنها تستعلم عن أخبارهم على

الدوام من يارا التي لم تُخلف وعدّها معها بالاعتناء بهما.

عادت الحركة تشاركها حينها لزوجها ..

و يحيي فيها أملاً جديداً ..

أمنية سيأتي بها من يسكن أحشائها في النهاية.

و كأن كل السنوات التي رفضت فيها انجاب طفل آخر كانت

فرصة ..

فرصة ليأتي هو رغماً عن الجميع ..

و ربما قدومه قد يحمل رأب الصدع بينهما ..

قـد !!



الفصل الرابع و العشرون

أن أحبك يعني أن أخشى ..
أخشى ألا أستطيع أن أعبر عنه بما يكفي ..
و في نفس الوقت
أخاف أن تفضحني عياني و يعلنه قلبي ..
أخشى أن أحلم بك فيتحقق الحلم ..
أو ربما لا يتحقق فأموت بحسرة
عشق لا أمل منه ..

وكم من قلوب رأت أحلامها فلم تجرؤ على النطق
وكم من عاشق دُبح في محراب قلب ..
رآه و لمسّه ..
عشقه ..



بل و سكن إليه إلا أنه لم يسكنه!

" أنا حامل ! "

بعض الكلمات توجع أكثر من أكثر الصفعات قسوة ؛ تنغرس في
صدرك كألف طعنة و طعنة.

عشقتة .. لم يعد بإمكانها الإنكار .. و كأن كل شهود نفي العالم
قادرين بدرء تهمة العشق عن قلبها.

لقد حاولت .. و يعلم الله أنها فعلت المستحيل حتى تحارب
ذلك الشعور الذي استوطن قلبها.

إلا أنه كان كالمرض الخبيث ؛ سرطان و تسلل لقلبها بهدوء ،
توغل و استشرى .. ليعلن له قلبها الإستسلام و لكن ..

بعد فوات الأوان !!



الآن لن تستطيع العلاج ..

فقلبها صار في حالة حب ميؤوس منها!

ولأنها تدرك جيداً أنه لن يكون لها و لن تكون له توقفت عن
الحذر ، بل و ربما كانت طوال الوقت تحاول أن تتناسى أنه معها
و بجوارها ..

تخدع قلبها أنها تحب شخصاً آخر غيره ..

ليس بأخ زوج ..

ليس زوجاً لأخرى ..

و لن يكون أباً لأبناء غير أبناءها ..

ربما حاولت خداع عقلها و قلبها إلا أن الحقيقة دائماً ما توجع ،

تضعك أمام كل مخاوفك و أوهامك ..

تضيء حقائق تخفيها بكل قواك حتى لا تتألم.

واقع يدعى علاقة تحت شرعية زواج ..

علاقة ما بين حبيب و زوجة ..



بل خيانة ..

لا يمكنها إلا أن تسميها بمسماها الذي تكرهه ..

حمل ياسمين خيانة لقلبها ..

حتى لو لم يعلم هو بأنه في منزلة حبيب من رابع المستحيات.

وضعت يدها على صدرها تشعر بألم حاد بداخلها ؛ ولا تدري لم

تذكرت هشام في تلك اللحظة .. ووصيته وإصراره على ذهابها

بالتوأم لأهله.

ولا كيف ربطت ما بين ذلك الإصرار و تلك الواقعة ..

كان يوماً مشمساً قضوه على شاطئ الإسكندرية في نهاية فصل

الربيع ؛ يومها جلست كالعادة تحت إحدى المظلات تقرأ إحدى

رواياتها المفضلة التي بإمكانها أن تفصلها عن العالم أجمع.

كانت غارقة حتى أذنيها في أحداث الرواية حتى أنها كانت

تنسى إلتقاط أنفاسها في بعض الأحيان.



سالت دموعها مع آخر سطورها مع تنهيدة عميقة لم تستطع
كبحها و هي تغلق صفحات الكتاب لتكتشف أنه أمامها يضحك.
شهقت في غضب و هي تعتدل جالسة في عنف : هشام إنت
بتضحك عليّ.

هنا صارت ضحكاته مسموعة بعد أن كبح جماحها لبعض الوقت
مما أثار غيظها أكثر و أكثر.

فهمت في حنق : لولو .. تعالي شوفي .. جوزك بيضحك عليّ
عشان رومانسية و اتأثرت بالرواية.

اقتربت منهما لمي التي كانت تقف على بعد عدة أمتار منهما
تستمع بمداعبة الموج لقدميها .

أشارت بسبابتها لزوجها في تحذير : إلا تيمو يا هشام .. تمارا
خط أحمر!! .. ممكن تضحك على أي حاجة و أي حد بما في
ذلك أنا شخصياً لكن تمارا لأ.

" يا بنتي .. "



قاطع كلماته نظرات ذات مغزى ما بين الأختين اللتان فهمتا
إشارة بعضهما البعض فاقتربا منه في تهديد يكرهه و أصابعهما
تمتد إليه تحاول الوصول لجسده لممارسة دغدغة يكرهها.
هتف برفض و هو يبتعد عن نظرات الشقاوة في عينيها و
أصابعهم المهددة التي أصرت على دغدغته.

رجع للخلف بضع خطوات دون أن تحيد عينيه عنهما ، محاذراً
ألا تطاله أياً منهما فانتهى به الأمر أن اختل توازنه و سقط في
الماء .

شهق حالما ارتطم جسده بالماء البارد فيما خبطت الأختين
كفيهما لأعلى في انتصار و قد نالا منه في النهاية.

وقف هشام يقطر ماءً و قد بدأ جسده بالشعور بالبرد و أسنانه
بالاصطكاك فاقتربت لمى منه و دثرته بمنشفة كبيرة حتى لا
يصاب بالبرد.

مط شفثيه في لوم: خايفه عليّ أوي حضرتك!



هتفت بحب : طبعاً يا قلبي .. بس عشان تحرم و متضحكش
على تيمو.

تطلع لتماما التي تكتم ضحكاتها بدورها : تيمو .. أنا ضحكت
من الموقف مش عليكِ .. ضحكت عشان فكرتيني بأخويا.

زوت ما بين حاجبيها في تساؤل فتابع : يا تيمو إنتِ شخصية
عملية جداً .. جدعة و بميت راجل زي ما بيقولوا و اللي يشوفك
و يعرفك مستحيل يتخيل إنك عاطفية للدرجادي .. زي ياسين
بالظبط .. يمكن يكون قاسي أو عنيف حتى في بعض الأحيان
بس جواه أرق قلب ممكن تقابليه .. و بيحب الشعر و الروايات
زيك بالظبط.

ابتسم بحب و غمغم : أنا متأكد إنكم لو اتقابلتوا هـ ..

توقف هشام حينها .. ربما لأنه كان يدرك أن لقائهم في ذلك
الحين مستحيل .. أو أنه يعلم جيداً أنهما حتى لو فعلا فينبهما
ألف حاجز و حاجز.



إلا أن ذلك اليوم أتى بالفعل، و هي أحبته حقاً، و الآن لا
تستطيع إلا أن تفكر أنه بعثها هنا لهذا الغرض بالذات.

ربما لم يكن أنانياً كما قال كل من علم بوصيته لها، لم يكن
وجودها هنا مجحفاً بحق نفسها إن كان بعثها و هو يدرك جيداً
أنها و أخيه سيتحابا في النهاية.

و لكن ..

أي حب هذا يا هشام !؟

إنه زوج لأخرى ، يكرهني .. يريد تقييدي بجواره فقط لممارسة
سلطاته عليّ.

يقيدني و يتزوجها .. يقسو عليّ و يحبها .. يحصي عليّ انفاسي
و يترك لها حبل الود و الدلال على غاربه .

لقد أثار فيها كل المشاعر ..

فأصبح في أعماقها خليط من المتناقضات .. فهناك في ذلك
المكان الفوضوي بداخلها تجتمع السعادة والحزن ..

الغضب والألم ..



والشوق و الغيرة ..

و الرغبة بالقتل أيضاً !!

تريد أن تحبه للأبد و تكرهه كما لم يُكره مخلوق بعد.

لا تستطيع سوى أن تقتله لأنه خانها و يخونها .. كما تريد أن

تخنق من امتلاكته بكليته في النهاية.

التقطت هاتفها و فتحته بعد مدة طويلة فهي لم تعد بحاجة منذ

أت ؛ أرادت التزود برؤية شقيقتها و هشام .

ربما السعادة التي حملتها ذكرى الصور على هاتفها المحمول

تبعث في نفسها القليل من الراحة.

تفاجأت بكم الرسائل على هاتفها و معظمها كان لنفس الشخص

تقريباً.

فتحت الرسالة الأولى من مائة رسالة ربما و التي كانت تحمل

كلمة واحدة

"وحشتيني!"



أدركت فقط في تلك اللحظة كم تفتقده وجوده قريبا ؛ دعمه
الغير مشروط.

لمست الشاشة بضع لمسات ليأتيها صوته على الطرف الآخر من
الخط و ربما من العالم أيضاً .

ارتجفت و ارتعشت شفيتها تحاول احتباس البكاء بداخلها بقدر
استطاعتها إلا أن صوتها خرج مهزوزاً .. مختنقاً رغم كل
محاولاتها.

" أنا .. أنا محتاجك قوي ! "

انطلق ياسين لمعاينة بعض الماشية التي سقطت قتيلة و التي
أخبره عنها الطبيب البيطري على الهاتف منذ قليل.

اقترب من الحيوان النافق الذي لم يكن الأول في خلال مدة
ليست بالبعيدة؛ و ليس الوحيد الذي تعرضت ماشيته للهجوم في
المنطقة.



كانت آثار الهجوم واضحة على البقرة التي تهتكت بعض أجزاء
من جسدها بصورة مقززة دفعته للشعور بالغثيان و هو يهتف

بتقرير

"ديب !!"

أوماً الطبيب برأسه في موافقه و أعلن : و مش أول مرة .. و لا
في مزرعتنا لوحدنا.

تطلع ياسين للجبل في مرمى الأفق و زفر في غضب : المنطقة
هنا مش جاذبة للنوع ده من الحيوانات المتوحشة.

عدّل البيطري من وضع منظاره الطبي فوق أنفه : بالظبط ..
المرجح إنه خارج من قطع .. مجرد حيوان زائر و الأرجح إنه
ساب المنطقة فعلاً لأن الحيوانات هنا محمية و مفيش مكان
يصطاد منه فبالتالي الجوع هيخليه يدور على مكان تاني.

أوماً ياسين برأسه في موافقة و غمغم : ده أكيد .. تقدر تبلغ
المزارع اللي محصلش فيها هجوم ياخدو بالهم و يبلغونا عشان



نتأكد انه سَاب المنطقة فعلاً.. و أنا هزود الحراسة و أعلي
 الأسلاك الشايكة حوالين مزرعة الخيل و المواشي إحتياطي.
 كان الوقت قد تعدى منتصف الليل حينما عاد منهكاً للمنزل بعد
 أن اطمئن على إجراءات الأمن على المزرعة و أعطى تعليمات
 الأمان اللازمة لحماية الحيوانات التي تقطن مزرعته مع التشديد
 على حرص أفراد الحراسة على حمل أسلحة الصيد للحماية.
 توقفت خطواته أمام باب غرفته التي أنبأه النور المضاء الذي عبر
 من الفراغ أسفل الباب أنها لا تزال تنتظره.

زفر في قوة و استدار متوجهاً لغرفة المكتب؛ رغم توقه الشديد
 لحمام يزيل آثار عضلاته المتشنجة و أعصابه التي في حالة
 استنفار قصوى إلا أنه لم يُحذ الالتقاء بها الآن.

صار يكره ذلك المُسكن الذي تمنحه إياه..

فلا هو يشعر بالرضاء و لا يمنح العاطي الامتنان المفترض به أن
 يحصل عليه!



هو لم يطلب منها ما تمنحه بسخاء و كان من المستحيل أن يرفضه أيضاً.. و لم يكن ليفعل أبداً.. فرجولته تأبى عليه أن ترفض اقتراب من تملك عليه كافة الحقوق فقط لأن قلبه يرفض الاعتراف بها.

تهالك على المقعد الطويل الذي توسط المكان ما بين المكتبة التي احتلت جداراً بأكمله و بين تلك المدفأة التقليدية التي حرص عليها رغم وسائل التدفئة الأكثر تحضراً.
ربما كان تقليدياً في نهاية الأمر..

يمتلك قلبه أنثى واحدة ؛ يحرص على مبادئ ربما عفى عليها الزمن؛ المسؤولية التي أصر على حملها رغم كرهه لها.
و على الرغم من علمه أنها لا تزال تحمل لأخيه مشاعر ربما بإمكانها الهرب منها و هي في كامل وعيها ؛ و لكنها في نومها كثيراً ما تناجيه ، تلومه ، تكرهه حتى لإيذائها و كسر قلبها الذي لم يُحب سواه.



لم يكن عليه احتمال ذلك الشعور بالمهانة لكونه مجرد بديل و
لكن كان عليه أيضاً

مقاومة ذلك العشق الذي يُشعره بالذنب الأكثر مُقتاً بالنسبة إليه
على الإطلاق .. الخيانة .

يحتفظ بوعد لزوجته يكاد يُجزم أنه لم ولن يراها في منزلة غير
منزلة ابنة العم مهما مضى بهما الوقت.

و يشعر بالاحتياج الشديد لمن سكنت قلبه و امتلكت عليه
مشاعره دون وجه حق.

و قلبه يعانده و يعلن رغباً عنه أنه ..

يحتاجها للحد الذي لا حد له .. يريد لها للحد الذي لا يرى نفسه
و لا يمتلكها دونها .. و للحظة التي لا يريد أن تمضي بدونها و
لو للحظة!

لا يعلم لمَ تذكر في تلك اللحظة بالذات ما سبق و حلم به و
الذي اعتبره حينها حلم مراهقة.



حينها كان قد قرأ " كبرياء و هوى " للمرة الأولى و استهجن هشام رد فعل السيد دارسي الذي لم يعلن صراحة حبه لفتاته بل فعل كل شيء ينم عن العشق لها دون أن تعلم هي حتى أنه من تساءل عنم قد يقوم بذلك أو لماذا يقوم به!؟

حينها أعلن هشام باستهجان رافض لتصرفات ذلك النبيل: مستر دارسي ده أكيد عبيط .. عمل كل حاجة عشان خاطرها و سابها تعيش حياتها بكل بساطة.. كان ممكن جداً تحب واحد تاني من غير ما تعرف أنه بيحبها أصلاً.

اعترض هو في ذلك الوقت مدافعاً عن مبدأ الحب من وجهة نظر السيد دارسي : بالعكس .. هو لما عمل كل ده مكنش عايز منها امتنان و لا حب حتى .. هو عمل كده عشان بيحب ببساطة و من غير أنانية و من غير ما يطلب مقابل لحبه ده.

حرك هشام يديه في رفض مدافعاً عن وجهة نظره : لو الحب مكانش متبادل يبقى إيه فايدته .. العمر بنعيشه مرة واحدة بس .. لو مش هتعيش عشان تعمل اللي تحبه و اللي يسعدك و يسعد اللي بتحبهم يبقى عمرك انتهى و من قبل حتى ما ينتهي.



مط ياسين شفثيه في سخرية معلناً تبنيه لموقف بطل الرواية: أنا
متأكد إنني هكون زي مستر دارسي في حبه.

دفعه هشام بكتفه في مزاح و قد اتسعت ضحكته : قصدك في
غباءه.

عاد ياسين للواقع و هو يتخيل ماذا كان سيشعر هشام لو صرح
عن مشاعره لمن أحبها ..

و لقد فعل الاثنين ما كانا مختلفين عليه قبل أعوام طويلة مضت.
فأحدهما صرح بحبه و عاش سعيداً حتى انتهى عمره.
و الآخر كتم حبه بداخله و انتهى عمره دون أن ينتهي!

بدأت زهرة بالانهيار بمجرد دخول عُمر غرفة العمليات بدأت
ببضع دمعات مسحتها في عنفوان .. تلتها سيل لم تستطع يديها
إزالة آثارهما ببساطة .. وانتهى الأمر بنشيج مزج نياط قلبه الذي
يعاني بدوره.

عُمر ..



ذلك الصغير الذي عشقه منذ الوهلة الأولى ..

ذلك الصبي ذو الخمس أعوام الذي لم يستطع المرض هزم
براءته ولا روحه المرححة بالفطرة.

و الغريب أنه يبدو وكأنه كان ينتظره ..

تطلع إليه بعينين تتقدان ذكاء حالما دخل عليه للمرة الأولى و
بدأ الأسئلة مباشرة وأولها كان آخرها ..

و بعد الإجابة الأولى التي تم اقتضابها في كلمة واحدة

" مراد ! "

أعلن الصبي بانتصار أنه كان يعلم أنه لن يتأخر أكثر من هذا ..

ذلك الصبي ..

الذي سبق وأنكره ..

الذي رفض الاعتراف به في أنانية ..



حتى أنه قاتل ابن عمه في ضراوة بل و كان سيقاضيه بالفعل لأنه منح ذلك الصغير اسم مراد الجبالي بالتزوير.. لولا كذبة زهرة بأن الصبي قد مات كان سيفعلها حقاً.

ذلك الصبي الذي أخبره بكلمات تفوق عُمره بأعوام و كأنه عاش عمر بأكمله في عمره الذي لا يكاد يصل لعامه السادس أنه كان ينتظره بشغف .. بلهفة كان يخفيه عن أمه لأنها تتوتر عند ذكر اسمه .. لهفة رؤيته و معرفته .. لهفة رجل صغير .. لا يهاب الموت بقدر خوفه على الرحيل و ترك والدته بمفردها.

عمر .. منحه درس عمره في بضع ساعات ..

فالصبي الذي لم يبلغ السادسة .. كان أكثر رجولة منه هو الذي تجاوز الثلاثون.

اقترب يشحذ قرباً يحتاجه كليهما ؛ يريد منحها دعماً .. مواساة تستحقهما بعد سنوات طوال عِجاف.

رغماً عن كل ما تشعر به كانت تحتاجه ..

و على النقيض من رفضها لوجوده بعد سنوات الهجر و الألم ..



كان يتوجب عليها منحه تسامحاً بناءً على رغبة وليدها الذي أسرَّ إليها في غيابه بطلب وحيد.

" ماما .. صالحى بابا و خليكِ معاه عشان خاطرى "

لم تكن تعلم أنه قد أوصاه بها أيضاً في غيابها بألا يعاود تركها مهما صار.

تقبلت دعمه فأسندت جبينها على صدره و أطلقت لدموعها العنان فأحاطها بذراعيه في قوة ليربت على ظهرها في مواساة كليهما بحاجة إليها.

ففي النهاية المصاب واحد.

لم يكن أيهما يدرك أن ذلك الصبي الذي فرقهما يوماً .. هو أيضاً من جمعهما اليوم و ربما لأيام كثيرة قادمة.

بدأت أمورها تنتظم شيئاً فشيئاً ؛ عادت للعمل بنشاط كان و لا يزال يميزها تابع يديها الماهرتين و الحانيتين في نفس الوقت.



كانت دوماً ما تحنو على كل من حولها مع إظهار الحزم وقت اللزوم لذا حظيت بحب الجميع و احترامهم.

ابتسم تلقائياً لضحكتها المجلجلة فيما كانت تحت نور على الاقتراب من الخروف الذي كانت تفحصه ليتابع الاشمزاز والخوف على وجه الصغيرة حالما تحرك نحوها في بظء.

اختبأت الصغيرة خلفها و فشلت كل محاولاتها لإقناع الصغيرة بالاقتراب

اقتربت احدى العاملات من الصغيرة سمعها حينما قادتة قدميه إليها

" إيه رأيك يا نور تيجي معايا نشوف الحصان الصغير اللي لسه مولود إمبراح؟! "

أومأت الصغيرة برأسها في حبور و انطلقت من فورها باتجاه الاسطبل الخاص به.

ودعتها ملوحة بيدها و ابتسامة تعلو ثغرها لتختفي مباشرة حالما رآته.



أدارت ظهرها لتتابع فحص الحيوان بين يديها.
 كان يعلم أن مهمته شاقة و لكنه لن ييأس أبداً مهما صدته.
 همس بانفعال : عارفه أنا محظوظ جداً لأنني بحب امرأة قوية
 جداً ليها نظره في عيونها كلها حنية و ضحكه بتجبنى من آخر
 الدنيا .

تطلعت إليه بسخرية و لسان حالها يقول " أي حب هذا الذي
 تدعيه؟! "

تنفس بعمق قبل أن يتساءل: أخبارك إيه يا يارا؟!!

تطلعت إليه بقوة : كويسه جداً الحمد لله.

هتف بسعادة : عارف إنك قوية و مفيش أي حاجة ممكن ...

قاطعته بألم لازال جرحه حياً ينبض بداخلها : تكسرني مش كده
 !؟

صمت قليلاً تستجمع شتاتها لتقصفه ببضع كلمات أدمت روحه
 بلا رحمة



"جوه قلب كل أنثى مننا تمثال للي بتحبه بتبنيه بإيديها طوبة
طوبة لحد ما يبقى كامل .. مع كل جرح ووجع بسببه بيحصل فيه
شرخ ورا الثاني ورا الثالث لحد ما يقع من نظرها و قلبها تماما ..
بس انت جرحك كان مختلف .. جرحك ما عملش شرخ لقلبي
و بس .. الوجع اللي اتسببت فيه لقلبي كان مطرقة .. كسرت
تمثالك جوايا من أول ضربة .. اللي حصل يمكن كسرك جوايا
قبل ما يكسرنى "

و أسقط في يده حقاً .. كان يعلم أنها جريحه .. أنها مصدومة
فيه و لكن أن يكون هذا ما تشعر به ..

كانت أفعاله مطرقة لقلبها و كانت كلماتها قنبلة دمرت قلبه تدميراً
تركها و مضى و لكنه لن يمضي بدونها أبداً ..

لن أسمح لها بنسياني أو المضي قدماً بدوني ، لن أسمح أن تتابع
حياتها مع غيري أبداً.

و سـ تكونين لي رغم أنف غيابك و صمتك و بُعدك و نار غيرتي
عليك



كانت لي و ستكون من جديد!!

جمعتهما في غرفة المكتب و قد تفرست بكليهما في تمن
تحاول تبين حقيقة مشاعرهما التي تدركها جيداً و يجهلها
كليهما.

تبادلا النظرات يستطيع أن يُخمن لمَ جمعتهما إلا أنها كانت
تجهل الأمر تماماً.

نظرت إليها بحب و أشارت إليها بالجلوس بجانبها ففعلت ما
أرادت .

تنفست بقوة قبل أن تتكلم أخيراً : أنا جمعتكم هنا عشان لي
عندكم رجاء.

وضعت تمارا يدها على ساعد فريدة في حُب : رجاء إيه بس ..
إنتِ تؤمري!!

غمرتها بحب أثار في نفسه الغيرة و عيناه تتابعان مرحها الفطري
و حبها العميق الذي تكنه لفريدة.



كان هو الوحيد الذي تثير فيه العصبية و الحنق على الدوام.

استجمعت فريدة أفكارها قبل أن تبدأ من جديد

" أنا جمعتم دلوقتي عشان أطلب منكم طلب هو أولاً و اخيراً

عشان خاطر التوأم .. بس كمان في مصلحتك انتم الاتنين "

نظرت إليها تمارا في حذر ، أوعزت فيها كلماتها الخوف.

أي شيء يتعلق بالتوأم يُشعرها بالخوف !!

خاصة و هي تُخفي عنهم سراً يهدد وجودها في المكان بأسره

ناهيك عن فقدانها كل حقوقها بالتوأم.

ازدردت لعابها في توتر تخشى سماع ما هو قادم.

وجهت كلامها لمارا : لمى .. انتِ عارفه أنا بحبك أد إيه و

بخاف على مصلحتك كمان صح !؟

أومأت تمارا برأسها دون أن ترد فتابعت فريدة : أنا مكنش

عندي مشكلة من جوازك من مراد .. و سألتك لو انتِ موافقة أنا

معاك فاكراه !؟



عادت تمارا تومئ برأسها و قد بدأ التوتر يتسبب بتقلص معدتها
و تابعت بعينها نظرات فريدة المرتبكة و عيني ياسين الهاربتين
من الموقف برمته.

عادت فريدة لمتابعة حديثها : دلوقتي أنا شايفه إن الأفضل إنك
تتجوزي انتِ و ياسين.

شهمت تمارا في ذهول و هبت واقفة تشعر بالحيرة و ..

العجز .. القهر .. و بعض من سعادة لن تنكر و لكنها محاطة
بأسياج عدة من الخوف و القلق و الذنب.

هزت رأسها في نفي لم يخرج من دائرة الذهول بعد: لأ .. لأ ..
لأ .. انتِ أكيد بتهزري .. صح !؟

تطلع إليها فتجمدت .. ارتجفت .. ترى في عمق عينيه جذوة
من مشاعر لم ترها منذ يوم زفافه.

زفافة ..

صرخت بها أعماقها ؛ أفيقي يا حمقاء ..

أي سعادة تلك التي تشعرين بها !؟



حتى و ان كانت منقوصة ..
إنه زوج لأخرى تحمل ابنه ..
إنه لا يحبك ..

يريدك زوجة ثانية !!

أغمضت عينيها و قلبها يختض في صدرها .
و لم يؤلمها لقب الزوجة الثانية ما دام يعتقدها أرملة !?

أرملة !!

هي ليست أرملة ..

ليست لى ..

إنها تمارا ..

الفتاة التي لم يسبق لها الزواج !
أن تقبل المهانة و المشاركة تعني بأن تُفشي سرها ..
و معه عليه أن تنتظر حسن طالعها أو سوؤه !



إما الصبح و التقبل ..
أو انتهاء حقوقها في حياة التوأم !!
و حينها لن يشفع لها شيء فهي من كذبت ..
من احتالت منذ البدء .

و ربما لن يشفع لها حينها أي حسن نية!
هتفت لنفسها بحزم تُذكرها بالموقف برمته
"أفيقي من أوهام الحب الحمقاء!"

هربت منهما بكل جوارحها و هي تهمس بألم قبل أن تغادر: أنا
.. مش هقدر .. مش هينفع .

أريد أن ألمس قلبك
أن أمرر أصابعي على الندوب
التي التئمت بدوني !!
وأشدُّ على يدك حتى تنسى



كم كانت فارغة ووحيدة!!

جلس بقربه محتضناً كفه الصغيرة بين يديه .

لن يكفيه حمد الله كل لحظة من عمره الباقي لأنه نجى صغيره
من عملية بالغة الصعوبة.

صوت جهاز القلب الذي ينبض في رتابة كان أعذب ما سمعه
بحياته .

لم تتوقف عينيه عن الالتماع بالدمع منذ اطمئن على الصغير.
ارتكنت زهرة برأسها على ذراعه تكاد لا تطرف بعينها حتى لا
يختفي الصغير من أمامها و لو للحظات.

تساءلت بصوت مخنوق بالعبرات .. مطعم بالفرح

" هيبقى كويس يا مراد مش كده!؟ "

ابتسم بأمل يغمر قلبه و دفء ملأ كيانه للمرة الأولى بحياته



" إن شاء الله هيبقى كويس .. كلنا هنبقى كويسين .. ربنا كريم
أوي "

لم يكد ينتهي من جملته حتى تعالى صفير جهاز رسم القلب
معلناً توقف قلب عُمر عن العمل.



الفصل الخامس و العشرون

أحياناً يتوجب علينا الإحساس بالفقد

ربما كان فيه إزهاق أرواحنا

ربما تتوقف بعده الحياة

ربما يحتال علينا قلبنا

فيتوقف للحظات أو لدهور

إلا أن للفقد عِبرة

للحنين إلى الفقيد لذة

علَّ الله يرحم .. يُطبب جراح اعتقدناها

لن تبرأ بعدهم أبداً



صغير جهاز القلب دوى بأذنيه كدوي أكثر القنابل فتكاً فتمزق جسده و روحه و كل كيانه لأشلاء.

اتسعت عينيه ذهولاً و خرَّ على ركبتيه أما فراش صغيره الذي غادره النبض ؛ لا يزال متمسك بيده في قوه غير قادر على تركها ؛ غير واعٍ أو مدرك لما يحدث حوله .

لم يشعر بهم يبعدونه عن الصغير لمحاولة إنعاش قلبه دون جدوى ؛ و لم يدرك أن زهرة قد انهارت بجانبه فاقدة لوعيتها أو فاقدة لأي رغبة بالحياة و قد صار سبب كونها قادرة على العيش غير موجود.

لم يرى أو يسمع أو حتى يشعر بكل ما دار حوله. غادره مراد الذي يعرفه ليتشبث آخر بالجسد المسجى أمامه بلا أي أثر للحياة .

عُمر ..

بعض الأشخاص تكون أفضل من البقاء بين عالم البشر .
و سبحانه يُحسن الانتقاء حقاً!!



يختار الأنقياء .. النسمات العطرة التي يخاف أن تفقد غيرها
وسط غيلان بني آدم.

تجمدت الدموع في مقلتيه ؛ استدعى وعيه بالقوة ليترجم ما
يخبره به الطبيب الإنجليزي .

بكلمات مقتضبة .. و شرح أكثر اقتضاباً.

لقد نجحت العملية نجاحاً باهراً .. استقبل جسد الصغير القلب
الجديد بكل ترحاب .. و لكن ..

و آااااه من كلمة تنافي ما بعدها ..

جلطة صغيرة .. فقط بحجم حبة أرز قتلته..

و يالسخرية القدر ..

يعيش بقلب عليل لما يُقارب من الستة أعوام لتنتهي صلاحية
قلبه الجديد قبل أن تبدأ.

وليته كان بقادر على استبدالها..

و لكن ..



في قانون البشر ..

الأعضاء المباعة لا تُرد و غير قابلة للاستبدال!!
و في قانونهم أيضاً لا تضحك الأقدار لمن سخر منها و سخرها
لأهوائه .

و لقد فعلت..

منحته فقط الفتات ليشعر بأن حياته السابقة كانت هباء .. و أيامه
القادمة تحمل للحياة كل معنى.

ربما تأخر كثيراً .. أو ربما طال به أمد الظلم أكثر.

اقترب من فراش الصغير و جلس على طرفه بكل رفق خشية أن
يسبب له الألم؛ قبل جفنيه المغلقين في رفق تبعه بوجنتيه.

لم يستطع احتمال الأمر أكثر ليجذب جسد عُمر بكل رفق ليغمره
في حنان بين ذراعيه.

لقد عاقبه الله بالفقد..



لقد غمر ابنه بين ذراعيه بالفعل كما تمنى على الدوام و لكن
الغمرة كانت لجثة هامة.. غادرته روحه قبل أن تغادر جسد
الصغير.

حينها فقط أجهش بالبكاء و فمه ينساب منه سيل من
الاعتذارات و الأمنيات التي لم تتحقق بالكامل .. و رغبات ود
لو صرح له بها ..

و أشياء ودّ لو شاركه إياها.

لم تكن الحياة لتصبح أشد قسوة عليه من الآن..

لم يكن ليشعر بعمق الألم الناتج عن الفقد لو لم يحب لتلك
الدرجة.

يندم لهذا الحد..

يزيل أحدهم غشاوة القسوة عن قلبه بالقوة ..

حتى ولو كان من فعل ذلك ..

ابن سبق و رفضه ..



ارتاح لموته سابقاً لأنه لم يكن على قدر كاف من المسؤولية..
حتى لو لم يُمنح رفاهية حبه سوى لبضع ساعات لا تُشبع جوعه
للحب!

و على سبيل الوجد

كنت أنا بخير عندما كنت غريباً !!

ولكن ..

هل كان بخير حقاً أو أنه مثَّل أنه بخير فأتقن الدور الذي أسند
إليه فتقمصه حتى آخر لحظة باحتراف.

التقت عينيه بها و قد أعاد الحزن ترتيب ملامح وجهها من
جديد.

صار وجهها فجأة باللونين الأبيض والأسود .

اقتربت لتتهف باسم الصغير في يأس " عُمر .. اصحى يا قلب
" ماما !! "



جذبها بذراع فيما أبت الأخرى ترك الصغير.

تابعت بهزة رأس قوية تنفي ما صار: انت مش هتسييني؟! ..
انت وعدتني .. لسه في حاجات مقلنهاش و حاجات ملحقناش
نعملها.. طب أقولك .. لو القلب ده مش نافع خُد قلبي يا عُمر ..
انت أصلاً قلبي يا قلب أمك.

دفعت بذراع مراد التي طوقتها محاولة التخلص منها لتقترب
أكثر .. تهتف باسمه مرة و أخرى و أخرى دون أدنى استجابة.

حتى صدرت الأخيرة بزعة

"عمر"

ترك الصغير مكرهاً ليضع كفه على فمها مانعاً إياها من الصراخ ؛

طلب منها الصمت .. الصبر .. الاحتساب

ألمها سيؤلم عمر .. حُزنها سيقض عليه راحته.

فلترحم الصغير الذي خُطف من بين أيديهم في لحظات.

هزت رأسها في وجع لا يضاهيه أي ألم في العالم ..



أجهشت بالبكاء و سبته و ضربته بقبضتيها في قوة ؛ تركها لتفرغ
كل ثورتها و حزنها فيه ؛ ودّ لو بإمكانه امتصاص ألمها بالكامل و
لن يبالي ما دامت ستشعر و لو بالقليل من الراحة.

فالألم في حالته مستحق !!

و في الانتظار بعض التمني و بعض الأمل ..

ربما أمل لن يجرؤ على التصريح به و لكنه يبقى أمل .

دوامه تنازعتها منذ أعلنت فريدة بوجوب زواجها بياسين ؛ و كأن
الأمر كان ينقص تلك الزيجة ليزداد تعقيداً.

لديها كل الأسباب للرفض .. و كلها أيضاً للقبول باعتبار كل
جارحة على حده تطالب به .. ترجو منه اقتراب بأي صيغة
كانت..

و تتوسله الابتعاد بيأس!

تقبلت وجوده على مضض ؛ بل إنه فرض وجوده بالقوة عندما
أتى موعد نزع جبيرتها.



و هناك كان في حالة يُرثى لها ..

غاضب حد حرق كون بأكملة ..

تأفف و زفر للمرة الألف و هو يرمق الطبيب الشاب الذي فحص
ساعدها للتأكد من سلامته.

تطلع للطبيب بغل و هو يتبادل معها بضع ملاحظات ودية ؛
كانت تبتسم على إثرها في رقة تذيب القلوب فود لو استطاع
محو تلك الابتسامة التي فاضت إعجاباً من على شفثيه للأبد.

زمجر بغضب و جذبها لتقف ليغادرا حجرة الكشف : أعتقد كده
تمام .. شكراً يا دكتور.

التمع الفوز في عيني الطبيب حالما اكتشف خلو أصابعها من
دبلة خطبة أو زواج فيما التمعت أمام عينيه دبلة فضية في بنصر
ياسين الأيسر.

حاول اخفاء الأمر بنبرة محايدة و قد عرض عليها خدماته
كطبيب و غمغم بلهجة حذرة

" ممكن آخذ عنوانك يا آنسه لى .. عشان أطمئن إن كله تمام "



ضم ياسين قبضته في قوة محاولاً السيطرة على أعصابه حتى لا يرتكب جريمة في حق هذا الشاب.

شدد على حروفه " مدام لمى عملت أشعة و أعتقد إن كده تمام .. ميرسي "

اتجه بها للباب فهمست بكلمات شاكرة لطفه فيما صنفق الآخر الباب في عنف.

لم يترك ذراعها إلا عندما جلست على المقعد المحاور له في السيارة ليستدير للجانب الآخر و يصفق باب السيارة بقوة انتفضت تمارا على إثرها.

زفرت في سخط بدورها و استدارت تجاهمه

" ممكن أعرف انت متترفز ليه .. لو المشوار تقيل عليك أوي كده كان ممكن آجي لوحدي على فكرة أو مع يارا أو رمزي ."

كشرفي وجهها ؛ لا بد أنها حمقاء .. أو جاهلة عن مدى تأثيرها عن كل رجل يقترب من فلكها.. كانت غير واعية أنها كقدر



العسل .. يجذب لونه و رائحته و طعمه الغني كل نحلة في
الجوار.

هتف بغضب " ما هو أنا مش معقول أسيب شغلي و أطرده في
العrsan و

لا أعين لك حراسة يبعدوا عنك الحبيبة .. كده كثير "
تطلعت إليه بعدم فهم تبعته زمجرة غاضبة " إنت .. إنت .. إنت
لا تُطاق! "

انطلق بعنف مُثيراً زوبعة ترابية ؛ ترجلت حالما توقفت السيارة
أمام المنزل ؛ لترى الأخرى تنتظره .. تغمره بود.

انطلقت من إثرها لترتمي على فراشها حالما دخلت .

طالعت عينيها التوأم اللذان بدأ بالتململ في فراشهما و قد
أوشكت قيلولتهما على الانتهاء.

اقتربت لتقبل كل واحد منهما على حده، تنفست بعمق و قلبها
يخفق بقوة .



غاضبة عليه لكونه شوكة بخاصرتها على الدوام.. و غاضبة من
نفسها لسذاجة الوقوع في أسره رغم كل المحاذير التي تنهاها
عن حبه.

و لكن ..

أحياناً يظهر الحب في وقت خاطئ للغاية ..
يأتي على أمل بداية جديدة في مكان جديد..
بل إنه أحياناً لا يطرق الباب حتى و يأتي متسللاً ..
و لكن بالنسبة لحب يكاد يرتقي لمرحلة المستحيلات..
هل يمكن للإنسان أن يقول نعم إن أراد ذلك من كل قلبه ..
أم أن الأسلم أن يختار الهروب .. الرفض .. الرحيل !!

ابتسامة على ثغركارما جعلتها تنسى كل الأفكار مؤقتاً ..
اندمجت معها لساعة أو تزيد قبل أن تجد فريدة أمامها ..



داعبت حفيدها لبعض الوقت؛ لم تكن قد تحدثت إليها منذ ذلك الحين في موضوع الزواج.

بدأت تمارا الكلام معها " أخبار عمو إيه يا ماما؟! "

غمغمت فريدة بشرود " كويس الحمد لله "

عادت تمارا تتساءل " مشوار المستشفى كان مُتعب أكيد "

خصوصاً إن عمو مش بيقدر يتحرك؟! "

أومأت فريدة برأسها بالإيجاب " أكيد .. بس لازم عشان "

التحالييل الدورية و متنفعش تتعمل في البيت للأسف "

تفرست فريدة في ملامحها بتمعن فتوردت وجنتي تمارا و

ابتعدت بعينها لتعاود مداعبة التوأم في حب .

تساءلت فريدة بجدية : بتحبيهم؟! "

هتفت تمارا بعفوية و هي تغمرهما في حنان : أكثر من روحي !

غمغمت فريدة بحذر و عينها تتابعان كل حركات تمارا و

سكناتها



" طب ليه مش موافقة على جوازك من عمهم رغم إن دي
مصلحتهم "

شهقت تمارا لتغير مسار الحديث فجأة دون أي إنذار مسبق .

" أنا .. أنا .. مينفعش أتجوز ياسين !! "

_ ممكن أعرف ليه !؟!

تهربت تمارا : ميت سبب بيعدوني عنه .

_ عشان متجوز !؟!

أجابت : ده مجرد سبب من أسباب كتير .

_ ولا عشان حبك لهشام !؟!

تلجلجت قبل أن تجيب : و .. ده .. سبب تاني !

لمست فريدة ذراع تمارا و عادت تتساءل : إنتِ ليه جيتِ بالتوأم

هنا رغم إن كان ممكن تربيههم بعيد من غير ما نعرف عنهم

حاجة !؟!



زوت تمارا ما بين حاجبيها في قلق " ما أنا قلت قبل كده إن دي
كانت وصية هشام الله يرحمه "

حاصرتها فريدة بل إنها كانت تنهال عليها بالكلمات تحشرها في
زواية لا تستطيع معها التملص .

_ طب لو قلتلك إن جوازك من ياسين ضروري عشان مصلحة
التوأم و عشان يفضلو هنا علطول تحت عيني و تحت عين عمهم
عشان نطمئن عليهم دائماً.

اغرورقت عيني تمارا بالدموع و هي تشعر بالعجز و قلة الحيلة؛
لم تكن تتوقع أن يأخذ الأمر هذا المنحنى أبداً.

تطلعت إليها برجاء : حتى لو مش عايزه!؟!

_ قوليلي إيه أسبابك !

انسابت الدموع من عينيها فرق قلب فريدة فجذبته لأحضانها
تربت على ظهرها في حنو.

_ مقدرش أتجوز واحد متجوز غيري .. مينفعش أأذي ياسمين
بالشكل ده.



اعترضت فريدة : و لو قلتك إنها موافقة !

هتفت بصوت مختنق العبرات : مقدرش .. مينفعش .

حشتها فريدة : ليه ؟!

_ عشان .. عشان .. مش بحبه و لا هو بيحبني .. و عشان أنا ..
أنا ..

حشتها : انتِ إيه ؟!

أغمضت عينيها و قذفتها مباشرة لكي لا تجبن فتراجع :

أنا مش لمى .

اندفعت الكلمات بعدها تبرر ما صار و منذ البداية ..

كيف انتهى بها الأمر في المشفى لتودع أختها بعد وصية بألا
ترك التوأم .. تبعها وداع هشام بوصية أخرى تشمل وجودها هنا
مع التوأم .

أقسمت أنها حاولت كثيراً أن تُخبرها بالأمر .. إلا أنها كلما مضي
الوقت كان الأمر يزداد صعوبة .



لم يكن كل ما فعلته له أي غرض سوى البقاء مع توأم أختها دون
أن تُخل بوصية أيهما.

سواء لى أو هشام !

لم يكن لها أي نفع سوى البقاء حيث التوأم ..

ابنيها اللذان لم تنجبهما.

أجهشت بالبكاء بعد أن انتهت من سرد كل شيء و كيف توصلت
رمزي عدم البوح .. و كيف هددها مراد بالكشف عن أمرها أو

الزواج ..

لم تتوقف يدي فريدة عن الربت على ذراعها في حنان أم
تحتوي ابنتها التي أخطأت بحقها قبل أن تكون حماة تجلدها
بسياط الخداع الذي مارسه عليهم.

مسحت فريدة الدموع التي انسابت على وجهها في سرعة

_ عارفة لو مكنتش حبيتك بجد .. كان هيبقى لي معاكي

تصرف تاني يا تمارا.



ابتسمت تمارا و قبلت وجنتي فريدة في حب غامر قبل أن
تتوقف فجأة

" تمارا !؟ "

أومأت فريدة برأسها و بسمة معرفة علت ثغرها

_ احنا كنا في المستشفى الرئيسي النهاردة .. اللي على الطريق
عارفاها طبعاً.

اتسعت عيني تمارا بالمعرفة فتابعت فريدة و قد اتسعت ابتسامتها

_ أيوه عرفت .. هناك كان عندي فضول أسأل عن الحادثة اللي
حصلت من شهر و هناك قالولي الممرضات عن البنت اللي
جات من القاهرة و شافت أختها و جوزها و هما يموتو قبل ما
تاخذ أختها و تمشي.

أطرقت تمارا برأسها في ندم و قد انتهى الكذب أخيراً

" أنا آسفة "

تطلعت إلى فريدة بترقب و عاد الخوف يسيطر عليها ..



رهبة من ألا يكون لها وجود في حياة التوأم لأنها لا تحمل
الصفة الشرعية اللازمة للاحتفاظ بهم.

تساءلت بحذر و انتظرت الإجابة بتوق

" هو انتِ ممكن تحرميني منهم؟! "

هتفت فريدة بنفي مؤكد " مستحيل أحرم أم من ولادها "

بضعف همست تمارا : أيوه .. بس أنا ..

وضعت فريدة كفها على شفتي تمارا : إنتِ أمهم يا بنتي .. و ده

أنا شفته و حسيته من أول يوم.

بحذر عادت تمارا تتساءل

_ كده مفيش مبرر للجواز ده؟! "

هتفت فريدة بتصميم : بالعكس .. دلوقتي المبرر بقى أكبر!

ربما كانت تمارا تحمل عشرات الأسباب للرفض ؛ و لكن فريدة

كانت تحمل من أسباب القبول أكثر بكثير.



لم يتوقف عن المحاولة قط؛ يبتعد ليعاود الاقتراب ؛ و يقترب
 حد التأفف تكاد تراه على الدوام لا ينفك عن محاولاته الدؤوب
 لينال منها صفحاً لا يستحقه فتنهره بألا يضغط على مشاعرها
 أكثر من ذلك.. فيبتعد حد افتقاده فتبحث هي عنه بلا وعي بين
 وجوه تعرفها و أخرى تجهلها تلهث خلف بعض من مشاعر باقية
 لم تتمكن من التخلص منها بالكامل.

استوقفها على باب الوحدة الصحية و كأنما ظهر من العدم ؛
 أغمضت عينيها تُخفي حيناً إليه لا تستطيع التحكم به.

أدارات له ظهرها و غمغمت بقسوة مفتعلة : خير يا زيد !؟!

تطلع إليها بعينين أحاطتا بها في رقة و اشتياق؛ ود لو تلمس ابنه
 الذي أعلن عن وجوده بقوة فقد تكورت بطنها بطريقة زادتها
 فتنة.

لم يكن أن يتخيل أن يارا خاصته .. صغيرته التي وعي قلبها على
 حبه و خلق قلبه فقط من أجلها .. هي الآن حامل بصغيره هو !!



افتقدها و كل جوارحه تشهد بذلك

_ وحشتيني!

زمت شفيتها بضيق : زيد!!

ابتسم بمرح يحاصرها بشخصه القديم الذي عشقته : الله ..

أكذب يعني !!

حاولت اخفاء ابتسامتها بخطوات جدية سبقته للدخول للوحدة

فتبعها

_ أنا هدخل معاكي.

توقفت لتنظر إليه في تساؤل : معايا فين !؟

هز كتفيه معلناً حقه في وجوده في حياة ابنه حتى لو رفضت

وجودها هي

_ عند الدكتورة يا يارا .. أعتقد من حقي أطمئن عليكِ و على

ابني.



تنهدت في يأس و هي لا تعلم من أين عرف بميعاد متابعتها من الأساس.

أشار إليها لتقدمه لحجرة الكشف .

فحصتها الطبيبة الفحص المعتاد ؛ توقفت قليلاً عند ارتفاع في ضغط الدم و حذرتها من خطورته عليها و على جنينها.

طلبت منها الصعود على سرير الفحص ؛ وضعت سائلاً لزجاً على بطنها و ..

خفق قلبيهما في عنف حالما ظهرت صورة الجنين على شاشة تلفزيونية مجاورة ؛ و ضربات سريعة للغاية جلبت ضحكة فرحة من يارا و دمعة تجمدت في مقلتي زيد.

تساءل بخفوت : دي دقات قلبه!؟!

أجابت الطبيبة بالإيجاب فعاد للتساؤل : بس دي سريعة أوي .. هي كده طبيعية!؟!

عادت تجيب و هي تتفحص الشاشة الصغيرة أمامها بدقة : طبيعية جداً .. الجنين زي الفل ما شاء الله .



احتضن كفها و تطلع كليهما في الآخر بسعادة ؛ نسي حينها أنه
جرحها و آلمها كثيراً كما شاركتها هي الفرحة بجنين لهما تراه و
تشعر بوجوده الجلي ربما للمرة الأولى فصدف أن شاركها ذلك
الاكتشاف.

" تحبو تعرفوا هو ولد و لا بنت ؟! "

لم تنفصل عينيها لتبتسم الطيبة إثر " لا " التي أعلنها كليهما
في ذات الوقت.

ساعدتها لتزيل آثار السائل اللزج عن بطنها و جذب ذراعها
لتعتدل جالسة ؛ عدلت ملابسها و ربت على بطنها في حنان و
لا تزال البسمة ترسم ملامح وجهها بأكمله.

" هو صلك "

أعلنها بإصرار يرفض حتى فتح أي مجال للمناقشة.

توقفت أمام المنزل لتستدير إليه معلنه " أظن كده كفاية يا زيد ! "
تنهد بعمق و قرار اتخذه منذ بعض الوقت إلا أنه كان يمنح نفسه
و يمنحها الفرصة للنسيان أو التذكر لا فارق.



" تفتكري؟! .. عمري ما حبي ليك هينتهي و عمري كله معاكي
مش هيكون كفاية! "

هزت رأسها بيأس تبعه صمت لا تجد ما تنهاه به عن التعلق بها
بذلك اليأس.

خرجت من صمتها أخيراً لتعلن

_ ما تحاولش تجمل مشاعرك و لا تقول كلام من ورا قلبك يا
زيد .. اللي بيحب ما بيجرحش .. ميعرفش يقسى على اللي
بيحبه .. مينفعش يوجعه و يقول مكنتش أقصد أو أنا عندي
أسبابي.

صمت بدوره يستوعب مقدار ألمها و يقتله ذلك الجرح الذي
يميتها و الأسوأ أنه بسببه هو.

انسابت الدموع من عينيها لذكرى تشاركاها ..

وعد قطعه على نفسه قديماً ألا يترك أي شيء يؤذيها أو يوجعها

..

ألا يترك أياً كان يبكيها.



أقسم حينها أنه لن يكون رجلاً حقاً إن تركها فريسة الألم و
الدموع..

تطلعت إليه بخيبة أمل ..

و بأعماقها تصرخ ..

فلتودع رجولتك إذاً

فألمي و دموعي بسببك أنت !!

تركته و هرولت باتجاه المنزل تسبقها دموعها

" أنا رديتك لعصمتي يا يارا ! "

توقفت دون ان تنظر إليه ليزداد هطول الدموع من عينيها و

تهمس بوجع لا يضاهي

" ليه يا زيد .. ليه ؟! "

استدار هو ليجبرها على التطلع إليه ؛ على الاستماع

" يارا .. أنا بحبك بجد و مش متخيل حياتي من غيرك ..

غلطت أيوه معترف و يمكن مكنتش ساعتها مقدر عواقب الغلطة



دي و لا أبعادها .. أنا مستعد أخسر أي حاجة في الدنيا إلا انتِ
 .. عايزه تعاقبيني .. تكرهيني .. تخلصي حقتك مني .. أنا موافق
 .. اعلمي كل اللي يرضيكِ "

توقف قليلاً قبل أن يعلن بتصميم " بس و انتِ معايا ! "

تمت مراسم الدفن و رقد الصغير في مقابر عائلة الجبالي ؛ و كان
 اعتراف أبلغ من أي كلام و لكن هيهات .
 أصر مراد على زواجه من زهرة قبل الوصول للبلدة و تم العقد
 بالفعل .

لقى كل دعم ممكن من الجميع بل و أقصى مما كان يتوقع
 بكثير .

شاردة كالمعتاد تتطلع للبعيد حيث تحيا بكل كيائها ؛ و ربما
 للأبعد .



أحياناً يراها لا تزال تتحدث معه أو تبتسم له أو حتى تبكي خوفاً
عليه وكأنه لا يزال مجسداً أمامها يعيش في خيالها و تحيا معه
فيه.

"زهرة"

لم تجب من أول مرة بل كرر النداء و ربت على ذراعها لتعي
وجوده.

عينها لم يعد يعرفهما ..

فقدتا بريق كان يسكنهما و يميزها عن جميع من عرف؛ حزن
عميق أبدلها بغيرها.

حزن لم يسكنها وحدها و الله يعلم و لكنها أجبرته على التوقف
عن التفكير في مراد ليفكر فيها هي.

" أنا آسف ! "

تطلعت إليه بشرود قاتل : آسف !؟

ماجت المشاعر بداخلها و كأنما تلك الكلمة الصادقة أخرجت
كل ما تجاهلته أو حاولت وأده بأعماقها.



صرخت بصدمة : آسف !!

تطلعت حولها تعي وجودها معه وحدها لتساءل : عُمر فين يا

مراد !؟

جذبها بقوة و أحاطها بذراعين قويتين يقاوم محاولاتها للانفلات
من بينهما.

" عمر راح لمكان أحسن من هنا ميت مرة .. مكان يرتاح فيه من
الوجع و المرض و العمليات و المستشفيات .. مكان هيكون
أجمل و أريح من هنا بكثير. "

أخذت تقاومه بضراوة للحظات حتى يأسست إفلاته إياها فتوقفت
عن المحاولة بتعب .

_ أنا كنت عايشه بيه يا مراد .. عارف يعني إيه عايشه بيه!؟ ..

يعني بنام و هو في حضني و أفتح عينيه كل لحظة عشان أطمئن
انه لسه معايا و قلبه حتى لو ضعيف بس لسه بيدق .. بحلم باليوم
اللي هيخف فيه و أبطل أقلق عليه .. عمري ما تخيلت إنه ممكن



يسيبني .. عمري ما شفت نفسي من غيره.. أنا مينف عش أصلاً
أعيش من غيره.

بحث عن ثبات يُقوي به نفسه التي تشتاق الصغير حد عنان
السماء ؛ يبحث عن كلمات يواسيها بها و يعلم علم اليقين أن كل
حروف الأبجدية غير قادره على مواساة أم فقدت وليدها.

غمغم بثبات واهٍ : و مين قال إننا هنعيش من غيره .. عمر معانا
و هيفضل جوه قلوبنا لحد ما نموت.. مش عايز أقولك أد إيه
حاسس بالألم و الندم لأنني مكنتش معاكم لحظة بلحظة .. و لا
أد إيه بفكر و أقول يمكن .. يمكن لو كنتم معايا كان حالي اتغير
.. و حالكم بقى حاجة تانية .. يمكن مكنتش راح من إيدينا ..
بس أرجع و أستغفر ربنا و أقول و عسى أن تكرهوا شيئاً و هو
خير لكم.

أجلسها أمامه دون أن يتركها ؛ تطلع إليها بعينين فاضتا بالدمع
_ أنا كنت بتمنى طفل .. يمكن أكثر من أي حاجة اتمنيها في
حياتي.. حسيت إنني محتاجه عشاني أنا .. عشان مراد .. بس
أول ما لقيت عمر .. و حسيت أد إيه هو اللي محتاجني ..



معرفش إيه اللي جرافي .. كنت مستعد أعمل أي حاجة عشان
يفضل معايا .. و لما .. لما ضاع من إيدي حسيت إنني أنا اللي
ضعت .. حسيت بوجع عُمري ما تخيلت إنني ممكن أحسه رغم
إنني يدوب عرفته كام ساعة بس .. بس اتعلمت فيهم كثير أوي
.. ندمت إنني معرفتكوش بدري .. ندمت إنني سبتكم تضيعو
مني من الأول.. من هنا ورايح صدقيني أنا هبقى مراد اللي
حبيته زمان .. مراد اللي حلمتي تغييره و معرفتيش .. مراد اللي
يستحقك بجد.

تطلعت إليه تخبره أن محاولاته لم تعد ذات أهمية أو جدوى

_ بعد إيه يا مراد !؟

أمسك كفيها ليهدف في تصميم : من دلوقتي و كل يوم و كل
لحظة عايشها .. هثبت لك فيها إنني أستحق إنك تكلمي عمرك
معايا.

بعض الوعود تحمل أملاً ..

و بعضها يحمل زيفاً ..



و لا شيء قد يثبت لك زيفها من صدقها إلا الأيام !!

أخبرته بثبات تقتل حتماً في نفسه قد ينتظر أنها قد تمنحه فرصة
تحقيقه

_ أنا مش مستعدة أجيبك بديل لـ عُمر .

ابتسم بمرارة : و مفيش أي طفل في العالم ممكن يكون بديل
لعمر.

أومأت برأسها توافقه ؛ ارتكنت برأسها على كتفه في إرهاق و
عادت عيناها للشروق بعيداً تنتظر الغد و ما يحمله لها.

و كعادتنا دائماً..

نتنظر .. نحتاج .. نفتقد ثم نشعر بالحنين ..

نصمت ثم نمضي في الحياة ..

و كأن شيئاً لم يكن !!



الفصل السادس و العشرون

قالوا عن الغيرة أنها أجمل ما في الحب
و أوجعه ..

هي كائن في حد ذاته ..

يتم تفعيله بالحب الكامن في أعماق القلب..

يتغذى على الحماسة فيوقف عمل العقل ..

فيصاب الجسد بحمى ..

لا أرى غير ما أريد

لا أسمع غير ما أبغي ..

لا أعقل غير ما يصيب الروح بالحنق و الألم!!



وقف خلفها دون أن تعي وجوده ؛ تسللت إليه كالمعتاد؛ تجلس بجانبه تمسك كتاب الله الخاص بها تُرتل بما لا يُسمع ؛ فقط حركة شفيتها و خشوع ملامحها و الدموع المنسابة على وجهها تُخبره بأبلغ ما يكون عن أهمية وجودها هنا في هذه البقعة على وجه التحديد.

انتظر حتى انتهت و مررت راحة يدها على شاهد القبر في حنان قبل أن تضع راحة يدها على فمها تتلمس موضعه منها ؛ كأنما يحمل قبره عبقه فانتقل لراحة يدها التي كانت تمررها على شفيتها.

" عُمر مش محتاج قرآن و لا دُعاء يا زهرة ؛ عُمر مبلغش الحُلم .. ملاك ربنا قرر يرحمه من عذابه ووجعه "

انتفضت لصوته الذي فاجأها في خلوتها فانتفض قلبها في صدرها برعب لا شعوري لوجودها في المقابر بمفردها.

اقترب ليربت على ذراعها باعتذار

_ أنا آسف خضيتك!



أغمضت عينيها بضعف تعلم بصحة منطقته ؛ فعمر ذو الست
سنوات لم يكده يعيش ليدنّب من الأساس.

_ أنا بس لما بيوحشني مش بلاقي طريقة تانية أتكلم معاه بيها
غير القرآن.

انسابت الدموع من عينيها تبكيه و تشعر بالعجز لأن كل دموع
عينيها لن تمنحها الراحة و لا السكينة اللتان افتقدتهما بموته.
_ وحشني أوي يا زيد.. وحشني لدرجة الوجع.

أحاطها بذراعيه في مواساة اعتادها كلما ضاقت بها الحال إلا
أنها هذه المرة دفعته في رفق و تمتت : مبقاش من ححك
خلاص يا زيد.

أخفض رأسه و شعور بالخذلان تملكه فلم يستطع مواجهة عينيها
_ أنا آسف يا زهرة .. عارف إنك زعلانة مني بس كان غضب
عني.

تطلعت إليه في استنكار و هتفت : غضب عنك؟! .. هي دي
الأمانة يا زيد اللي عمي صابر أمك عليها .. هو ده ردك على



طلبي الوحيد اللي طلبته منك .. ليه يا زيد عملت فيّ كده .. ليه
 قلت له .. ليه سلمتني ليه بالبساطة دي و كأن كل السنين اللي
 فاتت دي هوا .. كل وجعي ده كان ملوش أي قيمة و لا تمن.
 توقفت ذراعيه في الهواء بعد أن منحته نظرة مفادها " ممنوع
 اللمس "

حاول التحدث بمنطقية إلا أنه يدرك جيداً أنه
 حين الوجد قلب المرأة يسبق عقلها و جنونها يسبق حُسن
 التصرف.

تهدلت ذراعيه على جانبي جسده ؛ هز رأسه في إحباط
 _ يا زهرة أنا أب .. كان لازم مراد يعرف إن له ابن خصوصاً ان
 كان ابنه ده بين الحياة و الموت .

تطلع إليها في إشفاق و تابع : صدقيني يا زهرة لو كان عُمر مات
 من غير ما يشوف باباه أو يعرفوا بعض كنتِ انتِ أول واحدة
 مش هتقدر تسامح نفسها طول العمر.

همست بألم يقطعها إرباً



" مش مسامحاك .. كلكوزي بعض .. مجرد كائن أناني عايز ياخذ و بس .. الدنيا كلها لازم تدور في فلكه و عشان مصلحته و رغباته إنما يفكر في حد تاني غير نفسه لأ .. مستحيل .. خلاص مراد بقى من حقه يعرف ابنه و يحبه و يزعل عليه كمان .. من حقه يدفنه و ياخذ عزاه .. من حقه ابن جاهز و زوجة تحت الطلب و كأن كل سنين وجعي دي كانت كابوس و خلص "

تطلع إليها في إشفاق ؛ يتذكر مكالمة مراد له بعدما استعاد وعيه بعد صدمة موت الصغير ؛ طلب منه أن ينتظرهم في القاهرة و يجهز كافة إجراءات الدفن و التصاريح اللازمة لذلك .

و بالفعل جهز اللازم واستقبلهم في المطار و قد أعد سيارة إسعاف مسبقاً لاستقبال جثمان الصغير .

انهارت زهرة بين ذراعيه حالما رأته ؛ منحها الدعم الذي اعتاد منحها إياه ففي النهاية مصابهما واحد .

انطلقا للمشفى حيث تم إنهاء كافة الإجراءات الشكلية من تصاريح و أوراق .



بكى زيد كما لم يبك من قبل؛ لم يكن فراق عمر بالهين و قد رافقه معظم سنوات عمره.

غفل كليهما عن الحدقتين اللتان كانتا تتابعان قربيهما في ضيق لم يلبث أن تطور لجذب ذراع زيد في محادثة جانبية
_ زيد .. انت لازم تطلق زهرة.

تطلع إليه زيد في حيرة للوهلة الأولى حتى تابع مراد في صرامة
_ انت كنت معاهم في غيابي .. أنا دلوقتي معاها.

ابتسم زيد بمرارة و فهم لشخصية مراد الغير أمينة على الإطلاق؛
فمراد سيبقى مراد في النهاية

_ لحد امتي؟!!

زوى مراد ما بين حاجبيه في تساؤل : هو إيه اللي لحد امتي؟!!
تابع زيد في صرامة : هتفضل معاها لحد امتي؟! .. تفتكر أنا
ممکن أحس بالأمان و هي معاك .. أنا آسف يا مراد.



تطلع إليه مراد في قوة و غمغم في صرامة: أنا استأمنتك على
أختي!

سخر زيد : غصب عنك .. أنا اتجوزت أختك غصب عنك و لا
نسيت!؟

هتف مراد في استنكار أقرب للاتهام : انت ساومت عليها!؟
هز زيد رأسه في مرارة و هو يستنكر فعلته الشنعاء في حق من
أحب

_ وفضل ندمان على اللي عملته في حقها طول عمري .. بس
أنا مكنش قدامي حل تاني .. أنا طلبت الفلوس علشان عملية
عُمر .. و لو اتكرر الموقف هعمل كده تاني .. انت متعرفش
إحساس العجز بيكون عامل إزاي .. إن ابنك يكون محتاجك و
انت مفيش في إيدك اللي تعمله عشان تنقذ حياته.

أحياناً تكون المرارة أقوى من أي شعور بالألم فماذا إذا صاحبها
الندم؛



فأول أمس تخلى مراد عن ابن رُزق به في غرور؛ ليهفو إليه
بيأس في الأمس؛ ليتسرب من بين يديه اليوم.

رفضه فحرم منه ليجده ويرحل عنه في ذات فقد!

عوقب بالحرمان و زوال النعمة التي سبق و رفضها بعنفوان من
اغتر بماله و شبابه و سطوته.

تبخرت القوة ليحل محلها الرجاء؛ كل ما يريده هو شرعية
التصريح بابن و حفظ ماء الوجه لزوجته.

_ أرجوك يا زيد .. عايز أَدفن ابني في البلد .. عايز الناس
تعرف إنه ابني و إن زهرة مراتي عشانها و عشان عمر .. و حقهم
في بيت و أهل و عزوة.

تنفس زيد بعمق في محاولة للتفكير المنطقي ف مراد على حق؛
من حق الصغير أن تتوارى سوءته في بلدته بين أهله و لقب زوجة
واجب في حالة زهرة حفظاً و سترأ بكل ما تعنيه الكلمة؛ و لكن
يبقى الأهم .. هل يمكن الوثوق بمراد كزوج.



طال صمته فقطعه مراد : زيد .. مفيش وقت للتفكير ؛ هنروح
للمأذون تطلقها و نقول للناس إنها مراتي عشان الدفن و العزاء
لحد ما العدة تخلص و أتجوزها.

زفر زيد في ياس : زهرة مش هتوافق و أنا مش هقدر آمن عليها
معاك.

أمسك مراد يديّ زيد في عجز و رجاء : أوعدك لو ساعدتني إني
أرجعها عمرك ما هتندم .. أنا من أول ما عرفت إن عمرك موجود و
أنا بعيد حساباتي من جديد.. أنا مبقيتش مراد اللي كنت تعرفه و
مش هكونه تاني .

أخفض رأسه في ألم يُخفي عنه بضع قطرات من دمع غافلته
فتساقطت على وجنتيه.

فظهر الصغير كان صفة .. و موته كان طعنة في صميم نفسه
المهترئة.



_ أنا كنت ناوي أعوضهم و أعيش بس عشان أسعدهم .. بس
ربنا شاف إنني مستحقش واحد زي عُمر .. أقسم لك إنني عُمرِي
ما هجرها و لا أخلى بيها تاني.

استشعر زيد الصدق في وعده؛ و المنطق في كلامه
ابتسم زيدو غمغم في بطاء : ممكن تتجوزها علطول على فكرة.
زوى مراد ما بين حاجبيه في استفهام و حيرة
" مش فاهم !! هي مش مراتك "

أكد زيد : مراتي لكن .. على الورق بس .. جوازنا مجرد عقد
يثبت شرعية وجودي معاهم و ينفي جوازي الفعلي منها.
عاد مراد يهز رأسه في حيرة فتابع الآخر بتأكيد أكبر محاولاً جعل
كلماته أكثر وضوحاً

_ مراد .. أنا بحب يارا و متجوزتش غيرها .. أنا و زهرة
محصلش بينا حاجة يعني طلاقنا يعتبر فسخ عقد و ملهاش عِدَة
لأنني ملمستهاش .. تقدر تتجوزها فوراً بعد فسخ عقد الجواز.
اتسعت عينيه في دهشة .. فطوال تلك السنوات ..



زهرة ..

زهرة لم تتفتح لغيره!

و تم عقد القران الجديد ؛ أقنعها زيد بأن الأمر من أجل عُمر ؛
وافقت على مضمض فهي لم تكن قد امتلكت كامل وعيها حينها.

الآن تلومه .. تلومهما معاً

هو و مراد ..

ربما معها بعض الحق فهي أكثر من تألمت ؛ تعرضت معه إلى ما
لا يُطاق ؛ بل إنه يعتقد أحياناً أن حالة عمر المرضية هي ما أبقت
على سلامة عقلها ؛ انشغالها الدائم عليه و خوفها من فقده جعلها
تستعين بكل طاقة تملكها أو ربما بأكثر مما كانت تظن أنها
تمتلك يوماً لتحميه بكل كيائها.

_ أنا عارف إن صعب عليكِ تواجهيه بعد كل السنين دي بس لو
فكرتي بعقلك شويه .. خرجي قلبك من الصورة و حَكِمي عقلك



.. ابنك عاش غريب .. كنتِ عايزاه كمان يموت غريب و يتدفن
بعيد عن بلده و أهله .

كانا يتحدثان في طريق العودة حتى توقفا أمام الشرفة التي
احتوت الإخوة الثلاث و نور حولهم تحاول إضفاء بعض من
مرح على الوجوه المكتئبة لثلاثتهم.

زوجين من العيون احتدتا لمراى زهرة و زيد معاً؛ بل أن الأمر
امتد للضيقة فالغيرة.

تركت يارا الشرفة مباشرة بعد زفرة ضيق لم تستطع أن تكتمها؛
أما مراد فنهض يستقبل زوجته بشبه ابتسامة و نظرة مؤنبة لزيد
الذي رفع كفيه في استسلام لوقف إطلاق نار غير مُعلن ؛ استدار
مغادراً على إثره.

تمت بتحية مبهمة و دخلت خلف تلك الغاضبة .

تهالك مراد على المقعد ثانية و زفر في حرارة .

تطلع إليه رمزي في إشفاق قبل أن يحرك كرسيه ليقرب من أخيه
الذي يبدو و كأنما يحمل هموماً تنوء بها كاهليه.



_ شِد حيلك يا مراد .. لازم تكون أقوى من كده عشان مراتك محتاجاك.

ابتسم بسخرية : المشكلة إنها مش محتاجاني .. مش عايزاني يا رمزي.

أغمض عينيه ثم تنهد في استسلام

_ أنا هحكيلك.

تتابعت المشاعر على وجه مراد ؛ انتظر قليلاً في محاولة لتجميع خيوط القصة في عقله ثم تنهد

_ انسى كل اللي ما فات مادام في أمل في بكره .. هي خلاص مراتك دلوقتي .. و أنا قلبي حاسس إن مراد اللي كان رد فعل لأخطاء قديمة خلاص اختفى .. مراد اللي قدامي دلوقتي إنسان مختلف.

و كان على حق .. فمراد الذي جنت عليه أمه فعبث حد الفساء من كل جنسها علمته إحداها معنى أن تحب و تساند و تضحى بلا مقابل ..



بل حتى ظلم للنفس تام.

و علمته أخرى أن بإمكان القلب أن يعود ليخفق من جديد و أن
الحب الحقيقي لا يموت بالتقادم أبداً !

من المؤلم أن تمضي بنا الأيام و نحن نخطئ بحق أنفسنا و
الآخرين

دون فهم حقيقي لمغزى الحياة

و لكن الأكثر إيلاماً أن تستفيق لتتفهمها بعد فوات الأوان.

و كم تمنى ألا يكون الأوان قد فات حقاً !

تقابلا على رأس الدرج ؛ أخفضت وجهها لتجنب رؤيته لحمرة
خديها اللتان تصاحبها كلما رأته مؤخراً؛



كانت ترتدي زي ركوب الخيل مثله و لكنه كان قد قرر أن يرى
والده أولاً ؛

هرولت لتجاهله كالمعتاد طوال الأيام السابقة منذ واجهتهما
فريدة ببعضهما.

اختل توازنها على الدرجة الأولى ؛ شهقت في ذعر و قد اتسعت
عينها ؛ لوحت بذراعيها في الهواء في محاولات يائسة لاستعادة
التوازن إلا أنها فوجئت بذراعين قويتين تتلقفانها في سرعة قبل
أن تسقط.

دفعت ذراعيه اللتان أحاطتاها حالما استعادت توازنها مع تمتمة
شكر خافتة.

ابتعدت لتعود تنزلق مجدداً فأحكم ذراعيه حولها ثانيةً و هتف
بتأنيب

_ خُدي بالك!

تطلعت إليه بغضب يائس من أن يُحسن معاملتها يوماً و هتفت
بدورها : متقلّش عليّ.



جذبها بعيداً عن رأس الدرج ليلفت انتباهه بقعة لامعة على
الدرجة الأولى .

انحنى ليلمس تلك البقعة بسبابته ليكتشف أنها بالفعل مادة
زلقة.

صاح منادياً زينب التي هرولت باتجاههما ؛ نظفت تلك البقعة
جيداً مروراً بالدرج بأكمله بعد أن ألقى على مسامعها بعض
التعليمات الصارمة بشأن الإهمال و أن تلك السقطة قد تسبب
بموت أحدهم.

تبعها للأسفل و عينيه تُحيطها بعناية أو تجتذب إليها بلا وعي
متتبعه الإشارات المنبعثة من قلبه.. لا فارق!

استوقفها قبل أن تخرج من باب المنزل متمتماً : إحنا لازم
نتكلم!

أشاحت بوجهها هرباً من عينيه اللتان حاصرتها و همست
_ أنا ..

قاطعها محاصراً إياها و مغلقاً كل سُبُل الهروب



_ تعالي معايا .. هنركب سوا.

انطلقا معاً للإسطبل دار بعينه في أرجاء المكان إلا أنه لم يجد
الفرس التي اعتادت ركوبها .

وجه حديثه لعامل الإسطبل يسأل عنها فأجاب

_ الهانم طلعت بيها من شويه.

أوما ياسين برأسه في تفهم ثم طلب منه أن يسرج للمي الفرس
الأخرى في حين امتطى هو جواده المعتاد.

تحدثا في بعض الأمور العامة لبعض الوقت قبل أن يتساءل فجأة

_ ممكن أعرف انتِ رافضاني ليه!؟!

توقف قلبها للحظات ؛ وأدت بسمة ساخرة كادت أن تحتل

شفتيها فهي لا ترفضه أبداً.

انها تريده .. تحبه كما لم يسبق لها أن فعلت ..

و لكنها تريده هو بظروف مختلفة ..

بملايسات أقل تعقيداً..



ببساطة أن تكون هي أول من وقعت عليها عينه..

تكون أول من يسكن قلبه كما يصبح هو حبيبها الأول و الأخير.

فيعشقها هي

تمارا ..

لذاتها .. لا لأنها أنثى أخرى فُرضت عليه.

تنهدت في حرارة لا تقارن بما يموج بداخلها

_ ده على أساس إنك عايزني مش كده !؟

يا للحمقاء ..

تعتقد أنه مُجبر عليها ..

لا يريدھا..

و لا تدري أنه لا يرغب من هذا الكون سواھا..

فإن قبلت به و أحبته ثم انتهت حياته بعدها مباشرة سيكون راضٍ

تمام الرضى.



تنفس بعمق و حاول أن يكون حديثه حيادياً

_ تفتكري إن حد ممكن يفرض عليّ حاجة مش عايزها!؟!

تهربت من الإجابة لتتطلع للبعيد حيث قبع الجبل حاجباً معظم الأفق بهيبة و شموخ

_ بلدكم حلوة أوي .. تعرف إنني عمري ما طلعت جبل قبل كده.

ابتسم في فخر ممرراً تهربها تلك المرة بإرادته

_ بس كده .. الجبل و البلد و أهلها كلهم تحت أمرك.

تهللت أساريها و هتفت بسعادة

_ بجد .. يعني ممكن نطلع الجبل عادي.

امتدت سعادتها إليه لتنتشي بها عروقه في ثوانٍ وتتسع ابتسامته

_ و نقدر نخيم هناك كام يوم لو تحبي.

تحركت على الحصان بلهفة و دون وعي وكزته بساقيها فأطلق

الفرس ساقيه للريح .



شهقت للمفاجأة التي لم تُردها إلا أن الفرس لم يكذب يتحرك
بسرعة حتى سقطت عن صهوته مطلقاً صرخة متألمة .

اندفع نحوها بذعر يتلمسها في لهفة و قد امتقع وجهه في
لحظات

_ انتِ كويسه !؟

الدموع في عينيها أثارت خوفه فعاد يهتف في قلق

_ انتِ بخير .. حاجة بتوجعك .. انطقي!

شهقت لعنفه حتى في القلق عليها و تطلعت إليه باستنكار للقسوة
التي تعتقدها جزء لا يتجزأ من شخصيته.

لم تكن تُدرك أن معها فقط كل مشاعره تصل لمرحلة التطرف.

حاولت الاعتدال و هي تغمغم بسخط : كويسه .. متخافش!

هتف بها يمنعها من التحرك خوفاً من التسبب بضرر أكبر

: متتحركيش ..

كانت قد سبقته ووقفت تتألم قليلاً من أثر السقطة فقط



" مفيش حاجة حصلت الحمد لله ! "

هز رأسه في سخط امتزج بها دهشة بالغة

_ هو في إيه النهارده .. انتِ ناويه يجراك حاجة .

تطلع للفرس التي وقفت على بعد أمتار منهم بلا سرج ؛ بحث

بعينه عنه و زوى ما بين حاجبيه في حيرة و هو يقلبه بين يديه

يتفحصه في تمعن

_ السرج مقطوع !!

خفق قلبه في خوف و هو يتصور أن الفرس لو كانت مسرعة أكثر

مثل المرة الماضية لربما لم تكن بذات الحظ كالسابق و أصابها

مكروه حقاً.

هزت كتفيها في حيرة فيما تطلعت إليه بتعجب

_ المرة اللي فاتت حيوان خوف الحصان فوقعني .. و المرادي

السرج اتقطع .. الحمد لله.

أوماً برأسه متمماً بالحمد لله بدوره ثم تساءل فجأة



" بتقولي حيوان؟! .. نوعه إيه الحيوان ده؟! "

مطت شفيتها تظهر جهلها بالأمر فهي كانت شاردة به حينها فلم
تري الحيوان

_ مش عارفة .. مكنتش مركزة بس غالباً كلب .

زفر بقوة و قد بدأ الخوف يسيطر عليه حقاً فربما قد قابلت
الذئب سابقاً و حمداً لله أنها لم تره أو يهاجمها بدوره.

تنفس بعمق و هو يشير لجواده لتمتطيه

_ هنضطر نركب مع بعض .

اتسعت عينيها و تصاعدت الدماء لوجنتيها و هي تتخيل ملامسته
لجسدها بالكامل.

فاضطربت : لأ .. همشي .

اعترض : بس المكان بعيد و ..

قالت بحسم فيما كانت نبضات قلبها تطرق جنباتها في جنون

_ أنا بحب المشي .



غمغم بحزم : يبقى نمشي مع بعض .

أحكم وثاق الحصانين بعضهما البعض جاذباً كليهما بذات اللجام فيما جاورته هي .

صمتا معظم الوقت و على وجه كليهما ابتسامة متألقة رغم كل شيء فتلك الفترة تقريباً كانت أطول وقت قضياه معاً .

قطع الصمت أخيراً بسؤال تهربت هي منه سابقاً

_ مجاوبتيش على سؤالي .. ليه رفضاني!؟!

أخفضت عينيها لتأمل موطن قدميها و قد أيقنت أن الهروب صار مستحيل

_ مش يمكن عشان إنت مطلبتيش .

تأملها بتركيز و قلبه يخفق باضطراب و حرارة داخلية اجتاحتها

_ يعني لو قلتلك تتجوزيني هتوافقي .

هربت بعينيها فيما أجابت هامسة



_ يمكن ساعتها هفكر لأنك ساعتها هتكون انت اللي عايزني
مش مجرد زوجة اتفرضت عليك.

أعلن بحسم: سبق و قلتلك مفيش حد ممكن يجبرني على حاجة
مش عايزها.

ابتسمت و هي تتذكر هشام و كيف سبق و أخبرها أن ياسمين
بالتأكيد ستتزوج ياسمين من بعده و قد كان

_ و ياسمين!؟

تكلم معها بصدق و ربما كانت كلماته تلك تخرج من صدره و
للمرة الأولى

_ يمكن ياسمين مكنتش اختياري لكن أنا اتجوزتها بإرادتي.

تطلعت إليه للمرة الأولى و كيانه كله يتشوق للإجابة

_ طب و أنا .. هكون إرادتك و لا اختياري!؟

ود لو صرخ بأنها تحظى بهم معاً .. بل إن كل الاختيارات هي و
معها لن يستسلم لإرادة سلبتها هي إياه بمجرد احتلالها قلبه.



هرب من التصريح بما يُبطن لها ليعلم بيأس : جوازنا ضروري
عشان مصلحة الولاد .. عشان أقدر أحافظ على أمانة أخويا في
مراته وولاده .. عشان أريح بال أمي بوجودكم وسطها.

هتفت بعدم تصديق لمنطق يرضى كل الأطراف إلاهم

" و أنا .. و انت .. و ياسمين !؟ "

هزت رأسها في رفض : انت حتى رافض تعلن إنك عايزني أنا !

توقف فجأة و امسك معصمها في قوة ليحبرها على التوقف

بدورها ؛ أما عينيه فقد ارتسم بهما وجع لم يسبق لها أن رآته

بهما من قبل

_ عارفة يعني إيه حد يفقد ثقته في الحب كقاعدة ثابتة من

طفولته .. و لا انك توعدني وعد يطوق رقبتك و كل ما تحاولي

تتحركي ناحية اللي عايزاه يخنقك و يبعدك .. عارفة يعني إيه

تحسي إن الحاجة اللي عايزاها فعلاً تبقى أقرب لك من أنفاسك

بس أبعد مما تتخيلي.



جذبت ذراعها من قبضته بقوة غير عابئة بالألم الذي شعرت به
من اشتداد قبضته فوجع قلبها أكبر بكثير.

تطلعت إليه بمرارة من أهدر قلبه في قصة مستحيلة

_ مش ملاحظ إنك خرجتني من حساباتك .

تابعت لتجيب على التساؤلات التي ارتسمت على ملامحه

_ فكرت في هشام ووصيته .. في أمك إزاي تريحتها .. في

مصلحة التوأم .. في وعدك وإرادتك وإختياراتك وإسمين ..

الوحيدة اللي مفكرتش فيها هي أنا.

أعطته ظهرها و تسارعت خُطاهها للمنزل الذي لاح في الأفق

بالفعل .

أما هو فقد ألجمته المفاجأة ؛ و أخرسته الدموع التي تلالأت في

عينها ..

بسببه.

أقسى شعور هو كلام يدور بالقلب ..



فلا أنت قادر على البوح به ..

و لا يمكنك تجاهله أو حثه على الصمت!

انتفضت بغضب حالما رأتها تدخل المنزل لتهرول لحجرتها دون
حتى أن تُلقي التحية .

كان قد حسم أمره و تبع قلبه ربما للمرة الأولى منذ أعلن أنه
يُحب و هرول خلفها يود اللحاق بها قبل أن تذرف المزيد من
دموع الأسي.

ألقى التحية في سرعة و دون توقف قبل أن يقفز متجاوزاً
درجات السلم في قفزات واسعة حتى وصل لغرفتها.

طرقها فأذنت للطارق بالدخول ؛ تفاجأت بوجوده

اقترب خطوة فابتعدت اثنتان، لا تريده بقربها الآن تحديداً و
ربما أبداً

- انتِ مشِ فاهمة حاجة.



أدارت ظهرها له رافضة سماع ما يريد تبريره أو حتى زيادته
سوءاً.

فتابع مصمما على جعلها تستوعب و لو جزء بسيط مما يشعر به .
- أنا فكرت في ياسمين و في التوأم و في هشام الله يرحمه أيوه
.. بس أنا مفكرتش فيكي لسبب واحد بس .

زفر بحرارة قبل أن يتابع بخفوت : عشان معتبرك أنا .
تطلعت إليه بصدمة لتتابع مغادرته و بقية كلماته تدوي في قلبها
قبل أذنيها " و أنا غالبا مش بفكر في "

تابعت ياسمين صعوده خلفها فهبت بدورها واقفة في غضب
لتعتذر من فريدة التي عقدت حاجبيها في تساؤل و حيرة لما
يجري بين هذين اللذان لا تعلم متى ستهدأ الأمور بينهما.
صفقت ياسمين الباب خلفها قبل أن تبدأ في الدوران في الغرفة
و داخلها يحترق غلاً و ضيقاً.

ربما ضيقها ليس عن حب و لا حتى عن غيره ..



ففي حالتها بدأ الأمر بكره ثم أصبح تحدي ..

و في قوانين التحدي ..

يصبح الرجل طريدة المرأة وان لم تحبه

يكفي ان تسلبه الأخرى وتطفئ لمعة الانتصار بعينها

تناولت حبة من دواءها الذي تخفيه بين طيات ملابسها؛ انتوت
الحصول عليه بأي شكل من الأشكال و هي تمضي في ذلك
قُدماً.. و لن تستسلم .

تمنحه الجسد الذي من شأنه أن يلهيه عن الأخرى و لو لبعض
الوقت .. و ستظل تسعى للتخلص من وجودها كخطر على
استقرارها.

رغم اعترافها لنفسها بأنها محظوظة .. بل محظوظة لدرجة لا
تُصدق ..



فقد نجت من حادثتان ..
إحداهما قتلت أمها ..
و الأخرى حكمت على عمها .. الطرف الآخر في الخيانة
بالحياة مقعداً لباقي حياته.



الفصل السابع و العشرون

سبق و علمتني أن الحب منح
كاذب فأنا فقط من منحتك حد النضوب
أخبرتني أن العشق مؤلم ..
واكتشفت أنك هذه المرة على صواب!

الثقة قد تستغرق أعواماً طويلة لاكتسابها ليأتي فعل واحد من
شأنه أن يدمرها.

قيل عن الثقة أنها كقلعة من رمال من الصعب بناءها و هدمها هو
أيسر ما يكون.

أخذت يارا تدور في حجرتها بغيظ شديد؛ تقسم أنها لن تهتم و
تفعل على الرغم منها؛ تُدرب قلبها على الجفاء ليظهر أمامها



فيخفق الخائن بين ضلوعها في لوعة أحياناً .. في ألم معظم
الوقت .. في اضطراب اعتادته منذ سكن قلبها ..

و الآن يحترق بضيق .. بغيرة ..

لم يسبق لها أن أشعرها أن هناك غيرها تحظى باهتمامه؛ حتى
عندما علمت بأنه زوج لأخرى .. برمجت عقلها و قلبها أن
وجعها لغدره بها .. لإيذائها و المساومة عليها أكبر من مجرد
أخرى تشاركها إياه.

أما الآن و هي تراها حولها؛ بينهما مودة من نوع ما ؛ ألفة تكره
وجودها بينهما؛ يقين بأنه فعل بها ما فعل من أجل امرأة .. زوجة
.. ابن

كل هذا كان يدفعها للجنون بحق!

أغمضت عينيها تحاول دفعه خارج عقلها ليتوقف ذاك الأحمق
عن الخفق بغباء.

تعلن ..

أن الوقت قد حان



لتكتفي منه بعد أن كانت تكتفي به!!

هتفت تؤنب نفسها بحق " أنا أصلاً بفكر فيه .. هو حر ..
خلاص انتهينا! "

وخزة مؤلمة أسفل بطنها أعلن بها جنينها أنها كاذبة .. أو ربما
كان يدافع عنه .. لا تدري!
" ممكن أدخل؟! "

تطلعت للأخرى التي لحقت بها و لا تدري لم ؛ ما الذي قد
تريده منها و قد حظيت بأخيها و من قبله حبيبها؟!
أومات برأسها لتسمح لها بالدخول؛ تطلعت زهرة حولها في
إعجاب

_ أوضتك حلوة أوي ... رقيقة زيك!

تمت يارا بشكر مقتضب تبعه نظرة استفهام عن وجودها معها.



تنفست زهرة بعمق و قد شعرت بعداء يارا نحوها و كيف لا
تفعل و هي تعتقد أنها شاركتها زوجها.

_ أنا .. أنا كنت جايه أفهمك طبيعة العلاقة بيني و بين زيد.

أشاحت يارا برأسها و قد مطت شفيتها تتصنع لامبالاة ربما
تخدع بها نفسها قبل زهرة بأن علاقتهما و طبيعتها لا تعنيها

_ أياً كان اللي كان بينكم أو هيكون مش مهم بالنسبة لي.

اقتربت زهرة لتواجه الهاربة من التقاء العينين لكي لا تكتشف
كذبهما

_ رغم اني مش عارفاك كويس بس اسمحي لي أقولك ..

صمتت قليلاً ثم أعلنتها صراحةً " إنك كذابة ! "

اتسعت عيني يارا في استنكار و همت بالهجوم على زهرة إلا أن
الأخيرة تابعت

في أسف



_ أنا آسفة .. بس دي الحقيقة .. أنا شفت رد فعلك لما شفتينا
مع بعض .. شفت الغيرة جوه عينيك .. شفتك و انت بتسيب
المكان كله عشان ميظهرش عليك كل ده.

تهربت يارا من المواجهة و شغلت يديها بترتيب بعض الألعاب
المحشوة التي لا تحتاج لإعادة توضيب من الأساس

_ مش صحيح .. أنا طلعت لأنني حسيت بشوية تعب .. قلت
أرتاح.

ابتسمت زهرة بسخرية لحركة أناملها المرتجفة التي تُعلن بوضوح
أنها لا تقول ما تشعر به.

عادت تقترب لتجذب يارا برفق نحو الفراش ؛ أجلستها بهدوء
ثم جاورتها

_ بصي يا يارا .. من غير لف و لا دوران .. انتِ مش محتاجة
تخبي مشاعرك عني .. أنا ست و أقدر أفهم الست اللي زي
كويس أوي .

أدارت وجهها لتجبرها على النظر إليها لتطلع نحوها في ثبات



_ أنا مش مضطرة أقولك حاجة .. و لا حد أجبرني عشان أجيلك
دلوقتي .. بس أنا حبيت أعترفلك إن مفيش أي علاقة بيني و
بين زيد.

شعرت يارا بالغضب يتصاعد بداخلها ؛ ما بالها تلك المرأة !؟
تخبرها و كأن الأمر يعنيها ..

هي لا تدرك أنها لن تهتم ؛ لن تأبه بكونهما كانا معاً أم لا !؟
هزت رأسها في عدم اهتمام لتعلن

"I don't care"

ابتسمت زهرة في تفهم تعلم جيداً أنها كانت ستتخذ نفس رد
الفعل لو كانت بنفس موقفها بل إنها بالفعل تكاد تكون في
نفس الظروف مع الفارق.

وقفت زهرة إيداناً بعدم جدوى المناقشة معها

_ أنا عارفة كويس إن في بينا حواجز كتير .. أهمها زيد .. بس
أنا حبيت أوضحلك إن زيد كان زوج برتبة أخ .. و عمره ما
تخطى المكانة دي .



توجهت للباب و قبل أن تخرج من الغرفة استدارت لتواجهها
 _ في كلام كثير أوي عايزه أقوله .. بس مش وقته .. هستنى لما
 تكوني مستعدة.

تهالكت على الفراش تكاد لا تشعر بأطرافها بعد اعترافه الضمني
 أنها تعنيه ؛ أنه يعتبرها هو .

انصاعت لخفقات قلبها المتخمة بداخلها لتفتح هاتفها على
 سيمفونيتها المفضلة ..

ألف ليلة و ليلة لـ كورساكوف.

تحركت ساقها و ذراعيها بتناغم رشيق ؛ ثنت جذعها للأمام
 لتستقيم بعدها و تدور حول نفسها على أطراف أصابعها متتبعاً
 الألحان الحاملة التي أطربت أذنيها و داعبت خفقات قلبها.



طفت أفكارها حولها بسعادة ؛ يحمل لها بعضٌ من مشاعر .. لا
يكرهها كما كانت تعتقد .. لها مكانة لديه في النهاية قد ترتقي
للحب في إحدى الأيام.

أسرعت خطاها لتتماشي مع سرعة اللحن لتلتف ساقها حول
بعضهما فتسقط على ركبتيها لتصطدم بالأرض في عنف فتأوه
بألم فجسدها لا يزال يؤلمها من جراء سقوطها عن صهوة فرسها.
توقفت هنيهة لتتذكر ..

لم يكن اصطدامها فقط بأرض الغرفة بل بأرض الواقع أيضاً ..
هي لن تكون له أبداً ..

هي ليست لى التي يعرفها ..

كما أنها لن تشارك أم في زوجها و طفل في والده ..

لن تفعل أبداً !!

كما أنها ..

قد تكون شخصية معطاءة .. حنون .. تكره الأناية



إلا في الحب ..

فالأنثى حين تحب لا تحب لغيرها ما تحبه لنفسها مطلقاً!

و هي كأى حراء عاشقة ..

شديدة الأنانية فيمن يسكن قلبها.

لن تستطيع الاستسلام لبوح مشاعرها كما لن تتقبل خاصته

ف صعوبة البوح

تكمن في قلب يقول: أخبره

و عقل يهمس: ستندم !!

و فيما كان يخفق قلبه بالحب .. كان قلبها يخفق بالكره

ليس للمى وحدها بل للجميع .. حتى أنها يُخيل إليها في كثير

من الأحيان أنها تكره نفسها بالتبعية.



كرهت أمها لخيانتها ؛ ووالدها لتخاذله ؛ لقد كان من الضعف
بحيث بكأها إثر موتها حتى بعد أن أخبرته بأنها خائنة و أنها من
تسببت بموتها .

لم يكن الأمر متعمد في البدء.

فقد كانت تلهو بتلك اللعبة التي تصدر فقاقيع ؛ انسكب ما بها
من ماء و صابون فتعثرت بها فبكت ؛ حينها أتها أمها راکضة
لترى ما بها ؛ حاولت لمسها إلا أنها دفعت يديها لا ترغب بأي
احتكاك منها فتعثرت ؛ لم تتمكن من الاحتفاظ بتوازنها لأنها
كانت مسرعة من الأساس فاختل توازنها لتسقط من أعلى
الدرج.

حينها تسمرت في مكانها لم تستطع التحرك و أمها تشير بعينيها
فاقدة القدرة على الكلام أن تطلب المساعدة.

إلا أنها و لسبب ما تسمرت .. لم تتمكن من التحرك لبعض
الوقت حتى سكنت أمها تماماً و جحظت عينيها و قد غادرتها
لمعة الحياة.



يومها أتى والدها منهاراً .. توقف بذهول عندما أخبرته أنها من فعلت و أن التي يبكيها خائنة لا تستحق أن يذرف الدموع لأجلها إلا أنه و بدافع خفي لا تدريه حتى اليوم عاد ينشج بالبكاء لأجل من

سقطت في بئر الخطيئة فتحطمت عظامها حد الموت.

بعد موت أمها بعام أو يزيد قليلاً كانت قد أتمت العاشرة للتو حينها أجبرها والدها على الذهاب لمتزل عمها و هناك جلس الأخين يتبادلان الضحكات في مرح و كأن أحدهم لم يفعل جريمة بحق الآخر ..

غير مراعين لتلك الصغيرة التي فقدت برائتها يوم وجدت أمها مع عمها في وضع مُخزي و لا حين فقدت إنسانيتها يوم تسببت بمقتل أمها.

و ذلك الخائن غير عابئ بمن غادرت الحياة فيما لا يزال يتمتع هو بها.



يومها ركضت للإسطنبول ؛ بحثت بعينها عن شيء حاد لتقترب
من حصان عمها الذي كان السائس يعده لسيده و في غفلة منه
امتدت اناملها لتقص جزء من السرج.

كانت تعلم أن السقطة ستؤذيه في الغالب ؛ فقد سبق و شاهدت
ذلك في التلفاز.

و كما توقعت سقط عمها عن صهوة جواده إلا أن السقوط كان
أكثر قسوة مما اعتقدت فلقد تهشم عموده الفقري ..

حُبس داخل جسده حتى الموت .. بل الأصح أنه مات داخل
جسده للأبد!

لم تشعر بالشفقة و لا الحزن عليهما ..

و هل يتوجب عليها ذلك!!

أدركت منذ بعض الوقت أن قلبها مات ذلك اليوم و تبليت
مشاعرها للأبد.

إلا معه هو ..

هشام ..



قلبها لم يشعر بالحب سوى له و فقط!!

و ربما لن يفعل.

لذلك تكرهها لأنها سلبتها إياه ..

و تكره ياسين لأنه شهد الجرم بعينه معها و لم يتأثر مثلها..

لن تتمكن من حبه لأنها تخجل مما اختبروه معاً ..

هي لا تفعل ما تفعله من أجله..

هي لا تحارب من أجله .. هي فقط تدافع عن حقها فيه و

الفارق كبير.

لن تتردد لحظة واحدة في بذل المستحيل لتمنعها من الحصول

عليه و بأي ثمن.

أحياناً ما يأخذك الحنين لأماكن تحمل ميزة معينة ..



لا لأهمية المكان بحد ذاته و لكن لذكريات يحملها المكان
تشاركها مع شخص مميز.

قادتها قدميها لمشتل الزهور العطرية ؛ لم تكن تريد المجيء لهذا
المكان بالتحديد و لكن قدميها ساقاها لهنالك بلا وعي و أثناء
شرودها لتتسع عينيها حال رؤيته أمامها.

فهنا حيث كان يعتني بأزهاره بكل عناية و يمنحها دلال خاص
بها وحدها.

تلك كانت بقعتهما المفضلة حيث تشاركا أغلب الذكريات
السعيدة في الغالب.

استدارت على عقبها لتعود من حيث أتت إلا أنه أمسك ذراعها
ليمنع ابتعادها.

أغمضت عينيه تُخفي ما بهما من مشاعر يحترف إثارتها بداخلها.
فيعلن برجاء ؛ يستحلفها بحق ذكرى حب تحملها بداخلها

_ يارا .. مش هتسامحيني بقى !!



تطلعت إليه باستنكار ؛ يشعرها و كأنها تحمل جهاز تحكم
خاص بقلبها

يمكنه أن يفعل ما تشاء كلما وجهته إليه .

_ أسامحك إزاي و أنا فقدت الثقة فيك.

عاد يحاصرها بعينين تتوسلان العفو من عينيها

_ اديني فرصة أرجعها.

ابتسمت ساخرة و لسان حالها يهتف

هيهات

فكما يُقال ..

الثقة كالمزهريه حالما تنكسر لن تعود أبداً كما كانت حتى و إن
أصلحتها.

جذبت ذراعها و مررت راحتها على بطنها المتكورة التي
تقلصت بألم .

_ مبقاش ينفع .. في حاجات مينفعلش تتصلح.



هم بالاعتراض و قد قست ملامحه بعض الشيء إلا أنها تابعت
بشجن

_ كل شيء في الحياة ممكن يتصلح، حتى المشاعر ممكن تترمم
ترجع من جديد، بس الثقة ..

توقفت لتحرك رأسها في رفض " إذا خابت في البني آدم مرة
مينف عش معاها إعادة بناء أو ترميم إذا فقدت الثقة في حد مرة
معناها انتهت للأبد.

اكتست ملامحه بالحزن و ردد

_ عُمري ما تخيلت إنك ممكن تكوني بالقسوة دي .

أشار لصدره و تابع : و عليّ أنا بالذات يا يارا .. على قلبي اللي
ميعرفش غيرك و لا عايز حد غيرك.

أشارت بسبابتها لصدره و لامست موضع القلب و هتفت بصوت
مختنق العبرات

_ قلبك ده على أد ما حبني و حبيته كان أقسى عليّ من كل اللي
سابوني أدور على حبهم و اهتمامهم .. قلبك اللي عمره ما أذى



بني آدم اتعلم فيّ أنا القسوة .. و دلوقتي جاي تطلب مني
أسامحك .. طب إزاي !؟

احتضن كفها بين يديه و همس

_ اديني فرصة أثبتك إنه كان غصب عني .. و الله ما كان
قدامي حل تاني .. كنت عاجز و مكشش في حاجة في إيدي
أعملها .

تطلعت إليه بعدم تصديق .. بيأس من إقناعه بالابتعاد عنها ؛ كل
ما ترغب به هو فرصة .. فقط فرصة لسيانه إلا أنه لا يسمح لها
بذلك

همست بألم يهتز به كيانه

_ عارف يا زيد .. أنا مش بس زعلانه لأنك كذبت عليّ .. أنا
مش قادرة أسامحك لأنني مش هقدر أصدقك تاني .

زفر في قوة و هتف بتصميم

_ و أنا مش هقدر أسيبك يا يارا .. مستحيل !!



بعض الفراق يرتقى لمرحلة المستحيلات

حتى وإن صار..

يبقى الأمل قائماً به ما دام من يتشبث بالبقاء

حياً!!

بسمات تطايرت حول طاولة الطعام على استحياء تهرب بعينها
فيلتقطها بسهولة و كأن لديه مغناطيس خاص به وحده و تمتلك
هي خاصية الانجذاب .

ابتسامه المعرفة كانت تزين شفتيّ فريدة فيما ابتلعت ياسمين
بسماتها لأعوام قادمة.

انتهت الوجبة دون أن يلحظ العاشقين العيون المترصدة ؛
يعتقدون أنهما يخفيان الأمر جيداً حتى عن بعضهما البعض.



يعلن كليهما بينه و بين نفسه أنه لن يستسلم للآخر فأحدهما ليس
بناقض للعهود و الأخرى لا تعرف للخيانة سبيل و رغم ذلك
ينسى كليهما ما درب حاله عليه لساعات بمجرد اللقاء.

من السهل أن يتخذ المرء قرارات توافق ما يمليه عليه عقله إلا أن
تلك القرارات تتلاشى كفقاعة هواء حال اللقاء.

لن تتوقف هي عن القسم بأنها لن تقترب ..

و لن ييأس هو من تذكير نفسه بوعده لن يقطعه..

و لن يتوقف أحدهما عن فقدان بالزهايمر كلما التقت عينيها أو
اصطدم أحدهما بالآخر.

تصاعد الحنق بأعماقها لتعلن أن الوقت قد حان لما انتوت فعله.

انتظرت حتى جلس الجميع في غرفة الصالون لاحتساء القهوة؛
حالما استقروا في مجلسهم وقفت هي لتسترعي كامل انتباههم.

تطلعت إليهم و قد ارتسم الخجل المدروس على محياها ؛
رمشت بأهدابها في ارتباك لعدة مرات قبل أن تغمغم بصوت

خفيض



_ أنا .. أنا عندي ليكم خبر مش عارفه هيسعدكم و لا ..

استقام ياسين ليقف بجوارها و يتساءل في قلق

_ خير يا ياسمين في إيه !؟!

و كأنما كانت تنتظر اقترابه لتكتمل المسرحية كما خططت لها
تماماً ؛ التصقت به و قد أحاطت جذعه بذراعها الأيمن فيما
استطالت بجسدها لتقف على أطراف أصابعها حتى تصل لأذنه
و تهمس له ببضع كلمات أصابته بالذهول للحظات فهتف في
دهشة و كأن ما صار كان خارج عن كل توقعاته

_ حامل !؟!

عضت شفتها السفلى في خجل فيما عينيها كانت على من امتقع
وجهها للأمر رغم علمها المسبق به.

اندفعت فريده باتجاهها لتهنئتها في سعادة غامرة و قد أمطرتها
بالقبلات و بسيل من التعليمات فيما لا يزال هو غارقاً في
حسابات عديدة لا أول لها و لا آخر.



اضطرابات تنتابه بالتناوب ما بين سعادة بقدوم ابن أو ابنة
يحملون اسمه .. له و لكم يعشق أن يكون أب للعديد منهم.
و مشاعر أخرى بكون أن ذلك الابن يزيد من مسؤولياته و ..
قيوده.

لا تزال تلك العلاقة بمجملها عبثية في نظره.

يحب واحدة فيما هو زوج لأخرى ..

يخون إحداها بقلبه .. و يخون الثانية بجسده ..

تحمل أحدهما جنينه فيما يتمنى لو حملته الأخرى ..

زوجة لها كافة الحقوق التي ينفذها كأمر واقع .. و حبيبة لا حق
لها سوى في خفقات قلب حصرية لا يستطيع ردعها .. و لا حتى
اقتسامها مع الأحق بها.

انتصرت مشاعره كأب على كل تلك المشاعر لتلتف ذراعيه حول
زوجته مقبلاً رأسها و مهناً إياها بدوره
_ مبروك يا حبيبتى.



ابتلعت هي مشاعر الألم لتصرخ روحها بلا صوت و يبكي قلبها
في حرقه.

لربما تبكي لأنها عجزت عن التغلب على كل شيء يؤلمها؛ و
ربما تتوجع لأن أي شيء لن يتغير مهما فعلت؛ و ربما تصرخ
لأن الألم يكبر و مساحة صدرها تضيق حد الاختناق .

هتفت بدورها بقوة لتتذكر أن الزوجة لها كل الحقوق و هي
خارج الصورة تماماً

" مبروك يا ياسمين .. ربنا يتملك على خير "

أجبرت ساقها على التحرك لتغادر الصورة فلا مكان لها فيها و
لن يكون.

صوت مألوف دوى من خلفهم يستفسر عما سمع للتو

_ مبروك على إيه !؟

التفت العيون للقادم لتندفع ياسمين نحوه هاتفه بسعادة لتستقر
بين أحضانها فيغمرها بدورها في اشتياق

_ بابا .. وحشتني أوي أوي .



قبل وجنتيها تبعها برأسها في حنان

_ انت أكثر يا روح بابا!

رحب ياسين بعمه و فريدة أيضاً و بعد بعض الوقت فيما ظلت
ياسمين على التصاقها بأبيها الذي انتهى من الكلام عن الأحوال
و آخر الأخبار ليعاود التساؤل في استفسار

_ مبروك على إيه يا ياسمين!؟

صمتت ياسمين و أخفضت عينيها في شبه هروب فيما أجاب
ياسين عن استفسار حماه في فخرٍ ذكوري بحت ..

_ ياسمين حامل يا عمي.

أبعدها برفق ليتطلع إليها في استنكار يكاد يصل لحد الرفض

_ حامل!؟ .. حامل إزاي يا ياسمين!؟

ابتسم ياسين في مزاح : جرى إيه يا عمي .. هي مش مراتي و لا

إيه!؟



عادت للهروب من عيني أبيها وحصارهما الذي فرضهما عليها ؛
و قلق يتصاعد بداخلها .

لقد رسمت وخطت لذلك الأمر دون أن تضع احتمال قدوم
والدها في الحسبان و الذي من شأنه أن يجعل كل مخططاتها
تبوء بالفشل .

عينها كانتا تتطلعان للبعيد في شرود صار سمة تلازمها على
الدوام ؛ اعتدلت في جلستها لتحصل على أكبر راحة ممكنة
لجسدها الذي صارت حركته ثقيلة و مؤلمة.

شهقت حالما فوجئت برمزي و قد أمسك ساقها ليرفعها على
كرسي آخر أمامها.

غمغم بابتسامة كست ملامحه : المفروض ترفعي رجلكِ على أد
ما تقدري عشان متورمش يا يويو.



اغرورقت عينيها بدموع الاشتياق لاهتمام كانت في أمس الحاجة إليه ؛ فمن هي في مثل ظروفها من المفترض أن تحظى باهتمام أم ليست موجودة ؛ و حنان زوج ترفض وجوده حولها لأكثر من خمس دقائق.

زوى ما بين حاجبيه في ألم و تفهم لاحتياجات ترفض حتى التصريح بها

_ انت بتعطي له دلوقتي؟! مش إنتِ اللي عايزه كده!؟!

أومأت برأسها بالإيجاب لتبعثر الدموع على وجنتيها فجلس بجانبها و جذبها إلى صدره لتبكي حالها في حُرقة و ندم.

انتظر حتى هدأت تماماً لتمتد أنامله لتجفف عينيها ووجنتيها في حنان.

تنهد ثم بدأ الكلام

_ تعرفي حدوة الحطاب و الكلب يا يويو!؟!

هزت رأسها في نفي ليلتقط نفساً عميقاً قبل أن يتابع



_ كان في مرة حطاب و ابنه الصغير عايشين كوخ صغير في الغابة و كان معاهم كلبهم ؛ كل يوم مع شروق الشمس يطلع الحطاب يجمع الحطب و يبيعه و يرجع آخر اليوم و هو مطمئن على ابنه الصغير انه في رعاية الله و معاه الكلب اللي كان بيثق فيه جداً.

و في يوم من الأيام رجع البيت متأخر سمع الكلب بينبح جدا على غير العادة قرب لقي الكلب بيقابله بره الكوخ و بقة ووشه كلهم دم .

شهقت يارا : الكلب أذى الولد الصغير.

ابتسم و تابع : ده بالضبط اللي فكر فيه أول ما شافه و الدم مغطيه كان عنده يقين ان الكلب خانه و بكل قوته ضرب الكلب بالفأس على راسه لأنه قتل ابنه الوحيد.

صمت قليلاً ثم استرسل : بس للمفاجأة بقي .. دخل بيته جري يشوف ابنه و يحاول يسعفه .. و أول ما دخل نزل على ركبه و بكى بكاء شديد ؛ لقي الولد يلعب في مكانه و شاف على بعد كام متر منه حية مقطوع راسها.



نظر إليها نظرة ذات مغزى و هو يتابع : الحطاب اتسرع و قتل
الكلب و هو مفكر إنه خانه .. بس الحقيقة إن الكلب كان يمنع
الأذى عن الولد الصغير.

ارتكنت برأسها على كتف أخيها و قد فهمت المغزى من
الحكاية لتساءل : انت كمان يا رمزي .. انت كمان بتلومني !؟
قبل رأسها في حب قبل أن يتابع ليقنعها بإعادة النظر في الأمر
_ مين قال إنني بلومك .. أنا عارف إنك موجوعه يا يويو .. أنا
بس عايزك تفكري في الموضوع من كل الجوانب .
" أنا من رأي رمزي ! "

تطلع الاثنين لمراد الذي أعلن عن وجوده للتو و يبدو أنه سمع
بعض أطراف الحديث بينهما.

_ يارا .. زيد عمل كده عشان ينقذ ابني من الموت.
واجهته باتهام تلو الآخر؛ بعينين حملت بعض القسوة



_ زيد كان بيصلح غلطاتك انت يا مراد .. أذاني و ساوم عليّ
بسببك .. اتجوز مراتك و كان أب لابنك .. كل اللي حصل
كانت بدايته عندك انت.

ابتلع مرارة كلماتها القاسية التي تواجهه بها للمرة الأولى
_ و ده أدعى إنك تسامحيه ما دام عارفه إن كل ده كان بسببي.
هزت رأسها في ألم و رفض لمجرد التفكير في وجوده في
محيطها من جديد

_ مش قادره .. مش قادرة أنسى إنه عمل كل ده فيّ أنا .. أنا
اللي عمري ما حبيت حد و لا كان في حد أقرب ليّ منه .. أنتو
مش فاهمين .. أنا بنته قبل ما أكون حبيته .. في حد يعمل كده
في بنته.

تنهد مراد في يأس و ندم يتذكر خسارته و ما جنته يداه منذ البدء
_ و كمان شايله ابنه أو بنته .. انت محتاجه أب و هو محتاج
يمارس أبوته دي صدقيني .. محدش يقدر يحس بالاحساس ده
زي .



تطلعت إليه في شفقة فيما شد رمزي على كتفه يحاول بثه قوة هو
في أشد الاحتياج إليها.

تابع مراد بألم : أنا مش بقولك سامحيه بس على الأقل متقفلش
الباب في وشه.. و متنسيش إنك اللي فتحتي الباب اللي يدخل
منه عشان يساوم عليكِ.

أخفضت يارا رأسها في يأس ؛ تُفكر بالأمر ؛ لو استمعت لقلبها
لركضت إليه مع أول اقتراب أما عقلها فلا يزال يُقنعها أن
وجودهما معاً مرة أخرى مستحيل.

هل نكون سيئين حقاً لو لم يكن بمقدورنا الصبح..

هل نكون إذا ابتعدنا عن نحبهم و يحبونا..

ولكن ..

هناك أفعال تتخطى حدود الألم؛ تأتي أن تُغتفر؛ أفعال لا يُجدي
معها

إلا التخلي أو الوداع!



رجل متوسط الطول بملامح وسيمة و عيون سوداء تحمل رقة لا
بأس بها ؛ بشرة قمحية و شعر مجعد يحمل حقيبة سفر صغيرة .

وقف على عتبة بابه فيما استفسر هو بعيون تطلعت إليه في

استفهام

_ أفندم .. مين حضرتك و عايز مين !؟

تفرس القادم بياسين أيضاً و طالعه بنظرات تقييمية فيما أجاب

بتقرير

_ نبيل ذكي .. و عايز لمى !!

اتسعت عينيه و اشتعل صدره للفظ اسمها على لسان آخر مسبقاً

بـ

أريد

و أسقط في قلبه !!



الفصل الثامن و العشرون

سيظل الصراع أبدي ما بين قلب يتوسل القرب ضارباً عرض
الحائط كل المحاذير و عقل يأبى الاقتراب ..

لأنه ضعف ..

لأنه ذُل ..

لأنه ألم ..

لأن القُرب في بعض الأحيان مستحيل!

تفرس ياسين في المائل أمامه بحنق يعلم أنه لن يقل بل سيزيد
بلا أدنى أمل في السيطرة عليه أبداً.

زفر بغضب نابع من غيرة حمقاء تملكه كلما اقترب أحدهم من
فلكها.



" يريدھا ؟! "

و من لا يفعل ؟!

تلك القريبة من القلب كوتين..

البعيدة المنال كالسماء ..

يَعلَقُ بها كل من يصادفه حسن حظه بالتواجد حولها و سوء حظه
هو بالابتلاء بعدم احتمال هذا القرب مع مشاعر بالحنق و الغيرة
لا فكاك منهما ..

و شعور متصاعد بأنه سيرتكب جريمة عشق يوماً ما !

تساءل ببرود متناهٍ، يُخبر به القادم بكل الأشكال أنه غير مُرحب
به أبداً

" مين نبيل ذكي ؟! و عايز إيه من لمى ؟! "

ابتسم نبيل بخفة فنظرة الحنق و المعرفة بعيني ياسين أفصحت
عما يحاول تجاهله.

ياسين يعرفه جيداً إلا أنه يتجاهله أو يعلن جهله به لسبب ما



" و لو أنها حاجة متخصكش .. بس تمام .. أنا نبيل صديق
 قريب جداً من لى .. و لو معندكش مانع أنا عايزها "
 عاد يكرر الكلمة التي تثير بداخله كل براكين الغضب ؛ تحمل
 الكثير و الكثير من المعاني .

و المعنى المبطن بداخل كلمة " أريدها "

يكاد يصل به لحدود الجنون!

ابتسم نبيل يارهاق هذه المرة فالتعب بفعل الطريق الطويل قد
 أنهكه حقاً و قد أخذ منه الإرهاق مبلغه

" ممكن تسمحلي أدخل و لا هنفصل واقفين كده كثير .. أنا
 بقالي ١٢ ساعة سايق ! "

على مفضل تنحى ياسين جانباً لُيفسح له المجال ليدخل و قد
 أنباه قلبه أن القادم سيكون أسوأ و أنه لن يمضي على خير أبداً.
 تطلع كل من بالصالون للقادم بفضول فأعلن ياسين أنه صديق
 مقرب لللى و قد أتى من أجلها.



تهالك نبيل على المقعد الأقرب، زفر في إنهاك شديد؛ أغمض
عينه للحظات فيما تطلع إليه الجميع في فضول.

لاقي اهتمام خاص من ياسمين التي غلبها الفضول لتعرف من
هو وكيف عرف لى؟!!

و الأهم من كل ذلك ..

لم قطع كل تلك الطريق من أجل رؤيتها؟!!

ابتسمت في نصر وشيك تكاد تسمع طبوله تدق بأذنيها ان النهاية
قريبة ..

قريبة جداً.

العجيب في الأمر أن ما تشعر به كان صحيح كالمعتاد ..

فحقاً النهاية قريبة ..

بل و أقرب مما قد تتصور!!!



"عارفة يا ماما .. أنا نفسي أشوف البلد بتاعتك أوي!"

تطلعت إليها بدهشة و أصابها الارتباك للحظات فيما تباطأت
خفقات قلبها و قد اعترأها الخوف و هي تستفسر عن مصدر
معلوماته

_ و انت تعرف البلد بتاعتي مينين!؟

تعالى صوت تنفسه حينما حاول أخذ نفس عميق لا يستطيع
إحتمال ألم أخذه للأقصى

_ أونكل زيد قالى لما سألته ليه مش بيقعد معانا طول الوقت!

تطلعت لوجهه الشاحب الذي تعلوه زرقة مميزة بمرضى اعتلال
القلب في خوف حقيقي مما يكون قد أخبره به زيد

_ و قالك إيه زيد!؟

أجاب الصغير بابتسامة أخرى تعلو ثغره على الدوام رغم الألم
الذي يكلفه رسمها .. و رغم الوجع الذي يُحاربه لتزعها منه دون
جدوى.



_ قال لي إن في بلد حلوة أوي .. بعيدة جداً بس جميلة جداً و
على أد ما هي مؤلمة ليه و ليك بس ميقدرش يبعد عنها كثير
عشان بيسيب قلبه هناك.

اغرورقت عينيها بالدموع قبل أن يتابع الصغير في رجاء
_ هو أنا ينفع أروح هناك يا ماما؟! .. و بعدين ممكن يكون بابا
رجع من السفر و انت متعرفيش .

غار قلبها في صدرها و هي تدرك استحالة تمكنها من تلبية رغبة
الصغير؛ فهي بعد مرور كل ذلك الوقت لن تتمكن أبداً من
العودة؛ ناهيك عن وجوده هو بالذات الغير مرغوب فيه.
كل هذا دون ذكر عدم قدرة قلب الصغير على احتمال انهاك
السفر عبر كل تلك المسافة.

بعثرت خصلات شعرة بحنان تحاول التحكم بالغصّة التي
تملكت من أحبالها الصوتية



_ أولاً لسه بدري جداً على الكلام ده .. انت أصلاً مينفعش
تسافر المسافة الطويلة دي .. لما تعمل العملية إن شاء الله و
تبقى كويس نبقي نروح.

_ وعد؟!!

تطلعت إلى عينيه اللتين تترجيان منها الإجابة فأومأت برأسها في
بطء

_ وعد!!

أخرجتها لمسة رقيقة من ذكرياتها لتطلع للصغيرة ذات العينين
بلون العسل و الخصلات الثائرة التي تطلعت إليها بفضول و قد
زوت ما بين حاجبيها الأشقرين

_ انتِ بتعطي لي يا طنط؟! .. انتِ كويسه؟!!

مسحت زهرة عينها بسرعة و حاولت رسم ابتسامة على شفثيها
فخرجت شاحبة ككل شيء فيها.

_ أنا .. أنا مش بيعط ولا حاجة .. أنا كويسه الحمد لله.



جلست الصغيرة بجانبها و لا تدري لم ارتسمت الجدية على
ملامحها الصغيرة ؛ تبدو كمن تلبست دور الكبار و هي تربت
على ساق زهرة في حنان أذهلها أن يصدر من طفلة بمثل عمرها
بدأت نور بالحديث بعد أن قطبت جبينها لثوان كمن يبحث عن
مدخل للحوار بينهما

_ مرة سألت بابي ليه الناس بتعيط ؟! .. قالي كل واحد وواحدة
بيعيط لسبب مختلف بس غالباً يبقى بسبب الوجد .. خصوصاً
لما بنخسر حاجة بنحبها.

اختنقت زهرة بالعبرات فشهقت بألم و عادت الدموع تنساب من
عينها فيما مررت نور كفها الصغيرة على ساقها في مواساة أنى
لطفلة في عمرها أن تفهمها

_ أنا عيطت كثير جداً لما بابي قالي ان فلافي مش هشوفها
تاني.

تساءلت زهرة : فلافي ؟!

أومأت نور برأسها : قطتي !!



_ قالي انها كانت تعبانه و راحت عند ربنا .. قالي كل ما
تفتكري أد إيه بتحبها ووحشتك .. افتكري انها كانت تعبانه و
لو كانت لسه معايا مكنتش هتبقى مبسوطه عشان هتكون بتتألم.
أجهشت زهرة بالبكاء في تلك اللحظة و رغم كون المقارنة غير
عادلة أبداً إلا أن الصغيرة كانت تحاول مواساتها بطريقتها
الخاصة .

احتضنت الصغيرة في قوة و قبلت رأسها بامتنان

_ رمزي قالك إن عمر راح عند ربنا.

أومأت نور برأسها بالإيجاب

_ و قالي إنه كان مروع جداً و ربنا لما بيحب حد أوي مش
بيخله يتوجع كثير مش كده يا طنت .

وافقتها زهرة : كده يا روح طنت .. بس احنا اللي بنتوجع أوي
عشان بيوحشونا و مش بنقدر نشوفهم و لا نلمسهم زي الأول.
لمعت عيني الصغيرة بذكاء متقد و قد أدركت أنها وصلت لما
أرادته بالضبط



_ أيوه .. ما ده اللي بابي قاله بالظبط .. لما يوحشك أوي
 افتكري أد ايه كان هيبقى تعبان و هو موجود.
 عادت تحتضن قطعة السكر كما يُلقبها مراد و قد أدركت أنها
 كذلك بالفعل.

الحكمة ليست مقتصرة أبداً على الكبار ..
 فهي قد تأتيك على لسان الأطفال أحياناً ..
 و لكنها تبقى حكمة على أي حال!

جلست أمام والدها في حجرة مكتبه يتطلع كليهما للأخر أحدهما
 في قلق و تساؤل و الآخر في ترقب لما سيؤول إليه الأمر.
 قبل بعض الوقت كان قد طلب من ياسين الانفراد بابنته قليلاً
 فحضرت معه لمتزلهما الخاص.



تطلعت حولها و لا تزال ذكرى ما حدث في هذا المنزل تحديداً
تسبب لها نفور و شعور بالغثيان لا تستطيع التحكم به.

تنهد في قوة متسائلاً و عينيه تتابعان كل شاردة وواردة من
المائلة أمامه عبر المكتب تفرك كفيها في توتر.

_ أخبارك إيه يا ياسمين!؟

زفرت بدورها مع شعور متعاضم بالتحفز

_ يا ريت تدخل في الموضوع على طول انت عارف إني بتخفق
هنا.

هز رأسه في سخط : ده بيتك يا ياسمين!

تطلعت إليه و قد اعتلى ثغرها بسمه هازئة فهذا الكيان المسمى
منزل أبعد ما يكون عما يحاول إقناعها به

_ بيتي!؟ ده آخر مكان ممكن أنتمي ليه أو يتسمى بيتي.

اعترض و هو يدري كم المعاناة التي عانتها هنا و ربما لن تنساها
أبدأ



بعض الجروح تظل باقية في القلوب و الذاكرة

لكونها غائرة في الروح بما يصعب نسيانها أو الشفاء منها ..

حتى و إن برئت ..

تظل ندوبها موجعة مهما مر عليها من زمن!

_ يا حبيبتى مفيش حد و لا حاجة تقدر تنسى الواحد بيته مهما
حصل.

زوت ما بين حاجبيها قبل أن تتطلع إليه باستنكار شابه ألم لما
شهدته و فعلته ثم تبع ذلك استسلام و سلبية منقطعة النظير من
قبله.

_ أنا مش مصدقك بجد .. إنتَ إزاي كده!؟!

هزت رأسها في تساؤل : أنا بكره المكان ده .. بكره إني أنتسب
ليه .. بكره كل ذكرى عشتها هنا .. بكره استسلامك و ضعفك ..
بكره تمسكك بالمكان ده رغم كل اللي حصل فيه .. أنا مش
بس مش معتبراه بيتي .. أنا نفسي أمحيه من على الأرض عشان
بيفكرني بيها.



لم يعد يدري كيف به أن يزيل الحقد المتوغل داخل صدرها من
أمها ..

كيف به أن يرمم بقايا روحها المهترئة فيما عجز أفضل الأطباء
النفسيين عن ذلك.

أغمض عينيه في ألم و بلهجة تحمل مرارة لم تستطع أن تخفيها
الأيام

_ يا بنتي .. دي مهما كان أمك .. أنا اللي ..

قاطعته باتهام أرادت دائماً أن تلقيه عن كاهلها

_ بالظبط .. المفروض انتَ .. أنا بجد مش قادرة أتصور ان في
راجل ممكن ياخذ رد فعلك السلبي ده للي حصل .

تنفس بعمق وزفر الهواء من رثته بقوة

_ أنا مش ضعيف ولا سلبي .. أنا معرفتش غير بعد ما ماتت ..
أنا سامحت لأنها كانت بين أيادي ربنا.

هزت رأسها في حنق و غضب التمع في عينها بغل تحمله طوال
عمرها تقريباً



_ انتَ .. انتَ مش عارف تكرهها .. و لا تكره عمي .. ساعات
بفكر إيه الجريمة اللي انت ارتكبتها عشان ربنا يعاقبك كده فيهم
.. و بعدين بغباء تسامح.

انتفض في غضب لإهانتها صارخاً بها

" بننت .. انتِ اتجنتِ "

ضحكت هازئة من كلمات تجدها بلا معنى أو تحمل كل
المعاني في الحقيقة

_ إيه ده .. انت متعرفش .. أنا مجنونة فعلاً و اتعالجت سنين
بسبب الحادثة اللي انتَ شايفها و لا حاجة..

اللي حصل و أثر على عقلي و على ياسين أكثر منك بكثير.

توجهت صوب باب المكتب تنشد مغادرة هذا المنزل الكريه بلا
رجعة

إلا أنه عاد يستوقفها بقبضة منعها حرية الحركة

" احنا لسه متكلمناش عن موضوع الحمل ده "



ابتسامة هازئة أخرى علت ثغرها راغبة في إثارة حنقه للأقصى

_ مش ياسين قالك احنا متجوزين يا بابا ..

قاطعها و قد بدأت أعصابه في الانفلات و قد خرج الرعب من

معقله

_ ياسمين بلاش جنان .. انتِ بطلتي تاخدي علاجك .. انطقي.

أشاحت برأسها و قد زمت شفيتها رافضة نطق ما قد يريحه

فصرخ بها و هو يهزها بقوة

_ ياسمــــــــــــــــين!!

صرخت بدورها و قد انفجرت مشاعرها و فقدت السيطرة التي

دوماً ما مارستها باقتدار

_ لأ .. ارتحت !

عاد يتساءل بذهول : طب حامل إزاي .. قولي!؟!

اتسعت عينيها في عدم سيطرة لم يرها عليها منذ وقت طويل ..



طويل جداً مما أثار الذعر بقلبه مما قد تصبح عليه ابنته ان ازداد
الأمر سوءاً

جذبت ذراعها من قبضته في قوة

_ مش حامل .. مش حامل .. ارتحت.

تنفس الصعداء و قد ارتاح للأمر قليلاً

فكليهما يدرك جيداً أنها لا تستطيع أن تحمل في الوقت
الحاضر؛ فهي تأخذ أدوية متعددة مضادة للاكتئاب و الذهان
بالإضافة إلى المهدئات التي من شأنها أن تحد من ثورات
انفعالها.

و كل تلك الأدوية لا تتوافق مع كائن بالغ الصغر ينمو في
أحشاءها ؛ لذا يتوجب أن يمنع أحدهما الآخر .. و في حالة
الحمل فهي إما تخاطر بتشوه جنين إذا ما استمرت في تناول
عقاقيرها أو التسبب في أذية نفسها و ربما من حولها حال
التوقف عن تناولها.

عاد يتساءل ليطمئن قلبه : ياسمين !؟



هزت رأسها في نفور أقرب للاشمئزاز

_ أنا مش حامل و مش هكون أبداً .. أنا مستحيل أجيب بنت
للعالم المقرف ده .. مستحيل أخلف من حد بكرهه .. بقرف منه
و من كل لحظة بنكون فيها مع بعض بس مضطرة .

علت الحيرة ملامحه و زوى ما بين حاجبيه في تساؤل

_ أنا مش فاهم .. طب ليه !؟

هتفت بعنف : ليه !؟ .. أنا بدافع عن حقي .. عن
كرامتي .. عن وجودي !!

جابهها بالمنطق ربما يستحضر بعض من تعقل لا تجده لتضع
الأمر في نصابها الصحيح

_ حق إزاي و انتِ مش عايزاه .. كرامة إيه اللي تخليكِ تستمري
في علاقة بتشمئزي منها .. وجود إيه في مكان انتِ كارهاه و
بتنفري منه.

تساءلت باستنكار غاضب ليعلم أن لوجودها أسباب منطقية

_ عايزني أسيبها تاخد مني هشام تاني !؟



أصدر صوتاً ذاهلاً و مستنكراً في نفس الوقت

_ هشام خلاص مات يا ياسمين .. و ياسين ملوش ذنب تعذيه

معاكِ ما دام مش عايزاه!؟!

تجاهلته كلياً و هي تردد في رتابة

_ مش عايزاه بس هسيبه ليها .. كفاية أوي حرقة قلبي على

هشام.. مستحيل أخليها توصله.

اقترب بهدف غمرها بين ذراعيه إلا أنها تراجعت للخلف مبتعدة

عنه لتتعثر بطاولة خشبيه ليسقط كل ما عليها من كتب و أوراق

بالقرب من المدفأة الخشبية التقليدية لتمتد إليهم السنة النيران

فتشتعل في لحظات .

تحت عينيه الحانقتين و فمه المزموم بغضب تابع لهفتها لرؤيته و

عينها اللتان التمعتا بفرحة لم يرها منذ ..

ربما لم يرها أبداً .



أما عن قلبه فحدث و لا حرج

لقد اشتعل حرفياً و ذاك النبيل يحتضن كفيها في حب و يقبل
كلاً منهما على حدة.

همّ بالتقدم باتجاههما إلا أن قبضة فريدة القوية التي أوقفته مع
نظرة حازمة .. آمرة بعدم افتعال فضيحة جعلته يضم قبضتيه في
غضب محاولاً السيطرة على أعصابه حتى لا يرتكب جريمة.

مشاعره حائرة ما بين عقل يخبره بأن يغادر المكان منعاً لغضب
قد يؤدي به للتهلكة

و كيان بأكمله يحارب رحيل يعني تركها لذلك الغريم الذي
يحمل من التصاريح الكثير.

يتصف الرجل بالقوة حتى يحب

بالقسوة حتى يعشق ..

بالحلم حتى يغار ..



و حينها يجب القول ..
اتقوا شر العاشق حين يغار

مكالمة هاتفية جذبت انتباهه بعيداً عنهما و هتاف قلق باسم
الأخرى جعله يستحوذ على كامل انتباهها بدوره مع كلمة

" حريق "

تبعها لفظ أثار الذعر في قلبها و حبس أنفاسها داخل صدرها

" قادم حالاً "

اندفع خارجاً مجيباً على تساؤلاتهم بإجابة مقتضبة

" سأعرف و أخبركم "

تطلعت حولها للحظات قبل أن يغلب قلبها عقلها لتندفع خلفه

في سرعة

نادته بلهفة

" ياسين! "



انتفض قلبه بداخله لما حملته حروف اسمه من مشاعر لم

تتمكن من إخفائها فتوقف في عجز و ضعف.

الموقف برمته بما يحمله من متناقضات ..

مشاعر لها و التزام لأخرى ..

حب لها و مودة لأخرى ..

قرب يتمناه و قرار يعجز عن اتخاذه ..

قرار في طرفيه هو مخطئ ..

طريق يسلكه رغماً عنه أوله خيانة و آخره ظلم !!

اقترب حد الالتصاق و أعلنت برجاء يعزوه الخوف

" حريق !! ياسين .. أنا جايه معاك "

استنكر رافضاً حتى التفكير في الأمر و كأن شتات مشاعره لا

تكفي فتود إضافة خوف حد الهلع عليها.



" بتهرجي !! لأ طبعا مينفعش .. أنا مش عارف الوضع هناك

عامل إزاي "

نظرة عينيها في تلك اللحظة أشعرته بالوهن لتأتي لمستها لساعده
لتمنحه قوة لا يستهان بها ، عقبها كلمات أطاحت بتعقله وكأنها
قمر يتحكم بمد مشاعره و جذرها.

" خد بالك من نفسك .. و طمني ..

تطلعت لفريدة التي لحقت بها في تلك اللحظة بحرج قبل أن
تعيد صياغة كلماتها بخجل

_ طمنا عليك الله يخليك !!

تحرك على مضض لتتحرك أناملها على طول ذراعه مهددة قلبه
بالتوقف كلياً عن العمل .. حتى ابتعد بجسده تماما لتتابعه
بعينين قلقتين و قلب يرتجف في خوف.

هناك مشاعر كتمانها يؤلم .. و البوح بها أكثر ألماً

كليهما يشعر .. يتوجع بما يمتلئ به صدره

و لا رغبة بهما بالبوح ..



و رغم اليقين الذي بداخلهما لما يحمله هو و تخبئه هي بين
ضلوعها

إلا أن التصريح به ..

جريمة قتل خطأ لقلبيهما..

و خيانة نصف متعمدة!!

سيبقى دوماً الصراع قائم ما بين عقل و قلب ..

عقل يبحث عن المنطق و المسموح

و قلب يُخرج كل حسابات التعقل من قراراته..

يتبع ما يريد و كفى ..

بل إن الأمر يمتد أحياناً لحماقة اختيار ما من شأنه أن يؤلمه بعد

حين ما دام سيرتاح مؤقتاً.



زهرة كانت مجروحة بشدة ؛ ترفض كل محاولات مراد للاقترب
؛ تشعر أنه تغير و من لم يفعل !؟

و لكن ..

هل يشفع له توسل بعد خطيئة مهلكة !؟

هل تمحو توبته كل ذنب أذنبه في حقها و حق وليدها !؟

هل بإمكانها الماضي و منحه فرصة القرب كما أوصى عمر !؟

تنفست بعمق و فكرت أعمق ..

شردت عينيها و تشتت بالزهور الملونة التي غزت حديقة المنزل

لتصطدم عينيها بالفتاة التي أخذت في التحرك بعدم راحة.

تكاد ترى الانزعاج على ملامحها الجميلة التي أصابها بعض

الانتفاخ المعتاد للحوامل.

توجست خيفة و قررت الهبوط للاطمئنان عليها .

" يارا !! "



تطلعت إليها يارا بعجز ؛ هناك ما يحدث معها ؛ لقد ازدادت
حركة جنينها بشكل ملحوظ في اليومين الماضيين.

تشعر بانزعاج حد الألم ..

لا تفهم و لا تريد أن تفعل إن كان هذا معناه أن الأوان قد حان..

و لكن كيف و جنينها لم يكد يدخل شهره السابع.

أمسكت يارا كفها و قد بدأت بالحديث الذي تريد التحدث به
منذ أسابيع

ابتسمت بصعوبة

_ كويس إنك جيتِ .. عايزه أتكلم معاكِ!!

نظرات قلقة وجهتها صوب الفتاة التي تعلم علم اليقين أنها

ليست على ما يرام

_ سيبك من الكلام دلوقتي .. شكلك مش مرتاح .. تعالي نكلم

رمزي عشان يطمئن عليكِ.

بادلتها بسمة شاحبة و بأمومة فطرية تحملها لأخوتها



_ رمزي مرهق بلاش تقلقيه .. بيسافر بقاله كام يوم عشان يظبط
نقله للمستشفى هنا.. أنا كويسه متقلقيش.

لم تصدقها زهرة فحالها أبلغ من كل الكلمات إلا أنها قررت عدم
مجادلتها للوقت الحالي حتى لا تزيد الأمر سوءاً بالنسبة إليها.
حانت منها التفاتة لشرفة غرفته ؛ وقف خلف زجاجها يبدو و
كأنه يحمل جبلاً من هموم تنوء بها كاهليه.

كسى الحزن ملامحها بدورها ؛ أخفضت رأسها و أعادت عينيها
ليارا التي كانت تتفرس في ملامحها بغموض.

_ مراد اتغير فعلاً يا زهرة .. مراد بقى واحد تاني غير اللي
عرفتیه زمان و خذلك.

أومأت زهرة برأسها و ابتسامة ساخرة خرجت مع تمتمة بجملة من
أغنية شهيرة لأم كلثوم

" و تفيد بيايه يا ندم و تعمل إيه يا عتاب ! "

أغمضت يارا عينيها في إرهاق و الألم الذي تشعر به تزداد
وطأته



_ أنا مش بقول إن مراد مش غلطان بالعكس .. بس أنا مستغربه
 إنتِ إزاي حبيته أصلاً .. و إذا كنتِ حبيته حقيقي فده معناه
 إنك قبلتیه زي ما هو .. بمميزاتة و بعيوبه .. يبقى من حقه عليكِ
 تديله فرصة يكفر بيها عن كل الأذى اللي اتسبب فيه ليكِ و
 لابنه.

امتلات عينيها بدموع العجز

_ انتِ مش متخيله هو كان أد إيه نفسه في طفل .. مراد مع
 الأطفال مختلف .. شفتي بيتعامل إزاي مع نور و هي بتحبه إزاي
 .. مراد كان محتاج طفل يرمم اللي اتكسر جواه من سنين ..
 محتاج لحد يحبه بجد و يصلحه مع نفسه .. إنتِ الوحيدة اللي
 مراد حبها بجد .. يمكن لو كان عارف إن ابنه كان عايش من
 زمان كان الموضوع فرق معاه .

تطلعت إليها زهرة باستنكار

_ ما هو كان عارف .. لولا ياسين ساعدني أسجل الولد كان
 زمانه مجهول النسب .. و لولا إني قلت إنه مات كان هيحبس
 ياسين عشان زور في الأوراق و كان ممكن يأذيه أو يأذيني.



عادت تواجهها

_ عايزه تفهميني إن زهرة دلوقتي هي زهرة بتاع زمان .. زهرة زمان حبت مراد بكل عيوبه .. و الغلطة اللي عملت من مراد ندل إنتِ كمان مشتركة فيها.. كل ده ممكن يتغير لو سمحتيله يقرب .. انتِ و هو محتاجين بعض .. اديه الفرصة يعالج اللي اتكسر جواكِ و ساعتها انتوا الاتنين هترتاحوا.

شبكت زهرة ساعديها أمام صدرها و غمغت باستهزاء
_ مراد عمل كل اللي عمله و عايزاني أسامحه و أديله فرصة في حين إن زيد اللي ما يجيش نقطة في بحر مراد انتِ مش قادرة تسامحيه.

بدأ الألم يطرق جسدها من كل صوب ؛ ثقل شديد في أسفل
بطنها مع موجات عاتية من الوجع تهاجمها بعنف
أجابت بصعوبة فيما أنفاسها تتسارع برئيتها
_ الوضع .. مع .. زيد .. مختلف .. زيد .. أذاني فوق .. ما ..



تنفست بعنف و بدأت بالترنح مما جعل زهرة تدعمها بذراعيها و
جسدها فيما بدأ الألم يخرج منها في صورة صرخات متوجعة
بشدة.

لحظات و كان مراد بجانبهم ؛ حمل شقيقته و توجه من فوره
لسيارة الدفع الرباعية .

جلس خلف مقودها بعد أن وضع يارا بالمقعد الخلفي بمساعدة
زهرة التي سعدت بجانبها تحتضنها في رقة و تهدئ من الذعر
الذي أصابها من دخولها المخاض.

اتسعت عينيها بألم و رُعب من القادم ..

فهي تحمل فوبيا من الألم الجسدي فكيف بها قد تحتل ألام
الولادة و التي تُعد علمياً ثاني أقسى ألم بعد الحرق حياً.

تساءل مراد في قلق و هو يبدأ القيادة

_ رمزي فين في؟!!

أجابته زهرة : في المستشفى !



تطلع إليهما عبر مرآة السيارة الأمامية ؛ يارا في ألمها المتواصل و
زهرة في حالة قلق و مواساة للأخرى

_ يويو .. إجمدي يا قلبي هتبقى كويسه إن شاء الله.

تطلع للأخرى بنظرة تحثها على الهدوء و عدم الخوف و همس

_ كلمي زيد خليه يحصلنا.

الوجوه الشاحبة حولها تخبرها أن الأمر ليس على ما يرام

تعلقت بيديه و قد تعرق كل جسدها و احتقن وجهها بفعل الألم

_ رمزي .. قولي في إيه !؟ .. الناس دي وشوشها مش

مطمئني.

ابتسم بضعف و خرج صوته مهزوزاً رغماً عن محاولاته للثبات

_ متخافيش يا يويو كله هيبقى تمام .. إنت بس ضغطك عالي

شويه و المستشفى هنا مفيهاش إمكانيات .

تساءلت بذعر و أحاطت بطنها المنتفخ بحماية لوليد تخشى عليه

حد الموت



تزامن لفظ اسمه مع صرخة متألمة فانتفض زيد خارج الغرفة و
اندفع صوبها

ابتعد رمزي مفسحاً له المجال ليشرف على تحضيرات نقلها.

تم وضعها على السرير النقال ، تطلعت حولها تقرأ في وجوههم
التوتر و القلق .. ما عجزوا عن إخفاؤه بتمتمات تطمئنها أن كل
شيء سيصبح على ما يرام.

الجميع حولها إلا أنها توصلته هو بارتجاف

_ خليك معايا !!

ابتسم بتأكيد يمنحها بعض من طمأنينة

_ مش هسيبك.

تم تحضيرها للدخول لغرفة العمليات فأصر زيد

_ هدخل معاها !!

نفى الطبيب المختص بها



_ مش هينفع يا فندم .. المدام حالتها خطر جداً .. الضغط عالي
والجنين مش في وضعه الطبيعي .. حاولنا نغير وضع الجنين
بس للأسف مفيش وقت .. المدام لازم تعمل جراحة قيصرية
بأسرع وقت.

رغم الذعر الذي أصابه عليها و رمزي الذي أيد رأي الطبيب إلا
أنه أصرَّ

_ أنا هدخل معاها يعني هدخل .. أنا وعدتها .

و أمام إصراره رضخ الطبيب بعد أن أمر بتعقيمه للدخول لغرفة
العمليات.

وقف بالقرب من رأسها يمسح الدموع التي انسابت على خديها
برقة ؛ يهمس لها بكلمات مطمئنة ؛ يعتذر المرة تلو المرة عن كل
ما تسبب به لها من ألم

يقسم أنه لم ولن يُحب سواها .. يتوسلها العفو و السماح له
بالبقاء قربها و قرب ابنتها.



صرخات الصغير جلبت ابتسامة متعبة على شفتيها و ضحكة
دامعة لزيد الذي رفع رأسه ليرى الصغير.

تزامن مع سؤالها عن حال المولود و جنسه.

صوت رمزي المبتهج بنجاة أخته ووليدها

_ ولد يا يويو .. حمد الله على سلامتك!!

أغمضت عينيها يارهاق و حمدت الله بدورها

_ عُمر .. سميه عُمر .

تهدل رأسها على صدرها و تراخت أصابعها التي كانت تضغط
بها على يديّ زيد منذ لحظات.

اتسعت عيني زيد في ذعر تزامن مع صراخ الصغير و صفير جهاز
القلب الذي أعلن توقف قلبها عن العمل.



الفصل التاسع و العشرون

لنفترق قليلا..

لخيرِ هذا الحُبِّ يا حبيبي

و صالحنا..

لنفترق قليلا

لأنني أريدُ أن تزيدَ في محبتي

أريدُ أن تكرهني قليلا

بحقِّ ما لدينا..

من ذِكْرٍ غاليةٍ كانت على كَلِينا..

بحقِّ حُبِّ رائعٍ..

ما زالَ منقوشاً على فمينا

ما زالَ محفوراً على يدينا..



بحقّ ما كتبتّه.. إليّ من رسائلٍ..
ووجهك المزروعُ مثلَ وردةٍ في داخلي..
وحبك الباقي على شعري على أناملي
بحقّ ذكرياتنا

وحزننا الجميلِ وابتسامنا
وحبنا الذي غدا أكبرَ من كلامنا
أكبرَ من شفاهنا..
بحقّ أحلى قصةٍ للحبِّ في حياتنا
أسألكَ الرحيلا

نزار قباني



بعض المواجهات واجبة و إن كرهناها
و بعض المصارحة لا مفر منها و لو أجلناها !!

صرخت ياسمين في رعب و هي تتابع بعينين متسعيتين النيران
تلتهم ما حولها في سرعة، تجمدت قدميها و النيران تحيطها و
بدأ صدرها يختنق بالدخان ، هتف والدها باسمها في ذعر
يراقب اقتراب ألسنة النيران منها في عجز حد اختناق أنفاسه
بصدره بفعل التهاب مزمن في الشعب الهوائية.

تهالك على ركبتيه يشهق بعنف و صدره يضيق أكثر فأكثر؛
غامت عيناه و قد بدأ الوعي يفارقه شيئاً فشيئاً.

بعينين مسطتان على ابنته التي أصابها الخوف بالشلل فعجزت
عن الحراك على الرغم من ألسنة اللهب التي تقترب منها دون
إبطاء؛ بدأت أنفاسه تضيق بداخل صدره و تغيم عينه بنصف
وعي و قبل أن تنغلق تماماً فُتح باب حجرة المكتب بعنف و



اندفع أحدهم بجهاز إطفاء حريق و تبعه أكثر من رجل بأكثر من جهاز؛ و رغم ذلك صرخ بهم أن يتصل أحدهم بالمطافي.

جذب ياسمين بعنف و أدارها خلف ظهره مُبعداً إياها عن ألسنة النيران و بدأ برش سائل ثاني أكسيد الكربون على النيران و فعل الآخرون مثلما كان يفعل تماماً؛ ناهيك عن عمال المزرعة الذين شاركوا في إخماد الحريق بدلاء المياه.

فيما حمل بعضهم المختق أرضاً و الخروج به بعيداً عن الدخان الكثيف الذي انتشر حولهم على الرغم من المحاولات الحثيثة في إطفاء النيران.

وصل ياسين للتو و بدأ في إخماد النيران بدوره إلا أنه حالما رأى ياسمين و ملامح الذعر التي احتلت ملامحها بالكامل و أصابعها التي شكلت قبضة تمسكت بقميص أحد الرجال من الخلف مما شكلت عائقاً لحرية حركته في محاولاته المضنية لإخماد الحريق.



جذبها ياسين للخارج بعيداً عن النيران و محاولات إطفاءها التي
بدأت تؤتي ثمارها بالفعل و قد أوشك الرجال على النجاح في
إخمادها تماماً.

طوقها بذراعيه و بدأ كفه بالربت على ظهرها في ما يشبه هدهده
بغرض بث طمأنينة في جسدها المرتعب حد التخشب.

بدأت التشنجات تتابها فانتفض جسدها في قوة كآثار متأخرة
لذعر أو صدمة بدأت بالظهور .

جذبت نفسها بعيداً عنه إلا أنه أحكم تطويقها هامساً بنبرات
منخفضة مطمئنة

_ متخافيش يا ياسمين .. انتِ كويسه و عمي كويس .. اهدي.

رفعت رأسها لتطلع إليه بعينين زائغتين أو غير واعيتين من
الأساس

_ أنا خايفه يا هشام .. متسيبنيش!!



بسط كفه الأخرى و أحاط بمؤخرة رأسها و جذبها لتستكين على صدره و هو يعي تماماً أن ياسمين في أضعف حالاتها حتى أنها غير واعيه لكونه ياسين و ليس هشام.

و لكم شعر بالمرارة التي تركت آثارها في حلقة فالنساء في حياته كليهما يرتبط بذات الشخص بشكل أو بآخر ..

هشام!

إحداهما حبيبته الوحيدة .. زوجته

و الأخرى لم تتخطى صدمة رحيله و تفضيله أخرى عليها أبداً!

وصلت عربة المطافي بصوتها المميز فعادت المستكينة بين ذراعيه للانتفاض فمرر يده على خصلاتها برفق مانحاً إياها الشعور بالأمان حتى لو لم تستجب.

" خلاص المطافي ملهاش لازمة .. احنا طفيناها خلاص و كله

تمام"



أبعدها قليلاً حالما أتي من كانت تتشبث به ياسمين قبل قليل ؛
زوى ياسين ما بين حاجبيه بدهشة قبل أن يهتف في تعجب

_ سليم .. معقول !!

ابتسم سليم صاحب الملامح الداكنة و اللحية المهدبة بوقار كان
دوماً يتصف به حتى أثناء طفولته.

_ إزيك يا ياسين !!

ابتسم ياسين بابتهاج لرؤية الغائب منذ زمن بعيد

_ أنا تمام يا ابني .. انت اللي إيه أخبارك.

بابتسامة مقتضبة أجاب

_ ماشي الحال !

اقترب والد ياسمين في تلك اللحظة ليشد على كف سليم بامتنان

_ أنا مش عارف كان إيه هيبقى مصيرنا لولا إنك اتدخلت في

الوقت المناسب يا ابني .. الله يكرمك.



أخفض سليم عينيه بخجل و غمغم بنفي لشكر لا يتوجب
الحصول عليه ففي ظروف كتلك أياً كان .. كان سيفعل المثل بلا
تفكير

_ على إيه يا عمي .. الحمد لله إنها جات على أد كده.

تطلع لساعته قبل أن يهتف بتقرير

_ أنا لازم أمشي .. حمد الله على سلامتكم.

ثم وجه حديثه للرجل الأكبر سناً

_ أنا هنا يا عمي لو احتجت أي حاجة أنا موجود.

ثم نظر لياسين بملامح افتقاد لصديق الطفولة و الشباب و ابتسم

بحنين للأيام الخوالي

_ احنا لازم نقعد و نتكلم مع بعض كثير .. وحشني الكلام

وياك.

هتف ياسين بتأكيد

_ طبعاً يا سليم .. انتَ كمان وحشني أوي.



أوما برأسه في موافقه ثم غادر المكان بخطوات واسعة .. واثقة
لم تتغير رغم مرور السنوات.

تطلع زيد بذعر للكف التي انفلتت من يده فيما تطلع لاستنفار
كل من حوله بلا وعي .

عاد يتطلع للمستكينة بلا حراك أمامه و صوت صافرة جهاز
القلب تكاد تخترق خلايا مخه عبر أذنيه .

و أمامه كان رمزي الذي ترك الوليد للمرضات بهلع ؛ يضغط على
أيسر صدرها بضغوطات متعاقبة محاولا إنعاش قلب غادره
النبض.

حاول مرة بعد أخرى و لا شيء تغير في ذلك الصغير المزعج.

أمسك زيد كفها من جديد يبحث فيه عن قوة كانت تعتصر بها
كفه كلما توجعت أو حتى ضعفها و تمسكها الواهن به حالما
تمر نوبة الألم فتركها هشة .. متهالكة من فرط الإعياء.

عاد كفها الخالي من الحياة يتهالك دون إرادة .. دون حياة !!



أبعده طيب القلب الذي تم استدعاؤه على الفور؛ مزق رداء
المشفى ذو اللون الأخضر الكئيب من منطقة الصدر لتساعده
إحدى الممرضات في إزاحة الرداء كاشفاً عن صدرها ليبدأ
بشحن جهاز الصدمات الكهربائية.

و تم الشحن و ترددت كلمة

" clear "

المررة تلو المرة ..

الصدمة تلو الأخرى

و لا تغيير !!

التقت عينيه برمزي ليقراً الخسارة على وجهه ..

الفقد .. و أي فقد !!

" مستحيل "

تجمعت الحروف بأعماقه و عقله يرفض ..

و قلبه يرفض ..



و كله يرفض السماح لها بالرحيل ..

ليس هكذا ..

ليس الآن ..

ليس و بينهما الكثير و أمامهما الأكثر !!

توقف الطبيب في يأس و قد باءت كل محاولاته بالفشل أيضاً

فهتف به في استنكار ؛ يرفض استسلامه ؛ يقتله استسلامها

لموت مريح ؛ يمزقه عدم تشبثها بحياة معه و مع وليدها

_ انتَ وقفت ليه .. يارا مماتتش .. حاول تاني و تالت و مليون

انتقل رمزي إلى جانبه و بصوت شابه النحيب

_ زيد .. الدكتور مفيش في إيده حاجة يعملها .. يارا ..

دفع زيد رمزي الذي حال بينه و بين جسدها المسجى على طاولة

العمليات

_ ابعد يا رمزي.



التهم المسافة بينهما في خطوة واحدة واسعة ليتناول كفيها معاً ؛
يخاطبها .. لا بل يأمرها

_ يارا .. انتِ مش هتسيبيني .. مش هسمحك على فكرة .. يارا
أنا مش هعرف أعيش من غيرك .

بدأ بالبكاء و هو يقبل كفيها فوجنتيها فجبينها و قد بدأت
الحرارة تغادر جسدها

_ يارا .. متهرجيش إحنا متفقناش على كده .. يارا فوقي عشان
خاطري .. يارا أنا هموت من غيرك .. أنا بحبك .. محتاجلك ..
و عُمر محتاجلك متعمليش فيّ كده.

شهق عندما تحركت أناملها بين يديه فهتف بسعادة و ارتفعت
عينيه لرمزي

_ يارا .. اتحركت يا رمزي .. صوابعها ارتعشت في أيدي.
حرك رمزي رأسه لجهاز رسم القلب الذي تعلقو شاشته الخط
المميز لمن لا يحمل نبضات قلب.



بعينه أشار للمرضة لإعادة شحن جهاز الصدمات الكهربائية و
 هتاف آخر بالابتعاد عن جسد المريضة حال تلقيها الصدمة مرة
 ثم أخرى

واقتراب منها حد المسموح و مناجاة باسمها في استجداء يمزق
 نياط القلب .. و كفين أحاطا بوجهه يخفى عن عينيه حقيقة غير
 قابلة للاستيعاب .

فشهقة حين تغير صوت الصغير لنبضة ضعيفة .. فأخرى.

رفع رأسه ليرى الملامح الذاهلة من حوله و صوت نبضات
 ضعيفة أحلى من نغمات ألف قيثاره .

ضغط رمزي على كتفيه في امتنان و سعادة لا متناهية تضيء
 قتامة الحزن الذي كان عليه منذ لحظات.

دفعه بابتهاج و طبع قبلة عميقة على جبين العائدة للحياة بفعل
 تمسك ذلك المجنون بها.

تساءل و قد انفجرت عينيه بدموع احتبسها بالقوة ؛ يرفض
 الاعتراف بالفقد لتنساب الآن ممتنة .. حاملة الله أن أعادها إليه



_ رجعت صح ؟!

اعتصر رمزي عينيه بدوره لتساب عبراته على وجنتيه رغم
الابتسامة التي احتلت وجهه بالكامل ؛ لم يستطع النطق إلا أنه
أوماً برأسه في قوة بالإيجاب .

لقد عادت يارا ..

قلبها الذي توقف عن النبض لخمس دقائق كاملة اختلج من
جديد بفعل إصراره على التثبيت بها ..

عادت ..

والفضل لله ..

ثم لإصرار مجنونها ..

مجنون يارا !!

تابعها بعينه يقرأ القلق في كل لمححه من لمحاتها تتحرك حدقتيه
معها ذهاباً وإياباً يكاد خوفها يُرى بالعين المجردة.



لم تعد تمارا ذات الفتاة التي أتت هنا منذ شهرين ؛ بالكاد عرفها

استقبلته بلهفة حالما رآته قادم برفقتها ؛ معطفه كان فوق كتفها ؛
تستند إليه في ضعف بينما يدعمها بساعد التف حول خصرها ؛
ملاحها المرتجفة .. الشاحبة يغطيها ظلال بلون الرماد ؛
فتقلصت مشاعرها في رعب و باغتها بسؤال بلا تفكير

_ انتَ كويس ؟!

هزت رأسها مصححة لمقال لم يأت في مقامه

_ انتوا كويسين يا ياسين حد جراه حاجة ؟!

نفي برأسه و حملت نظرتة ابتسامة مطمئنة

_ الحمد لله كله تمام .. خسائر بسيطة.

تعثرت ياسمين في تلك اللحظة فتهاكت ساقها بضعف ؛ اشتد
ساعده حولها يمنعها من السقوط أرضاً ؛ لا تزال عينيها و عقلها
شاردين تماماً و يبدو أن ساقها فقدتا القدرة على التماسك



فعدت للتهاوي فما كان منه إلا أن التفت ذراعيه حول ظهرها و
أسفل ركبتيها ليحملها للداخل .

هتف والدها من خلفهما بقلق و قد انتابه الشحوب بدوره من
تحت ظلال الرماد السوداء

" ياسمين ! "

تسارعت خطواته ليدخل بها غرفتهما ؛ ساعدته زينب بإزاحة
الشرشف ليضعها برفق على الفراش .

جلس الجميع حولها يحاولون التحدث معها .. نظرات الشفقة
على حالها علت الوجوه كلها.

اتصال هاتفي بطبيب طلب منه ياسين الإسراع ليسعف الفتاة
المصدومة.

تحرك آخر صوب حمام الغرفة ليخرج بعدها بلحظات بمنشفة
رقيقة رطبة بدأ بالمرور بها على وجه ياسمين في رقة مزيلاً آثار
الرماد الناتج عن الحريق عن وجهها.



أما هي فتسمرت على باب الغرفة التي تجمعهما معاً ؛ تشعر
بالخوف عليها .. بالقلق عليه .. بالاختناق رغم اتساع الغرفة
بلونها العسلي و الأخضر .

بالكراهية لأول مرة لوضعها هنا ..

لوجودها ..

لمكان اختارته بملء إرادتها

رغم كونه بناءً على وصية وافقت على تنفيذها بطيب خاطر ..

أرادت البقاء حقاً إلا أنها لم تحسب حساب قلبها الذي دخل
المعادلة رغماً عنها ..

لم تصدق أنها تمنته حقاً ..

حلمت بالبقاء معه و من أجله حتى لو كان ذلك الحلم يرتقي

لمرحلة الأمنيات الغير قابلة للتصديق!

لم تعهد نفسها أنانية و لن تكون ..

حسبت أن وجودها هنا لن يُغيرها ..



اعتقدت أن بإمكانها البقاء و أن المكان لا بد مكانها

إلا أنها الآن .. و الآن فقط تشعر بأنها دخيلة ..

لا مكان لها في الصورة بأكملها ..

لقد كان قرارها بطلب نبيل صائباً .

التفتت لتجده خلفها يراقبها بعينه في تمنع يحاول سبر أغوار

مشاعرها التي تجمعت بدمعة واحدة في مقلتيها

و بهمس أقرب للاستجداء

" أنا عايزه أمشي من هنا!! "

غيوبة استغرقت ثمانٍ و أربعين ساعة عانى فيها الجميع الأمرين

عودة بعد هلاك ربما ..

نجاة بعد فقد ..



الجميع كان يُدرك أن معجزة صارت ليس لأن القلوب لا تعاود
الخفقان بعد خمس دقائق لأنها ببساطة تعود و ربما بعد ذلك
ببضعة دقائق إضافية.

المعجزة كانت في تمسك الحبيب بها رغم عدم إظهارها أي
استجابة تُذكر.

العجيب كان يقينه بأنها لم تمت .. بأن أناملها تحركت أثناء
موتها ..

و الأكثر عجباً كان إصراره على المحاولة و تشبته بمنحها الدافع
للبقاء.

أما عنه ..

كان يراقبها من خلف الحائط الزجاجي لغرفة العناية المركزة ؛
كل ما فيه يصرخ بالندم.

عادت إليه و لم تخذله بالتأكيد ..



و لكنه خلال اليومين الماضيين توقف ليقدم لنفسه كشف حساب؛ و لأول مرة يكن صادقاً معها ليحاكمها على كل تصرفاتها.

عشقها ..

و ما المميز بذلك إن كانت بادلته بالمثل و أكثر!؟

منحها كل ما يمتلك ..

ماذا إن كانت تمتلك الأكثر و لم تبخل بالمنح أبداً

و كأنه كان يمتلك الكثير حقاً!!

منحها قلبه بالكامل ..

هذا شيء أكيد ..

و لكنه أخذ قلبها و روحها ..

أخذ سلامها الداخلي ..

سلبها اعتزازها بنفسها كما طعنها في كبرياءها كأنثى

..



ذنبها كان أن منحته ثقة لا محدودة ليبادلها الخذلان في
المقابل!

أما عنه فكان خطئه الأكبر أن اعتقد أن الحياة لن تخذله ..
ستمنحه الفرص و الوقت ليتوسل و يحصل على الصفح
بل إن أمامه كل الوقت ليستعيدها و لن يكون الرفض طرفاً في
المعادلة أبداً.

إلا أنه كان واهم ..

تمر معظم لحظات الحياة و نحن نقول غداً سنفعل .. لاحقاً
سيكون ..

لم يحن الوقت لذلك بعد ..

لنكتشف فجأة أن الفرص قد نفذت منا دون استغلال حقيقي ..

أن الغرور قد صور لنا أننا خارقين و سنفعل دون شك ..

لنكتشف في لحظة ..

أن حظوظنا قد انتهت ..



و أنه فـات الأوان!!

التقت عينيها بعينه من خلال الجدار الزجاجي ؛ تحمل عينيها
الحب و هذا لم تستطع إخفاؤه أبداً.

تحبه و لا تستطيع مسامحته ..

لا تستطيع الاستغناء عنه و ترغب بألا تراه أبداً ..

الحب و الثقة و جهان لعملة واحدة ؛ قد يُطمس أحد وجهيها و
لكن هذا لا يعني زوال الآخر بالتبعية .. تظل العملة .. عملة و

إن كانت منقوصة إلا أنها رغم كل شيء .. تبقى !!

و قد يأتي الابتلاء في صورة ذاكرة لا تسمح بالنسيان و بالتالي ..
فالصفح في بعض الأحيان مستحيل.

حرك شفثيه بكلمة

" آسف "

و كررها لتقرأها

" بحبك "



ثم أدار ظهره لها و مضى ..

و على مدخل المشفى أخرج هاتفه المحمول ليتخذ قراراً طال به
تأجيله إلا أنه قد حان الوقت لتنفيذه.

" أنا خلاص أخذت قرار .. أنا جاي معاك "

لو قلبك كان متحير بين حاجه وحاجه كمان ..

اعرف انك ف الدنيا لون من ضمن الالوان ..

يختارك حد بيرسم ..

يا بتفضل جوا العلبه ..

يا تعيش فلوماستر ابيض .. ملوش ف العلبه مكان ..

يا تعيش اسود بيحدد ..

يا تعيش شفاف متردد .. خايف لو انه بيان ..

يا تعيش اخضر متفائل ..



أو أزرق غامق عاقل.. بيدلّ على الانسان..
انا لون الرمّش ف رسمه.. لعيون كام بنت جميله..
اللوحة بتاخذ عمري.. وارجع وابعها ف ليله..
مانا زى الميه ولونى.. شفاف مايل للزرقه..
واعكس الوان مش فارقه..
باهت وقليل الحيلة.

محمد إبراهيم

يومان مرا على الحادثة و الحال على ما هو عليه ..
ياسمين مصابه بصدمة لا يعرف كيف يتصرف معها .. حتى أن
عجز عن فعل شيء لها .. فكونها حامل يُقلص لائحة المتاح من
الأدوية ..

كل ما كان عليه فعله أن يمنحها الوقت و الوجود حولها ..
و نزهة أو عطلة إن أمكن !!



مرر أنامله على شعرها حنان و ابتسم حالما فتحت عينيها ..

_ أخبارك إيه !؟

أجابت باقتضاب " كويسه ! "

عاد يتساءل في رقة بدت فطرية على عكس طبيعته القاسية التي
تعرفها

_ تحبي أعملك حاجة !؟

هزت رأسها بالنفي و طلبت بهمس

_ أنا عايزه بابا !

_ حاضر !!

خلال دقائق كان والدها بالغرفة ؛ تسمرت عينيها بالباب تتوقع

دخوله تالياً إلا أنه لم يفعل .

و كان التوضيح من أبيها

_ راح المزرعة يشوف شوية شغل مستعجلين !



اعتدلت ياسمين جالسة و قد غادرتها آثار الاستكانة التي تمثلها
على الآخر ببراعة تستوجب جائزة الأوسكار.

زفر الأب في سُخط

_ و بعدين يا ياسمين .. أنا مبقتش قادر أستحمل الكذب ده ..
ليه يا بنتي كده .. أنا شايف إن ياسين مش مخلي حاجة عشانك
إلا و بيعملها .. ليه تخدعيه.

ارتسم الكره على ملامحها الجميلة فبدلها لشيء آخر بشع ليست
عليه

_ ياسين بيعمل كده شفقة مش حب .. بيعمل كده عشان طيب و
بيساعد بنت عمه اللي محتاجاه .. بلاش تحطه في دور الملاك .

جادلها بصوت منخفض خشية أن يسمع أحد حوارهما

_ يا بنتي انتِ مراته يعني هو عمره ما هيظلمك.

_ مش بيحبني.

_ و لا انتِ بتحبيه.



_ عايز يتجوز عليّ.

_ تقدري تقولي لأ .. و مفيش حد ممكن يُجبرك على حاجة

مش عايزاها.

_ انت طيب لدرجة السذاجة حقيقي.. أنا أصلاً مش مستنيه منه

حاجة .. و لا عايزه منه حاجة .. أنا بس مستحيل أسيبه ليها ..

بعد ما أخذت مني هشام .. ياسين بتاعي و بس.

جاور توعدتها نظرة سكنت أعماق عينيها ؛ يعرفها جيداً و تثير فيه

الذعر فما كان منه إلا أن هدهدها بدوره علّها تعود لصوابها

_ أنا هعترفه بكل حاجة و اللي يحصل يحصل!

هبت من فراشها و قد ازدادت نظراتها قسوة و عدم اتزان

_ لو عملت كده أنا هموت نفسي !!

اعترض بذعر لأنها قادرة على التنفيذ و بشدة

_ ليه بس كده يا بنتي .

اعترضت : أنا مجنونة و أعملها انت عارف !



هتف بمرارة و الذنب يوخز قلبه

_ ارحميني يا بنتي أنا مبقتش مستحمل .. كفاية إنك خلّيتيني
أحلف مقولش لياسين على موضوع علاجك .. و كفاية حكاية
الحمل دي كمان .. ده غير اللي انتِ عاملاه ده .. ياسين عمك
إيه عشان ده كله.

هتفت بنبرة مُحذرة : بابا .. أكيد مش هكرر اللي حصل زمان و
إحساسي من ناحية ياسين أو أي حد .. تاني .

دفن وجهه بين كفيه و غمغم بحل أخير

_ طب إيه رأيك نساfer أمريكا شويه .. تغيري جو .. و نشوف
الدكتور هناك.

ارتسم التصميم على ملامحها و بداخلها الكثير من الأفكار و
المخططات

_ مش دلوقتي خالص .. ثم إن تفتكر ياسين هيقبل بالسفر كده
بالساهر و أنا حامل في ابنه.

_ قولي إن مفيش حمل يا ياسمين.



شهقت بتصميم : مستحيل !!

يشعر دوماً معها بالعجز ..

يرفض ما تفعل و لا يتمكن من تنفيذ كل ما يخطط له من عقاب

..

منذ صغرها و ياسمين نقطة ضعفه ..

ربما لأنها وحيدته ..

أو لأنها كل من بقيت له في هذه الحياة ..

أو لأنها احتملت الكثير بالفعل بما أصابها بالكهولة بينما لا تزال
طفلة.

كانت تفعل ما تريد على الدوام ..

و هو يرضخ دائماً ..

لم لا يريد !!



نختار أحياناً خيارتنا بملء إرادتنا..

و أحياناً أخرى تبدو كل البدائل رفاهية بجوار بعض الخيارات
المفروضة!!

"تمارا!!"

قطع شرودها في الفضاء الشاسع أمامها فابتسمت بشجن

_ تعرف ان المكان هنا هيوحشني أوي .

زوى ما بين حاجبيه في تساؤل يريد به اعتراف لشكوك تدور
بداخله

_ و ليه تسيبيه ما دام بتحبي المكان هنا.

اختنقت بابتسامتها لتهمس

_ مبقاش ينفع .. كنت فاكركه إنني أقوى من كده .. يااه مستحيل
كنت أفكر ان تمارا تُقع ..

بترت عبارتها لئلا تكشف ما بداخلها أكثر من ذلك



إلا أنه كان قد أمسك طرف الخيط فتساءل بتقرير و كأن جوابه
معروف مسبقاً

_ بتحبيه !

شهقت برعب تبعه نفي بشده لتهمة ألصقها بها هي مذنبه بها و
لكن

بلا سبق ..

و دون إصرار ..

" لأ طبعاً "

ابتسم بشك من كونها تكذب .. شك يقترب من اليقين

_ بس هو كمان بيحبك على فكرة.

ابتسمت بسخرية رغم قلبها الذي انتفض داخل صدرها

_ مش حقيقي .

إحساسه يكاد يقترب من اليقين أن كليهما يحمل للآخر ما يفوق

معاني الحب المتعارف عليها .. بل انها فاقتها بكثير.



و بظروف كتلك التي يعيشونها ..

يرفضها و ترفضه على العلن .. و ربما حتى أمام نفسيهما لأن الاعتراف بذلك الحب يعني أن يفقد كلاً منهما احترامه لنفسه قبل أن يفقد احترام الجميع .

و لكن الحب لا يمكن إخفاؤه ..

تنبئ عنه أبسط الأشياء ..

الإشارات .. الإيماءات .. النظرات ..

فالحب فعل فاضح مهما حاول العشاق إخفاؤه !!

يكاد يُجزم أن الجميع يدرك ما يخفيانه حتى عن أحدهما الآخر.

و لأنها تدرك أنها قد علقت بالفخ .. و أنها يجب أن تتخلص

من ذلك القيد الذي يطوق قلبها و المسمى حب بلا أمل؛

أخفضت رأسها لتعلن بخفوت

_ أنا .. أنا موافقة نتجوز يا نبيل و أسافر معاك !!

رغم انخفاض الصوت إلا أنه وصل لأذنيه كدوي قنبلة ..



و حينما سمعه نسي كل ما سبق و اتخذه من قرارات خلال
اليومين الماضيين.

فظوال الأيام السابقة ..

كان يجبر نفسه على تحمل البعد ..

يُدرّب قلبه على الاشتياق لها ..

يمنح ياسمين كل مشاعره حتى لو لم تكن حقيقة على أمل أن
تصبح كذلك يوماً ما.

اتخذ ألف قرار بالبين ..

بمحاولة النسيان و الماضي قُدماً في حياة ربما لم يخرتها و لكن
قبل بها منذ البداية.

إلا أن كل مخططاته تبعثرت في التومع ذلك الإعلان ..

هي زوجة لغيره ..

لم يحتمل تخيل ذلك فكيف ان صار واقعاً !!



و ككل اقتراب من رجل غيره لمحيطها يشتعل غضبه و غيرته
التي تأكل الأخضر و اليابس من اتزانه و أخلاقه الحميدة.

" أفندم يا هانم !! "

كان ذلك ما صرخ به في وجهها قبل أن تسقط فريدة أمام أعين
الجميع بلا حراك.

اختفى ..

تلك الهمسة بالحب و بينهما ذلك الحاجز كانت آخر ما سمعته
منه

تبحث عنه بين الوجوه دون أن تجرؤ على السؤال عنه.

هل سبق و اختبرت شعور العشق و اللاحب في ذات الوقت !!

هذا ما كانت تختبره بالضبط ..

تعشقه حد اليأس ..



و تعيش منه نفور يُدعى اللاحب !!

ساعدتها زهرة للدخول في غرفتها و الرقود على فراشها ؛ تأوهت
يارا بفعل جرح بطنها الذي لم يشفى تماماً بعد.

واستها الأخرى و هي تساعدها في الاعتدال ببطء و رفق شديد
_ معلىش يا يارا .. كلها كام يوم و هتبقى زي الفل.

أومأت يارا برأسها و زفرت بياس من هول ما عانت في الأيام
الماضية.

تساءلت يارا في لهفة

" فين عُمر ؟! "

ابتسمت بشحوب مصاحب للاسم الأحب على قلبها .. للشخص
الذي لم يعد هنا فأصرت تلك العزيزة بوجوده و لو من خلال
الاسم فقط.

_ مع مراد متقلقيش عليه .. أنا مكنتش متخيلة انه هيعرف
يتعامل مع الأطفال كده .. أو يكون بيحبهم بالشكل ده.



ابتسمت يارا بمحبة : مراد بيعشق الأطفال.

اتسعت ابتسامة زهرة و هي تؤكد على ذلك

_ أيوه ما أنا عرفت .

دخل مراد بالطفل الباكي في تلك اللحظة ليعلن بيأس ..

_ يارا شوفي ابنك ماله .. مش راضي يسكت .. عملت له كل

حاجة و برده مش راضي يبطل عياط.

تناولته زهرة من يده لتتلامس أناملها و ساعده فتضطرب إلا أنها

تجاوزته في سرعة و هي تعلن بابتسامة متفككه

_ لأنه عايز الحاجة الوحيدة اللي مينفعش تعملها له .. عايز يرضع

شهقت يارا و ضحكت بشدة جلبت الألم لجرح بطنها فيما تلون

وجه مراد بالصدمة قبل أن يتابع بتفككه بدوره

_ ليه يا بنتي .. في اختراع اسمه ببرونه " رضاعة صناعية " .

عادت يارا تضحك بقوة أكبر حتى صرخت بهم



_ كفاية أبوس إيديكم أنا مش قادرة أضحك .

رفع مراد يديه مستسلماً و هتف أثناء مغادرته

_ أنا خارج أصلاً.

وضعت زهرة الصغير بين ذراعي أمه و ساعدتها لتتخذ أكثر
الأوضاع راحة لتبدأ في إطعام الصغير.

انتهت من إرضاعه و قد خلد الصغير للنوم فعادت زهرة تتناوله
من بين أيديها لتضعه في سريره الخاص بجانب فراش يارا.

" حاولي تنامي شويه يا يارا "

كانت ترغب بالاعتذار من زهرة لأنها سبق و أساءت التصرف
معها ؛ سبق و جرحتها و شعرت بالغضب أو النفور منها رغم
كونها ضحية لا ذنب لها في كل ما حدث.

همست بأسف " سامحيني يا زهرة .. أنا .. "

قاطعتها زهرة في اعتراض



فأمامها كان مراد ساجداً و بينما جبينه يستكين على الأرض أتها
 همساته الباكية و مناجاته لله أن يغفر له و يعفو عنه ما مضى.
 دعى لها بالصبر و طلب من الله أن يقدره على جعلها سعيدة ..
 على أن يتمكن من منحها بحبه تريباً تنسى به كل ما عاشته من
 حزن بسببه.

دعى أن يسامحه عمر .. ذلك الحلم الذي تحقق لتنتهي
 صلاحيته في نفس اللحظة.

مست مناجاته الباكية شغاف قلبها فاقتربت و قلبها يضرب
 صدرها بعنف

؛ رفع رأسه لينهي صلاته ؛ لم يرها لأنها كانت خلفه ؛ انتهت
 الصلاة ليجهش مراد بالبكاء و هو يخفي وجهه بين كفيه .

استدارات لتكون في مواجهته و قد شعرت بالضعف لاختبارها
 لحظة ضعفة تلك.

همست بنبرات مختنقة بالعبرات

" مراد "



مسح عينيه ووجهه ليرى التأثر على وجهها ؛ أخفض رأسه يكره
أن تراه على هذا الضعف إلا أنها و لدهشتها معاً رفعت رأسه
بأنامل مرتجفة و ضمت رأسه لجسدها و أخذت أصابعها تربت
على رأسه بمواساة.

وقف ببطء ليتجاوزها بطول قامته المعهودة ؛ جذبها إليه في رفق
و عينيه تمنحها حق قول لا إذا رغبت.

استكانت بين ذراعيه فازداد التصاقاً بها ؛ و عندما امتزجت به
أكثر رفع ذقنها بأنامله في بطء و أحنى رأسه ليقبلها في رقة بالغة
لم تلبث أن بدأت تتحول للهفة .. لشغف .. للقاء طال به الشوق
إليه.

استجابت على استحياء قبل أن تلتقط منه عدوى الشغف
ليحملها بين ذراعيه و يضعها برفق على الفراش دون أن تتفارق
شفتيهما..

و دون أن يفارقهما ذلك الشغف الذي اكتشفاه بنفسيهما من
جديد.



الفصل الثالثون

أنا المسجون في حلمي
وفي منفي انكساراتي
أنا في الكون عصفورٍ بلا وطن
أسافر في صباباتي...
انا المجنون في زمن بلا ليلي
فأين تكون ليلاتي...
أنا وطن بلا زمنٍ
وأنتِ... زماني الآتي

فاروق جويده



الحياة قدر و كذلك الموت
الحب .. قدر و كذلك الكراهية
الفراق .. قدر و اللقاء كذلك قدر
قراراتنا قدر و ان لم تكن تلك مشيئة
القدر

انتهت ثورة مشاعرهما ؛ هو بالارتياح .. بالاحتياج لها ..
باستجابة لدعائه بالصفح .

و هي لا تشعر سوى بالندم ؛ ليس ندماً على محاولة عفو مبكرة
بالنسبة إليها أو حتى متأخرة من وجهة نظر أخرى..

أو السماح لنفسها بهكذا قرب و كأن كل ما صار قديماً قابل
للمحو ببساطة ..

و لا كأنها تبدو كأنما تذكرت فجأة حقيقة كونها امرأة و نسيت
أنها فقدت ابنها للتو .



ربما تكون منحة لبنة أولى في طريق النسيان أو التغاضي عما
مضى ..

قد تسمح له بالاقتراب كزوج تحاول منحه صك غفران مشروط..

إلا أنها غير مستعدة أبداً لتكون أمّاً من جديد ..

لن تستبدل عُمر بأطفال العالم أجمع ..

و لن تمنحه طفل يريد كما لم يرغب بغيره!!

جذبت نفسها بعيداً عنه في غضب لا يدري أسبابه فأغمض

عينيه بمرارة التفهم؛ لم تصفح .. و ربما لن تفعلها .. منحة

قربها بدافع الشفقة ..

آلمها مراد الضعيف .. الباكي

فقررت منحه بعضاً من مواساة لتستفيق بعدها و قد غمرها

الشعور بالندم.

جذبت الشرشف لتحيط به جسدها العاري فيما اعتدل جالساً

على الجانب الآخر من الفراش .



زفر في حنق قبل أن يفتح الجارور المجاور له ليخرج علبة سجائر
يتناول إحداها و يشعلها ثم ينفث دخانها في عصبية.

_ كان لازم أفهم إن لحظة الضعف دي شفقة مش مسامحة.

التفت إليه لترمقه بصدمة ؛ لا تصدق أنه يعتقد أنها قد تفعل
ذلك تحت مسمى شفقة.

تمعنت به ؛ لم يتغير .. لا زال يمارس التدخين كلما شعر
بالضعف و الغضب

سعلت في قوة فابتسم و هو يطفئها بإدراك أنها لا تزال تسعل
كما كل مرة من المرات التي تصدف وجودها بجانبه.

علت شفيتها بسمة مُدركة لتفاصيل تشاركها سابقاً

_ لسه بتدخن كل ما بتبقى عصبي.

ليبادلها المعرفة بها بدوره

_ و لسه بتضايقك ريحة الدخان و بتخنقك!



أومات برأسها تم ثبتت نظرها على نقطة خالية أمامها و احمرت
وجنتيها خجلاً و هي تعترف

_ أنا يمكن لسه مش مسامحك مية في المية بس أنا متأكدة
إنك اتغيرت و لولا كده مكنتش سمحتك ب ...

توقفت لتلتهمها عينيه بنظرات نهمة و تساءل بترقب

_ طب ليه بعدت كده !؟

أغمضت عينها بشدة و زمت شفيتها بيأس قبل أن تعترف

_ عشان خايفه !!

تابعت معلنةً عن مشاعرها المضطربة

_ أنا مش هضحك على نفسي و أقول اني مش مشتركة معاك
في غلطة زمان .. لأنني مشتركة فيها فعلاً..

حاول الاعتراض إلا أنها تابعت مانعةً إياه من مقاطعتها

_ أنا غلطت .. و انت جرحتني أوي .. مش عارفة لو مكنتش في
عُمر كان إيه ممكن يحصلي .. بس ابني كان أحسن حاجة



حصلتلي في حياتي .. أنا حبيتك يا مراد .. حبيتك بجد و يمكن
مبقتش مؤمنة بالحب لإني اتوجعت بسببه كثير أوي .. بس لما
بيعدي عليّ كل اللي مروا في حياتي السنين اللي فاتت بلاقي
إني لما بقارنهم بيك بيطلعو ولا حاجة.. و أد إيه الشعور ده
بينرفزني لأنني عارفة إني عُمري ما كنت على بالك.. و ..

وضع كفه على فمها تلك المرة لتصمت و عينيه و ملامحه ترفض
ما تقول .. تنفي مشاعر تأصلت بداخلها لكونه أنكرها فيما
مضى.

_ بس !! ..

أنا يمكن عرفت كثير .. و غلطت أكثر بس مستعد أحلف لك ان
ولا واحدة كانت أقرب ليّ منك .. أنا كمان محبتش غيرك ..
اللي رفضك و جرحك زمان كان مراد ثاني .. واحد حابس نفسه
جوه شخصية بيكرها لمجرد إنه يهرب من حقيقة واضحة
وضوح الشمس .. و هي ان مش كل الستات أمه .. أنا كنت
بهرب مني ليك انتِ و رغم كده كنت بحاول أثبت لنفسي إنك
مهما حاولتِ مش هتقدري تخبي حقيقة كونك زيها لوقت طويل



ولما يأست .. هربت .. هربت منك و من مصركلها و استسلمت
 لمراد الأناني .. مراد النسخة اللي طول الوقت بيثبت لنفسه و
 لكل انه ميتعاشرش .. عارفه ليه !؟

تطلعت إليه بتساؤل ليتابع

_ عشان ميتجرحش .. ميتخاننش .. ميتأذيش لحد ما قابلتها ..

شهقت بصوت خفيض و خفق قلبها بقوة

_ هي مين !؟

أجاب ببسمة أوعزت في صدرها الغيرة

_ لمى !

كتفت ذراعيها أمام صدرها بحنق فانزاح الشرشف كاشفاً عن
 جزء صدرها فشهقت في اضطراب و هتفت باسمه في سخط
 تنهى عينيه عن التطلع إليها.

فقهقه ضاحكاً فيما صار وجهها مخضباً بدماء الخجل

ازدردت لعابها و تساءلت في حنق أنثوي بحت



_ مرات ابن عمك مش كده؟! هي حلوه .. تتحب يعني!!

شهق بقصد إثارة إنفعالها و هتف بصوت مذهول

_ حلوة بس!! .. دي أجمل بنت شفتها في حياتي .

زمت شفتيها بغضب جلب السعادة لقلبه أخيراً

_ مش أوي كده يعني!!

اهتز كتفاه بفعل ضحكات مستمتعة ؛ امتدت ذراعاها ليجذبها

إليه من جديد

و عاد قلبه يخفق بشدة .. بمشاعر لم يشعر بحلاوتها من قبل لأنه

كان يضع بينها و بين قلبه حواجز شتى.

عادت تتعد مطالبة إياه بالمزيد من التوضيح و قد أيقنت أنه

يريد إثارة غيظها لا أكثر .

قص عليها القصة كاملة .. و كيف كانت لمى طوال الوقت .. و

كيف أوشكت تمارا أن تكون زوجته و لو بالقوة.



أحكمت الشرف حولها لتحاول النهوض ليمسك معصمها في
إحكام

_ أنا محبتش غيرك و لا هجب .

غمغمت بضعف : مراد أنا تعبت .. حقيقي حاسه اني منهكه و
متلخبطه .. جوايا مشاعر كثير أوي عكس بعض .. عايزه أديلك
فرصة و رفضاك .. مجروحة منك و مش قادره أتجاهل وجودك
كأمر واقع في حياتي .. عايزه أثق فيك و مش عارفه.

أمسك كلتا يديها و تطلع لعينيها بثبات قبل أن يعدها بكل
جوارحه

_ أنا عُمري ما هجرحك تاني .. هعيش بس عشان أسعدك و
أثبتلك إنني اتغيرت عشانك.

تساءلت بتردد

_ و تمارا !؟

أجاب بصدق



_ تمارا كانت أول خطوة فوقتني .. كانت نقيض أمي عشان كده
اتمسكت بيها عشان مراد اللي عايز أكونه.

صمت لثوانٍ قبل أن تتساءل بخفوت و توتر امتلكها

_ طب و عُمر !؟

ابتسم بشجن و اغرورقت عينه بدموع قرر حبسها بالقوة لثلا يثير
بداخلها شجوناً إضافية

_ عُمر كان القلم اللي مراد محتاجه عشان يفوق .. كان الفجر
اللي طلع أخيراً بعد ليل طويل .. عمر كان الأمل فيكِ
إنتِ .

ابتسمت بخجل ؛ واضطرب نبضها فارتعشت عضلة بوجنتها
يذكرها جيداً تمنحه الضوء الأخضر لاقتحام قلبها و مشاعرها

اقترب حد الالتصاق بها مجدداً و تتمم بشفتين لامستا ثغرها
المرتجف

" بحبك "

أغمضت عينها تستسلم لطوفان مشاعره من جديد



و تمتمة خافته لا تدري هل سمعها أم لا
أو هل غادرت فمها أم بقيت حبيسه بداخلها
" أنا لا أريد أن أكون أمّاً من جديد "
أمنية لا تدرك أن تحقيقها أسهل ما يكون!!

انتهى الطبيب من الفحص فاستقبلته تمارا التي سبقت ياسين
بخطوة واحدة لتتساءل بلهفه

_ خير يا دكتور!

تطلع إلى عينيها الباكيتين و لهفتها فربت على ذراعها بشفقة

_ هتبقى كويسه إن شاء الله !

زمجر ياسين بغضب قبل أن يهتف بقلق شابه بعض الحنق و هو
يبعدها قليلاً ليحظى بكامل اهتمام الطبيب الخمسيني.

_ يعني هي عندها إيه؟! طمني عليها لو سمحت!

خطّ الطبيب بضع كلمات فوق ورقة بيضاء ليناولها لياسين



_ هات لها الأدوية دي و يا ريت تبعدوها عن الانفعال خالص .. ضغطها عالي و لا قدر الله ممكن أي انفعال أو توتر يسبب لها أزمة إحنا في غنى عنها.

نظرة جانبية بطرف عينه تُحذر القريبة منه بالرفض تبعها وعد _ إن شاء الله مش هيحصل حاجة توترها تاني.

انسابت الدموع على وجنتيها؛ الآن يُحملها مسئولية ما صار و يمنح الوعود بدلاً منها؛ اضطربت خوفاً على تلك السيدة الطيبة التي اعتبرتها بمثابة أم و منحتها هي شرف أمومتها دون أن تعرفها حتى .

حتى عندما علمت بكذبتها تفهمتها و لم يُغير هذا من حبها و لا من مكانتها لديها.

كانت سنداً لها منذ البداية؛ حتى أنها كانت تقف معظم الأحيان معها ضد ابنها.

تساءلت برجاء

" ممكن أشوفها "



ابتسم بتأكيد

" طبعاً .. بس من غير ما تتعيبها ! "

عاد الآخر يتميز غيظاً و هو يشير للطبيب ليسبقه للخارج

" اتفضل يا دكتور .. شكراً لتعبك "

عاد بعد مغادرة الطبيب و الشياطين تتراقص أمام عينيه ..

ما بالها تلك الفتاة تجذب اهتمام كل من يقترب منها و كأنها

عقاب من الله .. تَسَلَطَ عليه ليثير حنقه و غضبه مع كل ذكر

يقترب من مدارها حتى و إن كان طبيب خمسيني ..

بل حتى و إن كان ذكر الذباب !!

خطا بداخل غرفة والدته التي لا تزال غائبة عن الوعي بفعل

الأدوية التي تناولتها بهدف خفض الضغط .

ضم قبضتيه بقوة حالما وجدها جالسة على طرف الفراش

تحتضن كف فريدة في حنو ووجد الآخر خلفها يمرر راحته

شعرها لهدفين أساسين ..



أحدهما تقديم المواساة لها
والآخر إصابته بنوبة قلبية !!
ربما سيفتك بذلك النيل يوماً ..

وجب عليه الاعتراف لنفسه أخيراً بحقيقة ما يشعر به ..
كلما رأيت أحدهم يتحدث إليك أضعه في قائمة المغضوب
عليهم !

وجه حديثه للمغضوب عليه
_ أعتقد إن وجودك هنا مش مستحب .. يا ريت تسيب أمي
ترتاح !

تطلعت إليه تمارا باستنكار لكلماته؛ لقد سبق و فعلها مع كرم ..
لن يجرؤ على تكرارها مع نيل أيضاً
أشاحت بوجهها عنه و قد أخبرتها ملامحه المتحفزة أنه لن يكون
بالصعب عليه أن يعيدها .
أمسكت بكف نيل في رجاء



_ نبيل .. انت مرتحتش من أول ما وصلت .. ماما فريدة
جهزتلك الملحق اللي ورا البيت تقدر ترتاح و نتقابل الصبح إن
شاء الله.

تطلع للمحتقن أمامه باستخفاف قبل ان يتساءل باهتمام

_ هتبقى كويسه !؟!

أومات برأسها بالإيجاب فمنحها نظرة أخيرة يريد بها التأكد من
صدقها قبل أن يغادر الغرفة.

اقترب الآخر ليجذبها من معصمها ليقودها لخارج الغرفة و عينيه
تطلقان شرراً.

أشار بيده للراقدة بالداخل و غمغم بقسوة

_ شفتي يا هانم نتيجة أفعالك .. أد كده انتِ أنانية و مش
بتفكري غير في نفسك و بس .. عايزه تتجوزي .. عايزه تاخدي
الولاد و تمشي من هنا .. أنا أمي ممكن تموت لو حرمتها من
ولاد هشام.

اندفعت دموع القهر من عينيها و هي تهتف بدورها باستنكار



_ أنا؟! .. أنا أنانية؟! .. انت متعرفش حاجه .. مش حاسس
بحاجه .. كفايه بقى ظلم أنا تعبت .

أشاحت بوجهها و حاولت التخلص من قبضته التي أحاطت
معصمها في قسوة

إلا أنه لم يسمح لها بالإفلات ؛ و لم يكتفي بإيلاها بل تابع
بعنف لم يسبق له أن اختبره من قبل

_ قلت لك قبل كده انتِ وولادك وصية أخويا ليّ .. لا أنا و لا
أمي هنسمح تبعدوا عن عينينا فاهمة !!

ازداد انهمار الدموع من عينيها لقسوة كلماته و قبضته المؤلمة
حول معصمها

رق قلبه لضعفها و قلة حيلتها فأطلق سراحها

دلكت مكان قبضته في ألم ؛ واجهته باتهام اختنق بعبرات قهر
قلبها الموجوع بحبه

_ لو مأخذتش بالك أد إيه أنا تعبانه و مش مبسوطه تبقى انتِ
اللي أناني .. لو محستش أد إيه ياسمين مقهوره عشان مش



عايزاني و مش قادرة تتكلم تبقى انت اللي مش شايف غير
نفسك .. أنا ..

"لمى"

همسة ضعيفة باسمها جعلتها تهول من فورها لتستجيب لنداء أم
.. أتت لآخر الدنيا لتجدها.. لتلقاها و تعوضها عن أم فقدتها
مبكراً

قبلت كف و غمغت باكيه

_ ماما .. انتِ كويسه !؟

أومأت برأسها في ضعف

اقترب بدوره ؛ انحنى جزعه ليقبل جبينها في حب

_ حمد الله على سلامتِك يا أمي .. كده تخوفينا عليكِ.

ربتت على وجنته

_ أنا كويسه يا ياسين متقلقش!



تجاذبا أطراف الحديث قليلاً دون التطرق لسبب الأزمة ؛ وقف
قائلاً و هو يشير لتماما بالنهوض بدورها

_ نسيبك ترتاحي شوية يا أمي .. الدكتور قال بلاش إرهاق.

أومات برأسها بالموافقة إلا أنها غمغت قبل أن يغادرا تماماً

_ لمى .. عايزه أتكلم معاك ممكن !

خفق قلب تمارا بخوف مما قد تخبرها به أو تطلبه منها؛ وودت لو
تعرف على الفور ما الذي تنويه تلك السيدة إلا أن خوفها عليها

انتصر

_ أنا تحت أمرك يا ماما بس ممكن نأجل الكلام للصبح تكوني

ارتاحت !

ابتسمت فريدة بامتنان و قد بدأت تشعر بثقل رأسها من جديد

_ مستنياك



تركت الهاتف من يدها ؛ مسحت عبرات ربما لن تجف طالما هو
بعيد إلا أن وجوده يؤلم أيضاً

" بتعيطي يا يويو ؟! "

تطلعت لملامح أخيها التي تغضنت بالألم لأجلها فارتمت
بأحضانها تبكي حباً بقدر ما أسعدها أوجعها

منحها صدره الراحة و ذراعيه الأمان التي طالما افتقدته ؛ تساؤل
بعينه لم يغادرهما كان لها الاهتمام الذي ابتغته و بحثت عنه في

آخر

ناولته الهاتف ليري ما أبكاها

آسف بقدر حبي لك الآن و ليس سابقاً

بحجم جسدي الذي صار بأكمله قلباً ينبض بكِ

لقد أخذت على نفسي عهداً بأنني لن أبتعد

و لن أخشى إلا من رحيل أبدي لا يد لي فيه و لا لكِ

توهمت أنه بعيداً فكان أقرب مما تصورت



أيقنت حينها أنني كنت لعنة السماء عليك
 وأن عشقي لك لن يشفع لي بقلبك
 تركتك و كلي يكره الفكرة كراهية الموت
 و منذ اللحظة الأولى

أحمل لك حينياً أجهل مبتغاه تارة أراه موتاً و أخرى أراه الحياة
 أخذت على نفسي عهداً ألا أغادر
 أعلم أنه سيكون لديك شك لا يُذكر طوال حياتي و لكن تأكدي
 بأنني لم أرحل إلا و معي هذا العهد
 سأبتعد لتتابعي حياتك بدوني ..

سأعود حتماً و حينها سأنتظر منك الحكم النهائي لقضية حبي
 إما بالموت أو ..

بالحياة !!

ابتسم يؤازرها ؛ جلس و أجلسها بجواره و جذبها لتستكين
 برأسها على صدره



_ هو ده اللي مزعلك يا بنتي.

صمت قليلاً ثم تابع باحترام لموقف اتخذه الآخر

_ طب تعرفي بقى .. زيد ده طلع راجل بجد .. متعرفيش اللي

عمله ده خلاه يعلى في نظري أد إيه.

زجرته بعينين التمع الدمع بهما فضحك بخفوت

_ فاكره هتخوفيني لما تبصيلي البصه الشريرة دي.

أدار وجهها لتنظر إليه فثبت عينه عليها

_ زيد أثبت بكل الطرق إنه بيحبك و انه مش عايز غيرك من

الدنيا بكل الطرق .. و لما كان هو سبب كل الوجع اللي انت فيه

عمل أحسن حاجة ممكن راجل يعملها .. رمى الكوره في ملعبك

.. اداك حق الاختيار بين وجوده بعد ما تدي لنفسك فرصة

تسامحيه أو رجوعه ليك بشكل نهائي.

همت بالاعتراض إلا أنه تابع مفسراً أكثر

_ حبه مش محل نقاش و بعده عنك و عن ابنه أصعب حاجة

ممكن راجل يعملها في حياته .



أخفضت رأسها في حنين لا يتوقف بقلب يعشقه بيأس رغم
وجود جرح منه لا يزال يتزف و بغزاره

صمت قليلاً تتطلع لملامحه الحزينة على الدوام ؛ عينه تقطر
ألماً يعجز المرء عن احتماله

ثم تساءلت بخفوت تبغي راحة ربما لن يدركها

_ أد كده بتحبها !؟

أصابت كبرياؤه في مقتل

_ أد كده وجعتني !!

و لأن الحب موجه بقدر حجمه كان ألمه لا يطاق!

واهم من يعتقد أن لا كرامة في الحب ؛ بل إن المرء يفقد حبه
إذا تنازل عنها

ف أحياناً ..



و لكي تبقى على قيد كرامتك ..
تضطر إلى اطلاق رصاصة الرحمة .. على قلبك
و لقد فعلها !!

ربما الحياة دون حب شاحبة .. باهتة بلا معنى
و به انت عرضه للإصابة بتأخر عقلي لا شفاء منه و اعتلال قلبي
مزمن.

معادلة سهلة و بذات الوقت مستحيلة

كان أول ما فعله صباحاً بعد ليلة طويلة لم ينل منها أي قدر من
النوم أن ذهب إليها؛ راقب ملامحها المسترخية بفعل النوم.
تبدو أفضل حالاً اليوم بل تكاد تكون طبيعية؛ همّ بالخروج و
تركها تنعم بقسط أوفر من النوم إلا أنها استوقفته قبل أن يتحرك
_ ياسين !؟



اقرب ليطلع قبرة على جبينها و همس

_ آسف اني صحيتك !!

غمغت بقلق تدري ما يشعر به

_ انت معرفتش تنام مش كده !؟

ربما كانت هي من وضعته بهذا الموقف من الأساس تلك العلاقة
التي قبلها بعنترية ليعلق بقيدها دون رغبة حقيقة مستمتعاً بحالة
من اللاحب ..

حالة تعايش و رضا بما قُسم له !!

كان كرجل وجد نفسه في جزيرة بها نوع واحد من الفاكهة
فاضطر على تناولها ليسد بها رمقه ..

و يحمد الله عليه حتى أتى الجزيرة آخر يحمل نوعاً آخر ..
ليكتشف أنه نوعه المفضل الذي لم يكن يعرف أنه موجود من
الأساس



بل إنه على استعداد للتنازل عن كل شيء في سبيل الحصول
عليه

حتى صار كمخدره المفضل الذي يموت لو ابتعد !!

ابتسم بخواء

_ سيبك مني أنا .. انتِ أحسن النهارده.

بادلته بابتسامة حزينة

_ أحسن الحمد لله.

تفرست بملامحه الشاحبة ؛ المتعبة و التي ربما لن ترتاح أبداً
لأسباب عدة

.. و كأن هناك مؤامرة كونية تمنعه من إراحة قلبه المتعب

_ ياسمين كويسه !؟

حرك كتفيه في يأس

_ زي ما هي !

ترددت للحظات قبل أن تقترح



_ إيه رأيك تاخد ياسمين و تطلعوا الجبل يومين تغيروا جو؟!!

اتسعت عينيه في استنكار و هتف بعدم تصديق

_ في الوقت ده .. انتِ تعبانه .. و في حد غريب في البيت ..

أسيب كل ده إزاي و أمشي.

اعترضت : أنا كويسه .. ضغط عالي شويه مش قضية .. و نبيل

انت عارف لمى بتعزه إزاي و وقف جنبها أد إيه .. يعني

ميعتبرش غريب.

تطلع إليها بصدمة و قد عاد صدره للاشتعال من جديد أو يزداد

توهجاً للدقة فهو لم يتوقف ليشتعل من جديد.

_ أمي انتِ بتهزري؟! .. مستحيل طبعا.

توقف قليلاً ثم غمغم بخفوت و بعينه نظرة حانية

_ لمى كان نفسها تطلع الجبل.

هتفت بأمل لا تدري من أين أتاها

_ خلاص اطلعوا كلكم.



تساءل ببلاهة

_ كلنا مين؟!

تذكر اتهامها له بالأناية .. بأنه لا يشعر بها .. و لا يتفهم ياسمين

لا تدري أنه لا يتوقف عن التفكير بهم ..

هو يرغب .. يكره .. يحاول أن يرضي الجميع ..

يبذل قصاري جهده و لكن ..

رضاء الجميع غاية لا تدرك بالفعل !!

ابتسمت بحزن

_ طلعتها الجبل يا ياسين قبل ما تمشي!

انفعل و قلبه يرفض .. يندد .. يشجب .. يخشى ذلك الرحيل

حد الموت

رغم أنه قد يكون الحل المنطقي الوحيد ليمضي في حياته قُدماً

و على قدر منطقية القرار كان مستحيلاً !!

_ أمي .. أنا ..



ربت على ذراعه بحنان تبغي راحة تعلم أنه لن يُدركها طالما
قلبه يخفق لها

و حياة قد تتوقف بمغادرتها رغم اكتمال عناصرها ..

زوجة .. ابن .. حياة !!

تنهدت بقوة

_ خليها على الله !!

ابتسم باقتضاب و عاد يقبل جبينها في حب

_ و نعم بالله

ابتهجت حالما دخلت ووجدتها جالسه ووجهها يبدو أفضل
بكثير؛ انجذبت عينيها إليه لا إرادياً إلا أنها تجاهلته و اقتربت
منها لتغمرها بسعادة

_ حمد الله على سلامتكم يا ماما.

تطلعت للشائتي المتنافر و كليهما يتحاشى الآخر فتساءلت بسخط



_ متخاصمين ليه!!

هتف كليهما في نفس الوقت

" اسألوه "

" اسألها "

و مط كليهما شفثيه في سخط بنفس الطريقة مما جلب ضحكة
مستمعة لفريدة .

التقطت أنفاسها و طلبت من ياسين التحضير لما اتفقا عليه .

تطلع للحانقة شزراً قبل أن يصفق الباب خلفه.

زفرت تمارا بسخط و هي تشير للباب

_ شايفه يا ماما بيتعامل معايا إزاي!

تجاهلت فريدة تدمر تمارا و سخطها الشديد الوضوح.

كليهما يتجاهل الآخر قدر المستطاع في حالة السلم بينهما إلا أن

كليهما يتدمر كالأطفال حال إعلان الحرب..



ولكم تعشق حالة الشد والجذب بينهما فهي إعلان صريح لحب
يتواريان خلفه باقتدار.

_ تعالي يا تمارا عايزه أتكلم معاكِ .

جلست على طرف الفراش و تطلعت إليها بأسف

_ أنا آسفة !

ابتسمت فريدة بحنو وهي تتذكر كلمات تمارا التي سقطت على
إثرها

_ عايزه تاخدي ولاد هشام و تمشي!

اغرورقت عينيها بالدموع و أعلنت بيأس

_ غصب عني و الله .. بس تعبت خلاص .. و الله تعبت !

اغرورقت عينا فريدة بالدموع بدورها .. يؤلمها أن تراها على
هذا الوجع و اليأس.

_ حتى و انتِ بتحبيه كده!

ابتسمت تمارا بألم .. حالها حال قلبها الذي يعشق حد الألم



و اعترفت للمرة الأولى ..

_ عشان بحبه كده!

استنكرت فريدة بيأس

_ ياسين بيحبك .. ممكن يموت لو بعدتي!

شهقت بذعر فيما انتفض قلبها بأيسر صدرها

_ بعد الشر .. أنا هبعد عشان يرتاح.

انسابت الدموع على وجنتي فريدة

_ للأسف فاهماكِ و حاسه بيكِ .. صعبانه عليّ و هموت من

خوفي عليه .. ابني هيعيش مجروح باقي حياته .. عمره ما

هيدوق طعم السعادة.

هزت تمارا رأسها بأمل

_ ليه بتقولي كده .. هدعيه بالسعادة .. هدعيه بابن يفرح قلبه

و زوجة تعوضه.

_ وانت !؟



ابتسمت باكتفاء

_ أنا كفايه عليّ التوأم .. هما كل دنيتي .

هزت فريدة رأسها بعدم اقتناع

_ تفتكري !؟

رفعت كتفيها بيأس

_ مفيش قدامي حل تاني.

ربما يكون قدرك في الحياة أن تحب شخصاً كل الطرق لا تؤدي
إليه !

ثم تابعت بوعد " عمري ما همنعهم من هنا .. هجيبهم من وقت
للتاني . "

أومات فريدة برأسها فهي تفهم .. و تقدر .. و تتألم



تساقطت العبرات من عيني تمارا وازى لمعتها بقرار من أصعب
ما يكون

البكاء ليس ضعفاً في كل الأحيان ..

بل إنه يعني أحياناً كم كنت قوياً لوقت طويل !

او اتبعت قلبها لبقيت و ليحدث ما يحدث انما قرارها عقلي
بحت

قالوا : أن القلب عندما يخطئ يدفع العقل ثمن ذلك سنوات
و نسوا أن العقل عندما يخطئ فإن القلب يدفع ثمن ذلك الخطأ
العمر كله.

تطلعت لياسمين الراقدة بجانبها داخل خيمة أعلى الجبل ؛ لا
تدري كيف وافقت على القدوم من الأساس !؟



إلا أنها رضخت في النهاية بعد إصرار فريدة .. و تثبت ياسمين

المبتهج بلا داعي ..

ربما لقرب مغادرتها ..

و لكن الحقيقة أنها وافقت بسببه هو ..

نظرة رجاء احتلت حدقتيه للحظات ؛ ربما لم ينطقها و لكنه

توسلها البقاء بمشاعره ..

و لو ليومين إضافيين!!

تحركت بصمت بعد أن جفاها النوم لثلا توقظ الراقدة بجانبها ؛

صدم وجهها هواء الليل البارد فأخذت نفس عميق امتلاً به

صدرها.

ابتسمت بشجن و أغمضت عينيها تستمتع بهواء البلدة الطيب

الرائحة .. تختزنه بصدرها و تتمني لو بإمكانها ألا تزفره.

شهقت حالما سمعت حركة خلفها؛ فتحت عينيها بخوف لتتنفس

في ارتياح

" ياسين ! "



ابتسم يطمئنها و عينيه تتأمل ملامحها الملائكية بتمعن ؛ يرغب
بالاحتفاظ بتلك الذكرى في عقله و قلبه للأبد

_ مش جايلك نوم.

أومأت برأسها

_ حد يبقى في مكان زي ده و ينام برده.

اتسعت بسمته و هو يوافقها

_ معاكِ حق !!

تجاذبا أطراف الحديث لبعض الوقت و قد غرق كليهما بالآخر و
غفلا عن عينين تتابعانها بحقد.

ودعها مع وعد بمحاولة النوم لكي تتمكن من تحمل مشقة الغد
ليتبعها الرحلة لمنطقة أعلى بهدف استمتاع أكبر.

أدخل جسده في كيس النوم الخاص به بالقرب من الخيمة التي
قطنت بها مع ياسمين.



أغمض عينيه لبرهة ليفتحها فجأة بعد قليل ؛ لا يدري كم
استغرق في النوم و لكن شيئاً ما جعل حواسه تنتبه فجأة مع
إحساس بقلق عارم لا يعلم أسبابه

تطلع حوله في ترقب ..

لا شيء .. الجميع نائم .. الليل ساكن ساكن الموتى إلا ان
الشعور المقلق لا زال يملكه.

تخلص من كيس نومه واقترب من مدخل الخيمة ببطء ؛ اختلس
النظر و توقف قلبه فعليا حالما اعتادت عينه الظلام بداخل
الخيمة ..

أو بالأحرى تحرك شبعا ما بداخلها ليراه بوضوح .

انعكس ضوء القمر على نصل لامع أثار الرجفة في أوصاله ،
اقترب في حذر محاولا مراقبة خطواته قدر الإمكان و عدم
إصدار أي صوت على الإطلاق .



كانت هي و صارت شكوكه يقين الآن .. ما كان يحدث لم تكن
صُدْف قدريه .. إنها هي و منذ البداية ، هي من تريد أذيتها و
بكل الوسائل الممكنة.

يجب أن يتعامل بحذر معها حتى لا يتعرض أحدهما للأذى .

همس باسمها في خفوت يحمل رعب جلي

" ياسمين ! "

توقف النصل في الهواء قبل أن تخبئه خلف ظهرها في سرعة و

همست في صدمة

" ياسين ! "



الفصل الحادي و الثلاثين

حينما يكون النسيان وهم

و التجاهل ألم

و الحنين فرض عين لا يمكن تجاهله دون أن تنل عواقبه.

اعلم أنك تخطيت مرحلة العشق لما هو أعمق ..

لقد وصلت بلا شك لمرحلة لم يعلم أحد مسماها بعد !!

ارتجفت المائلة أمامه بذنب لم تستطع إخفاؤه مما أثار الريبة

بقلبه الذي جعله يعيد ترتيب أفكاره من جديد ...

و الحوادث التي صارت للأخرى في الآونة الأخيرة.

المادة الزلقة التي أوشكت على قتلها مسبقاً ..

و سرج الحصان المقطوع ..



حادثتان تشبهان إلى حد كبير ما سبق و حدث مع زوجة عمه و
أبيه ..

إلا أن هذه المرة كانت العناية الإلهية تحمي زوجة أخيه !!
فجأة صدح صوتها بذكرى تجاهلها حينها ربما لاستحاله
تصديقها ؛ إلا أنها عادت تفرض نفسها الآن بكل وضوح ..
" أنا السبب .. أنا اللي قتلتها "

كيف ذلك و هي كانت لا تزال طفلة لم تتجاوز السابعة ..
الآن يشك .. يُفند عقله معطيات ليست بالهينة .. ياسمين مريضة
.. ياسمين كانت تتعالج من اكتئاب قاس بعد رحيل هشام !!
ياسمين غير مستقرة نفسياً بلا أدنى مجال للشك !!

ازدرد لعابه في قلق و عاد يتساءل .. يتجاهل ما رآه بعينه منذ
قليل و ذلك من باب الحيلة ليس أكثر
_ ياسمين .. إيه اللي معاكِ ده ؟!



ارتبكت .. ارتجفت .. زاغت عينيها تبحث عن كذبة تحول دون
اكتشاف أمرها .. ليس الآن .. لن تسمح بخسارته بهذه الطريقة.

أظهرت السكين الصغير الخاص بالرحلات من خلف ظهرها

_ ده .. أنا .. شفت تعبان و كنت هموته .. بس ..

تفرس في ملامحها التي تبحث عن كلمات تبرر ما يحدث في

صعوبة

_ طلع بيتهيا لي !!

ابتسم بتوتر يبحث عن مبرر لها بدوره ؛ ربما لأنه لا يريد تصديق

ما يراه و يشعر به ..

و بالتأكيد لأنه لا يرغب بكشف أمرها في ذلك المكان المنعزل

فتصير أكثر خطورة و ربما أكثر عنفاً.

_ اطمني .. انتِ عارفه إن المكان هنا مفيش فيه تعبانين.

أومات برأسها توافقه في حين تابع هو و بداخله القلق يزداد

بضراوة



_ كملتي انتِ نومك و أنا هاخذ بالي منكم .. متقلقيش .

اقتربت منه دون صوت لكي لا توقظ النائمة على بُعد خطوات منهم ؛ وقفت على أطراف أصابعها لتحيط عنقه بذراعيها ثم لمست شفثيه برقة

_ وحشتني!

فك تشابك ذراعيها من خلف عنقه ليهمس من بين أسنانه و عينيه على النائمة بالداخل خشية أن تشعر بما يحدث

_ ياسمين .. احنا مش بيتنا!!

تركت كفيها يرتكان على صدره للحظات قبل أن تبتعد لتتابع مخطط بدأته بالإيذاء و أكملته بحب زائف لتغطية أثارها جيداً

_ تصبح على خير يا حبيبي !

جلس على جانب الخيمة بحيث عينيه ارتكزت عليها ؛ من تتسبب باضطراب دقات قلبه.. تخطف أنفاسه بلا مقاومة تُذكر.

امتلاً بصره بملامحها الحبيبة ..



كانت جميلة للحد الذي يجعلك تعتقد أنها غير حقيقية ؛ و في ذات الوقت لا يبدو أي شيء آخر حقيقي سواها!

لم يعلم كم مر من الوقت ؛ و لا كيف انتفض فجأة و قد اتسعت عينيه في وعي كامل ليجد إحدى الحارسين اللذان رافقاه يهزه برفق ليهمس

_ ياسين بيه في حصان اختفى !!

هب واقفاً في رشاقة و قد انتبه عقله بالكامل ليتساءل بحدة

_ يعني ايه اختفى؟! .. و انتم كنتوا فين؟!!

أخفض الحارس رأسه بذنب .. باعتراف منه بإهمالهما في البقاء مستيقظين بهدف الحراسة التي هي وظيفتهما من الأساس.

دفعه ياسين أمامه و بغضب مكتوم تابع

_ اتفضل قدامي لما نشوف الحصان ده راح فين !!



أوكل مهمة حراسة الفتاتين للحارس الآخر في حين انطلق هو
بصحبة الأول للبحث عن الحصان المفقود.

أمامهما كان أكثر من حيوان نافق ؛ و البديهي كان أن حيواناً
مفترساً من نوع ما قد استدرجهم .

برقت عينيه بإدراك و ارتجفت معدته بتوتر ؛ تبادل نظرات
المعرفة مع الحارس و كليهما على يقين من الخطر الذي
يتهددهم جميعاً في ذلك الركن المنعزل.

" الذئب "

لقد سبق و خدع جميع من بالبلدة بأنه قد رحل لكنه قبع هنا ؛
مارس مهنته في الافتراس بذكاء منقطع النظير.

على بعد مئات الأمتار من موقع التخيم.

كان الجواد المختفي نافق بدوره و قد أُصيب بجروح قطعيه
بالعنق .

أبعد ياسين عينيه على الفور من المشهد البشع و قد أصابه
الخوف على الفتيات بالشلل.



بدأ طريق العودة على الفور و ان كان يُفكر بإنهاء الرحلة بعد ما صار من قبل ياسمين منذ ساعات قليلة فالأن قد انتهت رسمياً.

شعرت تمارا بحركات مقلقة بجانبها فانتفضت و همست بقلق

_ ياسمين .. في إيه !؟!

اقتربت ياسمين لتهمس بأذن الأخرى في توتر مدروس

_ سمعت ياسين يقول ان في حصان مختفي و هو راح يدور عليه.

ازدرت تمارا لعابها في توتر

_ اختفى ازاي .. و راح فين !؟!

عادت الأخرى تهمس

_ الله أعلم .. بس ده جبل و أي حاجة ممكن تحصل.

أومأت تمارا برأسها في موافقة

_ أيوه فعلاً معاك حق .



صمتت قليلاً ثم وضعت أناملها على فمها بخوف

_ يعني ممكن ياسين يكون في خطر.

اتجهت ياسمين لمدخل الخيمة و قد أتمت ارتداء حذاء الركوب
المرتفع الساقين فاستوقفتها الأخرى

_ استني يا ياسمين خديني معاكِ الله يخليكِ.

هزت ياسمين رأسها في رفض جلي مما جعل الأخرى تزداد
تصميماً و قد اشتعل قلبها رُعباً من تخيل أن هناك خطر قد يطال
ياسين و هي هنا تنتظرهما مكتوفة اليدين.

_ لا أنا جايه معاكِ .. مش هقدر أستنى.

همست بأذن الأخرى ببضع كلمات استهلتها بعبارة أمره

_ طب اسمعيني كويس و نفذي اللي هقولك عليه.

أوهمتا الحارس الذي رفض أن يتحركا حتى عودة ياسين بأنهما
ذاهبتان لنبعة الماء للاغتسال.



أخذا الفرس الخاصة بتامارا لأنها الفرس الوحيدة المتبقية ؛
انطلقت ياسمين بصحبة تامارا و الفرس يتبعهما للنبع المفترض
في حين أن تامارا كانت تتخيل أنهما ذاهبتان للبحث عن ياسين

.

توغلتا في الجبل لنصف الساعة أو أكثر قبل أن تنظر تامارا حولها

بحيرة

_ هو احنا ليه بنطلع ل فوق يا ياسمين .. المفروض النبع يبقى

تحت شويه صح !؟

توقفت ياسمين فجأة ثم لامست معدتها بألم ظهر جلياً على

ملامح وجهها

مما أثار قلق الأخرى

_ مالك يا ياسمين !؟ .. ايه اللي حصل !؟

هتفت ياسمين بصوت متقطع من ألم

_ بطني .. ألم فظيع في معدتي.



شهقت تمارا بخوف و كل ما خطر ببالها أن تلك الرحلة الشاقة
قد تسببت بإيذاء الجنين الذي تحمله ياسمين رغم حرصها و
حرص ياسين على أن تكون الرحلة مريحة عليهم بقدر الإمكان.

_ ياسمين .. تعالي نرجع !

هزت الأخرى رأسها برفض

_ لا .. لا .. لا .. لا .. مش قادره.

تساءلت تمارا بعجز

_ طب أعملك إيه !؟

أخرجت ياسمين من جيب بنطالها بضعة أقراص و أشارت لمارا
بمكان ما خلف الصخرة الكبيرة التي تبعد عنهم ببضعة أمتار

_ النبع هناك .. ورا الصخرة الكبيرة دي ممكن تجيبي ليّ شوية
مايه.

أخذت تمارا زجاجة المياه الصغيرة المخبئة في جيب سري
بسرج الحصان و انطلقت من فورها .



لم يكن النبع خلف الصخرة كما أخبرتها ياسمين ؛ توغلت أكثر
تبحث عنه دون جدوى .

عادت أدراجها لتجد ياسمين و قد امتطت الفرس و لا يبدو على
ملامحها أي أثر للمرض.

فتساءلت بحيرة

_ ياسمين مفيش نبع ورا الصخرة .. انتِ بقيتي ..

قاطعتها الأخرى بكره لم تره على وجه بشر من قبل

_ مفيش نبع هنا .. و أنا هبقى كويسه لما تخرجي من حياتي
للأبد.

تطلعت إليها تمارا في ارتباك جلي ؛ لا تدري ما سر تلك
النظرات التي ترمقها بها و لا معنى كلماتها الموجهة إليها تحمل
حقداً و كرهاً بالغين

_ أنا مش فاهمة حاجة .. انتِ ليه بتكلميني كده.

أخرجت ياسمين ما في جعبتها دفعة واحدة ؛ بل ما كانت تختزنه
منذ البداية



_ أنا بكرهك .. عمري ما كرهت حد في حياتي زي ما كرهتك
 .. و لا اتمنيت له الأذية زيك .. أنا همشي من هنا و هسيبك
 تفكري أد إيه جرحتيني و أد إيه بوظتي حياتي.

أشارت تمارا لصدرها و هتفت بذهول

_ أنا !؟ .. أنا ..

سخرت ياسمين من كلماتها بعنف

_ وش الملايكة ده و البراءة اللي بتعرفي ترسميها على الرجاله
 مش هياثر في .. أنتِ كائن طفيلي مبيعرفش يعمل أي حاجة غير
 انه يسرق اهتمام اللي حواليه من الناس الأولى بحبهم و
 اهتمامهم .. زي ما عملتي مع فريدة و ياسين .. و من قبلهم
 هشام .. و كأنك متخصصه في أذيتي أنا بالذات و سرقة الناس
 اللي كان ممكن يحبوني لولا إنك بكل أنانية أخذتهم مني.

اغرورقت عيني تمارا بالدموع و هي تدرك أن بداخل ياسمين
 الكثير و الكثير من الألم تسببت به أختها أولا ثم تابعت هي ما
 بدأتها لى دون إرادة منها.



أخفضت تمارا رأسها بندم

_ أنا عُمري ما تعمدت إني أأذيك أو أتسبب لكِ بأي وجع.

صرخت بها الأخرى

_ انتِ أخذتِ مني هشام .. هو في بعد كده وجع.

هزت تمارا رأسها بنفي توشك أن تخبرها بالحقيقة

_ هشام .. أنا .. هشام و أنا حيننا بعض .. لا هو كان قاصد

يجرحك و لا أنا كنت عايزه أسرقه.

اعترضت ياسمين بكره بالغ و عينين تحملان حقداً

_ مش مهم انتِ كنتِ عايزه إيه .. المهم ان النتيجة كانت أذيتي

أنا .. و مش بس اكتفيتِ بهشام .. لأ جيتِ و انتِ عينك على

ياسمين و كأن واحد من عيلة الجبالي مش كفايه .. كأن مفيش حد

في الدنيا ممكن تحبيه غيرهم .. الأول حبيبي و دلوقتي جوزي.

آلمها اتهام ياسمين الذي يحمل بعض المنطق بالنسبة إليها و

الكثير للأخرى التي تكاد يفتك بها الكره.



حاولت مناقشتها بمنطق تُدرك جيداً أنها لن تستسيغه

_ طب مفكرتيش ليه مقدروش يحبوكِ .. مش يمكن انتِ اللي
مش سامحه لحد يقرب منك.

اعترضت بقوة

_ أنا حبيت هشام جدا و هو كان ممكن يحبني لو مكنش
قابلكِ .. أصلاً هو كان أكثر واحد يفهمني و يعاملني كويس ..
انتِ السبب و لازم تدفعي التمن.

تهدج صوت تمارا بغصة مؤلمة قبل أن تُعلن

_ أنا .. أنا خلاص همشي من هنا .. أنا كلمت ماما فريدة و ..

استوقفتها ياسمين بإشارة من يدها

_ انتِ فاكره ان ياسين ممكن يسبيك تمشي .. معتقدش .. انتِ
هتمشي فعلا .. بس مش بس من البلد .. لأ .. من الدنيا كلها.

استدارت بالفرس فيما تسمرت الأخرى برعب تجهل كيف
يمكن أن تتصرف في موقف كهذا.



هتفت برعب

" ياسمين !! "

بدأت ياسمين التحرك بالفعل و قبل أن تغيب عن ناظرها تماماً
استدارت لتعلن بتقرير

_ آاه .. متنسيت تقولي لـ هشام لما تشوفيه إنه وحشني جداً و
إني محبتش و يمكن مش هعرف أحب حد غيره.

أحياناً ما يكون الحب وقوداً لكل الشرور

أو لنكن أكثر انصافاً و نعترف ..

غالباً!!

عاد إليهم بأسرع ما استطاع بعدما وارى سوءة جواده العزيز على
عجل ؛ انطلق عائداً إلى حيث ترك الفتيات برفقة الحارس.



تطلع حوله في اضطراب و هتف بالحارس عندما لم يرى أياً

منهما برعب

" راحوا فين؟! "

أخفض الحارس رأسه بقلق

_ عند النبعة.

اعتصرت أعماقه قبضة قوية فمن جانب ياسمين التي لا يأتونها

على لمى لدقائق و الذئب الذي يهدد حياة الجميع من جانب

آخر.. فكيف بالنساء و هن الأضعف.

عاد يتساءل بحنق ود معه الفتك بالمسكين

_ من أد إيه؟! و مروحتش معاهم ليه!؟!

أشار بسبابته في وجه الحارس بتهديد

_ عارف لو جرالهم حاجه ..

بتر باقي جملته عندما لاحت ياسمين في الأفق ..

و ليموت قلبه خوفاً تلك المرة ..



كانت وحدها!!

و حالما اقتربت انهار ما بداخله من بقية تماسك حالما لمح
وجهها الباكي.

سؤال خرج بصعوبة بالغة من فم أصابه الترقب بالجفاف

_ فين لى يا ياسمين !؟

لم يستطع الاقتراب منها إنش واحد و لا حتى فكر بمساعدتها
على الترجل عن صهوة الجواد رغم صعوبة ذلك على تلك
الأرض الوعرة لتقرب هي منتحبه .

_ لو تعرف إيه اللي حصل !؟

استمع بأنفاس متلاحقة لقصة أخرى ملفقة عن إصرار الأخرى
في البحث عنه لعلمها بوجود خطر ما عليه ؛ و رغم نصح الأخيرة
للأولي إلا أنها لم تستمع لكلام العقل و غافلتها لتتحرك مستغله
انشغالها بالاغتسال لتتنبه لاختفائها فجأة.

هتف بحدة لم يستطع السيطرة على وتيرتها

_ يعني إيه اختفت فجأة .. و انت إزاي تسيبها لوحدها .



تلك المرة تخلل اليأس نبرته التي ازدادت حدة

_ و انتو مين سمح ليكو تتحركوا من هنا أصلاً.

وضع يده على رأسه التي كانت تغلي بها دمائه بغضب و رعب

على تلك المختفية التي لا تدري حتى ربح المخاطر التي قد

تواجهها في مكان كهذا .

صرخ بالحارس " حسان "

ليتردد صوته في أرجاء الجبل بأكمله

_ خُد الهانم و روحوا المزرعة.. و خلي بالك سلاحك يفضل

معاك عشان ..

بتر عبارته ..

رافضاً ذكر الذئب أمامها..

و كأنما عدم ذكره يعني عدم وجوده أو انتفاء خطورته بالتبعية.

اصطحب الحارس الآخر معه و بدأت رحلة البحث.



كان مناوباً تلك الليلة في المشفى ؛ وضع شريحتين بالجبن و برفقتهما قرح من الشاي بالقرنفل كما يفضله لسمع هرجاً و مرجاً بالخارج فيهب في سرعة فاتحاً باب غرفته على مصراعيه ليتابع بعينه فتاة راقدة على الفراش المتحرك الخاص بالمشافي يدفعها اثنان من الممرضين و خلفها يزعم رجل تعدى الخمسون ربما و سيدة أخرى باكية في خلفية المشهد.

عاد لداخل الغرفة بخطوات واسعة ليتناول معطفه الأبيض و يرتديه على عجل ليصطدم بالمرضة في الممر الخارجي

_ محتاجينك في غرفة ٣٦ يا دكتور رمزي.

أحاط عنقه بالسماعة الطبية و سابقت خطواته الممرضة التي هرولت للحاق به

_ و الحالة !؟

أجابت باقتضاب

محاولة انتحار .



و نظراً لأن المشفى صغير في بلدة نائية كان هو الطبيب الوحيد
بالمشفى تلك الليلة ؛ لذا وجب عليه التصرف بسرعة و بحكمة.

صدم لم رأى ذلك الكائن الرقيق الذي لا يكاد يُرى وسط
الشراشف البيضاء الخاصة بالمشفى.

وجه شاحب بلا حياة تقريباً و أنفاس بالكاد تدخل و تخرج من
صدرها.

استعلم من ذويها ليكتشف أنها تناولت كماً لا بأس به من إحدى
العقاقير الطبية.

فحصها في لحظات قبل أن يأمر بعمل غسيل المعدة فوري.

و لكن بمجرد أن بدأت الممرضة بتحريكها فوجئ ببقعة دماء
تفترش الفراش تحتها لينظر لذويها في تساؤل

– هي ..

ثم صرخ بالممرضة

– سناء .. جهاز سونار بسرعة و عايز تحليل دم حالاً.



تطلع إليه الرجل الذي أتى برفقتها بعينين بائستين

_ بنتي يا دكتور !!

كان جهاز الموجات الأشعة التلفزيونية قد تم إدخاله الغرفة ؛
أزاحت الممرضة الرداء لتضع بعضاً من السائل الأزرق على
أسفل بطن المريضة العاري لتتسع عيني رمزي حالما وجد جنيناً
طور التكوين يستقر برحمها و قد أخذته الهواجس و قد اعتقد
انها يارا أخرى إلا أن تلك كانت أضعف من المواجهة أو لم يكن
هناك من يساعدها لتخطي أزمته الخاصة.

و لكن الانتحار ليس حلاً.

وجه تعليماته لطاغم التمريض بإعداد اللازم لعمل غسيل المعدة
للتخلص من آثار العقاقير الطبية التي تناولتها و التي تنفس
الصعداء عندما أخبره والدها باسمها لكونها عقار غير مؤذي بحد
ذاته.

تطلع للأب المصدوم و المرتعب على تلك الصغيرة

_ اطمن هتبقى كويسه إن شاء الله.



اغرورقت عيني والد الفتاة بالدمع

_ هي حامل يا دكتور!؟!

شعر رمزي بالتشتت ما بين حذر و طبيعة فطرية بالحماية تدعوه
للكذب حرصاً على الفتاة من كارثة بهذا الحجم و ضمير مهني
يجبره على ممارسة المصداقية مع المرضى و ذويهم .

ضم شفثيه بحذر و حيرة قبل أن يجيب

_ هي ..

قاطعه الأب في لهفة

_ لو حامل حاول تنقذه بالله عليك يا دكتور.

فغر رمزي فاه قبل أن يتنهد بارتياح فالوالد يعلم.

_ احتمال نزوله وارد جداً لأنها أخذت كمية كبيرة من الأقراص

..

لكن أنا هعمل اللي عليّ و الباقي على ربنا .



استفاقت الحالة بعد تمام غسيل المعدة ؛ و لكن للأسف لم يتوقف التزيف .

انهار الأب عندما علم بالأمر و ظل يردد لبعض الوقت

" لله ما أعطى .. لله ما أخذ "

كان رد فعلها هي صدمة و انفعال .. صراخ تردد صداه في الأرجاء ..

ألم تخطى حاجز الألم بكثير.

و معها وجب إعطاءها مهدئات لضمان غياب عن الوعي كي لا تُحاول إيذاء نفسها من جديد.

اقترب رمزي من الأب الذي جلس على كرسي خارج الغرفة فيما جلست الأم في الداخل تتساقط دموعها و هي تتابع وجه صغيرتها الذي اختفت اشراقته و نال منه الذبول مبلغه.

" أنا آسف يا فندم بس أنا لازم أبلغ البوليس عشان دي حالة انتحار "



أوماً الرجل برأسه في معرفة إلا أن عينه حملتا توصل ضعيف
أصاب رمزي بقشعريرة تأثر.

_ بنتي محامية يا دكتور .. و لسه يدوب جوزها ميت .. و دلوقتي
ابنها كمان .. أرجوك استنى عليها تفوق.

تطلع إليه رمزي بصدمة و تخيل شعور تلك المسكينة ؛ انتقلت
عينه إليها لا إرادياً ؛ هو الذي لم يتخيلها تجاوزت العشرون
حتى ؛ اتضح أنها حاملة شهادة جامعية و زوجة في حالة حداد و
الآن تحولت لأم مكلومة على جنينها أيضاً.

زوى رمزي ما بين حاجبيه في تأثر قبل أن يربت على كتف
الرجل

_ البقية في حياتكم.

لكن الرجل تابع بألم شديد

_ بنتي دلوقتي عُمرها ما هتسامح نفسها لما تفوق و تفهم إنها
هي السبب في موت ابنها .. خصوصاً إنه كان هيبقى الذكرى
الباقية من أبوه الله يرحمه.



تمتم رمزي في مواساة

_ رينا يصبركم!

ختم بها حديثه مع الرجل إلا أنه لم يستطع نسيان ملامح تلك
الفتاة ؛

الرقيقة كالنسمة ؛ الحزينة كوجه قمر وقف وحيداً في ليل غادرته
نجوم السماء.

شارك نبيل فريدة مائدة الطعام صباحاً ؛ أجواء الإفطار خيم عليها
الصمت معظم الوقت إلا من بعض المجاملات الواجبة من
الطرفين.

زفرت فريدة في تصميم قبل أن تبدأ بالكلام الذي حبسته
بداخلها منذ مجيء هذا الرجل.

_ بتحبها !؟

ابتسم بشجن وازاه زمة طفيفة لشفتيه في حزن



_ بس هي عمرها ما حبتني !

توقف قليلاً ثم تابع

_ حتى قبل ما تيجي هنا مقدرتش تحبني.

كان يُدرك في قرارة نفسه أن

الحب ليس شيء بإمكاننا أن نختاره إنه هو من يختارنا و له من
السلطان ما يجبرنا على الرضوخ له بلا أدنى حول أو قوة.

أوجزت حكمتها بكلمات قليلة

_ القلوب مش بإيدين حد.

أوما برأسه في موافقة و قد وافقت كلماتها ما يشعر به .

صمت بحيرة لا يدري هل بإمكانه البوح بما بداخله أم لا و لكنه

لسبب ما ارتاح لتلك السيدة

_ أنا قبل ما آجي هنا كنت بفكر اخطب بنت خالتي ما دام

مفيش أمل مع اللي بحبها.

تفرست في ملامحه بفطنة و تساءلت بخفوت



_ و دلوقتي؟! .. هتتجوز تمارا عشان طلبت منك ده.

ابتسم بسخريه

_ لو تعرفي تمارا زي ما أنا عارفها كنت هتأكدني إنها أول

واحدة ندمت على الطلب ده بمجرد ما قالته.

لم تفارق الشك ملامحها كما لم يغادرها الفضول الذي يرغب

بإجابة على سؤالها

فتابع : لأ .. يمكن قبل كده كان ممكن .. لكن دلوقتي

مستحيل.

عادت تتساءل بلهفة أكبر

_ ليه؟!!

تنفس بعمق قبل أن يزفر بقوة

_ عشان الأول كان قلبها خالي و كنت ممكن أحاول أكسب

قلبها .. لكن دلوقتي مبقاش ينفع .. قلبها فيه حد غيري ..

مستحيل أعمل معاها كده و صعب جداً أقبل ده.



ابتسمت فريدة بغموض

_ هما الاتنين بيحبوا بعض بس الظروف أقوى منهم.

أوما نبيل برأسه بالإيجاب

_ بس ده ميمنعش انها لازم تبعد .. الوضع هنا فوق احتمالها ..

أنا مستغرب إزاي قدرت تتحمل كل ده أصلاً.

وافقته بدورها

_ معاك حق .. و أنا مش هقدر أمنعها .. دلوقتي على الأقل ..

هسيبها ترتاح شويه بس على شرط.

تطلع إليها في استفهام

_ أنا هسيبهم أمانة في رقبتك .. أنا واثقة في تمارا و اختياراتها

و ما دام وثقت فيك يبقى هتحافظ عليهم بعينيك و تطمني

عليهم أول بأول.

وعدها " أكيد "



ما لم تُخبره به أنها تثق بقلبها الذي يُشعرها أن النهاية صارت
وشيقة ..

كيف و متى !؟

لا يهم ..

إلا أنها تدرك أن زواجاً كزواج ياسين و ابنة عمه لا أساس له ؛
كبيت معلق في الهواء تحمله نسيمات ضعيفة إلا أنه لا يزال كائن
و لكن مهما امتلكت تلك النسيمات قوة لا بأس بها ..

سيسقط البيت إن عاجلاً أو آجلاً!!

انطلق يبحث عنها كالمجنون ؛ مضى الوقت و يأسه يزداد و هي
لم تظهر بعد؛ ليست عند النبع و لا بأي مكان حولها.

وجه حديثه للحارس و هو يشير بيده

_ شاكر .. روح انت دور من هناك و أنا هروح من هنا.

تردد الحارس قليلاً فنهره ياسين



_ انت لسه واقف ليه !؟!

أجاب العامل بتوتر

_ أسيبك إزاي يا ياسين بيه و في ديب في الجبل!

زقق ياسين

_ وده أولى اننا نلاقيها بسرعة .. نفذ اللي قلتك عليه .

ثم تابع يطمئنه

_ أنا معايا سلاحى و انت كمان .. اللي يلاقيها الأول يضرب

طلقة في الهواء ماشي.

أوما الحارس برأسه و انطلق للاتجاه الذي أشار به سيده.

أما عنها فظلت تلعن نفسها على غباءها؛ تساءلت لم لم تتوقف

عند البقعة حيث تركتها ياسمين فربما ندمت و عادت أو أتى

ياسين ليُعيدها.



إلا أنها و لغبائها المحكم انطلقت لا تلوي على شيء ؛ تعتقد أن
 بإمكانها تذكر الطريق لمكان الخيمة في دهاليز جبل لا أول له و
 لا آخر.

و ليزيد الطين بله بدأت الشمس الحارقة تلهب رأسها و تزيد
 شعورها بالظماً و خاصة أنها تمشي منذ بضعة ساعات.

تتلفت حولها عليها تجد بقعة مألوفة إلا أن كل البقاع تبدو مألوفة
 أو على وجه الدقة تبدو كلها نفسها و لا فارق بين مكان و آخر
 أبداً.

بدأ الإنهاك يبدو جلياً عليها و قد تناقلت قدميها ؛ و بدأت الرؤية
 تتشوش أمام عينيها شيئاً فشيئاً.

ارتكنت بظهرها لصخرة كبيرة تلتقط أنفاسها المتلاحقة ؛ تغمض
 عينيها و تفتحهما بسرعة لتزيل الغشاوة التي تمنع عنها الرؤية
 بوضوح.

و بدأت الهواجس تطاردها؛ هل ستنتهي حياتها هنا !؟

ماذا عن التوأم !؟



ياسين؟!!

فريدة؟!!

ألن تراهم مجدداً؟!!

ماذا عن ذلك الحبيب الذي كان عليها أن تسافر لآخر بقاع الأرض حتى تلتقيه .. حتى تحبه .. ليصبح هذا الحب سبباً لشقائها.

وعدت أختها سابقاً أن تبحث عنه ووجدته لتكتشف أن من المستحيل بعينه هو الوصول إليه.

حاولت الوقوف لمتابعة السير لكنها تهالكت جالسة مرة أخرى لم تستطع قدماها حملها ..

و بعيون نصف مغلقة .. شاهدته أمامها .. واتسعت عينيها في رعب حقيقي .. و سقط قلبها في قدميها .. وهي تراه ينظر إليها في شراسة .. تسمرت مكانها و لم تستطع التحرك .. خوفاً من أن تستفزه .. جف حلقها أيضاً .. فلم تستطع الصراخ لطلب النجدة .. حملت في عيني الذئب الذي يقترب منها في تؤوده



.. و قلبها يدعو الله ان يخرجها من هذا المأزق.

أخذ يبحث عنها و قد تحول هدوءه لجنون و هو يتساءل بقسوة
لمَ عليها أن تتابع التحرك في مكان تجهله تلك الحمقاء التي لا
تعي أياً من المخاطر التي قد تصير لها.

نطق لسانها بالشهادتين في خفوت وازى اقتراب الذئب منها؛
أغمضت عينيها تستعد لانقضاضه عليها.

سبق و سمع بأن أحدهم سقط قلبه في قدميه أو انحبست أنفاسه
.. أو توقف قلبه بصدمة أو خوف

و لثوان تعطلت لغة الكلام ليختبر كل تلك الأعراض دفعة واحدة

و عينيه تتسعان لأقصاهما دون أن يجرؤ على غلق جفنيه ولو
للحظة قد تكون النهائية.

استل سلاحه بهدوء بالغ و صوبه باتجاه الذئب إلا أنه خاف أن
يُصيبها هي ؛ لا لأنه غير قادر على التصويب بدقة و لكن لأن
الذئب لو تحرك بعد خروج الرصاصة ستستقر بجسدها هي.



فلم يكن أمامه سوى اتخاذ جانب الحيطة عبر تشتيت انتباهه
فرفع ذراعه للأعلى و أطلق طلقه في الهواء.

فتحت عينيها على اتساعهما مع دوي الرصاصة لترى ياسين
أمامها و السلاح بيده و قد استرعى انتباه الذئب بالفعل .
ضرب الذئب بمخالبه الأرض و حرك رأسه بحيرة ما بين
الضحيتين.

استغل ياسين الفرصة ليهدف بالباكية أمامه

_ لمي ابعدني عنه .

حاولت التحرك إلا أن الرعب تسببت بتجمدها في مكانها ؛
ابتسم و تحركت شفثيه بهمس

_ اتحركي.

حالما استعادت قدرتها على التحرك تعثرت بفعل خوفها
فسقطت على ركبتيها بقسوة فتحول انتباه الذئب إليها مجدداً.

أصدر ياسين صوتاً عالياً تبعه بصراخ موجه إليها



_ لمى .. إجـري!

تحرك باتجاهها بدوره يتعين لحظة ابتعاده عن مرمى جسدها
ليطلق عليه رصاصة تودي بحياته.

وقفت مترنحه إلا أن الذئب و الذي يبدو أنه حسم قراره و انقض
عليها في نفس اللحظة التي قفز ياسين بينهما لتنهشه مخالب
الذئب التي جرحت جانب جسده الأيمن و استقرت المخالب
الأخرى على خده الأيسر.

صرخت تمارا بلوعه و جسد ياسين يتفجر بالدماء

_ يا سيــــــــــــن.

اقتربت لتلتصق بظهره تُحاول تجاوزه ؛ دفعه بعيداً عن مرمى
الذئب بدورها أو تلقي الهجوم التالي بدلاً عنه إلا أنه فرد ذراعيه
على اتساعهما ليحبسها خلفه.

همّ الذئب بالانقراض مرة أخرى إلا أن رصاصة أخرى استقرت
جسد الذئب جعلته يتلوي أمامها للحظات قبل أن يُعاجله
الحارس برصاصة أخرى تُجهز عليه تماماً.



ترنح حينها ياسين و الدماء تُغرق قميصه من جانبه الأيمن و
جانب وجهه الأيسر الذي أصابه جرح غائر.

دعمته بجسدها و أحاطته بذراعيها في لهفه؛ انفجرت دموع
اللوعة من عينيها و هي تهتف

_ ياسين .. حاسس بإيه !؟!

تطلع الحارس لسيدة في خوف

_ أنا هروح أجيب الخيل يا بيه عشان ننزل بسرعة.

خلع قميصه ثم مزقه ليضع جزء منه مكان التزيف و آخر على
وجهه.

أمسك ياسين جانبه بألم فانتحبت

_ ياسين.

ابتسم بضعف " أنا كويس متخافيش "

و لأن التزيف لم يكن بالهين بدأت الرؤية تهتز أمام عينيه؛ تهالك
على ركبته لتمسك به بقوة .



و في تلك اللحظة دفعت كل المحاذير خلف ظهرها ؛ دفعت
الحذر و الخجل و كل المسميات التي قد تُبعدها عنه
بعيداً.

احتضنته من الخلف تمنحه جسدها كداعم فيما وضعت كفاً على
جرح جسده و الكف الأخرى موضع الجرح على وجهه.
جلس حينما ارتعشت ساقيه و تهالكت رأسه على صدرها و قد
ازداد نزيفه حتى غمر ملابسه و بدأت جفونه بالتثاقل.
فهتفت برعب " ياسين خليك معايا الله يخليك "

تابعت هتافها بهمسه أخرى

_ ياسين .. أنا بحبك .. اوعى تموت .. خليك معايا عشان
خاطري.

ارتسمت بسمة شاحبة على شفثيه كشحوب ووجهه تماماً

_ بطلي عياط .. مينفعش أسيبك و أنا بحبك.

ابتسمت وسط دموعها لتقبل رأسه في حُب لتجد انها تثاقلت
على صدرها و أن جفنيه قد صارا مغلقين تماماً.



هزته برفق ليستعيد وعيه مرة و اثنتان و ثلاث دون جدوى.

صرخت باسمه في لوعة ليردد صدى اسمه في الجبل بأكمله.

_ ياسية _____ !!

و ما من مُجيب!



الفصل الثاني و الثلاثون

للحب سحر خاص به ..

يجعل من يريد مُتيم ..

و يجعل من يشاء أسير ..

و له أيضاً لعنة ..

سحره سرعان ما ينتهي ..

تنطفئ لمعته في العيون .. تُؤاد السعادة القادر على منحها

مهما اعتقدت أن سحره دائم ..

أمام توابع لا قِبل لك بها ..

ينتهي إلى لعنة لا تترك غصتها القلب!



لم يتغير الأمر منذ كانت هنا من شهور مضت و ربما لن يتغير ؛
 المشفى على الدوام أشبه بخلية نحل لا تهدأ ؛ المرضى يتوافدون
 بلا انقطاع و كأن لا أحد صحيح خارج جدران هذا المكان ؛
 طاقم العمل من أطباء و ممرضات يبذون و كأنهم ليسوا ببشر ؛ بل
 هم مجموعة من الآليين الذين تحمل وجوههم ذات الملامح
 المحايدة مع مسحة حزن على الأغلب أو ربما جدية صارت سمة
 أساسية من خصالهم فهم يحملون أرواح البشر بين كفوفهم و
 مسئولون عنها.

المصابون لا زالوا يتوافدون بلا انقطاع ؛ البكاء أيضاً لا ينقطع
 إما لفراق أو لسعادة بنجاة .

الحال دوما هو الحال ..

كما كرهها لهذا المكان لن يتغير ..

هنا فقدت أختها و زوجها ..

هنا فقدت أمناً و أماناً بمسمى عائلة!



هنا أيضاً تنتظر حبيباً يصارع الموت و لا تدري هل هو بالقوة
الكافية للتمسك بالحياة و بها أم أنها ستخسر باقي روحها
بخسارته!

قاسية هي تلك الحياة التي تمنحك الحب في المستحيل.
تعطيك نصف سعادة .. نصف حبيب .. و تأخذ كامل قلبك و
روحك في المقابل!

تحمل شعور المضروب على رأسه .. فاقد القوى و الاتزان ..
ترتجف كما لو أنها تقف في مهب رياح يناير بثياب رثة لا تكاد
تغطي سوى القدر اليسير من جسدها.

لا تفكر .. لا تشعر .. بل حتى لا ترى و لا تسمع.

عقلها لا زال متوقفاً حيث تهدلت رأسه على صدرها ؛ و ناشدت
وعيه البقاء بلا جدوى.

ما حدث بعدها يمر أمام عينيها كمشاهد متفرقة ؛ كفيلم تشاهده
بنصف وعي و ربع تركيز و بلا حضور.



أتى الراعي بالجوادين ؛ أبعداها عن ياسين بالقوة و أركبها على
أحد الجياد رغماً عنها في حين امتطى الآخر ممسكاً بياسين
بقوة ليهبطوا لسفح الجبل حيث انتظرتهم سيارة دفع زُباعي
انطلقت للمشفى القريب على الفور.

و منها بسيارة إسعاف مجهزة للمستشفى الرئيسي بالمحافظة.
التصقت به معظم الوقت و لم يستطع أياً كان إبعادها عنه حتى
دخل غرفة العمليات.

انفجرت باكية حالما وصلت فريدة و معها نبيل و كأن وجودهما
أعاد إليها جزء من الوعي.

تركت ذراعي نبيل المفتوحين لترتمي على صدر فريدة ؛ تذرف
الدموع بلا انقطاع ؛ تجعد بقبضتها المضمومة بقوة رداء
الأخرى من عمق الألم بقلبيها.

كلتيهما كانت تواسي الأخرى في أقرب الأشخاص لقلبيهما.
سألته فريدة عما صار فتلعثمت .. هربت منها الكلمات بلا رجعة



الألم الذي تشعر به يكاد يشق أعماقها ؛ يتركها خائرة القوى .
قصّ عليهم الحارس ما حدث لتتهاوى فريدة باكية بلوعة بدورها

..

و لحظات و كان الجميع حولها ..

زوجته .. أبناء عمومته .. الجميع ..

لم تهتم لانفعالات فضحت مشاعرها أمام الجميع ..

كما لم تأبه لنظرات ياسمين الراضة لوجودها ..

لنجاتها بفضل ياسين .

رفضت بعنف محاولات الجميع لإقناعها بالذهاب للراحة أو

تبديل ملابسها الغارقة بدمائه مما اضطر يارا لجلب ملابس و

دفعها قسراً في إحدى الغرف لتبديل ملابسها .

ساعدتها على التخلص من الملابس التي تحمل نرف ياسين و

ما إن شاهدت ملابسها تحت قدميها حتى عادت للبكاء بلوعة ..

بوعي تلك المرة لحجم الخطر الذي يواجهه ياسين ..



جثت على ركبتيها تتلمس الملابس التي تحمل عبق دماؤه و
آثارها.

جثت يارا بقربها تحتضنها .. تواسيها .. تمنحها صدرأ حانياً و
مساحة رحبة تبكيه فيها .. تبتهل إلى الله بلا انقطاع لينجيه ..
ليبقيه على قيد الحياة حتى لو لم تكن هي فيها .

يكفيها أن يعيش و حسب!

و ستكون تلك أقصى أمانها بل و ربما لن تطلب من الله شيئاً
آخر أبداً.

لم يسعها سوى التساؤل ..

هل ما يحدث الآن هو نهاية الطريق أم أنها مجرد عشرة أخرى من
العقبات التي تعترض طريقنا منذ البداية ..

أنا و أنت !!

تطلعت إليها يارا بشفقة ..

يادراك لحجم لوعتها و معاناتها..



بتفهم لمشاعر أبت أن تظل مختفية رغم جُهدِها طوال تلك الفترة
لإخفائها عن الأعين.

" هيبقى كويس إن شاء الله "

همستها بحزم .. بتقرير تنفي أن تُفكر أن يصير غير ذلك!

" يا رب "

همستها تمارا بكل ذراتها !

انضمنا للجمع المنتظر أي خبر من العمليات رغم محاولات رمزي
الحثيثة لطمأنتهم بين الحين و الآخر إلا أن الصمت و الحزن كانا
السمة المشتركة لكل المنتظرين.

أَلقت تمارا رأسها على كتف فريدة تتطلع لباب غرفة العمليات
دون أن تحيد نظرها عنه للحظة .

" أنقذ حياتي يا ماما فريدة .. فداني بروحه "

ربت فريدة على كتفها بدفء و بحزن غمغت

" ياسين محبش غيرك "



" أنا لو خسرتة ممكن أموت "

" بعد الشر عليه و عليك .. إن شاء الله هيعيش "

" مش عايزه حاجة من الدنيا دي غير إنه يفوق .. يعيش و بس "

تعلقت عيون الجميع بالطبيب الذي خرج للتو من غرفة العمليات ؛
أزاح الكمامة الخاصة بالجراحة و ابتسم يطمئن الجميع أن
الأمور على ما يرام و أن الجراحة كانت ناجحة و الحمد لله .

هتفت تمارا في لهفة

" عايزه أشوفه أرجوك يا دكتور "

تطلع الطبيب لساعة يده التي تشير لما بعد منتصف الليل بساعة
و أكثر؛ زوى ما بين حاجبيه في تفكير

_ دلوقتي هيخرج للعناية المركزة و مفيش زيارة قبل ما الحالة
تستقر .. تقدرؤا تروحوا ترتاحوا و بعد ٢٤ ساعة ممكن أسمح
بالزيارة.

همّت بالإلحاح فاستوقفها نبيل بضغطة على كفها تبعها بنظرة
مُحذرة مفادها أن تلك النظرة الخاطفة له ليست من حقها ..



إنها من حق والدته أو زوجته أو حتى إحدى أبناء عمومته و ما لهم من حق فيه أكثر منها بكثير.

صمتت .. تُدرك أنه على حق ..

نظرات من حولها لها تُخبرها أن لا حق لها ..

بل إن لم يكن كلاً منهم يحمل استهجاناً بداخله لمشاعرها التي تُخبر الجميع أنها عاشقه لذلك المُصاب ..

من حال بينها و بين ذئب ..

من سمرها خلفه عندما حاولت تلقي الهجوم الثاني بدلاً منه ..

من أعترف لها بحبه فوق صدرها و بين ذراعيها..

من في الحقيقة ..

زوجاً لغيرها!!

أربع و عشرون ساعة مضيا ..

استهلكت فيهما كل قوتها لكي لا تذهب إليه ..



ترتكب إليه .. تستكين بقربه ..

فيما تذهب الأخرى و عينها تحمل نظرة تعني

" لا حق لك فيه و لن يكون "

أخبرتها فريدة همساً في صبيحة اليوم التالي

" عايز يشوفك "

و رغباته أمر واجب التنفيذ على قلبها..

أو أن هذا الطلب تحديداً وافق هواها.

توقفت أمام باب غرفته بالمشفى تلتهم تفاصيله الحبيبة بعينها.

لا يزال بذات الطول .. لون البشرة لم يتغير ما عدا بعض من

شحوب.. و لا يزال يخفق له قلبها بلا رادع .

فقط ضماد غطى جزء لا بأس به من أيمن صدره و آخر أخفى

معظم خده الأيسر.

لا تزال عينه مغمضتين ؛ يرتعش جفنيه و ترتجف عضلة على

جانب وجهه.



يشعر و كأنما يُحمل في مركبة تتهادى ؛ لا يشعر بشيء سوى
حركة هادئة فيما هو بنصف وعي و خفقات قلب ملتاعة تجيب
على نبضات ضعيفة تنبع من صدره .. رأسه ترتاح على مكان
رخو إلى حد ما .. تحيطه ذراعين يُشعرانه بالأمان .. شعور
بالراحة يغمره و كأن لا مكان له سوى هنا .

لحن قديم بعض الشيء يعيشه للمرة الأولى ..

مش عارف ليه متونس بيك و كأنك من دمي .. على راحتني
معاك و كأنك أمي مش عارف ليه !

عارفة ..

حاسس إنني لأول مرة بشوفك و إنني بشوفك من أول لحظة ف

عمري

حاسس إنني يمامة بتشرب ف كفوفك وانك شجرة وضلة وميه

بتجري .



اقتربت أكثر تتابع الانفعالات على وجهه بعينين مشوشتين
بدموع الألم؛ انحنى جذعها لتطبع شفيتها قبله عميقة على جبهته

سقطت قطرة من دموعها على إحدى جفنيه ثم سألت على طول
خده؛ امتدت أناملها لتمسحها برفق و قبل أن تُبعد كفها كان
أسيراً بين أصابعه ليقربه من فمه و يطبع على باطنه قبله بدوره.

عارفة

وأنا وياكي بحس بدنيا.. دنيا سلام وأمان وإن العالم مفيهوش
ولا نقطة أحزان

إيدك خليها ف إيدي.. انا طفل كبير وبحس ان أنا وانتِ
لوحدينا والكون بستان.

جذبت كفها في ارتباك و قد علت حُمره الخجل خديها ؛
تنفست باضطراب قبل أن تهمس



_ إنتَ كويس ؟!

أوماً برأسه فضج الألم في خده المصاب فتأوه مما دفعها للتحرك

_ هشوف دكتور!

اعترض مُزيداً من ضغط كفه على يدها

_ أنا كويس متخافيش.

جادلته

_ أيوه بس انت لسه موجوع.

تنهد بعمق و هتاف عميق أبا الخروج من أعماقه

" موجوع بيك "

و غمغم بتنهيده مستسلمة

_ هبقى كويس.

أغمض عينيه في إرهاق ؛ بداخله الكثير مما يريد البوح به و في

نفس الوقت يُقيده وعود و إرتباط يُلجمان مشاعره.



و لكم ود لو صرح .. صرخ بأنه يعشقها إلا أنه يعلم أنه ليس بـ
حر ليفعل.

حتى مع شرياسمين و مشاعرها الغير سوية التي أوصلتهم جميعاً
لها إلا أنه لا يستطيع تركها .. بإمكان قلبه رفضها و لا سيطرة له
على ذلك إلا أنه لن يكون أبداً سبباً في جرح جديد يُضاف
لروحها المهترئة من هول ما عاشت و رأت.

شعرت به .. بتباعده .. بحيرته التي لا قبل لها بها .

لألم ارتسم على روحه التي تراها قبل ملامحه ..

اختنق صوتها بالعبرات و همست حال رحيل تستعد إليه

بخطوات مترددة

_ حمد الله على سلامتك يا ياسين .. أنا .. أنا همشي قبل

ياسمين ما تيجي.

و كأنما نسيها ..

ابنة عم و زوجة يربطهما طفل لا ذنب له في جنون أم ..

و لا رحيل أب !



همسها حالما اقتربت من الباب و كأنما لا سلطة له على لسانه
أيضاً

_ أنا بحبك !

عارفة

فرحة كبيرة وصوت مزيكاف قلبي وكأننا حبيين اتقابلوا بعد
فراق

ليه فجأة بقيت مستني لوحدي بدي اتكلم وأحكىك واشكىك
همي.

ابتسمت بتفهم و بداخلها آلاف الكلمات التي تود الهتاف بها
بين ذراعيه و فوق شفثيه و داخل صدره

_ عارفه !



للأيام التالية تحاشت ياسمين ؛ تطلعت بأمل لفريدة كل يوم

لتخبرها بأنه على ما يرام دون سؤال.

هو لم يسأل عنها مرة أخرى و هي لم تذهب!

خطوة خطاياها .. اعتراف أعلنه ..

إلا أن الواقع يُرغم كليهما على العودة لمسار سبق و رُسم من

أجلهما .

تقاطع الطرق في بعض الأحيان لا يعني أبداً أن التقاطع سيستمر

بل المؤكد أن الطريق يعود ليتفرع بفراق جديد.

و المحصلة صار بخير و هو ليس لها ..

يحبها .. و هو زوج لغيرها ..

تحبه و لم يكون لها !

و في النهاية ..



اليوم سيخرج من المشفى و قد اتخذت قرارها ؛ اليوم ستراه ؛
ستقر عينها به و غداً تتابع رحيل حتمي حتى لو كان ذلك الرحيل
يعني موت قلبها للأبد.

عينين حانقتين أو تمارس عليها التشفي بكل صوره ؛ رغم أنها
لم تخبر أحداً بما صار بينهما ؛ ربما لأنها تشعر بالذنب .. و أن
الأخرى تحمل بعض من الحق أو الكثير منه لو كانت صادقه مع
نفسها.

فهي .. و بالنسبة للأخرى سرقت منها أمانها مرتين !

" أنا رايحه لياسين يا طنت فريدة ! "

تحمل كلماتها معنى واضح و صريح .. هو لي و لا حق لك به لو
مت شوقاً.

جلست ياسمين خلف مقود السيارة و جلس أبيها على المقعد
المجاور تحمل ملامحه علامات التفكير العميق مما جذب
انتباهها إليه فتساءلت

_ خير يا بابا بتفكر في إيه !؟



زفر بعمق و أولاها اهتمامه

_ فيك !

ابتسمت بسخرية فالتعاطف أو المشاعر الموجهة إليها تحديداً

تجلب الضحك بالنسبة إليها

_ اتأخرت شويه مش كده.

رفض بألم

_ عمري ما اتأخرت في أي حاجة تخصك .. لا اهتمام ولا

حُب ولا في أي حاجة طلبتها.

هزت كتفيها بلا مبالاة و مطت شفيتها بغير اقتناع

_ يمكن.

أخفض رأسه و همس بضعف

_ ياسمين .. انتِ اللي عملتِ كده!؟!

ضغطت مكابح السيارة فجأة فاندفع جسديهما للأمام بعنف

بفعل توقف السيارة المفاجئ.



أغمض عينيه بإدراك أن شكوكه في محلها و أن الكلمات العرضية التي تفوهت بها فريدة أمامه لبعض الحوادث الغير منطقية أو لسوء حظ أرملة ابنها يحمل بصمات ابنته.

عاد يتساءل و هو يراقب عينها الزائغتين

_ كنتِ عارفه إن في ديب في الجبل.

هزت رأسها برفض عنيف فتابع

_ كنتِ عايزه تأذي ياسين .

عادت تهز رأسها بنفي و غمغمت بكره

_ كنت عايزه أخلص منها هي .. بكرهها .

هز رأسه بإدراك بدا متأخراً كثيراً نظراً لتدهور حالتها السريع

_ إحنا لازم نرجع المصححة.

اعترضت مع هزات رأس عنيفة

_ لأ .. لأ يا بابا مش هرجع للمصححة دي تاني .. أنا مش هسيب

ياسين ليها .. مستحيل أخليها تاخد مني ياسين هو كمان.



جادلها بعنف :

_ لأ يا ياسمين .. مفيش أي حاجة و لا أي حد يستاهل تخسري
نفسك عشانه .. انت لازم تتابعي علاجك علشانك انت .. أنا
أصلاً اللي غلطان عشان سيبتك ترجعي و سمعت كلامك .. بس
خلاص مبقاش ينفع .. و لازم ياسين يعرف كل حاجه.

شهقت بعنف ؛ أمسكت كفيه في رجاء

_ لأ يا بابا عشان خاطري .. ياسين مش لازم يعرف .. بلاش
تعمل كده معايا أرجوك.

عقد ذراعيه أمام صدره ثم تطلع أمامه بثبات

_ هتكلمي و لا أسوق أنا.

أنهى المناقشة كما بدأها فلم يكن أمامها سوى المتابعة.



انتهى الطبيب من نزع ضماد وجهه و قد أخبره أن الجرح يجب أن يتعرض للهواء لبعض الوقت حتى يلتئم بشكل أسرع.

و أخذ يحدثه أن جرحه سيء بشكل مبدئي فالإمكانيات في المشفى ضئيلة كما حال جراحات التجميل في مصر كلها ؛ أقنعه أنه بحاجة لأكثر من عملية تجميل و خارج مصر بأكملها.

أخبره أنه تواصل مع طبيب عبقري في فرنسا يحمل الأنامل الأكثر سحراً فيما يختص بعلاج تشوهات الوجه و أنه ينتظره بأقرب وقت .

كل هذا سمعه ياسين بنصف تركيز و من قد يلومه و هو يتحرق قلقاً لرؤية ما أصاب وجهه.

انتهى الطبيب من نزع الضماد بالكامل ؛ تطلع ياسين لجرحه في مرآة صغيرة فامتقع وجهه بشده و هو يرى آثار التشوه العميقة التي تركت أثرها على وجهه فعاجله الطبيب و هو يدرك جيداً أن الأمر ليس باليسير



_ مش لازم تخاف أوي كده .. انتَ محتاج أكثر من عملية

تجميل عشان تمحي آثار الجروح دي .

أخفض ياسين رأسه و هتف بقسوة

_ عايز أبقى لوحدي.

لم يكن أمام الرجل سوى المغادرة في تفهم بدون كلمة إضافية.

عاد ياسين يتطلع لجانب وجهه في المرأة و قد شعر بأن هذا الجرح الغائر الذي قضى بشكل دائم على ملامحه الوسيمة قد امتد لروحه أيضاً.

لم يكن أبداً ممن يهتمون بالمظهر الخارجي؛ لم تكن الوسامة تعني له شيئاً على الإطلاق و لكن ..

عندما يتعلق الأمر بتشوه في الوجه فإن الأمر يختلف ..

لم يكن يعنيه الأمر سابقاً ربما لأنه لم يشعر بالنقص أبداً .. أما الآن ..

فذلك الجرح يؤلم أعماقه التي ترفض الضعف.



طرقت الباب و دخلت ليتطلع إليها يا جفال فقد قطعت عليه
شروده و أفكاره

انجذبت عينيها لتشوه وجهه فأجفلت بدورها و غابت البسمة عن
شفتيها.

تسمرت في مكانها و ظهر على وجهها الرعب و الاشمئزاز .
وضع راحة يده على خده المصاب و صرخ بها
_ اطلعي بره يا ياسمين!

تلعثمت .. تحاول البحث عن كلمات دون جدوى فأعماقها تنفر
من ملامحه التي كانت سبباً غير مباشر بها ؛ تبحث عن مبرر ..
عن مواساة إلا أن ملامحه التي صدمتها أخرستها كلياً.

_ أنا .. أنا ..

عاد يصرخ بعنف أكبر

_ قلت بــــــــــــــــره .. مش عايز أشوفك تاني!



هرولت للخارج و قد بدا أن الراحة في أن تبتعد عنه الآن .. أو
للأبد ربما ..

ملامحه المشوهة لا تزال ماثلة أمام عينيها تدفع بها لاضطراب لا
تستطيع السيطرة عليه.

ربما لن تتمكن من نسيانها أو العيش معها أبداً.

تطلع إليها أبيها الذي ظهر أمامها للتو بعد غياب دقائق كان
يتساءل فيها عن حالة ياسين من طبيبه الخاص.

تساءل بعينه عما بها فما كان منها إلا الرد بهزة رأس رافضة

_ مش هينفع .. مش هقدر!

و ركضت بعيداً عنه بل بعيداً عن كل شيء!

و في تلك اللحظة حسم الرجل قراره ؛ فلم يعد هناك ما يدعو
لإخفاء الأمور عن ياسين أكثر من ذلك.

رغم هروب ابنته فمن حقه أن يعلم بكل شيء و منذ البداية!



تعثرت به في الرواق الخاص بالمشفى ، تطلعت إليه بنظرات
تائهة تموج بها مشاعر مبهمه و متضادة .

شعور بالذنب .. بالرفض و بالنبذ .. و كيف بها أن تتألم إذا
نبذها من ترفضه في المقام الأول.

و لسبب ما لا يستطيع فهمه كانت تصله مشاعرها بوضوح .. ربما
بأكثر ما تدركها هي و خاصةً بعد سماعه بعفوية لحديث دار بين
فريدة و تمارا و أيقن كم هي ضعيفة و غير سوية على الإطلاق ..
كانت تحتاج المساعدة و بشدة.

أوقف اندفاعها أو بالأحرى هروبها ، أمسك كتفيها بثبات
ليجبرها على التركيز في النظر إلى عينيه الصارمتين و الحانيتين
في آن بما يتعارض مع من كانت تعتقده يشبهها من قبل.

تشعر بالتعب و الإنهاك الشديدين و لا تعلم كيف تتخلص من
ذلك الشعور

بضعف همست

" أنا تعبانه يا مراد .. عايزه أرتاح "



مرر راحة يده على شعرها في حنان لم تعتقد أنه يمتلكه من
الأساس

" انت ارهقتي مشاعرك في كره و عنف و رفض لحاجات مش
في إيدك تغييرها .. ياسمين مش هترتاح غير لما توصل
لمصالحة مع نفسها قبل أي حد .. ياسمين مش هترتاح غير لما
توصل لقناعة أنها مش مضطرة تتسول حب حد أو تاخده بالقوة
.. لأن ببساطة ياسمين بني آدمه تستاهل تتحب "

ما حدث لاحقا أثار ذهولها قبل أن يثير دهشته هو ، لقد بكت
ياسمين التي احتبست الدموع بعينها منذ ...

لم تعد تذكر حتى متى توقفت عن البكاء مانعة نفسها من الشعور
بالراحة بعد البكاء.

و للمرة الأولى منذ سنوات عدة تعترف ياسمين بالضعف ؛ و
ربما كان ذلك أول درجات سلامها النفسي ..

من يدري !؟



قمر .. كان اسمها ووصفها

جميلة مثله .. و شديدة الرقة و الحزن أيضاً مثله.

كانت تستعد للمغادرة اليوم رغم نصائحها بالبقاء ؛ لم يقل حزنها عن اليوم الأول الذي رآها فيه بل ان الحزن بدا كما لو أنه رداء ارتدته فلائمها بأكثر مما كانت تعتقد.

حاول خلال الأيام الماضية حثها على الفضفضة أو حتى الصراخ بالعذاب التي ينتهك أعماقها دون جدوى.

نصح والدها بعرضها على طبيب نفسي إلا أن الأمر بدا وكأنه سبه في مجتمع لا يعترف بالطب النفسي من الأساس.

شرودها يخبره أنها قد تعاود الكرّه .. ماذا إن نجحت في المحاولة الثانية أو التي تليها .

راقب رمزي والدتها و هي تساعدها على النهوض بعد أن انتهت من لملمة أغراضها الشخصية.

همس رمزي بصوت منخفض حتى لا تصل كلماته لمسامع

النساء



_ يا حاج حالة بنتك لسه مش مستقرة و ممكن تحاول تاني...

قاطعہ الأب بوعي كامل لحالة ابنته ربما و بما خفي عن رمزي

_ يا دكتور.. قمر بنتي عارفه ربنا كويس و مؤمنة بقضائه .. اللي

حصل ده كان لحظة ضعف مش هتكرر بأمر الله.

همّ رمزي بالاعتراض فاستوقفه الرجل بابتسامة راضية و ربه على

ذراع رمزي

_ اطمن !

مرت بجانبه في طريقها للخروج من باب الغرفة فابتسم لها رمزي

_ مدام قمر.. خدي بالك من نفسك و من الناس الطيبين دول

.. و بلاش تخوفهم عليك.

رفعت عينيها إليه و ربما كانت المرة الأولى التي يتطلع إليها من

هذا القرب ليُمعن النظر في عينيها الداكنتين.

هزت رأسها بالموافقة مع محاولة فاشلة لابتسامة انتهت قبل أن

تبدأ.



تابع بعينه رحيلها و بداخله نبض جديد لا يدرك أسبابه .

شعر بالفراغ إثر مغادرتها ..

فتمة حضور يخترق كل أبوابك ليسكن داخلك رغماً عنك !

وقمر كان لها ذلك الحضور الذي يستوطن المرء بلا استئذان.

أغلقت الحقيبة الأخيرة و أخذت تتطلع حولها و قلبها يخبرها أنها لن تجد الراحة خارج جدران هذا المكان ؛ لن تتمكن من تنفس هواء غير الهواء الذي مر حوله .. تنفسه .. لامسه أو لامس أغراضه فحمل عبثاً خاصاً به أصابها يادمان لا شفاء منه و لا نية منها للمحاولة حتى .

تطلعت عيناها عبر شرفة غرفتها للبعيد حيث قبع الجبل الذي شهد إعلان حبهما و نهايته .

و تلك الشرفة في الأسفل حيث سهرت ليالاً طويلة يتسامران بود؛ هنا فكرت به .. و هناك أقنعت نفسها أنه لا يمكن أن تميل إليه ؛ هنا رقصت .. هناك استشاطت غضباً من تسلطه .



تحركت لخارج غرفتها و توقفت أعلى الدرج حيث أمسكها بشبه
احتضان لكي لا تسقط.

توقفت أمام المكتبة تتذكر الساعات التي أمضيها معاً في العمل
الخاص به.

هنا اكتشفت كم هما متشابهان .. و هنا لم تستطع لومه و هي تراه
يُزف لغيرها .. هنا احترقت بلظى الغيرة عندما شاهدتهما
متعانقين.

ربما لا تحمل معه ذكريات تساعد على الحياة سوى لفظ لن
تنساه و لن ترغب بسماعه من غيره

" أنا بحبك "

ستكون تلك الكلمتان هما سلوتها الوحيدة حال رحيلها.

ربما بملء إرادتها ستركه ليحيا .. و بكامل قواها العقلية أيضاً
ستغادره لتموت.

تسمرت مكانها حالما رأته يعبر المدخل الرئيسي للمنزل ؛ لم
تستطع منع عينيها من تأمل ملامحه المنهكة .



ضماد الوجه كان قد أعاده مما أخفى جزء كبير من ملامحه و
لكن عينه كانتا لا تزالان هما بنظرتي القاسية مع لمحة حنون
لا يراها سوى المقربين جداً من قلبه.

التمع فيهما مشاعر جارفة فقط للحظة واحدة قبل أن يتخطاها
بترحيب بارد توجه على إثره لغرفته بدعوى التعب.

تطلعت لفريدة بعينين باكيتين وإيماءة برأسها تدعي التفهم
بصمت.

ولا شيء أقسى من كلام يحتبس داخل القلب .. لا تستطيع
البوح به ولا يمكنك تجاهله.

أغمضت عينها بألم وأشارت لنيل بنظرة ذات مغزى أن الوقت
قد حان.

فاستوقفتها فريدة بذعر رغم أنها تدري أن الفراق آتٍ لا محالة.
_ خلاص هتسافري.

أومات برأسها ثم اقتربت لتغمرها بقوة و شرعت تقبلها

_ مفيش حل تاني.. هتوحشيني على فكرة .



مسحت فريدة دموعها التي سالت على وجنتيها ثم تطلعت لباب
الغرفة الموصد

_ مش هتستني لما تسلمي عليه.

حاولت الابتسام إلا أن شفيتها ارتعشتا للمحاولة دون نتيجة

_ أنا خلاص اطمنت عليه .

عادت تحتضن فريدة مجدداً بقوة أكبر

_ أنا حبيتك بجد و زعلانه أوي انك و لمى متعرفتوش على

بعض .

اختنقت باقي كلماتها بالبكاء

_ كنتِ هتحبها و هي كمان.

أومات فريدة برأسها في موافقة

_ أنا متأكدة من ده .. ربنا يرحمهم.

_ يا رب.

وجهت حديثها لنيل تلك المرة فأشارت بأصبعها



_ إنت وعدتني .. فاكر.

اقترب ليتناول كفها يقبله في امتنان ربما لأنها أحسنت ضيافة
لمى و ربما لأنها سمحت لها بالرحيل و هي تُدرك جيداً أنها
ليست لمى أم التوأم ..
و الأكيد لأنها هي ..

فريدة!

_ عُمري ما هنسى !

الرحيل قرار رغم صعوبته إلا أنه في بعض الأحيان يكون اختيار
اجباري.

على قارعة طريق أيامنا قد نفقد أحلام طالما أردناها
و نقابل أخرى لم نكن ندري بوجودها من الأساس ..
فتعود قارعة الطريق لتسلبنا إياها.



و ما بين زهد في أحلام لم نردها و أخرى شيعناها على الرغم منا

..

يبقى ذلك الكائن بين ضلوعنا .. كسير .

مرريده على خده غير عابئ بالألم الذي لا يطاق به من مجرد
اللمس و الذي هو لا شيء في حقيقة الأمر أمام الألم الذي يشعر
به بداخل صدره.

رحيلها بعيداً عنه تعني أن حياته توقفت هنا .. لحظة مغادرتها.
و مع الآخر ورغماً عنه سيتركها تفعل لأن لا حل آخر أمامه؛ هي
تستحق حياة أفضل مع شخص ..

كلا .. لن تجنح أفكاره لشخص آخر ..

يتمنى لو بإمكانها الانتظار .. انتظاره لبعض الوقت حتى يشفى
نهائياً.

و لا شيء أمامه سوى الأمل بها.

و رغم أنهم قالوا أن الحب حياة إلا أنهم أماتونا برحيل.



زهرة

الحلم الذي أتاه متأخراً ..

لم يعد يدري كيف كان يعيش قبلها و لا كيف كانت حياته
دونها.

صارت قلب قلبه كما سبق و سمع و ربما لم يفهم حينها المغزى
من تلك العبارة.

صالحته على الدنيا و على نفسه ..

بدأ يشعر بالمسئولية تجاهها أولاً ثم امتد ذلك لكل شيء آخر
حوله ..

عاد يعمل بجدية ربما لم يكن يدري أنه يمتلكها.

اكتسب صفات طالما سخر ممن امتلكها و أولهم ياسين و رمزي.

و كأنما شعرت به يتفرس بها فتوقفت عن مداعبة عُمر الذي

تتولى مسئوليته بالكامل أثناء دوام يارا بالمزرعة.



ابتسمت حالما رأت نظراته المشرقة الموجهة إليها و همست بلا
صوت

" بحبك "

بعث لها بقبلة في الهواء احمرت لها وجنتيها و ازدادت ابتسامتها
اتساعاً

" هو الأستاذ عُمَر مش هينام بقى و لا إيه "

شهقت فقد أربكها اقترابه المفاجئ و التصاقه الشديد بها
ليلاحظ أن الصغير قد غفا بالفعل.

تناوله من يديها برفق ليضعه في سريره النقال ؛ طبع قبله رقيقة
على وجنته ثم أعطاه للخادمة لتنقله لغرفته.

جذب كفها لتقف ؛ أحاط بخصرها في تملك ثم اقتادها
لغرفتهما

_ أنا عايزك في موضوع مهم جداً.

حاولت الابتعاد فأبى أن يُفلتها فهتفت



_ مراد .. انتَ مش راجع شغلك .. يارا لوحدها .

هز رأسه برفض كامل

_ الشغل ممكن يستنى ..

تطلع إليها بجرأة دفعت قلبها للنبض بجنون قبل أن يتابع

_ اللي عايزك فيه أهم.

دفنت وجهها برقبته في ارتباك و خجل

_ مش هتتغير.

دفع باب الغرفة بقدمه ثم أوصده بإحكام ؛ أدارها لتلتصق به و

بين شفيتها همس بوله

" بحبك "

تعثرت برداءها الذي التف حول جسدها بفوضى ضحكت

بارتباك فضحك بدوره و عينيه تتابعان تحركها في الغرفة

باضطراب لتسلط عينيه عليها دون خجل.



توجهت للحمام الملحق بالغرفة ؛ خرجت بعد بعض الوقت رطبة
الجسد و الشعر.

كان قد أغمض عينيه و يبدو أنه غفا قليلاً إلا أنه شعر بها
ففتحها مجدداً.

ارتسمت بسمة تحمل سخرية ممتزجة بمرارة تركت أثرها القوي
في حلقه، لا تزال تحرص على تناول أقراصها المانعة للحمل
يومية، لا تريد أطفاله يعلم .. ما لا تعلمه هي أنها لن تنالهم دون
الحاجة لاستخدام موانع.

_ مش مضطرة تاخدي حبوب منع الحمل على فكرة.

كانت قد استلقت بجانبه استدارت بجسدها لتواجهه و همست
بعدم فهم

" أفندم "

قذفها بوجهها علّها تريحه و لكنها آلمته أكثر

" متخافيش مش هتبقى حامل .. أنا مبخلفش "



و كأنما ألقى دلو ماء بارد فوق رأسها .. فالإنسان قد يعلن و
يؤكد رفضه لشيء ما باختياره .. أما ان صار هذا الرفض بغير
إرادته حينها يشعر بالعجز و ..

الندم !!!

مرريده على كتاب يحمل ذكرى مشتركة بينهما

" كبرياء و هوى "

ابتسم بحنين للرواية و كأنه يرى فيها من شاركته إياها.

تضيق بنا الدنيا إذا غبتم عنا

وتذهب بالاشواق أرواحنا منا

فبعدكم موتٌ وقربكم حيا

فإن غبتموا عنا ولو نفساً مُتنا

نموت ببعدهم ونحيا بقربكم



وإن جاءنا عنكم بشير اللقا عشنا
ونحيا بذكركم إذا لم نــــراكم
ألا إن تذكر الأجابة ينعشنا.

ابن الفارض

انتبه لطرقات على باب غرفة المكتب ؛ فُتِح الباب لتدخل
مُنكسة الرأس بخطوات بطيئة.. أو بالأحرى تتقدم خطوة
باتجاهه وخطوتين مبتعدتين عنه.

بحركة لا إرادية امتدت يده تُخفي خده الأيسر عن عينيها كما
اعتاد خلال الأيام الماضية منذ خروجه من المشفى.

أولاها ظهره بنفور و كل أعصابه في حالة تحفز
_ انتِ إيه اللي جابك هنا .. مش قلتك مش عايز أشوفك تاني.
تسمرت في مكانها لهجومه المفاجئ و قد غادرتها شجاعته
الواهية التي أتت بها.



_ أنا .. أنا آسفة يا ياسين .

ابتسم بسخرية مريرة و هتف بعنف

_ آسفة_____!؟!

ازداد ارتباكها و لكنها كانت قد حسمت أمرها و اتخذت قرارها
و لا سبيل للتراجع.

_ أنا .. مكنتش أعرف أن كل ده هيحصل بسببي .. أنا كنت
عايزه أأذيها .. أبعدھا .. أنا كنت خايفه يا ياسين كنت بدافع
عن وجودي في حياتك.

استدار ليتطلع إليها باستنكار غير مصدق لمبرراتها

_ و مين هدد وجودي أو وجودك بس !؟!

سخرت بانفعال بدورها

_ انت بتضحك علي و لا على نفسك يا ياسين .. هي كانت
بتأخذك مني . . زي ما سبق و أخذت هشام.

كشر ملامحه ثم هز رأسه بعدم تصديق



_ مينفعش حد ياخدني منك انتِ ناسية اني وعدتك.

شق فمها ابتسامة يأس

_ ياااه .. انت اتاخذت مني من زمان أوي من أول ما شفتها و

انت مش معايا.

تلعثم لأنه أدرك أنه و رغم كل محاولاته لرفض تلك المشاعر ..
للتعويض لها عن الذنب الذي طالما شعر به لأنه لم يستطع أن
يُكن لها أي مشاعر .. حتى للقسوة التي طالما مارسها على قلبه و
قلب من أحب في محاولة لرأب الصدع بينهما ذهبت أدراج
الرياح.

_ طيب ليه مقولتيش لأ .. ليه وافقتي من الأساس !؟

بسخرية تابعت

_ تفتكر رفضي كان هيفرق . متضحكش عليّ . هي في قلبك

سواء بإرادتي أو غضب عني.

تمتم بندم : أنا آسف.



تنفست بعمق بهدف تجميع أفكارها؛ تحرص على ألا تتلاقى
عينيهما ؛ تهرب بهما من الجرح الذي تسببت به بطريق غير
مباشر.

تابعت بصدق مع نفسها و للمرة الأولى

_ أنا اللي آسفة .. أنا اللي اتمسكت بيك و أنا متأكدة اني
عمري ما هكون زيها. . أنا اللي وقفت حياتي عليك و على
هشام من قبلك .. أنا أستاهل أتحب يا ياسين. . أستحق أكثر من
أني أشحت الحب و الاهتمام .. بس للأسف عرفت ده متأخر
أوي .

اتجهت للباب و هي تتابع

_ سامحني يا ياسين .. سامحني لأنك عارف إن اللي عشناه
زمان كان قاسي أوي علينا.. يمكن لو كان عندي ناس بتحبني
زيك كان الوضع مختلف .

أوما برأسه يفهم جيداً أنها كانت أصغر .. أضعف .. و أكثر وحدة
منه بكثير.



كما أنها لم تنل الحب كما وجدته هو ؛ لم يُحبها أحد كشخص
يستحق الحب فعلاً.. ربما .. فقط ربما كان الأمر سيختلف كثيراً
لو بادلها هشام الحب .. و لكن أنى لأحد أن يسيطر على قلبه.

أخذ الصغير يقفز بين ذراعيها و عينيه على شاشة الهاتف
المحمول الخاص بها تلعثم بحروف ينطقها للمرة الأولى

_ ب ا ب ا .

ضحكت بحبور و هتفت بسعادة أمام جذل من على الطرف
الآخر و أجابته

_ أيوه يا حبيبي!

" مين حبيك ده بقى إن شاء الله !؟ "

هتاف ساخط أتى من خلفها لتستدير ؛ تلاقت عينيه مع عينيه
الغاضبتين فتلعثمت و عينها تجوب الأوجه المتسائلة

_ مراد .. يارا حمد الله على سلامتكم.



نهضت بارتباك ؛ وضعت الصغير بين ذراعي أمه و هرولت
باتجاه المطبخ

_ أكيد جعائين .. حالاً الأكل هيكون جاهز.

كان خلفها مباشرة و قبل أن تبعد بمسافة كافية كانت أصابعه
تقبض على ذراعها بقوة

_ كنتِ بتكلمي مين !؟

تطلعت من فوق كتفيه و همست بصوت خفيض

_ زيد !

صرخ بها بعنف

_ نعم!

وضعت أصابعها على فمه لتهمس

_ وطي صوتك .. مش عايزه يارا تسمع.

أبعد أصابعها بعنف و هتف بغضب

_ و إيه كمان يا ست هانم!



تساءلت بتيه لا تدري سبب غضبه و عنفه معها

_ في إيه يا مراد؟! مالك!؟!

غمغم من بين أسنانه

_ بتكلمي زيد اللي كان جوزك .. و بتقولي له يا حبيبي و كمان

بتسألني مالك!؟!

اقتربت منه حد الالتصاق ؛ رفعت رأسها لتتطلع لملامحه الغاضبة

؛ استطالت لتقف على رؤوس أصابعها لتقبل شفثيه المزمومتين

برقة

_ بتغير عليّ يا حبيبي!؟!

عاجلها بسرعة : متغيريش الموضوع.

توقف لبرهة قبل أن يتساءل

_ حبيبيك!؟!

أومأت برأسها بالإيجاب ابتسم بسعادة قبل أن يعود للتذكر

فتغيب نصف البسمة



_ ولو !!

أحاطت عنقه بذراعيها و همست

_ بحبك!

اقترب بشفتيه من ثغرها إلا أنها ابتعدت بارتباك و هي تتلفت
حولها و هتفت بتحذير

_ مــــراد!

جذب معصمها و اتجه بها لغرفتهما ؛ اعترضت بوهن إلا أنه لم
يسمح لها
بالإفلات.

سكنت بين ذراعيه بعد بعض الوقت ؛ جذبها إليه لتلتصق بصدرة
أكثر

_ لو قلتِ حبيبي لحد غيري هقتلك!

دفنت وجهها بصدرة و همست

_ مش هقول!



قبل رأسها قبل أن يتساءل

_ قوليلي بقي إيه حكاية الأستاذ زيد ده.

تنهدت ثم بدأت بالكلام

_ أصلاً زيد مش بيمر يوم غير لما يكلمني و يظمن على يارا و
عمر.

تطلع إليها بمكر

_ أهااا .. بقي كده!

سعلت فريدة بشدة عندما قابلتها سُحِب الدخان الكثيفة حالما
دخلت عليه غرفة المكتب ؛ تطلعت إليه ياشفاق فياسين انتقل
من خانة الغير مدخنين لخانة المدخنين بشراهة .

_ إيه ده يا ياسين .. انت كده هتموت نفسك.

ابتسم بسخرية : مش أوي كده .. محدش بيموت عشان بيدخن
ولا حد بيموت مكسور القلب.



هتفت بغضب

_ انتَ إيه اللي حصلك؟!!

حدث الكثير و كأنها لا تعلم ؛ و لأنه اعتاد على الفقد في الآونة
الأخيرة فقد وصل لمرحلة جديدة من اللامبالاة.

يقولون أن اللامبالاة آخر فصول الوجد ..

فهنئاً له لقد وصل للمنعطف الأخير.

هتف بيأس : سييني لوحدني يا أمي!

اعترضت بقسوة و بعنف تجبره على الاستماع لكل حرف تتفوه
به

_ لأ مش هسيبك .. انتَ ليه بتقسي على نفسك كده .. ليه

بتحارب مشاعرك.

انتفض واقفاً فاصطدمت ساقه بالمنضدة أمامه فانقلبت و سقط

كل ما عليها بدوي مرتفع.

_ و أنا من إمتي مكنتش بحارب مشاعري.



اقترب منها و ملامحه تحمل ألما و ياساً بالغين

_ كل حابه عشتها في حياتي اتفرضت عليّ .. و مقلتش لأ ..
شغل و اشتغلت

.. مسئولية و شلت .. جواز مش عايزه و اتجوزت .. حتى
الإنسانة الوحيدة اللي حبتها حاربت إحساسي بيها.

تابع بوجع يكاد يمزق أوصاله

_ عارفه يعني إيه أوعد ياسمين و أحس طول الوقت إني خاين و
بقاوم عشان أوفي بالوعد ده في حين إنها محاولتش تحبني حتى
و بالعكس كانت في كل مرة بتفكرني أد إيه حبت هشام .. و لا
إني أحب بني آدمه مش ليّ و لا هتكون .. حبيتها و أنا متأكد
انها بتحبه .. و أنا عارف إن حتى لو حبتني هيفضل حبه اللي
في قلبها حاجز بيني و بينها.

اعترضت : ياسين .. انت متعرفش حاجة.

قاطعها و كأنما لم يسمعها



_ ولما اعترفت أخيراً و هي كمان .. فضلت ياسمين حاجز ما
بيننا .

جابهته باستنكار : و خلاص الحواجز انتهت .

أشار لوجنته المصابة في نفور

_ وشي ده حاجز ما بينا!

وضعت كفها على فمها تكتم شهقات بكاءها فيما تابع

_ كنت بشوفها معايا في كل حته بروحها .. ماسكه إيدي و

بتواسيني في كل عملية بعملها .. كنت بشوفها في التوأم في كل

مرة بروح أجيبهم و أرفض حتى أشوفها و لو من بعيد .. ببعدها

عن قلبي بالقوة في كل مرة ببص في المرايه .. في ياسمين اللي

عمي طلب مني مطلقهاش رغم انها هي نفسها مش عايزاني.

بكت لعجزه .. لقله حيلته .. لخصال لم يعد أحد يهتم بها و لو

ضربها عرض الحائط لن يجرؤ أحد على اتهامه بالأنانية فهو أبعد

ما يكون عن ذلك.

_ روح لها يا ياسين .. انت تستحق تعيش سعيد.



تطلع إليها باستنكار و أشار بيده بيأس

_ بعد كل ده لسه بتقولي روح لها.

ربتت على ذراعه في حنان

_ ياسمين و خرجت من حياتك مش هيفرق على ذمتك و لا لأ

ما دامت خلاص انتهت بالنسبة لك .. جرحك مش هيفرق مع

حد بيحبك يا ابني .. و هي بتحبك جداً.

زفر بحرارة

_ الحب لوحده مش كفايه!

اعترضت : و الكبرياء هيخليك تخسر أي فرصة تكون فيها

سعيد..

الحب مش حرية .. الحب ديكتاتور يفرض سلطته على القلوب

..استخدم سلطة حبك في قلبها و اخضع لسلطة قلبك.

وضعت راحة يدها على قلبه و تابعت همساً

_ امشي ورا قلبك و لو لمرة واحدة في حياتك .



أغمض عينيه في استسلام و بدأ التفكير بعمق رغم بوادر الرفض
بأعماقه إلا أنه وجب عليه أن يعترف.

للقب نبضة واحدة مميزة و بعدها كل الخفقات تتساوى!

تنهدت زهرة بحرارة مما لفت انتباه مراد إليها فأحاط كتفها
بساعده مما جعل وجنتيها يحمران خجلاً .

تنحس رمزي في مزاح فيما ابتسمت يارا بحب للحالة الرائعة
بينهما.

ارتبكت زهرة ؛ تلعثمت و هي تتطلع لمراد بارتباك و ثمة سؤال
يقف على طرف لسانها

_ مراد .. ممكن أطلب منك طلب!؟

ابتسم بمزاح و هو يغمز لها بعينه بشقاوة

_ طبعاً يا قلبي ما دام كله بتمنه.

شهقت بحرج فهتف بجدية مصطنعة



_ انتِ مشِ تطلبي .. انتِ تؤمري.

تنحنحت بخفوت

_ عايزه أفتح حضانة .. انت عارف أد إيه بحب الولاد و انا

أصلا محتاجه حاجة تشغل وقتي.

هتف رمزي بحماس

_ فكرة هايلة .. أنا كمان ممكن أقول لقمر تساعدك .. أهى

حاجة تشغل وقتكم.

تفرست يارا في ملامح الشجن التي عكستها ملامح مراد

_ طب ليه متجيبوش ولاد الأول .. مراد بيعشق الأطفال و انتِ

كمان ..

قاطعها مراد بألم

_ المشكلة عندي أنا يا يارا .. أنا شبه عقيم.

شهقت يارا بصدمة فيما زوى رمزي ما بين حاجبيه بتساؤل

_ يعني إيه يا مراد .. فهمني الحالة بالظبط.



بكلمات مقتضبه شرح له مراد الحالة الطيبة كما أخبره صديقه
اللبناني منذ شهور.

ابتسم رمزي بمرارة و هو يتذكرها .. و كأنه نسيها من الأساس
ليتذكرها

_ منال .. لو كانت في مصر كانت ممكن تساعدك .. البحث
بتاعها في حالات زي دي.

تنحنحت يارا هذه المرة قبل أن تعترف

_ منال هنا يا رمزي .

جف حلقه ؛ تطلع حوله و تساءل بصدمة

_ هنا؟! .. هنا فين!؟

تنهدت بقوة

_ هقولك!

راقبها خلسة و هي تتحرك بخفقة و نشاط هتفت بأعماقه



" يا الله كم اشتقتك "

نحلت كثيراً عما كان يعرفها ؛ بعينها حُزن عميق رغم البسمة
التي لا تفارق شفيتها .

تابعها بعينه حتى اختفت خلف إحدى الحجرات فتبعها؛
وجدها تدلك جبهتها يارهاق و قد اختفت البسمة التي بدا و أنها
قناع ترتديه أمام الجميع و تنزعه حال انفرادها بنفسها.

وقف أمام باب الحجرة المفتوح يتمعنها ؛ يشتاقتها رغم رفضه
الإعلان عن ذلك ؛ يقاوم مشاعره التي تتنازع بداخله ما بين من
يريد جذبها إليه و احتضانها بعد إشباعها ضرباً لحماقتها و
خطاياها التي أوصلتهم لهناء.. و أخرى تحثه على الرجوع للخلف
و الثبات على قرار سبق و اتخذه و مقتنع تماماً بما قرره بشأنهما.

رفعت رأسها فجأة تشعر بأنها مُراقبة لتتلاقى عينيها فتهمس

بدهول

_ رمزي!!

خطا خطوة للداخل



_ انتِ في مصر من امتي؟!!

اجابت و لا تزال عينيها غارقتين به .. بتفاصيله التي افتقدتها
على مدار الشهور التي مرت بدونه.

_ أنا مسبتش مصر أصلاً.

اقترب خطوة أخرى ؛ تفرس بملامحها يبحث عن إجابات لأسئلة
كثيرة

_ و الفرصة .. و الحلم .. و أمريكا .. و .. و حسام!

وقفت دون أن تحيد عينيها عنه

_ حسام .. جبتله الأمن و طردته من مكثبي و حياتي بعد ما
بلغت إنه كان عايز يستفيد مني و لو بالقوة بره مصر.

توقفت قليلاً ؛ أخفضت رأسها بندم ثم غمغمت بخفوت

_ الحلم و الفرصة و أي نجاح في الدنيا ملوش قيمة لو مش مع
بعض يا رمزي.



محي المسافة الباقية بخطوة أخيرة واسعة؛ هم بجذبها إليه ليشعر بها بين ذراعيه و ملاصقة لقلبه كالسابق إلا أنها سبق خانت ثقته بها .. كما انها لم يعد يحق لها لمسها بعد انفصالهما.

شعرت بتردده ؛ بالأفكار التي تتنازعه

_ مكنش ينفع أبعد عنك و عن نور .. و لا كنت أقدر أخليك تعرف مكاني طول ما انت رافضني .. نقلت أقرب جامعة منكم .. و أقرب مستشفى و كنت بظمن عليكم دائماً من يارا.

أوما برأسه بمعرفة لذلك

_ ليه !؟!

أغمضت عينيها بندم

_ عشان اكتشفت إن حلمي انتم يا رمزي .. نجاحي مش هيبقى ليه أي معني لو انت مدعمتنيش فيه و لا فرحنا بيه سوا .

تلعثمت " علشان .. علشان بحبك يا رمزي و معرفتش أد إيه بحبك غير لما خسرتك. "

تناول كفيها بين يديه



_ أنا كمان و رغم الجرح و الوجع اللي عشتهم بسببك معرفتش
أنساك.

تطلعت إليه بحب

_ لسه بتحبني يا رمزي !؟

ابتسم رمزي و حرك كتفيه بيأس

_ الحب لعنة عيلة الجبالي .. مبنعرفش نحب غير مرة واحدة و
يا صابت يا خابت.

ضحكت بخفوت فاقترب أكثر

_ منال انا..

" دكتوراه منال .. رامز المفروض يرضع ! "

تطلع للقادمة التي تحمل بين ذراعيها صبي عمره بضعة أشهر.

تحركت باتجاه الوافد و ببسمة واسعة تناولته من بين ذراعيها و

قبلت الصغير بعمق

_ قلب مامي .. وحشتني.



فغر رمزي فاه و هو يتطلع إليهما بدهشة

_ مامي .. رامز .. منال !؟

اقتربت منه و حادثت الصغير الذي تطلع لرمزي بفضول

_ رامز .. قول لبابي وحشتني.

خطا بضع خطوات للخلف حتى اصطدم بكرسي خلفه فتهالك

فوقه و اتسعت عينيه بذهول

_ منال .. رامز ..

وضعت الصغير بين ذراعيه

" ابنك يا رمزي !؟ "



الختام

عاد ياسين من المزرعة ليتعثر بحقيبة سفر في مدخل المنزل ؛
أغلقت فريدة هاتفها المحمول و هي تتمم بأن كل شيء سيصير
كما اتفقاً.

استقبلته فريدة و قد ارتدت ملابس أنيقة تشير بأنها ستغادر .

زوى ما بين حاجبيه في تساؤل

_ خير يا أمي على فين؟!!

ابتسمت فريدة و هتفت

_ هسافر القاهرة.

شحب وجهه و غار قلبه في صدره و هو يتساءل بقلق

_ خير .. في حاجة حصلت؟! لمى و الولاد كويسين؟!!

ربتت على ذراعه تطمئنه



_ اطمن يا حبيبي .. خير و خير جدا كمان .. أنا معزومه على

فرح.

ازدادت حيرته

_ فرح !؟!

ابتسمت و عينيها مسلطان عليه

_ أيوه فرح .. و لمى اللي عزمطني!

و قبل أن يجيب اندفعت للخارج و هي تدعي أنها تأخرت و

لا بد أن تكون بالمطار بعد أقل من ساعة.

صفع باب المكتبة بعنف و أخذ يسير بلا هواده في المساحة

الخالية أمامه التي بدت الآن كثقب إبره.

ركل كل ما طالته قدميه و أسقط كل ما ظهر أمام يديه بعنف.

زمجر بعنف و صدره يتقد ناراً .



سيذهب و سيمنحها حرية الرأي و سيمارس معها ديكتاتورية
القرار.

غمزت فريدة ليارا بعينها التي أخبرتها أن الأمور تسير وفق
المخطط الذي رسماه بدقة.

الجميع هنا و الجميع يعلم عداهما طرفي المعادلة!

هي تعتقد أنه لا زال زوجاً لياسمين فابتعدت لتتعذب بقية حياتها
و هو يعتقد أنه يبتعد لصالحها .. لنقص فيه لا يرغب بأن يشعر
به معها على وجه التحديد.

الحقيقة أن الزفاف كان حقيقي ..

زفاف رمزي و منال !

و لمن لم لا يتم تحريك المشاعر الراكدة بإيهامه بزفاف آخر.

همست يارا بأذن فريدة

" كلم رمزي عشان يعرف مكان الأوتيل "



ابتسمت فريدة بانتصار

_ كنت متأكده إنه مش هيتحرك إلا بالطريقة دي.. طلعيها فوق
زي ما اتفقنا.

أومأت يارا برأسها و اتجهت لتمارا حيث أخبرتها أن منال تحتاج
منهم المساعدة في غرفتها بالفندق .

استقبلتهما منال التي بدا عليها الارتباك المصطنع و هي تخبر
تمارا أن هناك مشكلة مع الفستان الخاص بها و طلبت منها
برجاء أن ترتديه من أجلها لتراه على جسد غيرها.

تلمست تمارا القماش المُطرز الخاص بفستان الزفاف الذي
ارتدته قبل بضعة أشهر .

ارتسمت ابتسامة حزينة للذكرى التي تشاركتها مع ياسين بسبب
ذلك الفستان تحديداً.

ارتدته برفق و كأنها تعامل شيء قابل للكسر.

ابتسمت منال بانبهار بجمالها المبهر في حين أعلنت يارا بحبور

_ مش قلتلك .. الفستان ده كأنه معمول لها مخصوص.



طرق الباب و كانا يعلمان أن الوقت قد حان أخيراً.
 أشارت يارا لمنال برأسها بإشارة متفق عليها مُسبقاً
 استقبلت يارا ياسين على الباب و غمغمت تُشجعه
 _ ربنا معاك يا ابن عمي!

تطلعت تمارا للخلف تبحث عن الفتيات التي اختفين فجأة
 لتصطدم عينيها بياسين الذي احتقن وجهه بشده لرؤيتها بذات
 الفستان الذي تذكره على الفور فأثار حنقه بشده.
 أروعها غضبه للمرة الثانية فتقهقرت للخلف في ارتباك.

همس من بين أسنانه

_ ملقيتيش غير الفستان ده بالذات.

تطلعت إليه بعدم فهم فتابع

_ هتجوزي خلاص يا لمى .. خلاص نسيتي هشام!

صُغت لكلماته

_ أتجوزي؟! .. لمى!؟!



اقترب و قد بدأ بمحاولة إقناعها

_ لمى .. أنا ..

لم تكن قد أمعنت النظر إليه لحظة دخل ؛ و هجومه عليها أربكها
إلا أنها الآن و مع اقترابه لاحظت آثار الجرح على وجهه.
اندفعت الدموع لعينيها على الفور فأبت أن تُظهرهما أمامه ؛
ازدردت لعابها و رفرت بجفنيها في سرعة كي تمنعهم من
الظهور.

اقتربت منه في رفق ؛ وقفت على جانبه الأيسر لتمعن بوجهه
أكثر ؛ امتدت أناملها لتلمس جرحه برفق.

جفل مبتعداً فتأسفت

_ لسه بيوجعك.

هز رأسه بنفي

_ انتِ وجعاني أكثر.

جعدت ما بين حاجبيها و هتفت بذهول



_ أنا !؟

أحکم قبضته على كفها و عاد يضعه على جُرْحه بالقوة يتلمس ..
ينتظر لمحة نفور واحدة إلا أنه لم يجد سوى عينين تحتضنان
ملامحه بحب

_ أيوه انتِ لحد ما توافقي تكلمي عُمرک معايا.

شهقت بعنف و ارتجف جسدها كله

_ أنا يا ياسين .. عايز تكمل عمرک معايا أنا!

أوما برأسه بالإيجاب و لا تزال عينيه مسلتطتان عليها

_ هتقدري تعيشي معايا .. مع الوش ده .. مع ..

وضعت يدها على فمه لتُخرس الباقي من حديثه

_ و ياسمين !؟

اعترف " مفيش في قلبي غيرک و لا هيكون "

حاولت الابتعاد إلا أنه أبى أن تفعل فغمغمت

_ في حاجة مهمة عني إنت متعرفهاش.



تساءل بعينه فتابعت : هشام ..

قاطعها : مش هقدر أقولك انسيه .. بس في نفس الوقت مش
هعرف أكون مرتاح و مقدرش أوعدك إني مش هضايق و أغير .

ضحكت بخفوت

_ هشام كان زي أخويا.

اتسعت حدقتيه عن آخرهما و فغرفاه في ذهول أراد الكلام إلا
أن الكلمات تعثرت على لسانه.

بدأت تقص عليه كامل القصة منذ البداية ؛ و كيف اضطرت
للكذب حتى تنفذ وصية أم و أب على فراش الموت.

كيف تألمت و عانت منذ اللحظة الأولى التي أحبته فيها و هي
تُدرك أنها لا تستطيع خداعه هو تحديداً!؟

و كيف همت بالاعتراف أكثر من مرة لولا ان فريدة كانت
تستوقفها في كل مرة.



مشاعر متباينة انتابته ما بين شعور بالجرح لأنها خدعته و كذبت عليه طوال تلك الفترة و شعور آخر بالراحة لأنها أحبته فقط .. هو حبيبها الوحيد.. الأول بقلبها و الأخير.

هي تمارا من عشقها و ليست لى زوجة أخيه!

تطلعت إليه بترقب و تساءلت

_ هتقدر تسامحني !؟

ابتعد عنها على الرغم منه ؛ يكره الكذب ؛ ينفر من الخداع و هي كذبت عليه و خدعته باقتدار.

من يعوضه عن كل العذاب الذي عاناه و هو يعتقد أنها زوجة أخيه .. عن مشاعر الخيانة التي طوقت عنقه منذ أحبها و هو يموت من ذنب خيانتة لأخيه.

خفق قلبه يذكره بوجودها معه .. بعذابه في بُعدها .. بأنفاسه المختنقة في غيابها .

ربما لو كانت الظروف مختلفة كان الوضع ليختلف كثيراً ..

فحبهما كان مستحيلاً منذ البداية سواء كانت لى أو تمارا .



هو لم يكن متاح بقدر ما كانت هي !!

عاد ينظر إليها ليسترد صدره أنفاسه ؛ أوماً برأسه بالإيجاب

_ لو وافقتي تبقي ليّ لحد آخر عمري.

طفرت الدموع من عينيها و هي تهز رأسها بالموافقة ؛ عادت

عينيها تتجه لا إرادياً لوجهه فاخفت ابتسامته

_ أنا عملت أكثر من عملية و لسه في عملية بعد أسبوعين .. أنا

عارف ..

وضعت كفها على فمه مجدداً

_ شششششش .. الجرح اللي مش عاجبك ده أنا شايفاه قمة

الجمال .. انت ناسي إنك حميتني من الديب اللي هاجمك بدل

ما يهاجمني .. الجرح ده علامة .. علامة حبك ليّ يا ياسين.

انتفض بسعادة ؛ قبل باطن كفها الملاصق لفمه فأبعدته على

الفور؛ أمسك معصمها و اتجه بها لباب الغرفة.

_ يعني هتيجي معايا .. غيري الفستان ده و تعالي نمشي من هنا

.. أنا مش هسيبك تتجوزي حد تاني.



اعترضت : ياسين .. استنى بس .. مين هيتجوز؟!!

فتح الباب ليصطدم بمراد الذي كان يهم بالطرق على الباب
فأعلن بصرامة

_ خلاص يا مراد مفيش فرح .. لم .. تمارا هتيجي معايا.

ضحك مراد في مزاح

_ تيجي معاك فين بس .. هي سايبه و لا إيه!

زم ياسين شفتيه و هتف بقسوة

_ مراد خليك بره الموضوع ده بالذات!

ضحك مراد بشدة قبل أن يتابع

_ بره إيه بس .. ده أنا جبت المأذون.

ترك ياسين معصمها ليمسك مراد من تلايبه بشدة

_ تالالاني.

أبعد كفي ياسين عن ملابسه



_ يا ابني اهدى بس .. انت علطول عصبي كده.. المأذون أنا
جبهته .. و العروسة أهى جاهزة .. لسه انت يا عريس .. ولا
هتجوز بقميص و بنطلون.

انتهى عقد القران لتقرب زهرة من يارا التي رغم سعادتها مرت
لمحة حزن على وجهها لم تخطئها .

ناولتها هاتفها المحمول فتطلعت إليها يارا بتساؤل

وضعت الهاتف على أذنها ليأتيها صوت افتقدته حد السماء

_ وحشتيني يا يارا.

اندفعت الدموع من عينيها لتعلن اشتياقها إليه بدورها ؛ سمع

بكاءها على الطرف الآخر و هتف بها

_ بلاش تبكي عشان خاطري.

مسحت دموعها بثبات و غمغت بطاعة

_ حاضر!



ابتسم في المقابل

_ انتِ و عمر وحشتوني فوق ما تتخيلي.

صمت قليلاً ليتابع بترقب

_ لسه ليّ مكان في قلبك يا يويو.

أومأت برأسها بالإيجاب غير واعية أنه لن يرى إيماءتها عبر الهاتف.

أعادت الهاتف لزهرة التي غمغت بسعادة

_ متأخرش يا زيد.

أحاط أحدهم خصرها بساعده و همس بالقرب من أذنها

_ بتضحكي لمين يا هانم!؟

استدارت لتقبل خده بحبور و أشارت ليارا المشعة بضحكة مشرقة

_ يارا كلمت زيد .. شايف مبسوطه إزاي.

هز رأسه بتفهم و قلبه ينتفض للعادة حوله في كل مكان



_ مميمم .. الظاهر ان ده يوم الفرحة العالمي.
استدار ليقف خلفها و أحاطها بساعديه من الخلف لتستقر راحتيه
على بطنها

_ واحنا .. أخبار الفرحة بتاعتنا إيه !؟

تمتت بشرود : لسه !

همس بأمل

" هتيجي ان شاء الله .. أنا متأكد "

ابتسمت و قد انتقل إليها أمله

_ أكيد .. و لو مجتش يا مراد .. انت فرحتي !

تلفت حوله قبل أن يجذبها لمغادرة المكان

_ تعالي عشان عايز أقولك حاجة مهمة جدااا.



أغلق الباب خلفه و عينيه تلتهمان تفاصيلها الحبيبة ؛ حمرة خجل
رائحة زينت وجنتيها بروعة .

رفع رأسها المنخفض لتلتقي عينيه الزرقاوتين بلمعة ذهبية و
عينيهما الخضراوتين الداكنتين.

شهقت حالما أحاط خصرها بساعديه و رفعها لأعلى لتأرجع
قدميها في الهواء إلا أنه عينيهما و ثغريهما كانا في نفس
المستوى الآن.

اقترب من ثغرها الشهي ليتلمسه برقة شديدة لم تلبث أن ازدادت
قوة رويداً رويداً فأغمضت عينيهما تستسلم لمشاعره العميقة .

تمتم من بين شفثيها بزفرة حارة

_ يااه .. أد إيه استنيت اللحظة دي.

التهب خديها و ابتعدت قليلاً فأعاد إحكام سيطرته على ثغرها
من جديد.

أنزلها برفق و انحنى عنقه ليواكب قامتها القصيرة دون أن يبتعد
عن شفثيها.



امتدت أنامله لسحاب الفستان يعالجه برقة شديدة ؛ ابتعد قليلاً و
بعينين التهمتا تفاصيلها للحظات قبل أن يحملها مجدداً ليضعها
على الفراش برقه

_ بحبك.

تلمست وجهه المصاب برقة ؛ أبعد عينيه عنها في ألم إلا أنه شعر
بلمسات رقيقة على صفحة وجهه .

احمرت وجنتيها خجلاً حالما منحت وجهه بضع قبلات رقيقة
_ كنت عايزه أعمل كده من أول ما شفتك .

اتسعت ابتسامته لتشمل وجهه كله و قد رقص قلبه بسعادة.

عاد الغرق فيها و قد أسكنها ذراعيه كما سبق و أسكنها قلبه.

سكنت إليه و كأنه موطنها منذ وعت الحياة ؛ كانت تبحث عنه
لتجده في أقاصي الأرض ..

ليحبه و يحبها !!

لم يعد يهم من وجد الآخر أولاً و لا من يحمل بقلبه حباً أكبر



مروة
ممدوح

لقيانا

قدر

المهم أن نبقى معاً إلى اليوم الذي يستحيل معه أن نلتقي مجدداً

..

و ما دام ..

لقيانا قدر

تمت

٧ - ٥ - ٢٠١٧

بقلمي مروة ممدوح

شخايط
ورديّة

